

أبو علي مسكويه الرازي

تجاربك الأمم

حققة وقدم له

الدكتور أبو القاسم

أخضر الرابع

دار مؤشس لطباعة والنشر
طهران - ۱۳۵۷ ش - ۱۳۵۸ م



تجارب الأمم



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

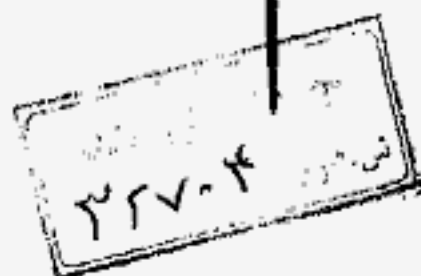


مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أبو علي سكويه الرازي

(؟ ۳۲۰ - ۴۲۱)

تجارب الامم



حقه و قدم له

الدكتور ابوالقاسم امامي



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الرابع

دار سروس للطباعة والنشر

طهران ۱۳۷۶ ش ۱۲۹۷ م

ابن مسكويه، احمد بن علي، ٢٢٢٠ - ٢٢٢١ ق.
 تجارب الأمم / أبو علي مسكويه الرازي؛ مغلته و قدم له أبو القاسم امامي. - طهران: دار سروش للطباعة والنشر، ١٩٨٧ - ١٤٠٧ ق. - ١٣٦٦ هـ.
 ج.
 بهاء ١٨٠٠ ريال (ج. ١)؛ بهای هر جلد متفاوت.
 ISBN 964-435-331-5 (7v.set)
 ISBN 964-435-327-7 (v.4)
 فهرستی بر اساس اطلاعات فیها (فهرست نویسی پیش از انتشار).
 هریس.
 پشت جلد به انگلیسی: *Miakanawayh. Tajarib al-umam (experiences of nations).*
 کتابخانه.
 جلد چهارم (چاپ اول: ١٣٧٦)؛ بهاء ١٦٠٠٠ ريال (جلد نرم)، ١٩٥٠٠ ريال (جلد زکوب).
 ١. اسلام - تاریخ - متون قدیمی تا قرن ١٢. ٢. تاریخ جهان - متون قدیمی تا قرن ١٢. ٣. ایران - تاریخ - متون قدیمی تا قرن ١٢. ٤. قصه امامی، ابوالقاسم، ١٣١٣ - مصحح. بهاء ١٠٠٠٠ ريال و سیمای جمهوری اسلامی ایران. انتشارات سروش، ج. عنوان.
 ٩٠٩٠٩٧٦٧١ NSTD/٦٣١/١٣٦٥
 ١٣٦٦
 کتابخانه ملی ایران
 ٩٢٢-٩٢٦

سروش

دار سروش للطباعة والنشر.

طهران، شارع الاستاد مطهری، مفترق الدكتور مفتح بنایة جام جم، رقم ٢٢٨

مرکز التوزيع: مجتمع سروش الثقافي، المعاونة التجارية، رقم التليفون ٦٤٠٤٢٥٥

العنوان: تجارب الأمم (المجلد الرابع)

المؤلف: أبو علي مسكويه الرازي.

تحقيق: الدكتور أبو القاسم امامي.

تنفيذ الحروف والاخراج: دار البصائر للخدمات الثقافية.

الطبعة الأولى ١٤١٨ ق / ١٩٩٧ م.

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة.

طبع هذا الكتاب بجميع مراحل الطبع في مطابع دار سروش للنشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة للناس.

شابک: ٣٢٧-٣٢٥-٩٦٤ (جلد چهارم) (VOL. 4) 7 - 327 - 435 - 964 ISBN.

شابک: ٣٣١-٣٢٥-٩٦٤ (دوره ٧ جلدی) (7 VOL. SET) 5 - 331 - 435 - 964 ISBN.

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله واهب العقل

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة
وفيهما قوى رافع بن الليث واشتدت شوكته

وقد ذكرنا قبل هلاك^(١) ابن علي بن عيسى : ولما قُتل ابنه ، خرج من بلخ حتى أتى مرو ، مخافة أن يصير إليها رافع بن الليث فيستولى عليها . وكان ابنه عيسى دفن في بستان داره ببلخ مالاً عظيماً قيل : إنه كان ثلاثين ألف ألف درهم ، ولم يعلم بها علي بن عيسى ولا اطلع على ذلك إلا جارية كانت له . فلما شخص علي عن بلخ أطلعت الجارية على ذلك بعض الخدم ، وتحدث به الناس ، فاجتمع قراء أهل بلخ ووجوهها فدخلوا البستان وانتهبوه وأباحوه للعامة^(٢) وبلغ الرشيد الخبر فقال :

- « خرج علي عن بلخ عن غير أمرى وخلف مثل هذا المال وهو يزعم أنه قد أقضى إلى حلى نساءه فيما أنفق على محاربة رافع . »
فغزله عند ذلك وولى هرثمة بن أعين واستصفى أموال علي بن عيسى ، فبلغت ثمانين ألف ألف . ووردت خزائنه [2] التي أخذت على الرشيد ، فكانت على ألف وخمسمائة بعير .

١. انظر الطبري (١١ : ٧١٣) .

٢. في الأصل وآ : العامة . في مط : وأباحوا العامة . وفي الطبري (١١ : ٧١٣) : للعامة .

وكان عليّ بن عيسى قد أذلّ جبابرة أهل خراسان وأشرافهم، حتّى خرج منهم مثل الحسن بن مصعب إلى مكّة واستجار بالرشيد من عليّ بن عيسى فأجاره، وأظهر مثل هذا هشام بن فرخسروا،^(١) أنّ الفالج قد أصابه حتّى أمكنه لزوم منزله. وكانت كتب حمويه وردت على هارون: أنّ رافعاً لم يخلع ولا نزع السواد ولا من شايعه، وأنّ غايتهم عزل عليّ بن عيسى الذى سامهم المكروه.

ولمّا عزم الرشيد على عزل عليّ بن عيسى دعا هرثمة بن أعين مستخلياً^(٢) به فقال:

- «إني لم أشاور فيك أحداً، ولم أطلع على سرّى فيك غيرك، وقد اضطرب عليّ ثغر المشرق وأنكر أهل خراسان أمر عليّ بن عيسى إذ خالف عهدي ونبذه وراء ظهره، وقد كتب يستمدّ ويستجيش وأنا كاتب إليه فأخبره أنّي أمده بك وأوجّه إليه معك من الأموال والسلاح والقوّة والعدة ما يطمنّ إليه قلبه، وتتطلّع إليه نفسه، وأكتب معك كتاباً بخطّى فلا تفضّنه [3] ولا تطلعنّ فيه حتّى نصير إلى مدينة نيسابور، فإذا نزلتها فاعمل بما فيه وأمثله، ولا تجاوزه إن شاء الله.

- «وأنا موجّه معك رجاء الخادم بكتاب أكتبه إلى عليّ بن عيسى بخطّى ليتعرّف ما يكون منك ومنه ومورّ عنه^(٣) أمر عليّ فلا تظهره عليه ولا تعلمنه ما عزمته عليه فيه وتأهب للمسير

١. كذا فى الأصل وآ: فرخسروا. فى الطبرى (١١: ٧١٤): فرخسرو.

٢. فى الأصل: مستخلياً به. وما أثبتناه يؤيّدُه نط والطبرى (١١: ٧١٥).

٣. فى آ ومط: ومود عنه. فى الطبرى (١١: ٧١٦): وهون.

واظهر لخاصّتك وعامتك أنّي أوجّهك مدداً لعليّ بن عيسى
وعوناً له..»

ثمّ كتب إلى عليّ بن عيسى كتاباً بخطّه نسخته:

- «بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن الزانية، رفعت من قدرك
ونوّعت باسمعك وأوطأت سادة العرب عقبك وجعلت أبناء ملوك
العجم خولك، وكان من جزائي أن خالفت عهدي ونبتت وراء
ظهرك أمرى، حتّى عشت فى الأرض وظلمت الرعيّة وأسخطت
الله عزّ وجلّ وخليفته بسوء سيرتك ورداءة طعمتك وظاهر^(١)
خيانتك. وقد وليت هرثمة بن أعين مولاى ثغر خراسان وأمرته
أن يشدّد وطأته عليك وعلى ولدك وكتّابك وعمّالك ولا يترك
وراء ظهورهم درهماً واحداً ولا حقّاً لمسلم ولا معاهد إلا
أخذكم به، [4] حتّى تردّه إلى أهله، فإن أبيت ذلك وأباه ولدك
وعمّالك، فله أن يبسط عليكم العذاب ويصبّ عليكم السياط
ويحلّ بكم ما يحلّ بمن نكث وغيّر وبدّل وخالف وظلم وتعدى
وغشم، انتقاماً لله بادنّاً، ولخليفته ثانياً، وللمسلمين والمعاهدين
ثالثاً فلا تعرّض نفسك للثى لا سوى^(٢) لها، واخرج ممّا يلزمك
طائعاً أو مكرهاً..»

وكتب عهد هرثمة بخطّه :

١. فى الأصل غموض. وما أثبتناه يؤيّد آ والطبرى (١١: ٧١٦).

٢. فى الأصل: شوى (بالشين المعجمة). فى مط وآ: سوى (القصد والاعتدال).

- «هذا ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى هرثمة بن أعين حين ولّاه ثغر خراسان وأعماله وخراجه. أمره بتقوى الله وطاعته ورعاية أمر الله وموافقته وأن يجعل لكتاب الله إماماً في جميع ما هو بسبيله فيحلّ حلاله ويحرّم حرامه ويقف عند متشابهه ويسأل عنه أولى الفقه في دين الله وأولى العلم بكتاب الله أو يردّه إلى إمامه ليريه الله فيه رأيه ويعزم له على رشدّه.

- «وأمره أن يستوثق من الفاسق علىّ بن عيسى وولده وعمّاله وكتّابه وأن يشدّ عليهم وطأته ويحلّ بهم سطوته ويستخرج منهم كلّ مال يصحّ عليهم من خراج أمير المؤمنين وفيء المسلمين، فإذا [5] استنظف ما عندهم وقبلهم، نظر في حقوق المسلمين والمعاهدين وأخذهم بحقّ كلّ ذى حقّ، حتّى يردّوه إليه، فإن ثبت قبلهم حقّ لأمر المؤمنين وحقوق للمسلمين فدافعوا بها أو جحدوها، أن يصبّ عليهم سوط عذاب الله وأليم نقمته، حتّى يبلغ بهم الحال التي أن تخطأها بأدنى أدب، تلفت أنفسهم وبطلت أرواحهم. فإذا خرجوا من حقّ كلّ ذى حقّ أشخصهم كما يُشخص العصاة من خشونة الوطأ وخشونة المطعم والمشرب وغلظ الملابس مع الثقات من أصحابه إلى باب أمير المؤمنين إن شاء الله.

- «فاعمل يا أبا حاتم بما عهدت إليك فإنّي آثرت الله ودينى على هواى وإرادتى فكن كذلك وعليه فليكن عملك وأمرك ودبر فى أعمال الكور التي تمرّ بها وعمّالها فى صعودك بما لا يستوحشون معه إلى أمر يريبهم وظنّ يربهم وابتسط من آمال أهل ذلك الثغر ومن أمانيتهم وعذرهم ثمّ اعمل بما يرضى الله

فيك وخليفته ومن ولاءك الله أمره إن شاء الله.
 - «هذا عهدي وكتابي بخطي وأنا أشهد الله وملائكته وحمله
 عرشه وسكان سماواته وكفى [6] بالله شهيداً. وكتب أمير
 المؤمنين بخطه ولم يحضره إلا الله وملائكته.»

ثم أمر أن تكتب كتب هرثمة إلى عليّ بن عيسى في معاونته وتقويته
 وتقوية أمره والشّد على يديه، فكتب وظهر الأمر بها.

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة

وفيها شخص هرثمة بن أعين إلى خراسان والياً عليها

وكان ذلك في اليوم السادس من اليوم الذي كتب له الرشيد عهده، وشيعة
 الرشيد وأوصاه بما احتاج إليه، فمضى وبعث إلى عليّ بن عيسى في الظاهر
 أموالاً وسلاحاً وخلعاً وطيباً، حتى إذا نزل نيسابور جمع جماعة من نصحاء
 أصحابه وأولى السنّ والتجربة منهم فدعا كلّ رجل منهم، سرّاً وخلا به، ثمّ
 أخذ عليهم العهود والمواثيق أن يكتموا أمره ويطووا سرّه. وولى كلّ رجل
 كورة على نحو ما كانت منزلته عنده، وأمر كلّ رجل منهم بعد أن دفع^(١) إليه
 عهده بالمصير إلى عمله الذي ولّاه على أخفى الحالات وأسترها والتشبهه
 بالمجتازين في ورودهم إلى الوقت الذي سمّاه لهم. ثمّ مضى حتى إذا صار
 من مرو على مرحلة، دعا جماعة من ثقات [7] أصحابه وكتب لهم أسماء
 ولد عليّ بن عيسى وأهل بيته وكتابه وغيرهم في رقاد، ودفع إلى كلّ رجل
 منهم رقعة باسم من وكله بحفظه إذا هو دخل عليه مرو، خوفاً من أن يهربوا

١. دفع : كذا في آ ومط والطبري (١١ : ٧١٩). ما في الأصل مطموس.

إذا ظهر أمره.

ثم وجه إلى علي بن عيسى : إن أحب الأمير - أكرمه الله - أن يوجه ثقافته لقبض ما معى من أمواله فعل فإنه إذا تقدمني المال كان أروح لقلبي وأفت في عضد أعدائه وأجدر ألا يشيع به الخبر. وأيضاً فإنني لا آمن عليه إن خلفته وراء ظهري أن يطمع فيه بعض من شئموا^(١) نفسه أن يقطع بعضه ويغتنم غفلتنا عند دخول المدينة.

فوجه علي بن عيسى جهابذته وقهارمته لقبض المال وقال هرثمة لخزانه : « اشغلوهم هذه الليلة وأعلوا عليهم بعلّة تقرب من أطماعهم وتزيل الشك عن قلوبهم ».

ففعلوا وقال لهم الخزّان : حتّى نؤامر أبا حاتم في دوابّ المال والبغال. ثم ارتحل نحو مدينة مرو، فلما صار منها على ميلين تلقاه علي بن عيسى في ولده وأهل بيته وقواده بأحسن لقاء وآنسه. فلما وقعت [8] عين هرثمة عليه، ثنى رجله لينزل عن دابّته فصاح به علي : « والله لئن نزلت لأنزلن ».

فثبت على سرجه ودنا كل واحد من صاحبه فاعتنقا وسارا وعليّ يسأل هرثمة عن أمر الرشيد وحاله وهيأته وحال خاصّته وقواده وأنصار دولته، وهرثمة يجيبه حتّى إذا صار إلى قنطرة لا يجوزها إلّا فارس. فحبس هرثمة لجام دابّته وقال لعليّ :

« سيّر علي بركة الله ».

فقال عليّ :

« لا والله لا أفعل حتّى تمضي أنت ».

١. كذا في الأصل : شئموا. وفي مط : شئموا (بالسين المهملة). وشئموا لغة في شأموا.

فقال : «إذاً والله لا أمضى وأنت الأمير وأنا الوزير.»

فمضى وتبعه هرثمة حتى دخلا مرو، وصار إلى منزل عليّ ورجاء الخادم ما يفارق هرثمة في ليل ولا نهار ولا ركوب ولا جلوس. فدعا عليّ بالغداء فطعما، وأكل رجاء الخادم معهما، وكان عازماً ألا يأكل معهما. فغمزه هرثمة فلما رفع الطعام قال له عليّ :
- «قد أمرت أن يفرغ لك قصر علي الماشان^(١) فإن رأيت أن تصير إليه فعلت.»

فقال له هرثمة :

- «إنّ معي من الأمور ما لا يحتمل تأخير المناظرة فيها.»

ثمّ أوماً إلى رجاء وقال :

- «ادفع [9] الكتاب إليه.»

فأخرج رجاء كتاب الرشيد فدفعه إليه وأبلغه رسالته. فلما فضّ الكتاب فنظر في أول حرف فيه، سقط في^(٢) يده وعلم أن قد حلّ به ما يحذره. ثمّ أمر هرثمة بتقييده وتقييد ولده وكتّابه وعمّاله، وقد كان حصلّ عنده ثقاته وجهابذته وخزّانه، ووكل بهم - كما حكينا - قبل دخوله مرو، وكان معه رجل يصحبه وقر قيود وأغلال^(٣) فلما استوثق منه صار إلى المسجد، الجامع فخطب وبسط بين آمال الناس وأخبر أن أمير المؤمنين ولّاه ثغورهم لما انتهى إليه من سوء سيرة الفاسق عليّ بن عيسى، وما أمرنى به وفي أعوانه من كلّ ما سأنتهى إليه، ومن إنصاف العامّة والخاصّة وحملهم على

١. الماشان كذا في آ ومط والطبرى (١١: ٧٢٠). والماشان نهر يجرى في وسط مدينة مرو، عليه محلّة، وهم يقولون بالجيم (مراسد الاطلاع).

٢. في آ، والأصل : من يده. والتصحيح من الطبرى (١١: ٧٢١).

٣. في آ : وكان رجل معه وقر قيود وأغلال. في الطبرى (١١: ٧٢١) : ... ومعه ...

الحق، وأمر بقراءة عهده عليهم. فأظهر الناس السرور بذلك وانفسحت آمالهم وعظم رجاؤهم وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم وكثر الدعاء لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء.

ثم انصرف ودعا بعلي بن عيسى وولده وعمّاله وكتّابه فقال :

- «اكفوني مؤنكم»^(١) واعفوني من الإقدام بالمكروه [10] عليكم.

ونادى فى أصحاب ودائعهم ببراءة الذمة من رجل كانت لعليّ عنده وديعة، ولأحد من ولده أو كتّابه أو عمّاله فأخفاها ولم يظهر عليها، فأحضره الناس ما كانوا أودعوا إلا رجلاً من أهل مرو، وكان من أبناء المجوس، فإنه لم يزل يتلطف للوصول إلى عليّ حتى صار إليه فأسرّ إليه وقال :

- «لك عندى مال فإن احتجت إليه حملت إليك أولاً أولاً وصبرت للقتل إيثاراً للوفاء وطلباً للجميل من الثناء، وإن استغنيت عنه، حبسته عليك حتى ترى فيه رأيك».

فعجب عليّ منه وقال :

- «لو اصطنعتُ مثلك قوماً ما طمع فى السلطان ولا الشيطان أبداً».

ثم سأل عن قيمة ما عنده. فذكر أنّه أودعه مالاً وثياباً ومسكاً، وأنّه لا يدرى ما قيمة ذلك، غير أنّ ما أودعه بخطّه وأنّه محفوظ لم يشدّ منه شيء فقال له :

- «دعه فإن ظهر عليه، سلّمته ونجوت بنفسك وإن سلّمت به رأيت فيه رأى».

وجزاه الخير وشكر له فعله ذلك أحسن شكر، وكافأه عليه وبرّه. وكان يُضرب به المثل وبوفائه. [11] فذكر أنّه لم يشدّ على هرثمة من مال عليّ

١. فى آ. ومط والطبرى (١١: ٧٢١) : مؤنكم.

بن عيسى إلا ما كان أودعه هذا الرجل، وكان يقال له: العلاء بن ماهيار، فاستنظف هرثمة ما وراء ظهورهم حتى خلى نسائهم وحتى أن الرجل كان يضرب يده إلى مغابن^(١) المرأة وأرفاعها، فيطلب فيها ما يظن أنها قد سترته. فلما أحكم هذا كله وجهه على بعير لا وطاء تحته، في عنقه سلسلة وفي رجله قيود ثقالة، ما يقدر معها على نهوض واعتمال^(٢).

ويقال أنه لما فرغ هرثمة من مطالبة علي بن عيسى وأولاده، أقامهم لمظالم الناس، وكان إذا برد للرجل عليه حق أو على أحد أولاده أو أصحابه قال:

- «أخرج للرجل من حقه وإلا بسطت عليك العذاب، فيقول علي: أصلح الله الأمير أجلني يوماً أو يومين. فيقول: ذاك إلى صاحب الحق، فإن شاء فعل. فيقبل على الرجل فيقول: أترى أن تدعه؟ فإن قال: نعم قال: فانصرف وعد إليه. فيبعث علي إلى العلاء بن ماهيار فيقول: صالح فلاناً عني من كذا وكذا على كذا وكذا وعلى ما رأيت فيصالحه ويصلح أمره. وذكر أنه قام إلى هرثمة رجل فقال:

- «أصلح الله الأمير إن هذا الفاجر [12] أخذ مني درقة^(٣) ثبتيه^(٤) لم يملك أحد مثلاً، فاشترها على كره مني ولم أرد بيعها بثلاثة آلاف درهم، فأتيته قهرمانه أطلب ثمنها فلم يعطني، فأقمت حولاً أنتظر ركوبه، فلما ركب عرضت له وصحت: أيها الأمير، أنا صاحب الدركة ولم آخذ لها ثمناً إلى هذه الغاية. فقذف أمي ولم يعطني حقّي، فخذ لي بحقّي من ماله وقذفه

١. المغين: كل مطوى من الجسد. الإبط. الرُفْع: كل مجتمع وسخ في الجسم.

٢. اعتمل: اضطرب في العمل. عمل عملاً متملقاً بنفسه. في آ، والطبري (١١: ٧٢٣): اعتماد.

٣. الدركة: الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب.

٤. في الطبري (١١: ٧٢٣): ثمينته.

أُمِّي.»

فقال : « بَيِّنْهُ ؟ »

قال : « جماعة حضروا كلامه . »

فأحضرهم فشهدوا على دعواه . فقال هرثمة :

- « وجب عليك الحدّ . »

قال : « ولم ؟ »

قال : « بقذفك أُمّ هذا . »

قال : « من فَهَمَكَ وعَلَّمَكَ هذا ؟ »

قال : « هذا دين المسلمين . »

قال : « فأشهد أنّ أمير المؤمنين قد قذفك غير مرّة ولا مرتين وأشهد أنّك

قد قذفت بنيك ما لا أحصى ، مرّة حاتماً ومرّة أعين ، فمن يأخذ لهؤلاء
بحدودهم منك ، ومن يأخذ من مولاك ؟ »

قال : فالتفت هرثمة إلى صاحب الدركة فقال :

- « أرى لك أن تطالب هذا الشيطان بدركتك أو ثمنها ، وتترك مطالبته

بقذف أُمّك . »

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة [13]

وفيهما قَدِمَ هَارُونُ مِنَ الرِّقَّةِ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ فِي السَّفَنِ يَرِيدُ الشَّخْوَصَ
إِلَى خِرَاسَانَ لِحَرْبِ رَافِعٍ وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ مُحَمَّدًا بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ
الْقَاسِمَ بِالرِّقَّةِ وَضَمَّ إِلَيْهِ خُزَيْمَةَ بْنَ خَازِمٍ فَأُشَارَ ذُو الرِّئَاسَتَيْنِ عَلَى الْمَأْمُونِ
أَنْ يَطْلُبَ إِلَى الرَّشِيدِ فِي أَنْ يَشْخَصَهُ مَعَهُ .

ذكر رأى سديد رءاه ذو الرئاستين

قال له : إنّ أمير المؤمنين شاخص لحرب رافع ولا يدرى ما يحدث به وخراسان ولايتك ومحمد المقدم عليك وإنّ أحسن ما يصنع بك أن يخلعك وهو ابن زبيدة وأخواله بنو هاشم وزبيدة وأموالها [ردء له.] ^(١) فاطلب إليه يشخصك معه فسأله الأذن فأبى فقال له :
 - «عد إليه وقل : له أنت عليل وإنّما أردت أن أخدمك ولست أكلفك شيئاً

من مؤنى.»

فأذن له.

ذكر منام عجيب رءاه الرشيد

قال جبرائيل بن بختيشوع : كنت مع الرشيد بالرقّة، وكنت أول من يدخل عليه في كلّ غداة أتعرّف حاله في ليلته، فإن أنكر شيئاً وصفه، وربّما انبسط فحدّثني [14] بما عمله في ليلته ومقدار شربه وجلوسه، ويسألني عن أخبار العامة. فدخلت يوماً فلم يرفع طرفه إليّ، ورأيتُه مفكراً مهموماً، فوقفت بين يديه ملياً. فلمّا طال ذلك أقدمت عليه فقلت :

- «يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك، ما حالك ؟ أعلّة فأخبرني بها فلعلّ عندي دواءها، أو حادث لا يُستطاع دفعه فليس إلّا التسليم، والغمّ لا دَرَك فيه أو فتق ورد عليك في ملكك، فلم تخلّ الملوك من ذلك فتروّح بالمشورة.»

قال : «ويحك يا جبرائيل ليس غمّي لشئٍ ممّا ذكرت، لكن لرؤيا رأيتهَا

١. ما بين المعقوفتين ناقص في كلّ من الأصل وآ والطبري، أضفناه من حواشي الطبري

فى ليلتى هذه قد أفرعتنى وملأت صدرى.»

قلت : «فرّجت عنى يا أمير المؤمنين.»

فدنوت وقبّلت رجله وقلت :

«أهذا الغمّ كلّ لرؤيا ؟ والرؤيا إنّما تكون من خاطر تقدّم أو بخارات

ردينة من أطعمة وأخلاط ومن تهاويل السوداء.»

قال : «فأقصّها عليك : رأيت كأنى جالس على سريرى هذا، إذ بدت من

تحتى ذراع أعرفها وكفّ أعرفها ولا أفهم إسم صاحبها، وفى الكفّ تربة

حمراء. فقال لى قائل أسمعنه ولا أرى شخصه :

«هذه التربة التى تُدفن فيها.»

فقلت : «وأين هى ؟»

قال : «بطوس. [15] وغابت اليد وانقطع الكلام وانتهت.»

فقلت : «يا سيّدى هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة، أظنّك أخذت مضجّعك

ففكرت فى أمر خراسان وفى حروبها وما ورد عليك من انتقاض بعضها.»

قال : «قد كان ذاك.»

قلت : «فذلك الفكر ولّد هذه الرؤيا، ولا تحفل بها جعلنى الله فداءك وأتبع

هذا الهمّ سروراً يخرج من قلبك لا يؤلّد علة.»

قال : فما برحت أطيب نفسه بضروب من الحيل حتّى سلا وانبسط وأمر

بإعداد ما يشتهيه وتزيّد فى ذلك اليوم فى لهوه ومرّت الأيام فنسى ونسينا

تلك الرؤيا.

ثمّ رحل الرشيد وكان اتهم هرثمة بن أعين فوجّه ابنه المأمون قبل وفاته

بثلاث وعشرين ليلة ومعه عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن يزيد

بن مزيد وجماعة أمثالهم وابتدأ بهارون المرض وكانت بين هرثمة وأصحاب

رافع وقعة فتح فيها بخارى وأسر أخاً لرافع يقال له بشير بن الليث فبعث به

إلى الرشيد وقد بلغ الرشيد طوس.

قال : فأدخل إليه وهو على سرير في بستان وفي يده مرآة ينظر فيها وهو يقول :

- «إنا لله وإنا إليه راجعون» [16]

وكأنه كان أنكر شيئاً من لونه. ثم رفع رأسه إلى أخى رافع وقال :

- «أما والله يا ابن اللعناء إني لأرجو ألا يفوتني حامل^(١) يريد رافعاً كما

لم تفتني.»

فقال له :

- «يا أمير المؤمنين قد كنت لك حرباً وقد أظفرك الله بي، فافعل ما يحب

الله من الصلح والعفو، فلعل الله أن يلين قلب رافع إذا علم أنك قد مننت

عليّ.»

فغضب وقال :

- «لو لم يبق من أجلى إلا أن أحرّك شفتي بكلمة لقلت : أقتلوه.»

ثم دعا بقصّاب فقال له :

- «لا تشحذ مديتك، اتركها على حالها وفصل أعضاء هذا الفاسق وعجل،

لا يحضرن أجلى وعضوان من أعضائه في جسمه.»

ففصله حتى جعله أشلاء فقال :

- «عدّوا أعضائه.»

فإذا هي أربعة عشر عضواً فرفع يديه إلى السماء وقال :

- «اللهم كما مكنتني من ثأرك وعدوك قبلت فيه رضاك، فمكّنني من

أخيه.»

١. في الأصل : حامل. في آ والطبري (١١ : ٧٣٤) : حامل (بالغاء المعجمة).

ثم أغمى عليه وتفرّق من حضره.
قال جبرائيل: فلمّا أفاق، ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملاً يقوم ويسقط
فاستمعنا إليه، كلّ يقول:

- «يا سيّدى ما حالك وما دهاك؟»

وليس يخطر لأحد منّا تلك الرؤيا ببال فقال:

- «يا جبرائيل تذكر رؤياى بالرقّة فى طوس؟ [17] هذه طوس،
وأحسبها تلك التربة.»

ثم رفع رأسه إلى مسرور فقال:

- «جئنى من تربة هذا البستان.»

فمضى مسرور فأتى بالتربة فى كفّه حاسراً عن ذراعه. فلمّا نظر إليه قال:
- «هذه والله الذراع التى رأيتها فى منامى وهذه والله الكفّ بعينها وهذه
والله التربة الحمراء ما حرمت^(١) شيئاً.»

وأقبل على البكاء والنحيب. ثمّ مات بعد ثلاثة، ودُفن فى ذلك البستان.
وتحدّث سهل بن صاعد قال: كنت عند الرشيد فى اليوم الذى قبض فيه،
مع خواصّه، وجعل يجود بنفسه ويقاسى كرب الموت، فدعا بملحفة فاحتبى
بها، فنهضت فقال لى:

- «أقعد يا سهيل.»

فقعدت، وجعل لا يكلمنى والملحفة تنحلّ فيعيد الاحتباء بها. فلمّا طال
جلوسى نهضت فقال:

- «إلى أين يا سهيل؟»

فقلت: «يا أمير المؤمنين ما يتسع قلبى أن أراك تعاني، من العلة ما تعاني

١. الضبط فى الكلمة من الأصل. ولا ضبط فى آ. فى مط: جزمت. فى الطبرى (١١: ٧٣٧):
خرمت (بالخاء المعجمة).

فلواضطجعت يا أمير المؤمنين كان أودع لك.
قال : فضحك ضحك صحيح، ثم قال :
- « يا سهل، إني أذكر في هذه الحال قول الشاعر :

وإني لمن قومٍ كرامٍ تزيدهم شماساً وصبراً شدةً الحداثِ [18]

وتوفي ليلة الأحد غرة جمادى الأولى، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين، وكان سنه سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر وأيام، وكان جميلاً وسيماً جعداً قد وخطه الشيب.

ذكر بعض سيرة الرشيد ومستحسن أخباره

ذكر عن يحيى بن خالد أنه ولي رجلاً بعض أعمال الخراج بالسواد، فدخل إلى الرشيد فودّعه وعنده يحيى وجعفر بن يحيى. فقال الرشيد ليحيى وجعفر :

- «أوصياه.»

فقال له يحيى : «وفرّ واعمر.»

وقال له جعفر : «أنصف وانتصف.»

فقال له الرشيد : «اعدل واحمل^(١).»

□ □

وحكى بعض حجة البيت، قال : لما حجّ الرشيد دخل الكعبة وقام على أصابعه وقال :

١. كذا في الأصل وآ ومط : اعدل واحمل. وما في الطبري (١١ : ٧٤٨) : اعدل وأحسن.

- «يا من يملك خوالج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين، فإن لكل مسألة منك ردّاً حاضراً وجواباً عتيداً، ولكل صامت منك علم محيط باطن بمواعيدك الصادقة، وأياديك الفاضلة، ورحمتك الواسعة، صلّ على محمد وآله، واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا، يا من لا تضرّه [19] الذنوب ولا تخفى عليه العيوب ولا تنقصه مغفرة الخطايا. يا من خشعت له الأصوات بألوان اللغات، يسألونك الحاجات، إن من حاجتى إليك أن تغفر لى إذا توفيتنى وصرت فى لحدى، وتفرّق عني أهلى وولدى.

اللهم لك الحمد حمداً يفضل كل حمد كفضلك على جميع الخلق. اللهم صلّ على محمد صلاة تكون له رضى، وصلّ على محمد صلاة تكون له حرزاً، واجزه عنا الجزاء الأوفى. اللهم أحيينا سعداء وتوفنا شهداء واجعلنا سعداء مرزوقين ولا تجعلنا أشقياء محرومين.»



وذكر الفضل بن الربيع أن الرشيد أمره أن يحضر^(١) ابن السمّاك ليعظه قال: وأحضرتة واستأذنته فى الدخول إليه فقال:

- «أدخله.»

فلما دخل قال له:

- «عظمى عظمى كآبة تروى عنوم رضى»

قال: «يا أمير المؤمنين، إتق الله وحده لا شريك له واعلم أنك موقوف غداً بين يدى ربك، ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما: جنة أو نار.»

فبكى هارون حتّى اخضلت لحيته.

١. فى الأصل: يحضره. والهاء زائدة.

فأقبل الفضل على ابن السمّاك فقال :

- «سبحان الله وهل يتخالج أحداً شكٌ أن أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة، إن شاء الله، لقيامه بحق الله وعدله في عباده وفعله.»
قال : فلم يحفل بذلك ابن السمّاك [20] ولم يلتفت إليه، وأقبل على الرشيد فقال :

- «يا أمير المؤمنين إنّ هذا - يعنى الفضل بن الربيع - ليس والله معك ولا عندك فى ذلك اليوم، فاتّق الله وانظر لنفسك.»
قال : فبكى هارون حتّى أشفقنا عليه، وافحم الفضل فلم ينطق بحرف.

□ □

واستدعاه يوماً آخر، فبينما هو عنده إذ إستسقى الرشيد ماءً فلما حُمِل إليه وأهوى بالاناء إلى فيه، قال له ابن السمّاك :
- «على رسلك يا أمير المؤمنين، بقرابتك من رسول الله صلّى الله عليه، لو مُنعت هذه الشربة بكم كنت تشتري؟»

قال : «بنصف ملكى^(١)».

قال : «اشرب هنّاك الله.»

فلما شربها قال :

- «فأسألك بقرابتك من رسول الله صلّى الله عليه لو مُنعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها؟»

قال : «بجميع ملكى.»

قال ابن السمّاك :

- «إن ملكاً قيمته شربة ماء لجدير أن لا ينافس فيه.»

فبكى هارون حتّى أشار الفضل إلى ابن السّمّاك بالإنصراف، فأنصرف.

□ □

وذكر بعضهم أنّهم كانوا مع الرشيد بالرقّة، فخرج يوماً إلى الصيد، فعرض له رجل من النّسّاك، فقال :

- «يا هارون اتق الله.»

فقال لإبراهيم بن عثمان بن نهيك :

- «خذ هذا الرجل إليك حتّى أنصرف.»

فلما رجع دعا بغذائه، ثمّ أمر أن يُطعم [21] الرجل من خاصّ طعامه. فلما أكل وشرب دعا به فقال :

- «يا هذا أنصفني في المخاطبة والمسألة.»

قال : «ذاك أقلّ ما تحبّ.»

قال : «فأخبرني أنا شرّ وأخبث أم فرعون؟»

قال : «بل فرعون.»

قال، قال :

- «أنا ربّكم الأعلى^(١).»

وقال : «ما علمت لكم من إله غيري^(٢).»

قال : «صدقت.»

قال : «فأخبرني، فمن خير، أنت^(٣) أم موسى بن عمران؟»

قال : «موسى بن عمران كلّم الله وصفّيه اصطنعه لنفسه وائتمنه على خلقه.»

١. س ٧٩ النازعات : ٢٤.

٢. س ٢٨ القصص : ٣٨.

٣. أنت : كذا في الأصل وآ والطبري (١١ : ٧٥٧). وسياق السؤال والكلام يتطلّب «أنا».

قال : « صدقت أفما تعلم أنه لما بعثه الله وأخاه إلى فرعون قال لهما :
 فقولا له قولاً لئناً. ^(١) فذكر المفسرون أنه أمرهما أن يكتياه، وهذا وهو في
 عتوه وجبريته على ما قد علمت، وأنا بهذه الحال الذي علمت، أودى أكثر
 فرائض الله على ولا أعبد أحداً سواه أقف عند أكثر حدوده وأمره ونهيه،
 فوعظتني بأغلظ الألفاظ وأبشعها وأخشن الكلام وأفظعه، فلا بأدب الله تأدبت
 ولا بأخلاق الصالحين أخذت، فما كان يؤمنك أن أسطو بك، فإذا أنت قد
 عرضت نفسك لما كنت عنه غنياً. »

فقال له الزاهد :

- « أخطأت يا أمير المؤمنين وأنا أستغفر الله. »

قال : « غفر الله لك. » [22]

وأمر له بعشرين ألف درهم، فأبى أن يأخذها وقال :

- « لا حاجة لي في المال، أنا رجل سائح. »

فقال هرثمة وزجره :

- « ترد على أمير المؤمنين، يا جاهل، صلته؟ »

فقال الرشيد :

- « أمسك عنه. »

ثم قال له مبرك حقيق : *كاتب علوم رسي*

- « لم نعطك هذا المال لحاجتك إليه، ولكن من عادتنا ألا يخاطب أحد

الخليفة ليس من أوليائه ولا من أعدائه، إلا وصله ومنحه، فاقبل من صلتنا
 ما شئت وضعها حيث أحببت. »

فأخذ من المال ألفي درهم وفرّقها على الحجاب ومن حضر بالباب.



وحكى أنّ الرشيد قال يوماً لابنه القاسم وقد دخل عليه :
 - « ليت للمأمون بعض لحمك هذا. »
 فقال : ببعض حظّه.



وقال يوماً للقاسم قبل البيعة له :
 - « قد أوصيت بك الأمين والمأمون. »
 قال : « أما أنت يا أمير المؤمنين، فقد تولّيت النظر لهما، ووكلت النظر لى
 إلى غيرك. »
 ومات هارون وفى بيت المال تسعمائة ألف ألف وآلاف وثيّف.^(١)



خلافة الأمين

وكتب حمويه^(١) مولى المهدي صاحب البريد بطوس إلى سلام مولاه وخليفته ببغداد على البريد وعلى الاخبار، يُعلمه وفاة الرشيد. فدخل على محمد فعزّاه وهنّأه [23] بالخلافة. وكان أوّل الناس فعل ذلك. ثمّ قدم عليه رجاء الخصى يوم الأربعاء لأربع عشرة خلت من جمادى الآخرة وكان أنفذه صالح بن الرشيد. فانتقل محمد من قصره بالخلد إلى قصر أبي جعفر بالمدينة، وأمر الناس بالحضور ليوم الجمعة، فحضروا وصلى بهم، ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ونعى^(٢) الرشيد وعزّى نفسه والناس، ووعدهم خيراً وبسط الأمان للأسود والأبيض، وبايعه جلّة أهل بيته وخاصّته ومواليه وقوّاده.  ثمّ دخل ووكل ببيعته على من بقى منهم عمّه^(٣) سليمان بن أبي جعفر.

١. انظر الطبري (١١ : ٧٦٤).

٢. في مط : نعى (بالعين المعجمة).

٣. عمّه : كذا في الأصل وأ : عمّه. في مط : عنه : في الطبري (١١ : ٧٦٤) : عمّ أبيه سليمان بن أبي جعفر، فبايعهم.

بدء الخلاف بين الأمين والمأمون

وفى هذه السنة كان بدأ الخلاف بين الأمين والمأمون وعزم كل واحد منهما بالخلاف على صاحبه فيما كان والدهما هارون أخذ عليهم العمل به فى الكتاب الذى ذكرناه أنه كان كتب بينهما.

ذكر السبب الذى أوجب اختلافهما

كان الرشيد جدد حين شخص إلى خراسان البيعة للمأمون على القواد الذين معه وأشهد من معه من القواد وسائر الناس غيرهم أن جميع من معه من القواد [24] والجند مضمومون إلى المأمون وأن جميع ما معه من مال وسلاح وآلة وغير ذلك للمأمون. فلما بلغ محمداً الأمين أن أباه قد اشتدت علته وأنه لمآبه،^(١) بعث من يأتيه بخبره فى كل يوم وأرسل بكر بن المعتمر وكتب معه كتاباً وجعلها فى قوائم صناديق منقورة وألبسها جلود البقر وقال : - « لا يظهرون أمير المؤمنين ولا أحد ممن فى عسكره على شىء من أمرك وما توجهت فيه ولا على ما معك ولو قتلت، حتى يموت أمير المؤمنين، فإذا مات فادفع إلى كل إنسان منهم كتابه. »

فلما قدم بكر بن المعتمر طوس بلغ هارون قدومه فدعا به فسأله : - « ما أقدمك ؟ »

قال : « بعثنى محمد لأعلم له علم خبرك وآتيه به. »

قال : « فهل معك كتاب ؟ »

قال : « لا. »

١. فى الأصل وآ : لما به. والضبط من الطبرى (١١ : ٧٦٥).

فأمر بما معه، ففتّش فلم يصيبوا معه شيئاً. فتهدّده بالضرب فلم يقرّ بشيء، فأمر به فحبس وقيد. فلما كان في الليلة التي مات فيها هارون أمر الفضل بن الربيع أن يصير إلى محبس بكر بن المعتمر فيقرّره، فإن أقرّ وإلا ضرب عنقه، فصار إليه يقرّره فلم يقرّ بشيء. ثم غشى على هارون فصاح النساء فأمسك الفضل عن قتله وصار [25] إلى هارون ليحضّره، ثم أفاق وهو ضعيف قد شغل عن بكر وعن غيره لحسّ الموت، ثم غشى عليه غشية ظنّوا أنّها هي، وارتفعت الصيحة فأرسل بكر بن المعتمر برقعة منه إلى الفضل بن الربيع يسأله ألا يعجلوا بأمر، ويُعلمه أنّ معه أشياء يحتاجون إلى علمها. وكان بكر محبوساً عند حسين الخادم.

فلما توفي هارون دعا الفضل ببكر في الوقت والساعة فسأله عمّا عنده فأنكر أن يكون عنده، شيء وخشى على نفسه من أن يكون هارون حيّاً، حتّى صبح عنده موت هارون، وأدخله عليه فأخبره أنّ عنده كتباً من أمير المؤمنين محمد وأنّه لا يجوز له إخراجها وهو على حاله من قيوده وحبسه. فأطلقه الفضل فأتاهم بالكتب في قوائم المطابخ المجلّدة بجلود البقر، فدفع إلى كلّ إنسان منهم كتابه. وكان في تلك الكتب كتاب من محمد بن هارون إلى الحسين الخادم بخطّه يأمره بتخلية سبيل بكر بن المعتمر وإطلاقه، فدفعه إليه، وكتاب إلى المأمون، فاحتبس كتاب المأمون عنده لغيبته بمرو، وأرسلوا إلى صالح بن الرشيد وكان مع أبيه بطوس [26] وكان أكبر من يحضره هارون من ولده، فأتاهم في تلك الساعة فسألهم عن أبيه هارون فأعلموه. فجزع جزعاً شديداً، ثمّ دفعوا كتاب أخيه الذي جاء به بكر وكان الذين حضروا وفاة هارون هم الذين ولوا غسله وتجهيزه وصلى عليه ابنه صالح. ولما قرأ الذين وردت عليهم كتب محمد بطوس من القوادر والجند وأولاد

هارون فتشاوروا^(١) في اللحاق بمحمد وأحبّوه لأجل أهاليهم ومنازلهم.

وقال الفضل بن الربيع :

« لا أدع ملكاً حاضراً لآخر لا ندرى ما يكون من أمره. »

وأمر الناس الناس بالرحيل.

فوافقهم ذلك وسرّوا به وتركوا العهود التي أخذت عليهم للمأمون.

فانتهى الخبر بذلك من أمرهم إلى المأمون بمرو، فجمع من معه من قوَّاد

أبيه وكان فيهم عبد الله بن مالك، ويحيى بن معاذ وشبيب بن حميد بن

قحطبة والعبّاس بن مسيّب بن زهير وهو على شرطته وأيّوب بن أبي سُمير،

ومعه من أهل بيته عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح، وذو الرئاستين

عنده من أعظم الناس قدراً فشاورهم. [27]

ذكر آراء أشير بها على المأمون في تلك الحال

فأشار عليهم أكثرهم أن يلحقهم بنفسه في ألفى فارس جديدة، فيردّهم،

فعمل على ذلك وسمّى له قوماً فدخل عليه ذو الرئاستين فقال له :

« إن فعلت ما أشاروا به عليك جعلك هؤلاء هدية إلى محمد، ولكن

الرأى أن تكتب إليهم كتاباً، وتوجّه إليهم رسولاً فتذكّرهم البيعة، وتسألهم

الوفاء وتحذّرهم الخيبت، وما يلزمهم في ذلك في الدين والدنيا. »

وقال : قلت له :

« إن كتابك ورسلك تقوم مقامك، فتستبرئ ما عند القوم وتوجّه سهل

بن صاعد - وكان على قهرمته - فإنه يأملك ويرجو أن ينال أمله فلن يألوك

نصحاً، وتوجّه نوفلاً الخادم مولى موسى أمير المؤمنين. »

١. كذا في آ، وما في الأصل : شاوروا.

وكان عاقلاً. فكتب كتاباً ووجههما فلحقاهم بنيسابور قد رحلوا ثلاث مراحل. قال سهل بن صاعد: فأوصلت إلى الفضل بن الربيع كتابه فقال: - «إنما أنا واحد منهم.»

قال سهل: فشذ عليّ عبد الرحمن بن جبلة الأبنأوى^(١) بالرمح. فأمره على جبينى^(٢) ثم قال لى: - «قل لصاحبك والله لو كنت حاضراً [28] لوضعت الرمح فى فيك. هذا جوابى.»

قال ذو الرئاستين: فقلت للمأمون:

- «أعداء قد استرحت منهم ولكن افهم عنى ما اقول لك إنّ هذه الدولة لم تكن قطّ أعزّ منها أيام المنصور أبى جعفر، فخرج عليهم المقنّع وهو يدعى الربوبية، وقال بعضهم طلب بدم أبى مسلم، فتضعض له بخروجه من بخراسان، ثم كفاه الله المؤونة، ثم خرج بعده يوسف البرم،^(٣) وهو عند بعض المسلمين كافر، فكفاه الله المؤونة، ثم خرج اشادشنس يدعو إلى الكفر، فسار المهدي من الرىّ إلى نيسابور، فكفوا المؤونة، ولكن ما أصنع أكثر عليك، أخبرنى كيف رأيت الناس حين ورد عليهم خبر رافع.»

قال: «رأيتهم اضطربوا اضطراباً شديداً.»

قلت: «فكيف بك وأنت نازل فى أخوالك وبيعتك فى أعناقهم كيف يكون اضطراب أهل بغداد، إصبر فأنا أضمن لك الخلافة.»

قال: «قد فعلت وجعلت الأمر إليك فقم به.»

قال: فقلت:

١. كذا فى الأصل. فى مط: الأناوى. وهو ساقط من آ، وليس موجوداً فى الطبرى (١١: ٧٧٣).

٢. كذا فى الأصل، وما فى آ مهمل. فى الطبرى (١١: ٧٧٣): جنبى.

٣. ما فى الأصل مهمل، ويشبه أن يكون البرمر. والضبط من الطبرى (١١: ٧٧٣) وفى آ: الزم.

- «والله لأصدقنك أن عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ ومن سمينا من الرؤساء إن قاموا [29] لك بالأمر كانوا أنفع لك منى برئاستهم المشهورة، ولما عندهم من القوة على الحرب. فمن قام بالأمر كنت خادماً له حتى يصير إلى محبتك وترى رأيك في.»

قال : «نعم.»

فلقيتهم في منازلهم، وذكرتهم البيعة التي في أعناقهم وما يجب عليهم من الوفاء، فتكرهه الكل وقال بعضهم :

- «هذا لا يحل، أخرج.»

وقال بعضهم :

- «من يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه ؟»

فجئت فأخبرته فقال :

- «قم بالأمر.»

قال : قلت :

- «قد قرأت القرآن وسمعت الأحاديث وتفقهت في الدين، فالرأى أن تبعث إلى من بالحضرة من الفقهاء فتدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السنة وتقعّد على اللبود وتردّ المظالم.»

ففعّلنا وبعثنا إلى الفقهاء وأكرمنا القواد وأبناء الملوك. فكنا نقول للتميمي : نُقيمك مقام موسى بن كعب، وللربيعي : نُقيمك مقام أبي داود خالد بن إبراهيم، ونقول لليمانى : نُقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم، حتى استملنا قلوب الرؤساء والملوك وحططنا عن خراسان ربع الخراج، فحسّن موقع ذاك وسرّوا به، وقالوا :

- «ابن أختنا وابن عمّ [30] النبي صلى الله عليه.»

قال : فكان شغلنا بهذا وأشباهه.

فأما الأمين فإنه اشتغل باللعب وأمر ببناء حول قصر أبي جعفر في المدينة للصوالة واللعب، وأخذنا نحن في الجد، ورأى المأمون أن يهادى أخاه، فبعث له بهدايا وتواترت كتب المأمون إلى محمد بالتعظيم وإهداء طرف خراسان.

ودخلت سنة أربع وتسعين ومائة

وفي هذه السنة عزل محمد الأمين أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه هارون ولآه من عمل الشام وقنسرين والعواصم والثغور، وولى مكانه خزيمة بن خازم، وأمره بالمقام بمدينة السلام.

وفيهما أمر محمد بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالأمرة.

وفيهما تنكر كل واحد من محمد الأمين وعبد الله المأمون لصاحبه وظهر الفساد بينهما.

سبب ظهور الفساد بين الأمين والمأمون

وكان السبب في ذلك أن الفضل بن الربيع فكر بعد مقدمه إلى العراق ناكثاً للعهد التي كان الرشيد أخذ بها عليه لابنه المأمون، فعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوماً من الدهر [31] وهو حي لم يبق عليه، وكان في ظفـره به عـطـبـه. فسعى في حث محمد على خـلعه وصرف ولاية العهد من بعده إلى ابنه موسى، ولم يكن ذلك من رأى محمد ولا عزمه. فأدخل معه في الرأي علي بن عيسى بن ماهان والسندی وغيرهما، فصغروا شأن عبد الله المأمون عند الأمين، وقال له الفضل:

«يا أمير المؤمنين إخلع عبد الله والقاسم، فإن البيعة كانت لك متقدمة وإنما أدخلنا فيها بعدك.»

وعلم المأمون أن عزل الأمين للقاسم وأخيه وإقدامه مدينة السلام وأمره للدعاء لابنه موسى بالأمرة ومكاتبته الأمصار بذلك، تدبير عليه في خلعه. فقطع البريد عن محمد وأسقط اسمه من الطرز ودور الضرب^(١).

وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار لما انتهى إليه حسن سياسة المأمون وسيرته في رعيته، بعث في طلب الأمان لنفسه، وكان هرثمة يجاريه. فلما طلب الأمان سارع هرثمة إليه وخرج رافع فلحق بالمأمون وهرثمة بعد مقيم بسمرقند فأكرم المأمون رافعاً، وكان مع هرثمة في حصار رافع طاهر بن الحسين. ثم استأذن [32] هرثمة المأمون في القدوم عليه، فأذن له فتلقاه الناس، وولاه المأمون الحرس، فأنكر ذلك الأمين وكتب إلى العباس بن عبد الله بن مالك - وكان عامل المأمون على الريّ وهو آخر حذّه من خراسان - يأمره أن يبعث إليه بغرائب غروس^(٢) الريّ، وأراد امتحانه. فبعث إليه بما أمره وكتب ذلك المأمون وذا الرئاستين، فبلغ ذلك المأمون فعزله.

ثم وجه الأمين إلى المأمون ثلاثة أنفس رسلاً: أحدهم العباس بن موسى بن عيسى، والآخر صالح صاحب المصلّى، والثالث محمد بن عيسى بن نهيك وكتب معهم كتاباً فبلغ الخبر بذلك ذا الرئاستين فوجه رسلاً وكتب إلى صاحب الريّ: أن استقبلهم بالعدة والسلاح الظاهر. وكتب إلى والي قومس ونيسابور وسرخس بمثل ذلك، ففعلوا. ثم وردت الرسل مرو وقد أعدّ لهم من السلاح وضروب العدد والعتاد.

ثم صاروا إلى المأمون فأبلغوه رسالة محمد بمسألته تقديم موسى على نفسه ويذكر أنه سمّاه الناطق بالحقّ، فردّ المأمون ذلك وأباه. فقال العباس بن موسى بن عيسى: [33]

١. في آ: من الطرز والضرب. في الطبري (١١: ٧٧٧): وأسقط اسمه من الطرز.

٢. كذا في الأصل والطبري (١١: ٧٧٧). في آ ومط: غروس (بالإهمال).

- «ما عليك أيها الأمير من ذلك فهذا جدّي عيسى بن موسى قد خلع نفسه فما ضرّه ذلك ولا طاب عيشه إلا بعد الخلع.»
 قال : فصاح عليه ذو الرئاستين قال :
 - «اسكت فإنّ جدّك كان في أيديهم أسيراً، وهذا بين شيعة وأخواله وعشيرته.»

قال ذو الرئاستين : فأعجبني ما رأيت من ذكاء العباس بن موسى، فخلوت به وقلت :
 - «يذهب عليك في فهمك وذكائك أن تأخذ بحظّك من الإمام.»
 قال : وسُمّي المأمون في ذلك اليوم : الإمام ولم يسمّ بالخلافة، وإنما سُمّي بذلك لما جاءه من خلع محمد له. قال : فقال لي العباس :
 - «وقد سمّيتوه : الإمام.»
 قال : قلت :

- «قد يكون إمام المسجد والقبيلة^(١) فإن وفيتم لم يضرّكم اسمه، وإن غدرتم فهو ذاك.»
 ثمّ قلت للعباس :

- «لك عندي ولاية الموسم، فلا ولاية أشرف منها، ولك من مواضع الأموال بمصر ما شئت.»
 قال : فما برح حتّى أخذت عليه البيعة للمأمون بالخلافة. فكان بعد ذلك يكتب إلينا بالأخبار، ويشير علينا بالرأى.

ومضى القوم منصرفين إلى محمد فأخبروه بامتناعه، وألحّ الفضل بن الربيع وعليّ بن [34] عيسى على محمد في البيعة لابنه وخلع المأمون.

١. في الطبري (١١ : ٧٧٩) : وأحصنه (بالصاد المهملة).

وبذل الفضل الأموال حتى بايع لابنه موسى، وسمّاه: الناطق بالحق، وأحضنه عليّ بن عيسى وولّاه العراق وأسقط ذكر عبد الله المأمون والقاسم المؤتمن من المنابر، ووجّه رسولاً إلى مكّة فأخذ من الحجة الكتابين اللذين كان هارون اكتبتهما وجعلهما في الكعبة، وتكلّم في ذلك الحجة فلم يحفل بهم وخافوا على أنفسهم، ومزّق الكتابين وأبطلهما.

وكان محمد الأمين كتب إلى المأمون قبل المكاشفة يسأله أن يتجاوز ويتجافى له عن كور من كور خراسان سمّاها له وأن يوجّه العمّال من قبل محمد وأن يحتمل رجلاً من قبله يوليه البريد عليه ليكتب إليه بخبره. فلمّا ورد على المأمون الكتاب بذلك كُبر عليه واشتدّ، فبعث إلى الفضل بن سهل وإلى أخيه الحسن فشاورهما فأحجما وقالوا:

- «الأمر مُخْطَر ولك شيعة وبطانة وأهل ولاء. وكان يقال: شاور في طلب الرأي من تثق بنصيحتك وتألف العدو فيما لا اكتتام له بمشاورته.»

[35]

ذكر آراء الناس فيما شاورهم فيه المأمون

ثمّ أحضر المأمون الخاصة من الرؤساء والأعلام وقرأ عليهم الكتاب فقالوا جميعاً: مركز تحقيق كاميون علوم رسي

- «أيّها الأمير، شاورت في أمر خطير معضل، فاجعل لبديهنّا حظّاً من الرويّة.»

قال المأمون:

- «هو الحزم.»

وأجلّهم ثلثاً:

ثمّ اجتمعوا فقال أحدهم:

- «إِنَّكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى كَرْهَيْنِ، وَلَسْتُ أَرَى خَطَأً تَعَجَّلُ مَكْرُوهُ
أَوَّلَهُمَا مَخَافَةَ مَكْرُوهِ آخِرَهُمَا.»

وقال آخر:

- «إِذَا كَانَ الْأَمْرُ مَخْطِراً^(١) فَأَعْطَاؤُكَ مَنْ نَازَعَكَ طَرَفًا مِنْ بَغْيَتِهِ أَمْثَلُ مِنْ
أَنْ تَصِيرَ بِالْمَنْعِ إِلَى مَكَاشِفَتِهِ.»

وقال آخر:

- «كَانَ يُقَالُ: إِذَا كَانَ عِلْمُ الْأُمُورِ مَغْتِيبًا عَنْكَ، فَخُذْ مَا أَمَكْنَكَ مِنْ هَدَنَةِ
يَوْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ فُسَادُ يَوْمِكَ رَاجِعًا بِفُسَادِ غَدِكَ.»

وقال آخر:

- «لَنْ خِيفْتَ لِلْبَذْلِ عَاقِبَةً، إِنَّ أَشَدَّ مِنْهَا مَا يَبِيعُ الْإِبَاءُ^(٢) مِنَ الْفَرْقَةِ.»

وقال آخر:

- «لَا أَرَى مَفَارِقَةَ مَنْزِلَةِ السَّلَامَةِ فَلَعَلِّي أُعْطِيَ مَعَهَا الْعَافِيَةَ.»

فقال الحسن بن سهل:

- «قَدْ وَجِبَ حَقُّكُمْ بِاجْتِهَادِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مَعْذُورِينَ، فَإِنَّ رَأْيِي مُخَالَفٌ
لِرَأْيِكُمْ.»

فقال له المأمون:

- «فَنَاظِرُهُمْ.»

قال: «لِذَلِكَ مَا كَانَ الْإِجْتِمَاعُ.»

وأقبل عليهم الحسن فقال:

- «هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ [36] مُحَمَّدًا تَجَاوَزَ إِلَى طَلَبِ شَيْءٍ لَيْسَ لَهُ بِحَقِّ؟»

فقالوا: «نَعَمْ وَيُحْتَمَلُ ذَاكَ لَمَّا يُخَافُ مِنْ ضَرَرٍ مَنَعَهُ.»

١. ما في الأصل يشبه أن يكون «محظراً» بإعجام الثالث. في الطبري (١١: ٧٨١): مخطراً.

٢. في الطبري (١١: ٧٨١): ألا تأمن الفرقة.

قال : « فهل تثقون بأن يكفّ إذا أعطيناه ما سأل، فلا يتجاوز بالطلب إلى غيرها^(١) ؟ »

قالوا : « لا، ولعلّ سلامة تقع من دون ما نخاف ونتوقّع. »
قال : « فإن تجاوز بعدها بالمسألة، أفما ترونه قد توهّن بما بذل من نفسه فيها. »

قالوا : « ندفع بمحذور الآجل محذور العاجل. »
قال : « فإنّ الحكماء قبلنا قالوا : استصلح عاقبة أمرك باحتمال ما عرض في مكروه يومك ولا تلتمس هُدنة^(٢) يومك بإخطار أدخلته على نفسك في غدك. »

فأقبل المأمون على الفضل وقال :

- « ما تقول فيما اختلفوا فيه ؟ »

قال : « هل يؤمن محمد أن يكون طالبك بفضل قوّتك، ليستظهر بها غداً على مخالفتك، وهل يصير الخازم إلى فضله من عاجل الدعة بخطر يتعرّض له في العاقبة ؟ بل إنّما أشار الحكماء بحمل ثقلٍ عاجلٍ، فيما يرجون به صلاح عواقب أمورهم. »

فقال المأمون :

- « بإيثار دعة العاجل صار من صار إلى فساد العاقبة في أمر دنيأ وأمر آخرة. »

قال القوم :

- « قد قلنا بمبلغ الرأى والله [37] للأمير بالتوفيق. »

فقال : « اكتب يا فضل إليه :

١. في الأصل والطبرى (١١ : ٧٨١) : غيرها وفي آ : غيره.

٢. هُدنة : كذا في الأصل. ما في آ : مهملٌ بكامله. في الطبرى (١١ : ٧٨١) : هُدية.

- «قد بلغني كتاب أمير المؤمنين يسأل التجافي عن مواضع سمّاها، ممّا أثبتته الرشيد في العقد لي، وجعل أمره إليّ وما أمر رآه أمير المؤمنين ممّا يتجاوز، غير أنّ الذي جعل إليّ الطرف الذي أنا به كان غير ظنين في النظر لعامته ولا جاهلي بما أسند إليّ من أمره. ولو لم يكن ذلك مثبتاً بالعهود والمواثيق المأخوذة ثمّ، كنت على الحال التي أنا عليها من إشراف عدوّ مخوف الشوكة وعامة لا تتألف عن هزيمة، وأجناد لا تستتبع طاعتها إلّا بالأموال وطرف من الإفضال، لكان في نظر أمير المؤمنين لعامته وما يجب من لمّ اطرافه ما يوجب عليه أن يقسم له كثيراً من عنايته، وأن يستصلحه ببذل كثير من ماله، فكيف بمسألة ما أوجبه الحقّ. وإنّي لأعلم أنّ أمير المؤمنين لو علم من الحال ما علمت لم يطلع^(١) بمسألة ما كتب بمسألته إليّ، ثمّ أنا على ثقة من القبول بعد البيان، إن شاء الله.»

واستشار أيضاً محمد أصحابه فيما همّ به.

مركز آراء أشير بها على محمد الأمين [38]

قال يحيى بن سلّم وقد دعاه الأمين واستشاره :

- «يا أمير المؤمنين كيف بذاك مع تأكيد الرشيد بيعته وأخذه الأيمان

والمواثيق في الكتب؟»

فقال محمد :

١. كذا ضبط ما في الأصل. والضبط في الطبري (١١: ٧٨٢) : يُطلع (بضمّ الياء فقط).

- «إن رأى الرشيد كانت فلتة من الخطأ شبّه عليه جعفر بن يحيى بسحره، فغرس لنا غرساً مكروهاً لا ينفعنا ما نحن فيه [معه^(١)] إلا بقطعه، ولا تستقيم لنا الأمور ولا تصلح إلا باجتثاثه والراحة منه.»

فقال: «أما إذا كان رأى أمير المؤمنين خلعه فلا تجاهره فيستكبرها^(٢) الناس وتستشنعها العامة، ولكن تستدعى^(٣) الجند بعد الجند والقائد بعد القائد، وتؤنسه بالأطاف والهدايا، وتفرّق ثقاته ومن معه وترغبهم بالأموال وتستميلهم بالأطماع. فإذا وهنت قوّته ولم تبق له منّة أمرته بالقدوم عليك، فإن قدم صار إلى الذى تريد منه وإن أبى كنت قد تناولته وقد كلّ حدّه وهيض جناحه.»

قال محمد:

- «فأقطع^(٤) أمراً كصريمة. أنت مهذار خطيب، ولست بذى رأى مصيب، فزل عن هذا الرأى إلى رأى الشيخ الموفّق والوزير الناصح، قم فسالحق بمدادك [39] وأقلامك.»

فقال يحيى:

- «غضب يشوبه صدق وتجلبه نصيحة، أحبّ إلىّ من رضا يخلطه جهل ويحمله جهل.»

وبعث الفضل إلى أحمد من رضى عقله ورأيه فاستشاره، فعظّم الرجل عليه أمر البيعة للمأمون، وقبّح الغدر والنكث. فقال الفضل:

- «صدقت، ولكن عبد الله أحدث الحدث الذى وجب به نقض ما عقده

١. تكملة من الطبرى.

٢. كذا فى الأصل وآ: يستكبرها. وما فى الطبرى (١١: ٧٩١): يستنكرها.

٣. فى الأصل: يستدعى. صححناه بالسياق.

٤. فى الأصل: قطع. فى آ: فأقطع. وهو الصحيح، ويؤيده ما فى الطبرى (١١: ٧٩١): أقطع.

الرشيد وأمير المؤمنين يرى اليوم لنفسه ولرعيته ما لم يره الرشيد يومئذٍ.»
فقال: «أفتثبت الحجة عند عامة الناس بهذا الحدث الذي أحدثه المأمون
كما تُثبت الحجة له بماخوذ عهده؟»

قال: «لا.»

قال: «أفحدث هذا الحدث عندكم ممّا يوجب نقض عهدهم ولم يكن
حدث ولا كان معلوماً.»

قال: «نعم.»

فقال الرجل ورفع صوته:

- «تالله ما رأيت كاليوم رأى رجل يشاور في دفع ملك في يده بالحجة،
ثم يصير إلى مطالبته بالعناد والمغالبة.»
قال: فأطرق الفضل ملياً ثم قال:
- «صدقني الرأي، ولكن أخبرني إن نحن أغمضنا في قالة العامة،
ووجدنا مساعدين من شيعتنا وأجنادنا، فما القول؟»

قال: [40]

- «أصلحك الله، وهل أجنادك إلا من عامتك في أخذ بيعتهم وتمكّن
برهان الحق في قلوبهم، أفليسوا وإن أعطوا ظاهر طاعتهم مع ما تأكّد من
وثائق العهد في معارفهم وعليهم بياض أمورهم.»

قال: «فإن أعطونا الطاعة فما يضرنا من ضمائرهم.»

قال: «لا طاعة دون ما ثبت من البصائر.»

قال: «ترغبهم بتشريف حظوظهم؟»

قال: «إذاً يصيروا إلى التثقل، ثم إلى خذلانك عند حاجتك إلى
مناصحتهم.»

قال: «فما ظنك بأجناد عبد الله؟»

قال: «قوم على بصيرة من أمورهم لتقدّم بيعتهم.»

قال: «فما ظنك بعامتة؟»

قال: «قوم كانوا في بلوى عظيمة من تحيف ولاتهم في أموالهم وأنفسهم صاروا به إلى الأمانة في المال والرفاغة في المعيشة، فهم يدافعون عن نعمة حادثة لهم، ويتذكرون بليّة لا يأمنون العودة في مثلها.»

قال: «ما أراك أبقيت لنا موضع رأى في اعتزالك أجنادنا، ثمّ أشدّ من ذلك ما قلت به من وهنة أجنادنا وقوّة أجناده وما تسخو^(١) نفس أمير المؤمنين بترك ما يعرف من حقّه، ولا نفسى بالهدنة مع ما أقدمت [41] عليه في أمره، وربّما أقبلت الأمور مشرقةً بالمخافة، ثمّ تكشّفت عن الفلج والدرك في العاقبة.»

وتفرّقا.

ذكر الحزم والجِدّ الذي أخذ فيه المأمون

حتّى بلغ به ما أراد

أذكى العيون، وأقام الحرس على رأس الحدّ، فلا يجوز رسول من العراق حتّى يوجّهوه مع ثقات من الأمانة، ولا يدعه يستعلم خبراً ولا يستتبع بالرغبة ولا بالرهبة أحدًا ولا يبلغ أحدًا قولاً ولا كتاباً فحضّن أهل خراسان من أن يستمالوا برغبة أو أن تُودع قلوبهم رهبة. ثمّ وضع على مراصد الطرقات ثقات من الأحراس لا يجوز عليهم إلّا من لا تدخله الظنّة في أمره ممّن أتى بجواز في مخرجه إلى دار مآبه، أو تاجر معروف مأمون في نفسه ودينه ومُنع الأشابات^(٢) من جواز السبل والقطع بالمتاجر، والوغول في

١. كذا في الأصل والطبري (١١: ٧٩٣). في آ: سحوا.

٢. الأشابة: أخلاط الناس. ما في الطبري (١١: ٧٨٣): الأشتات. وما في آ ومط مهمل.

البلدان في حياة الطارئة والسابلة، وفُتشت الكتب فكانت ترد من قبل محمد الرسل والجماعات، فإذا صاروا إلى حد الرى وجدوا تدبيراً مؤيداً [42] وعقداً مستحصداً، وأخذتهم الأحراس من جوانبهم فحُصنوا في حال ظنهم وإقامتهم من أن يُخبروا أو يستخبروا، وكُتب بخبرهم من مكانهم، فيجىء الإذن في حملهم، فيحملون محروسين لا خبر يصل إليهم، ولا غيرهم يتطلع خبراً من عندهم حتى يصيروا إلى باب المأمون.

وذكر سهل بن هارون، أن المأمون قال يوماً لذي الرئاستين :
- «إنّ ولدى وأهلى ومالى الذى أفردته لى الرشيد بحضرة محمد وهو مائة ألف ألف وأنا إليها محتاج وهى قبله فما ترى فى ذلك؟»
فقال له ذو الرئاستين :

- «إن أنت كتبت كتاب عزمة فمنعك، صار إلى خلع عهده. فإن فعل، حملك ولو بالكره على محاربتة، وأنا أكره أن تكون المستفتح باب الفرقة ما أرتجه الله دونك، ولكن تكتب كتاب طالب بحقك وتوجيه أهلك على ما لا يوجب عليه المنع نكتاً لعهدك، فإن أطاع فنعمة وعافية، وإن أباه لم تكن بعثت على نفسك حرباً ومشاقّة.»

قال : «فاكتب إليه كما ترى.»

فكتب عنه :

كتاب كتبه ذو الرئاستين عن المأمون إلى الأمين

- «أمّا بعد فإنّ نظر أمير المؤمنين للعامة نظر من لا يقتصر على إعطاء النصفة من نفسه حتى يتجاوزها إليهم ببرّه وصلته [43]

وإذا كان ذلك رأيه في عامته فأخبر بأن يكون على مجاوزة ذلك لصنوه وقسيم نسبه. وقد تعلم يا أمير المؤمنين حالاً أنا عليها من ثغور حللت بين لهواتها وأجناد لا تزال موفية بتسرّعها وبنكت آرائها وبقلة الخراج قبلى، والأهل والولد والمال قبل أمير المؤمنين، وما للأهل - وإن كانوا فى كفاية - من برّ أمير المؤمنين وكان لهم والدأ - بُدّ من الإشراف والنزوع إلى كنفى، وما لى بالمال من القوّة والظهير على لمّ شعنى، وقد وجّهت لحمل العيال وحمل ذلك المال فرأى أمير المؤمنين فى إجازة فلان إلى الرّقّة فى حمل ذلك المال والأمر بمعونته عليه غير مُخرج له فيه إلى ضيقة تقع بمخالفته، أو حاملٍ له على رأى يكون على غير موافقته، إن شاء الله.

فكتب إليه محمد فى الجواب :

جواب الأمين



«أما بعد، فقد بلغنى كتابك بما ذكرت ممّا عليه رأى أمير المؤمنين فى عامته، فضلاً عمّا يوجب من حقّ ذى حرمة وخليط نفسه، ومحلّك من لهوات ثغور، وحاجتك لمحلّك بينها إلى فضلة من المال لتأييد أمرك. والمال الذى سُمى لك من مال الله عزّ وجل [44] وما ينكر أمير المؤمنين حقوق أقربيه وذوى نسبه، وما ذاك بداع أمير المؤمنين إلى ترك الإستظهار لدينه وعامته، وبه إلى ذلك الذى ذكرت حاجة فى تحصين أمور

المسلمين، وكان أولى به إجراؤه على فرائضه وردّه في مواضع
حقّه، وليس بخارج من نفعك ما عاد بنفع العامّة من رعيتك.
- «وأما ما ذكرت من حمل أهلك فإنّ يدي المشرفة على
أمرهم، وإن كنت بالمحلّ الذي أنت به من حقّ القرابة ولم أر
من حملهم على سفرهم مثل الذي عرّضتهم له بالسفر من
شهم^(١) وإن أر ذلك من ذى قبل، أوجّهم إليك مع الثقة من
رسلي، إن شاء الله.»

ولمّا ورد الكتاب على المأمون قال :
 - «لَطَّ دُونُ حَقِّنَا يَرِيدُ أَنْ يُوْهِنَ بِالْعِنْعِ قَوَّتَنَا ثُمَّ يَتِمَكَّنُ مِنَ الْفُرْصَةِ فِي
 مَخَالَفَتِنَا.»

كتاب المأمون إلى أعيان العسكر ببغداد
ورأى المأمون والفضل أن يختارا رجلاً يكتب معه إلى أعيان العسكر
ببغداد، فإن أحدث الأمين للمأمون خلعاً صار إلى التلطف، لعلم أحوال أهلها
بالكتب التي معه وإن لم يفعل من ذلك كنس في خفية وأمسك عن إيصالها
وكان نسخة الكتاب: **تأليف علوم**

«أما بعد [45] فإنَّ أمر المؤمنين كأعضاء البدن تحدث العلة في بعضها فيكون كُره ذلك مؤلماً لجميعها، وكذلك الحدث في المسلمين يكون في بعضهم فيصل كُره ذلك إلى سائرهم، للذي

١. كذا في الأصل ومط. ما في آ: شتهم. وليست الكلمة موجودة في الطبري (٧٨٧، ٧٨٨). ولعلّه من قولهم: شَهَمَ الرجلُ: أَفْزَعَهُ. شَهَمَ الفرسُ: زَجَرَهُ.

يجمعهم من شريعة دينهم ويلزمهم من حرمة آخرتهم. ثم ذلك من الأئمة أعظم للمكان الذي به الأئمة من سائر أممهم. وقد كان من الخبر ما لا أحسبه إلا سيُعرب عن مغبته ويُسفر عما استتر من وجهه. وما اختلف مختلفان فكان أحدهما مع أمر الله، إلا كان أولى بمعونة المسلمين وموالاتهم في ذات الله وأنت - يرحمك الله - من الأمر برأى ومسمع، وبحيث إن قلت أذن لقولك وإن لم تجد للقول مساعاً فأمسكت عن مخوف، اقتدى فيه بك، ولن يضيع على الله ثواب الإحسان مع ما يجب علينا من حقك بالإحسان ولحفظ حاز لك النصيبين أو أحدهما أمثل من الإشراف لأحد الحظّين مع التعرّض لعدّهما. فاكتب إلى برأيك وأعلم ذلك رسولي ليؤدّيه عنك، إن شاء الله.»

فوافق قدوم هذا الرسول بغداد ما أمر به من الكفّ عن الدعاء للمأمون [46] في الخطبة، وكان الرسول بمحلّ الثقة من كلّ من كُتب إليه. فلمّا أوصلها كان منهم من أمسك عن الجواب وأعرب للرسول عمّا في نفسه، ومنهم من أجاب عن كتابه. فكان نسخة كتاب أحدهم:

«أمّا بعد فقد بلغنى كتابك، وللحقّ برهان يدلّ على نفسه، تثبت به الحجة على كلّ من صار إلى مفارقتك، وكفى غبناً بإضاعة حظّ من حظّ العاقبة لمأمول^(١) حظّ من عاجله، وأبين في الغبن إضاعة عاقبة مع التعرّض للنكبة والوقائع. ولى من العلم

١. كذا في الأصل وآ. والعبارة في الطبري (١١: ٧٩٠): لما مؤل من حظّ عاجله.

بمواضع حظي ما أرجو أن يحسن معه النظر لنفسى، ويضع عني
مؤونة استزادتي.»

وكتب الرسول الذي توجه بهذه الكتب إلى بغداد إلى المأمون وذى
الرئاستين :

«أما بعد، فإني وافيت البلدة وقد أعلن خليطك بتنكيره، وقدم
علماً من اعتراضه ومفارقته، وأمسك عما يجب ذكره وتوفيته
بحضرته، ودفعتُ كتبك فوجدت أكثر الناس وُلاة السرائر وبغاة
العلانية، ووجدت المسرفين بالرغبة لا يحوطون غيرها ولا
يبالون ما احتملوا فيها والمنازع مختلفج الرأي [47] لا يجد
دافعاً منه عن همّه، ولا داعياً إلى لزوم حجة في عامّه،
والملاحون بأنفسهم يحبّون تمام الحدث ليسلموا من متهدم
حدثهم، والقوم على جدّ، فلا تجعلوا للتواني في أمركم نصيباً
والسلام.»

فلما جاء الخبر إلى المأمون موافقاً لسائر ما ورد عليه من الكتب، قد
شهد بعضها لبعض، قال لذى الرئاستين :

- «أمر قد كان الرأي أخبر عن غيبها^(١). ثم هذه طوالع تخبر عن
أواخرها، وكفانا أن نكون مع الحق ولعلّ كرهاً يسوق خياراً.»
ثم أشخص طاهر بن الحسين، وضمّ إليه ثقات قوّاده وأجناده، فسار

١. كذا في الأصل وآ. ما في الطبرى (١١: ٧٩٣) : عينها.

طاهر مُغْدًا لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ حَتَّى وَرَدَ الرِّىَّ، فَنَزَلَهَا وَوَكَّلَ بِأَطْرَافِهِ وَوَضَعَ مَسَالِحَهُ وَبَثَّ عَيُونَهُ وَطَلَّاعَهُ.

ودخلت سنة خمس وتسعين ومائة

مبادرات من الأمين والمأمون

وفيهما عقد الأمين لابنه موسى على جميع ما استخلف عليه، وجعل صاحب أمره عليّ بن عيسى بن ماهان، وأسقط ما كان ضُرب باسم أخيه المأمون بخراسان من الدنانير والدراهم في سنة أربع وتسعين، لأنّ المأمون أمر ألا يُثبت فيها [48] إسم محمد، ونهى محمد عن الدعاء على المنابر كلّها في عمله للمأمون والقاسم، وأمر بالدعاء له، ثمّ من بعده لابنه موسى، وابنه موسى يومئذٍ طفل صغير وسماه: الناطق بالحقّ. وجميع ما فعل من ذلك كان عن رأى الفضل بن الربيع وبكر بن المعتمر. وبلغ المأمون ذلك، فتسمّى بإمام المؤمنين، وكُتِبَ بذلك.

وعقد محمد الأمين لعليّ بن عيسى بن ماهان على كور الجبل كلّها: نهاوند وهمدان وقم وإصبهان، حربها وخراجها، وضمّ إليه جماعة من القوّاد، وأمر لهم بمائتي ألف دينار، ولولده بخمسين ألف دينار، وأعطاه للجنّد مالا عظيما، وأمر له من السيوف المحلّاة، بألفى سيف وسبعة ألف ثوب للخلع، وأحضر محمد أهل بيته ومواليه وقوّاده المقصورة بالشّماسيّة، وصلى الجمعة ودخل وأجلس ابنه موسى في المحراب ومعه الفضل بن الربيع وجميع من أحضر، فقرأ على جماعتهم كتاب من محمد يُعلمهم رأيه فيه، وحقّه عليهم وما سبق له من البيعة مُفردا، وما أحدث عبد الله من التسمّى بالإمامة، والدعاء إلى نفسه، وقطع البريد، وقطع ذكره من دور الضرب والطرز، [49] وأنّ ذلك ليس له، وحثّهم على الطاعة والتمسك ببيعته.

وتكلم سعيد بن الفضل الخطيب قائماً، فصدق ما فى الكتاب وتكلم بمثله. ثم تكلم الفضل بن الربيع وهو جالس، فأبلغ فى القول وأكثر، وذكر أنه لا حق لأحد فى الإمامة والخلافة إلا لأمر المؤمنين محمد الأمين، وقال فى آخر كلامه :

- «إنّ الأمير موسى بن أمير المؤمنين قد أمر لكم، يا معشر أهل خراسان، من صلب ماله بثلاثة آلاف درهم يقسم بينكم». وانصرف الناس.

شخص علي بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون

وفى هذه السنة شخص علي بن عيسى بن ماهان إلى الحرب وتوجه إلى الرى. فذكر الفضل بن إسحاق أنّ علي بن عيسى توجه لحرب المأمون يوم الجمعة عشياً لسبّ بقين من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين إلى معسكره بنهر بين^(١) وكان معه زهاء أربعين ألف رجل ومعه قيد فضة ليقيد به المأمون بزعمه، وشيعة أمير المؤمنين محمد الأمين إلى النهروان، فعرض الجند وأقام يومه بالنهر وآن، ثم انصرف إلى مدينة السلام. وأقام علي بن عيسى بالنهر وآن ثلاثة أيام، ثم شخص واعد السير حتى نزل همذان وكان كاتب من كان بها وبغيرها بالإنضمام [50] إلى علي بن عيسى. ثم عقد لعبد الله بن جبلة الألباوى^(٢) وهو الذى طعن رسول المأمون يوم أنفذه خلف الفضل بن الربيع إلى نيسابور، وتكلم ما كتبناه على الدينور، وأمره بالمسير فى أصحابه ووجه معه ألفى ألف درهم إلى علي بن عيسى سوى ثلاثة آلاف درهم حملت إليه قبل ذلك، فسار علي بن عيسى من همذان إلى الرى قبل

١. نهر بين (ويقال : نهريل) : طسوج من سواد بغداد. (مراسد الإطلاع).

٢. كذا فى الأصل وما فى الطبرى (١١ : ٧٩٨) : الألباوى.

ورود عبد الرحمان بن جبلة عليه، فسار على تعبئة، ولقيه طاهر بن الحسين في أقل من أربعة آلاف.

وكان استأمن إلى علي بن عيسى من عسكر طاهر ثلاثة أنفس يتقربون إليه. فسألهم، من هم ومن أي البلدان هم، فأخبره أحدهم أنه كان من جند أبيه عيسى الذي قتله رافع.

قال: «فأنت من جندى؟»

فأمر به فضرب مائتي سوط واستخف بالرجلين وانتهى الخبر إلى أصحاب طاهر فازدادوا جذاً في محاربته ونفورا منه.

وأقبل علي بن عيسى في جيشه فامتلات الصحراء بياضاً وصفرة من السلاح والذهب^(١)، وجعل على ميمنته الحسين بن علي، على ميسرته القاسم بن عيسى بن ادريس.

قال أحمد بن هشام، وكان إذ ذاك [51] على شرطة طاهر: فما لبثا أن هزمونا حتى دخلوا العسكر فخرج إليهم الأتباع والساسة، فهزموهم. فقال طاهر لما رأى عسكر علي بن عيسى:

«هذا ما لا قبل لنا له، ولكن نجعلها خارجية.»

فقصد قصد القلب في سبعمئة رجل من الخوارزمية إنتخبهم.

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم اسلامی

مقتل علي بن عيسى بيمينى طاهر

قال أحمد بن هشام: فقلت لطاهر:

«ألا تذكر علي بن عيسى البيعة التي أخذها هو علينا للمأمون، خاصة

معاشر أهل خراسان؟»

١. كذا في الأصل ومط والطبرى (١١: ٨٠٠). وفي آ: من السلاح المذهب.

فقال : « بلى . »

فعلّقنا ذلك على رمح ، وقمت بين الصّفين وقلت :

ـ « الأمان ، لا ترمونا ولا نرمىكم . »

فقال عليّ بن عيسى :

ـ « لك ذلك . »

فقلت : « يا عليّ بن عيسى ألا تتقى الله ، أليس هذه نسخة البيعة التي

أخذتها أنت خاصّة علينا ؟ إتق الله فقد بلغت باب قبرك . »

فصاح عليّ بن عيسى :

ـ « يا أهل خراسان من جاء به ، فله ألف درهم . »

قال : وكان معي قوم بخارية فزّنوه ، فقالوا :

ـ « نقتلك ونأخذ مالك . »

وبرز من عسكر عليّ بن عيسى العباس بن الليث مولى المهدي ، فشدّ

عليه طاهر وجمع يديه على مقبض السيف فضربه فصرعه . وشدّ داود سيّاه

على عليّ بن عيسى ، فصرعه وهو لا يعرفه . فقال داود :

ـ « تازی ایشان کشتم . »^(١)

فعرّفه رجل يُعرف بطاهر الصغير [52] بن الناجي فقال :

ـ « أنت عليّ بن عيسى ؟ »

فقال : « نعم أنا عليّ بن عيسى . »

وظنّ أنّه يهاب فلا يُقدم عليه ، فشدّ عليه فذبحه بسيفه وكانت ضربة

طاهر هي الفتح فسَمّي يومئذٍ : ذا اليمينين ، لأنّه أخذ السيف بيديه جميعاً .

١. كذا في الأصل وآ. ما في الطبري (١١ : ٨٠١) : ناري ... كتبتم . وهو تصحيف .

التسليم على المأمون بالخلافة

ولمّا بُشِّر طاهر بن الحسين بقتل عليّ بن عيسى أعتق من كان بحضرته من غلمانته شكراً ثمّ جاؤا بعليّ بن عيسى وقد شدّ الأعوان يديه إلى رجليه وحُمِل على خشبة مدهق كما يُحمل الحمار الميّت فأمر به فُلِفَ في لبد وأُلقي في بئر.

وكتب بالبشارة إلى ذى الرئاستين فسارت الخريطة، وبين مرو وذلك الموضع نحو من خمسين ومائتي فرسخ، ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ووردت عليهم يوم الأحد. ولمّا ورد الكتاب بالفتح على ذى الرئاستين فضّه فاذا فيه :

«أطال الله بقاءك وكبت أعداءك وجعل من يشنأك فداءك. كتابي إليك، ورأس عليّ بن عيسى بين يديّ، وخاتمه في إصبعي، والحمد لله ربّ العالمين.»

فدخل به على المأمون حتّى قرأه، فأمر بإحضار أهل بيته وقوّاده ووجوه الناس فدخلوا، فسلموا عليه بالخلافة، ثمّ ورد رأس عليّ يوم الثلاثاء وطيف به [53] في خراسان.

فحكى عن واحد أنّه لمّا جاء نعيّ^(١) عليّ بن عيسى إلى محمد بن زبيدة، كان في وقته ذلك على الشطّ يصيد السمك مع خادمه كوثر، فقال للذي أخبره :

«ويلك دعني فإنّ كوثرأ قد اصطاد سمكتين وأنا بعد ما صدت شيئاً.» ولمّا نهض من مجلسه ذلك، بعث إلى الفضل ومحمد فأنفذ إلى وكيل

١. النعيّ : النعى . الناعي .

المأمون ببغداد وقيّمه في أهله وولده فأخذوا منه المائة ألف الدرهم التي كان الرشيد وصل بها المأمون، وقبض ضياعه وغلاته، ووجّه عبد الرحمن بن جبله الأبنوي بالعدة والقوة فنزل همدان.

ذكر الحيلة التي احتال بها
ذو الرئاستين حتى اختار محمد
لحربه عليّ بن عيسى دون غيره

كانت كتب ذي الرئاستين ترد إلى دسيسه الذي كان الفضل بن الربيع يشاوره في أمره: إن أبي القوم إلا عزمة الخلاف، فالطف لأن يجعلوا أمره لعليّ بن عيسى. وإنما خصّ عليّاً بذلك لسوء أثره في أهل خراسان، واجتماع رأيهم على ما كرهه وأنّ العامة ترى حربه. فلما شاور الفضل ذلك الرجل الذي كان [54] يشاوره قال عليّ بن عيسى:

- «إن فعل فلم ترمهم بمثله في بُعد صوته^(١) وسخائه ومكانه من بلاد خراسان في طول ولايته عليهم وكثرة صنائعه فيهم. ثمّ هو شيخ الدعوة.» فاجتمعوا على توجيه عليّ، فكان من أمره ما كان. وروى أنّ الأمين لما عزم على خلع المأمون أشار عليه بنصحاؤه أن يكتابه ويسأله القدوم عليه، فإنّ ذلك أبلغ وأحرى أن يبلغ فيما يوجب طاعته واجابته فكتب اليه:

١. كذا في الأصل وآ ومط. وما في الطبري (١١: ٨٠٨): صومه.

كتاب الأمين إلى المأمون

- «من عبد الله الأمين محمد أمير المؤمنين إلى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين أما بعد، فإنّ أمير المؤمنين ردّاً في أمرك والموضع الذي أنت فيه من ثغرك وما يؤمّل في قربك من المعاونة والمكانفة على ما حمّله الله وقلّده من أمور عبادته وبلاده، فكّر فيما كان أمير المؤمنين الرشيد أوجب لك من الولاية، وأمر به من إفرادك بها وإقرارك على ما صيّر إليك منها. فرجاً أمير المؤمنين ألا يدخل عليه وكفّ في دينه ولا نكت في يمينه، إذ كان إشخاصه إتياءك فيما يعود على المسلمين نفعه ويصل إلى عامتهم صلاحه وفضله. وعلم أمير المؤمنين أنّ مكانك بالقرب منه أسدّ للشغور وأصلح [55] للجنود وأدّر للنفق وأردّ على العامة من مقامك ببلاد خراسان منقطعاً عن أهل بيتك مغيباً عن أمير المؤمنين وما يحبّ الاستمتاع به من رأيك وتدبيرك. وقد رأى أمير المؤمنين أن يولى ابنه موسى فيما يقلّده من خلافتك ما يحدث إليه من أمرك ونهيك، فاقدم على أمير المؤمنين على بركة الله وعونه بأبسط أمل وأفسح رجاء وأحمد أثر وأنفذ بصيرة، فإنّك أولى من استعان به أمير المؤمنين على أموره، واحتمل عنه النصب فيما فيه صلاح لأهل ملّته وذمّته، والسلام.»

ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن

عليّ - وإلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر، وإلى محمد بن عيسى بن نُهيك^(١) وإلى صالح صاحب المصلّى، وأمرهم أن يخرجوا إلى المأمون وألاّ يدعوا وجهاً من الرفق، إلاّ بلغوه وسهّلوا الأمر عليه، فيه وحمل معهم من الألطاف والهدايا والبُرّ شيئاً كثيراً وذلك في سنة أربع وتسعين ومائة.

فتوجّهوا بكتابه، فلمّا وصلوا إلى عبد الله أذن لهم، فدفَعوا إليه كتاب محمد وما كان بعث [56] معهم من الأموال والهدايا. ثمّ تكلم العباس بن موسى بن عيسى فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

كلام العباس عند المأمون

- «أيّها الأمير، إنّ أخاك قد تحمّل من الخلافة ثقلاً عظيماً، ومن النظر في أمور الناس عبئاً جليلاً، وقد صدقت نيّته في الخير فاعتوره^(٢) الوزراء والأعوان والكفاة على العدل، وقليل ما يأنس بأهل بيته، وأنّ أخوه وشقيقه وقد فزع إليك في أموره وأمّلك للموازرة والمكانفة، ولسنا نستبطئك في برّه اتهاماً لنظرك^(٣) له، ولا نحضّك على طاعته تخوّفاً لخلافك عليه وفي قدومك عليه أنس عظيم له، وصلاح لدولته وسلطانه. فأجب أيّها الأمير دعوة أخيك وآثر طاعته وأعنه على ما استعان بك من أمره، فإنّ في ذلك قضاء الحقّ وصلّة الرحم وعزّ الخلافة، عزم الله على الرشد في أموره وجعل له الخيرة في عواقب رأيه.»

وتكلّم عيسى بن جعفر بكلام قريب المعنى من هذا الكلام، وكذلك محمد بن عيسى بن نُهيك وصالح صاحب المصلّى. [57] فلمّا قضوا كلامهم

١. وزاد في آ : واللين.

٢. كذا في الأصل وآ ومط : فاعتوره. وما في الطبري (١١ : ٨١٢) : فأعوزه.

٣. كذا في الأصل وآ ومط : لنظرك. وما في الطبري (١١ : ٨١٢) : لنصرك.

وسكتوا، تكلم المأمون فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

كلام المأمون

- «إنكم عرّفتموني من حقّ أمير المؤمنين - أبقاه الله - ما لا أنكره، ودعوتموني من البرّ والإحسان والمؤازرة والمعونة إلى ما أوثره ولا أدفعه، وأنا بالطاعة لأمر المؤمنين خليق وعلى المسارعة إلى ما سرّه ووافقه حريص، وفي الرؤية تبيان الرأي وفي إعمال الرأي يصحّ الإعتزام، والأمر الذي دعاني إليه أمير المؤمنين أمر لا أتأخّر عنه تشبّطاً ومدافعة، ولا أتقدّم عليه اعتسافاً وعجلة، وأنا في ثغر من ثغور المسلمين كليلٌ عدوّه، شديدة شوكته، فإن أهملت أمره لم آمن دخول المكروه والضرر على الجند والرعيّة، وإن أقمت عليه لم آمن فوت ما أحبّ من معونة أمير المؤمنين وإيثار طاعته، وانصرفوا حتّى أنظر في أمرى ويصحّ الرأي فيما أعتزم عليه من مسيرى إن شاء الله.»

ذكر مشاورة^(١) المأمون أصحابه

وما أشار به الفضل بن سهل

ولمّا انصرف القوم تعاظم المأمون ما ورد عليه وأكبره ودعا الفضل [58]

بن سهل وقال :

- «ما عندك من الرأي؟»

قال : «أرى أن تتمسّك بموضعك، وألاّ تمكّن من نفسك، ولا تجعل عليك

سبيلاً وأنت تجد من ذلك بدءاً.»

١: في الأصل : مشوره. في آ ومط : مشاورة.

قال : «وكيف يمكنني التمسك بموضعي مع كثرة جنود محمد وعظم خزائنه وكثرة أمواله، مع ما فرّق في أهل بغداد من صلاته، وإنّما الناس مائلون مع الذهب والفضة، منقادون لهما، لا يرغبون في وفاء بعهد ولا أمانة.»

فقال الفضل :

- «إذا وقعت التهمة حق الاحتراش. وأنا متخوّف عليك من محمد ومن شره إلى ما في يدك، ولأن يكون في جندك وعزك مقيماً بين ظهرائي أهل ولايتك أخرى، فإن دهمك منه أمر حددت^(١) له وناجزته وكأيدته فإمّا أعطاك الله الظفر عليه وإمّا متّ محافظاً متكرّماً غير ملقّ يدك ولا ممكّن عدوك من الإحتكام في دينك.»

قال المأمون :

- «لو كان أتاني ذلك وأنا في قوّة من أمرى وصلاح من الأمور، لكان خطبه يسيراً والإحتيال في دفعه ممكناً ولكنته أتاني بعد انتشار خراسان واضطراب عامرها وغامرها ومفارقة جبغويه^(٢) الطاعة والتواء خاقان وتهيؤ ملك كابل للغارة على ما [59] يليه من بلاد خراسان وامتناع ملك ابراز بنده^(٣) بالضريبة ومالي بواحدة من هذه يد وأنا أعلم أنّ محمداً لم يطلب قدومي إلّا لشرب يريده بي وما أرى إلّا تخلية ما أنا فيه واللحاق بخاقان ملك الترك والاستجارة به فبالحرى أن آمن على نفسي وامتنع ممّن أراد قهرى والغدر بي.»

١. كذا في الأصل وآ ومط : حدّدت. في الطبري (١١ : ٨١٤) : جرّدت.

٢. كذا في الأصل : جبغويه. في مط جنغويه. وما في آ مهمل تماماً. في الطبري (١١ : ٨١٤) : جبغويه.

٣. كذا في الأصل. في آ : ايزار بنده. في الطبري (١١ : ٨١٦) : اترار بنده.

فقال له الفضل :

- «أيها الأمير إن عاقبة الغدر شديدة ومغبة الظلم والبغى غير مأمون شرّها وربّ مستذلّ قد عاد عزيزاً ومقهور عاد مستطيلاً وليس النصر بالكثرة وجرح الموت أيسر من جرح الذلّ والضميم فأما جبغويه وخاقان فاكتب إليهما وولّهما بلادهما وعدّها التقوية لهما على محاربة الملوك، وأما ملك كابل فابعث إليه بعض طُرف خراسان وهاديه وسله المودعة تجده حريصاً على ذلك، وأما ملك ابراز بنده فسلّم له ضربيته في هذه السنة وصيّرها صلة منك له وصلته بها. ثمّ اجمع إليك أطرافك واضمم إليك من شدّ من جندك، ثمّ اضرب الخيل بالخيّل والرجال بالرجال، بالرجال فإن ظفرت فذاك، وإلا كنت على اللحاق بخاقان قادراً.» [60]

فقال المأمون :

- «أنا أعمل في هذا وغيره بما ترى.»

وفرق الكتب وأرسل إلى أولئك العُصاة، فأذعنوا ورضوا وكتب إلى قوّاده وجنوده في الأطراف فأقدمهم عليه، وكتب إلى طاهر بن الحسين وكان يومئذٍ بالريّ عاملاً من قبل المأمون أن يضبط ناحيته ويجمع إليه أطرافه ويكون على حذر من جيش إن طرّقه أو عدوّ إن هجم عليه. وكان الفضل نظر في النجوم وكان جيد المعرفة بأحكامها، فرأى الغلبة لعبدالله، فوطّن نفسه على محاربة محمد الأمين ومناجزته.

كتاب من المأمون إلى الأمين

فلما فرغ المأمون ممّا ذكرناه كتب إلى محمد :

- «لعبد الله محمد الأمين أمير المؤمنين من عبد الله بن هارون.

أما بعد، فقد وصل إلى كتاب أمير المؤمنين وإنما^(١) أنا عامل من عمّال أمير المؤمنين وعون من أعوانه أمرني الرشيد صلوات الله عليه^(٢) بلزوم هذا الثغر ومكايدة من كاد أهله من عدوّ أمير المؤمنين، ولعمري أنّ مقامى به أردّ على أمير المؤمنين وأعظم غناءً عن المسلمين من الشخوص إلى أمير المؤمنين وإن كنت مغتبطاً بقربه مسروراً بمشاهدة نعم الله عليه. فإن رأى أمير المؤمنين أن يقرّنى على [61] عملى ويعفينى من الشخوص إليه فعل، إن شاء الله.»

ثمّ دعا العباس بن موسى بن عيسى وعيسى بن جعفر وصالحاً فدفع الكتاب إليهم وأحسن صلتهم وجوائزهم وحمل إلى محمد ما تهيّأ له من الألفاف الموجودة بخراسان وسألهم أن يحسّنوا أمره عنده ويقوموا بعذره.

كلام زبيدة لعلّى بن عيسى فى المأمون

فلما يثس محمد الأمين من انقياد عبد الله له، ندب له علّى بن عيسى فى خمسين ألف فارس وراجل، ومكّنه من بيوت الأموال والسلاح. فلما أراد علّى الشخوص إلى خراسان، ركب إلى باب زبيدة أمّ جعفر، فودّعها، فقالت: «يا علّى، إنّ أمير المؤمنين، وإن كان ولدى، إليه تناهت شفقتى وعليه تكامل حذرى فإنّى على عبد الله متعطّفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه

١. وإنما... بلزوم: العبارة ساقطة من مط.

٢. كذا فى الأصل وآ: صلوات الله عليه. والتصلية ساقطة من نسخة مط ضمن العبارة الساقطة منها.

وأذى وإنما إبنى ملك نأفس أخاه فى سلطانه وعازّه^(١) على ما فى يده،
والكرىم يأكل لحمه وىمنعه^(٢) غىره. فأعرف لعبد الله حق ولادته وأخوته،
ولا تجبهه بالكلام، فلىست بنظىر له، ولا تقترسه اقتسار العبىد ولا توهنه بقىد
ولا غلّ، ولا تمنع منه جارىة ولا غلاماً ولا خادمأ ولا تعنف [62] علىه فى
السىر ولا تساوه فى المسىر، ولا تركب قبله، ولا تستقلّ على دأبتك، حتّى
تأخذ بركابه، وإن شتمك فاحتمل منه، وإن سفه^(٣) عليك فلا ترأده.

ثمّ دفعت إىله قىداً من فضّة وقالت :

- «إذا صار فى يدك فقّىده بهذا القىد.»

فقال لها :

- «سأقبل قولك وأعمل بطاعتك.»

فلما ركب على بن عىسى إىلى معسكره بالنهروان وخرج معه محمد ىشّىعه
وحشدت الأسواق والصنّاع والفعله بلغ عسكره فرسخأ بفساطیطه وأبنىته
وانقاله. فذكر مشايخ أهل بغداد أنّهم لم يروا عسكراً قطّ كان أكثر رجالاً
وأفره كراعاً وأظهر سلاحاً وأتمّ عدّة وأكمل هبّة من عسكره.

فذكر أنّ منجّمه أتاه فقال :

- «أصلح الله الأمير لو انتظرت بمسىرك صلاح القمر فإنّ النحوس غالبه
علىه.»

فقال : «إنّا لا ندرى فساد القمر من صلاحه، غىر أنّه من نازلنا نازلناه
ومن وادعنا وادعناه ومن قاتلنا لم يكن عندنا إلاّ إرواء السىف من دمه. إنّا
لا نعتدّ بفساد القمر ما وطّنا أنفسنا على صدق اللقاء.»

١. كذا فى الأصل وآ ومط. فى الطبرى (١١: ٨١٨) : وغاره.

٢. فى آ : وىمنع.

٣. فى الطبرى (١١: ٨١٨) : سفك.

ثم سار علي بن عيسى مستهيناً [63] بمن يلقاه فإذا لقيته القوافل من خراسان سألها عن الأخبار فيقولون له : طاهر مقيم بالرئى يعرض أصحابه ويرمّ آله فيضحك ثم يقول لأصحابه :

- «وما طاهر والله ما بينكم وبين أن ينقص انقصاص الشجر من الريح العاصف إلا أن يبلغه عبورنا عقبة همدان وهل مثل طاهر يتولى الجيوش ويلقى الحروب وهل تقوى السخال^(١) على نطاح الكباش أو تصير الثعالب على لقاء الأسد.»

ثم أمر أصحابه بطى المنازل والمسير، وقال لأصحابه :
- «إن نهاية القوم الرئى، فلو قد صيرناها وراء ظهورنا فت ذلك فى أعضادهم وانتشر نظامهم وتفرقت جماعتهم.»

ثم أنفذ الكتب إلى ملوك الديلم وأهدى إليها التيجان والأسورة والسيوف المحلاة بالذهب ووعدّها الصلوات والجوائز وأمرهم أن يقطعوا طريق خراسان ويمنعوا من أراد الوصول إلى طاهر من المدد فأجابوه إلى ذلك وسار حتى صار فى أول بلاد الرئى وأتاه صاحب مقدّمته فقال :

- «لو كنت - أبقى الله الأمير - [64] أذكيت العيون وبعثت الطلائع وارتدت موضعاً تُعسكر فيه وتتخذ خندقاً كان أبلغ فى الرأى وأنس للجند.»
فقال : «لا، ليس مثل طاهر ومن معه استعدّ له بالمكائد والتحفظ إن حال طاهر تؤول إلى أحد أمرين : إمّا أن يتحصّن بالرئى فيبيته أهلها فيكفونا^(٢) مؤونته أو يخليها ويُدبر راجعاً أو قد قربت منه.»

وأتاه يحيى بن عليّ فقال :
- «أيها الأمير اجمع عسكرك فإنه متفرّق، واحذر البيات فإنّ العساكر لا

١. ما فى الأصل مهمل، فأثبتناه كما فى الطبرى ١١ : ٨١٨. السخال جمع السخلة : ولد الشاة.

٢. فى الأصل : فيكونا. فصحّناه بما فى آ : فيكفونا.

تساس بالتوانى والحروب لا تدبر بالإغترار ولا تفل المحارب لى طاهر. فالشرارة الخفية ربما صارت ضراماً والثلمة من السيل ربما تهون بها فصارت بحرأ عظيماً وقد قربت عساكرنا من طاهر، فلو كان رأيه الهرب لما كان يتأخر إلى يومه هذا.»

قال : «اسكت فإن طاهراً ليس فى هذا الموضع الذى ترى وإنما تتحفظ الرجال إذا لقيت أقرانها وتستعدّ المناوى لها أكفاؤها ونظراؤها.»

استشارة طاهر

واستشار طاهر أصحابه لما قرب منه على، فأشاروا عليه أن يقيم بمدينة الرى ويدافع القتال [65] ما قدر عليه إلى أن يأتيه من خراسان المدد من الخيل ومن يتولى الحرب دونه وقالوا :

- «مقامك بمدينة الرى أرفق بك وبأصحابك وأقدر لهم على الميرة وأكن من البرد وأقوى لك على المماثلة والمطاولة إلى أن يأتيك مدد.» فقال طاهر :

- «إن رأى ليس ما رأيتم. إن أهل الرى لعلى هائبون ومن معرفته متقون، ولست آمن إن حاصرنا أن يدعوا أهلها خوفه إلى الوثوب بنا ومعاونته على قتالنا، مع أنه لم يكن قوم قط زوجموا فى ديارهم وتورد عليهم إلا وهنوا وذلوا واجترأ عليهم عدوهم. وما رأى إلا أن نصير مدينة الرى وراء ظهورنا فإن أعطانا الله الظفر وإلا عولنا عليها، فقاتلنا فى سككها وتحصنا بمنعتها إلى أن يأتينا مدد من خراسان.»

فقالوا : «الرأى ما رأيت.»

فنادى طاهر فى أصحابه فخرجوا فعسكروا على خمسة فراسخ من الرى، وأتاه محمد بن العلاء فقال له :

- «أيها الأمير، إن جندك قد هابوا هذا الجيش وامتلات قلوبهم خوفاً ورعباً منه. فلو أقمت حتى تشاءهم أصحابك ودافعت بالقتال إلى أن يأنسوا بهم ويعرفوا وجه المأخذ في قتالهم.»

فقال: «إني لا أوتي من تجربة وحزم، وإن أصحابي قليل والقوم عظيم سوادهم كثير عددهم. فإن دافعت بالقتال وأخرت المناجزة لم آمن أن يطلعوا على قلتنا وعورتنا وأن يستميلوا من معي برغبة أو رهبة فينفض عني أصحابي ويخذلني أهل الحفاظ والصبر ولكن ألف الرجال بالرجال وألحم الخيل بالخيول واعتمد على الطاعة والوفاء وأصبر، فإن يرزق الله الظفر والفالج فذلك الذي نريد ونرجو، وإن تكن الأخرى فليست بأول من قاتل فقتل وما عند الله أجزل وأفضل.»

وقال علي بن عيسى لأصحابه:

- «بادروا القوم، فإن عددهم قليل ولو قد زحفتهم إليهم لم يصبروا على حرارة السيوف ووقع السهام وطعن الرماح.»

وعباً^(١) جنده ميمنة وميسرة وقلباً وصيرها كثيفة عظيمة، ثم نصب عشر رايات في كل راية ألف رجل. [67] وقدم الرايات راية راية وصير بين كل راية وراية غلوة^(٢) وأمر أمراءها إذا قاتلت الراية الأولى فصبرت وجعت وطال بها القتال، أن تقدم التي تليها وتتأخر التي قاتلت، حتى ترجع إليها أنفسها وتستريح وتنشط للمحاربة والمعاودة.

ثم صير أصحاب الدروع والجواشن والخبره أمام الرايات. ووقف في القلب في غرر أصحابه أهل البأس والحفاظ والنجدة منهم، وكتب طاهر بن الحسين كتابه وجعلهم كراديس صفوفاً، وجعل يمر بقائد قائد وجماعة

١. الضبط في الأصل: عبى.

٢. الغلوة: مسافة بقدر رمية سهم، أبعد ما تقدر عليه.

جماعة ويقول :

- « يا أولياء الله ويا أهل الوفاء، إنكم لستم كهؤلاء الذين ترون من أهل الغدر والنكت. إن هؤلاء ضيعوا ما حفظتم ونكثوا الأيمان التي رعيتم. فلو قد غضضتم الأبصار وثبتم الأقدام لأنجزتم الله وعده، وفتح عليكم أبواب عزه ونصره. فجالدوا طواغيت الفتنة ويعاسيب النار، وادفعوا بحقكم باطلهم. فإنما هي ساعة حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين. »

وقلق قلقاً شديداً وحرص حرصاً عظيماً وجعل يقول :

- « يا أهل الوفاء والصدق والصبر، الصبر الصبر، الحفاظ الحفاظ. » [68]

فهو على ذلك حتى وثب أهل الرى فأغلقوا أبواب المدينة فنادى طاهر :

- « يا أولياء الله إشتغلوا بمن أمامكم عمن خلفكم فإنه لا ينجيكم إلا الجَدُّ

والصدق. »

ثم كان من أمرهم ما حكيناه قبل.

ولما ورد الخبر بغداد بقتل على بن عيسى كثرت الأراجيف ومشى القواد

بعضهم إلى بعض فقالوا :

- « إن علينا قد قُتل ولسنا نشك أن محمداً سيحتاج إلى الرجال واصطناع

الصنائع وإنما ترفع الرجال رؤوسها في وقت البأس. فليأمر كل رجل منكم

جنده بالشغب وطلب الأرزاق والجوائز، فلعلنا نصيب في هذه الحرّة^(١) منه

ما يصلحنا ويصلح جندنا. »

فاتفق رأيهم على ذلك وأصبحوا بباب الجسر، فكبروا وطلبوا الأرزاق

وبلغ الخبر عبد الله بن خازم، فركب في أصحابه وفي جماعة كثيرة من قواد

العرب فتراموا بالنشاب والحجارة واقتتلوا قتالاً يسيراً، وسمع محمد الضجة

١. الحرّة: كذا في الأصل وآ ومط: ما في الطبري (١١: ٨٢٥): الحالة. والحرّة: العذاب المرجع.

الظلمة الكثيرة. أو أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار.

والتكبير، فأرسل مَنْ يأتيه بالخبر فأعلمه أَنَّ الجند قد اجتمعوا وشغبوا لطلب أرزاقهم قال :

- «فهل يطلبون شيئاً غير ذلك ؟»

قال : « لا .»

قال : «فما أهون ما طلبوا. إرجع إلى عبد الله بن خازم فمُرّه أن ينصرف ويواقف [69] الناس على أن يبذل لهم أرزاقهم.»

فواقفهم على أرزاق أربعة أشهر ورفع من كان دون الثمانين إلى الثمانين^(١) وأمر للفقّاد والخواصّ بالصلاات والجوائز.

توجيه عبد الرحمان إلى همدان لحرب طاهر

وفى هذه السنة وجّه محمد المخلوع عبد الرحمن بن جبلة الأبنأوى إلى همدان لحرب طاهر، وانتخب عشرين ألف رجل من الأبناء فضّتهم إليه وحمل معه الأموال وقوّاه بالسلاح والخيّل وأجازه بجوائز وولّاه ما بين حلوان إلى ما غلب عليه من أرض خراسان، وأمره أن يسبق طاهر إلى همدان ويخندق عليه ويجمع إليه آلة الحرب، وبسط يده وتقدّم إليه فى التحفّظ والإحتراز وترك ما عمل به على من الإغترار والتضجيع.^(٢)

فتوجّه عبد الرحمن حتّى نزل همدان فضبط طرقها وحصّن سورها وأبوابها وسدّ ثلمها وحشر إليها الأسواق والصنّاع وجمع فيها الآلات والمير واستعدّ للقاء طاهر ومحاربته.

وقد كان يحيى بن على بن عيسى لمّا قُتل أبوه أقام بين الرىّ وهمدان وكان لا يمرّ به أحد من قُلّ أبيه إلّا احتبسه. وكان يرى أن محمداً يولّيه

١. انظر الطبرى (١١: ٨٢٦).

٢. ضجّ فى الأمر: قصّر فيه وتفقّد ولم يقم به.

مكان أبيه ويوجّه إليه الخيل والرجال. وكتب [70] إلى محمد يستمّده ويستنجده فأجابه محمد يعلمه توجيهه عبد الرحمن بن جبلة الأبنائى ويأمره بالانضمام إليه فيمن تبعه. ولما بلغ طاهراً خبر عبد الرحمن توجّه إليه، فلما قرب من يحيى، قال يحيى لأصحابه :

« هذا طاهر صاحبكم بالأمس، ولست آمن إن لقيته بمن معى أن يصدعنا صدعاً يدخل وهنه على من خلفنا، ويعتلّ عبد الرحمن بذلك ويقلّدنى به العار والعجز عند أمير المؤمنين. فإن أنا استنجدته لم آمن أن يمسك عنا، ضناً برجاله وإبقاءً عليهم. والرأى أن نتزاحف إلى مدينة همدان فنعسكر قريباً من عبد الرحمن فإن نحن استعناّه قرب منا عوناً وإن احتاج إلينا أعناّه وقاتلنا معه. »

قالوا: «الرأى ما رأيت.»

فانصرف نحو همدان. فلما قرب منها خذله أصحابه وتفرّقوا عنه وأشرف طاهر على مدينة همدان ونادى عبد الرحمن فى أصحابه، فخرجوا على تعبئة، فصادف^(١) طاهراً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان وكثر القتلى والجرحى فيهم. ثم إن عبد الرحمن انهزم ودخل همدان وأقام بها أياماً حتّى اندمل جراح أصحابه، وقبوا ثم أمر [71] بالاستعداد وزحف إلى طاهر. فلما رأى طاهر أعلامه وأوائل خيله قال لأصحابه :

« إن عبد الرحمن يتراءى لنا حتّى نقرب منه ثمّ يقاتلنا، فإن هزمناه بادر إلى المدينة فدخلها وقتلكم على خندقها وامتنع بسورها، وإن هزمنا اتسع له المجال. فهلّموا نقف له حتّى يقرب منا ويبعد من خندقه. »

فوقف طاهر مكانه وظنّ عبد الرحمن أنّ الهيبة بطأت به عن لقائه والنفوذ

١. كذا فى الأصل وآ ومط : فصادف. ما فى الطبرى : فصادف، ولكل من الضبطين وجه.

إليه. فبادر قتاله فاقتتلوا قتالاً شديداً وصبر أصحاب طاهر فجعل عبد الرحمان يقول :

- « يا معشر الأبناء يا أبناء الموت وألفاف السيوف، إنهم العجم وليسوا بأصحاب مطاولة ولا صبر، فاصبروا لهم فداكم أبى وأمى. »

وقاتل بيدنه قتالاً شديداً وحمل حملات منكرات، فلا يزول أحد من أصحاب طاهر. ثم إنَّ صاحباً لطاهر حمل على أصحاب عبد الرحمان فقتل صاحب علمه وزحمهم أصحاب طاهر زحمة شديدة، فولّوا، ووضعوا فيهم السيوف حتّى دخلوا همدان يقتلونهم ويأسرونهم. وأقام طاهر على باب المدينة محاصراً. فكان يخرج عبد الرحمن ويقاقل على أبواب المدينة ويرمى أصحابه من فوق السور، حتّى اشتدّ بهم الحصار [72] وتأذى بهم أهل المدينة وتبرّموا^(١) بالحرب والقتال، وقطع طاهر عنهم المادّة من كلّ وجه. فهلك أصحاب عبد الرحمن وتخوّفوا أن يشب بهم أهل همدان فأرسل عبد الرحمن إلى طاهر وسأله الأمان ولمن معه فأمنه^(٢) طاهر ووفى له.

واعتزل عبد الرحمن فى من كان معه من أصحابه وأصحاب يحيى، وطرّد طاهر عمّال محمد عن قزوين وسائر كور الجبال.

وفى هذه السنة قُتل عبد الرحمن بن جبلة الأبنائى بأسد آباد.

ذكر السبب فى مقتله

لَمَّا وَجَّهَ مُحَمَّدُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْأَبْنَائِي إِلَى هَمْدَانَ أَتْبَعَهُ بِعَبْدِ اللَّهِ وَأَحْمَدَ ابْنِي الْحَرْشِيِّ فِي خَيْلٍ عَظِيمَةٍ وَأَمْرَهُمَا أَنْ يَنْزِلَا قَصْرَ اللَّصُوصِ وَأَنْ يَسْمَعَا وَيَطِيعَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَيَكُونَا مَدَدًا لَهُ إِنْ أَحْتَاجَ إِلَيْهِمَا. فَلَمَّا خَرَجَ عَبْدُ

١. كذا فى الأصل وآ : وتبرّموا. ما فى مط : ويؤمنوا. وهو خطأ.

٢. كذا فى الأصل وآ. فى مط : فوافى منه. بدل «فأمنه».

الرحمان إلى طاهر في الأمان كان يُرى طاهراً وأصحابه أنه مسالم لهم راضٍ
بعهودهم.

ذكر غفلة من طاهر وإضاعة حزم

ثم اغترّهم وهم آمنون. فركب في أصحابه ولم يشعر طاهر وأصحابه
حتى هجموا عليهم^(١) [73] فوضعوا فيهم السيوف والنشّاب فثبت لهم رجالة
طاهر بالتراس والسيوف، وجثوا على الركب فقاتلوه كأشد ما يكون من
القتال. ولم تزل الرجالة تدافعهم إلى أن أخذت الفرسان عدتها وصدقوهم
القتال. فاقتتلوا قتالاً منكراً حتى تكسّرت السيوف وتقصّفت الرماح وهرب
معظم أصحاب عبد الرحمن فترجّل هو في ناس من أصحابه فقاتل حتى قتل
وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، واستبيح عسكره، وانتهى من أفلت من
أصحابه إلى عسكر عبد الله وأحمد ابني الحرشي. فدخلهم الوهن والفشل
وامتلأت قلوبهم خوفاً ورعباً. فولّوا منهزمين لا يلوون على شيء حتى
صاروا إلى بغداد.

وأقبل طاهر قد خلت له البلاد يحوز بلدة بلدة وكورة كورة، حتى نزل
بقرية من قري حلوان يقال لها: شلاشان، فخندق بها وحصّن عسكره.^(٢)

مركز تحقيق كاتبة علوم إسلامي

١. في آ: عليه.

٢. جاء هنا في مط: ثم النصف الأول تقريباً من تجارب الأمم ويتلوه النصف الثاني إن شاء الله تعالى. وكان الفراغ من ذلك في [الـ] عشر الآخر من شهر جمادى الآخرة من سنة أربع وتسعين ومائتين بعد ألف من الهجرة (سنة ١٢٩٤).

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

ثم إنَّ محمداً ندب أسد بن يزيد بن مزيد فاشتط^(١) عليه في طلب الأموال فحبسه، وندب عمه أحمد بن مزيد وعبد الله بن حميد بن قحطبة إلى حلوان لحرب طاهر. [74]

ذكر الخبر عن حبس أسد وسببه

قال أسد بن يزيد بن مزيد: بعث إليَّ الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمان بن جبلة، فأتيته، فلما دخلت إليه وجدته قاعداً في صحن داره وفي يده رقعة قد قرأها وقد احمرت عيناه واشتدَّ غضبه وهو يقول:

- «ينام نوم الظربان^(٢) وينتبه انتباه الذئب، همّه بطنه وفرجه تخاتل الرعاء والكلاب ترصده، ولا يفكر في زوال نعمة ولا يروى في إمضاء رأى ولا مكيدة، قد ألهمته كأسه وشغله قدحه، فهو يسجى في لهوه والأيام توضع^(٣) في هلاكه.»

ثم وصف عبد الله وتيقظه، وتمثل بشعر للبعيث، ثم التفت إليَّ فقال:

- «أبا الحارث أنا وإياك نجرى إلى غاية إن قصّرنا عنها دُمنّا وإن اجتهدنا في بلوغها انقطعنا، وإنا نحن شعب من أصلي إن قوى قوينا وإن ضعف ضعفنا. إنَّ هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء، يشاور النساء ويعول على الرؤيا، وقد أمكن مسامعه من أهل اللهو والخسارة فهم يعدونه الظفر ويمنّونه عُقَبَ الأيام. والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل،

١. كذا في الاصل وآ. في مط: فاشتدَّ.

٢. الظربان: حيوان في حجم القط، أغبر اللون مائل إلى السواد، رائحته كريهة منتنة.

٣. كذا في الأصل ومط وآ: إلا أن ما في آمهل.

وقد خشيت [75] أن نهلك بهلاكه وأنت فارس العرب وابن فارسها فزع إليك في لقاء هذا الرجل وأطعمه في ما قبلك أمران: أحدهما صدق طاعتك والآخر شدة بأسك. وقد أمرني بإزاحة علتك وبسط يدك في ما أحببت، غير أن الإقتصاد رأس النصيحة ومفتاح اليمن والبركة، فأنجز حوائجك وعجل المبادرة إلى عدوك، فإني أرجو أن يوليئك الله شرف هذا الفتح ويلم بك شعث هذه الخلافة والدولة.»

فقلت: «أنا لطاعة أمير المؤمنين - أعزه الله - وطاعتك مقدم، وعلى كل ما دخل به الوهن والذل على عدوكما حريص، غير أن المحارب لا يعمل بالغرور ولا يفتح أمره بالتقصير، وإنما ملاك المحارب الجنود وملاك الجنود المال وقد ملأ أمير المؤمنين أيدي من شهدة من العسكر، وتابع لهم الأرزاق والصلوات، فإن سرت بأصحابي وقلوبهم متطلعة إلى من خلفهم من إخوانهم، لم انتفع بهم في لقاء من أمامي، وقد فضل أهل السلام على أهل الحرب وجاز بأهل الدعة والحفض منازل أهل النصب والمشقة، والذي أسأل، أن يؤمر لي بما يقيمني ويقيم أصحابي [76] الذين تخرجونهم معي بما لا يتطلعون معه إلى ما خلفهم.»

قال: «وما هو؟»

قلت: «رزق سنة يطلق لأصحابي ويحمل معهم رزق سنة ويخص من لا خاصة له من أهل الغناء والبلاء، واحمل ألف رجل من أصحابي الذين معي على الخيل ولا أسأل عن محاسبة ما افتتحت من المدن والكور.»

فقال: «قد اشتطت^(١) ولا بد من مناظرة أمير المؤمنين.»

ثم ركب وركبت معه ودخل قبلي، ثم أذن لي فدخلت فما دار بيني وبين

١. كذا في الأصل والطبري (١١: ٨٣٥). وما في آ مهمل إلا في الأخير.

محمد إلا كلمتان حتى غضب وأمر بحبسى.

فذكر بعض خاصّة محمد أنّ أسداً اقترح على محمد أن يسلم إليه ولدى عبد الله المأمون حتى يكونا أسيرين فى يدى، فإن أعطانى الطاعة وألقى بيده وإلا عملت فيهما بحكمى فقال محمد:

- «أنت أعرابى مجنون تدعو إلى الخرق والتخليط وتقترح فوق قدرك.»
وأمر به فحبس.

ثم قال محمد:

- «هل فى بيت هذا من يقوم مقامه؟ فإننى أكره أن أستفسدهم مع سابقتهم وما تقدّم من طاعتهم ونصيحتهم.»

قالوا: «نعم فيهم أحمد بن مزيد عمّه وهو أحسنهم طريقة وأصلحهم نيّة وله مع هذا بأس ونجدة وبصر بسياسة [77] الجنود ومباشرة الحروب.»
فأنفذ إليه محمد يزيداً فأقدمه عليه. قال أحمد: فلما دخلت بغداد بدأت بالفضل بن الربيع، فقلت أسلم عليه وأستعين بمنزلته ومحضره عند محمد. فلما أذن لى دخلت وإذا عنده عبد الله بن حميد بن قحطبة وهو يريد على الشخصوص إلى طاهر وعبد الله يشتطّ عليه فى طلب المال والسلاح والإكثار من الرجال. فلما رآنى رحب بى وأخذ بيدي فرفعنى حتى صيرنى معه على صدر المجلس، ثم أقبل على عبد الله يمازحه ويداعبه، فتبسّم فى وجهه ثم قال:

إِنَّا وَجَدْنَا لَكُمْ إِذْ رَثَّ حَبْلُكُمْ مِنْ آلِ شَيْبَانَ أَمَّا دُونَكُمْ وَأَبَا
الْأَكْثَرُونَ إِذَا عُدَّ الْحَصَى عَدْدًا وَالْأَقْرَبُونَ إِلَيْنَا مِنْكُمْ نَسَبًا

فقال عبد الله:

- «إنهم لكذاك وإنّ فيهم لسدّ الخلل ونكّء العدو^(١)».

ثمّ أقبل علىّ الفضل فقال :

- «إنّ أمير المؤمنين أجرى ذكرك، فوصفتك له بحسن الطاعة وفضل

النصيحة والشدة على أهل المعصية، فأحبّ اصطناعك والتتويه [78] بك وأن

يرفعك إلى منزلة لم يبلغها أحد من أهل بيتك.»

ثمّ التفت إلى خادمه وقال :

- «مرّ بإسراج دوابي.»

فلم ألبث أن أسرجت له ومضى ومضيت معه حتّى دخلنا على محمد وهو

في صحن داره على سرير ساج، فلم يزل يدنيني حتّى كدت ألصقه، فقال :

- «إنّه قد كثر علىّ تخليط ابن أخيك وطال خلافه علىّ حتّى أوحشني

ذلك منه، وولّد في قلبي التهمة له وصيّرنى بسوء مذهبه وحنث طاعته إلى

أن تناولته من الأدب والحبس بما لم أكن أحبّ تناوله به، وقد ووصفت لى

بخير ونُسبت إلى جميل، وأحببت أن أرفع قدرك وأعلى منزلتك وأُقدّمك على

أهل بيتك وأولئك جهاد هذه الفئة الباغية وأعرّضك الأجر والثواب في قتالهم

ولقائهم، فانظر كيف تكون، وصحّح نيّتك وأعن أمير المؤمنين على اصطناعك

وتشريفك.»

فقلت : «سأبذل في طاعة أمير المؤمنين - أعزه الله - مهجتي وأبلغ في

جهاد عدوّه أفضل ما أمله عندي ورجاه من غنائى وكفائتى، إن شاء الله.»

فقال : «يا فضل، ادفع [79] إليه دفاتر أصحاب أسد، واضمم إليه من شهد

العسكر من رجال الجزيرة والأعراب.»

وقال لى :

١. نكأ العدو، وفي العدو: قتل فيهم وجرح وأثخن.

- « اكمش على أمرك وعجل المسير إلى عدوك. »

فخرجت، فانتخبت الرجال، فبلغت عدة من صححت اسمه عشرين ألف رجل. ثم توجهت بهم إلى حلوان.
وكان محمد وصاه فقال:

- « إياك والبغى، فإنه عقال النصر ولا تقدم رجلاً إلا باستخارة، ولا تُشهر سيفاً إلا بعد إعدار، وأحسن صحابة من معك وطالعي بأخبارك في كل يوم ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفة عندي ولا تستبقها^(١) في ما تتخوف رجوعها عليّ، وكن لعبد الله بن حميد أخاً مضافاً، أحسن صحبته ومعاشرته ولا تخذله إن استنصرك، ولا تبطئ عليه إن استصرخك، ولتكن أيديكما واحدة وكلمتكما متفقة. »

ثم قال:

- « سل حوائجك وعجل السراح إلى عدوك. »

فدعا له أحمد وقال:

- « يا أمير المؤمنين تكثر الدعاء لي ولا تقبل في قول باغ ولا ترفضني قبل المعرفة بموضع قدمي، ولا تنقض عليّ ما استجمع من رأي، ومن عليّ بالصفح عن ابن أخي. »

قال: « ذلك [80] لك. »

ثم بعث إلى أسد فحل قيوده وخلي سبيله.

فخرج أحمد بن مزيد في عشرين ألف رجل [من العرب، وعبد الله بن حميد في عشرين ألف رجل]^(٢) من الأبناء وقد وُصيا بالتواد والتحاب، فتوجهتا حتى نزلا قريباً من حلوان بموضع يقال له: خانقين، وأقام طاهر

١. كذا في الأصل وسط وآ. وفي الطبري (١١: ٨٣٩): ولا تستبقها.

٢. ما بين المعقوفتين ناقص في الأصل ومط، زدناه من آ.

بموضعه وخندق عليه.

ذكر ما احتال به طاهر عليهما حتى اختلفا

ثم إن طاهراً دس إليهما قوماً، فكانوا يأتون العسكرين جميعاً بالأخبار الباطلة والأراجيف الكاذبة بأن محمداً قد وضع العطاء لأصحابه وقد أمر لهم من الأرزاق بكذا وكذا، ولم يزل يحتال في وقوع الاختلاف والشغب بينهم حتى اختلفوا، وقاتل بعضهم بعضاً، فأخلوا خائقين ورجعوا عنها من غير أن يلقوا طاهراً.

وتقدم طاهر حتى نزل حلوان، فلم يلبث طاهر بعد دخوله حلوان إلا يسيراً حتى أتاه هرثمة بن أعين بكتاب المأمون والفضل بن سهل يأمرانه بتسليم ما حوى من المدن والكور إليه والتوجه إلى الأهواز وفتحها. فسلم ذلك إليه وأقام هرثمة بحلوان فحصنها ووضع مسالحه ومراصده في طرقها وجبالها. [81]

وتوجه طاهر إلى الأهواز.

المأمون يتسمى أمير المؤمنين

وفي هذه السنة لما انتهى إلى المأمون قتل علي بن عيسى، تسمى بأمير المؤمنين وسلم عليه الفضل بذلك، وصح عنه الخبر بقتل طاهر عبد الرحمان بن جبلة الأبنواوى وغلبته على عسكره، فدعا الفضل بن سهل وعقد له على المشرق من جبل همدان إلى جبل سقنان^(١) والتبّت طولاً ومن بحر فارس إلى بحر الديلم [وجرجان]^(٢) عرضاً وجعل له عماله ثلاثة آلاف

١. كذا في الأصل. وما في الطبري (١١: ٨٤١) : سقينان.

٢. زيادة من آ والطبري (١١: ٨٤١).

وعقد له لواءً على سنان ذى شعبتين وسقاه ذا الرئاستين.

الأمين يولّي عبد الملك الشام

وفى هذه السنة ولّى محمد الأمين عبد الملك بن صالح بن عليّ الشام.

والسبب فى ذلك

وكان السبب فى ذلك أنّ طاهراً لمّا قوى واستعلى أمره وهزم قوّاد محمد وجيوشه، دخل عبد الملك بن صالح على محمد وقد كان عبد الملك محبوساً فى حبس الرشيد، فأطلقه محمد، وكان عبد الملك يشكر ذلك لمحمد، ويوجب به على نفسه طاعته ومحبّته، فقال :
- « يا أمير المؤمنين. »

ذكر الرأى الذى أشار به عبد الملك

إنّى أرى الناس قد طمعوا فيك وأهل العسكر قد اغتمزوا بذلك، وقد بذلت سماحتك [82] فإن أتممت على عادتك أفسدتهم وأبطرتهم، وإن كفت يدك عن العطاء أسخطتهم وأغضبتهم، وليس تملك الجنود بالإمساك ولا تبقى بيوت المال على الإنفاق والسرف، ومع هذا فإنّ جنّدك قد أربعتهم الهزائم وأضعفتهم الحروب وامتلأت قلوبهم هيبة لعدوّهم ونكولاً عن لقائهم، فإن سيّرتهم إلى طاهر غلب بقليل من معه كثيرهم وهزم بقوة نيّته ضعف نيّاتهم، وأهل الشام قوم قد ضرّستهم الحروب وأدبّتهم الشدائد، وجلّهم منقاد لى مسارع إلى طاعتي، فإن وجهنى أمير المؤمنين اتخذت له منهم جنداً تعظم نكايتهم فى عدوّه.

فقال محمد :

- «فإني موليك ومقومك بما سألت من مالٍ وعدّة، فعجّل الشخصوخ إلى ما هناك واعمل عملاً يظهر أثره واحمد بركة نظرك فيه.»
 فولّاه الشام واستحثّه استحثاثاً شديداً ووجه معه كثيفاً من الجند.
 فلما قدّم عبد الملك الرقة أرسل كتبه ورسله إلى رؤساء أجناد الشام ووجوه الجزيرة، فلم يبق أحد ممن يُرجى ويذكر بأسه وغناؤه^(١) إلا وعده وبسط أمله. فقدموا عليه رئيس بعد رئيس وفوج بعد فوج فأجازهم [83] وخلع على كلّ من قصده ووصله، وأتاه زواquil الشام والأعراب من كلّ فجٍّ، فاجتمعوا وكثروا.

ذكر اتفاق سيء

واتفق أن بعض جند خراسان نظر إلى دابة كانت أخذت منه في وقعة سليمان بن أبي جعفر تحت بعض الزواquil، فتعلّق بها وتصايحا^(٢)، واجتمعت جماعة من الزواquil والجند، فأعان كلّ فريق منهم صاحبه وتضاربوا بالأيدي ومشى الأبناء بعضهم إلى بعض وقالوا:

- «إن صبرنا لهم ركبونا بمثل هذا كلّ يوم.»

واستعدّوا، وأتوا الزواquil وهم غارّون، فوضعوا فيهم السيوف وذبحوهم في رحالهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وتنادى الزواquil، فركبوا ونشبت الحرب، وبلغ عبد الملك فأنفذ رسولاً يأمرهم بالكفّ ووضع السلاح، فرموه بالحجارة وأبلغ عبد الملك من قتل من الزواquil وأنهم خلق كثير مطرّحون وكان مريضاً فضرب بيدٍ على يدٍ ثمّ قال:

- «واذلّاه، تستضام العرب في دورها وبلادها وتقتل هذه المقتلة.»

١. في آ: عناؤه (بإهمال الأول).

٢. في مط: وتصالحا.

فغضب من كان أمسك عن الشرّ وتفاقم الأمر، فنادى الناس [84] وقالوا:
 - «الهرب أهون من العطب والموت أهون من الذلّ، النفير النفير قبل أن
 ينقطع الشمل^(١) ويفوت المطلب ويعسر المهرب.»
 وقام رجل من كلب فقال:

شؤبوبُ حربٍ خابَ مَنْ يصلّاها قد شَرَّعت فرسانُها قناها
 فأورد الله لظي قناها إن غُمرت كلبٌ بها لحاها

ثمّ نادى:

- «يا معشر كلب، إنّها الراية السوداء، والله ما ولّت ولا ذلّ ناصرها،
 وإنكم لتعرفون مواقع سيوف خراسان في رقابكم، فاعتزلوا الشرّ قبل أن
 يعظم، وتخطّوه قبل أن يضطرم.

أيّها الناس شامكم شامكم، داركم داركم، الموت الفلستيني خير من
 العيش الجزري^(٢)، ألا أنّي راجع، فمن أراد الإنصراف فليصرف معي.»
 وسار معه أهل الشام وأقبلت الزواquil حتّى أضرّموها ما كان جمعه التجار
 من الأعلاف بالنار وتفرّق ذلك العسكر.

ثمّ اتفق موت عبد الملك بن صالح في تلك الأيام فلم يبق لذلك الجند
 أثر.

خلع الأمين ومبايعة المأمون ببغداد

وفي هذه السنة خلع محمد بن هارون الأمين وأخذت البيعة لأخيه عبد

١. في الطبري (١١: ٨٤٤): السبيل.

٢. كذا في الأصل: الجزري، وما في آ مهمل تماماً، في مط: الحوري.

الله المأمون ببغداد [85] وحُبس محمد في قصر أبي جعفر مع أمّ جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر وهي زبيدة.

ذكر السبب في ذلك

لَمَّا توفّي عبد الملك بن صالح بالرقّة نادى الحسين بن عليّ بن عيسى بن ماهان في الجند، فصيّر الرّجالة في السفن والفرسان في الظهر، ووصلهم وقوى ضعفاءهم، ثمّ حملهم حتّى أخرجهم من بلاد الجزيرة وذلك في سنة ستّ وتسعين ومائة.

فلَمَّا وصلوا إلى بغداد تلقّاه الأبناء بالكرمة والتعظيم، وضربوا له القباب واستقبله الرؤساء وأهل الشرف ودخل منزله في أفضل كرامة وأحسن هيئة. فلَمَّا كان في جوف الليل بعث إليه محمد يأمره بالركوب إليه، فقال للرسول: - «ما^(١) أنا بمُغنٍّ ولا مُضحكٍ ولا صاحب خسارة^(٢) ولا جرى له على يدى مال ولا وليت له ولاية، فلايّ شيءٍ يريدنى في هذه الساعة؟ أنصرف، فإذا أصبحتُ غدوت إليه إن شاء الله.»

فأنصرف الرسول وأصبح الحسين، فوافي باب الجسر واجتمع إليه الناس، فأمر بإغلاق الباب الذى يخرج منه إلى قصر عبيد الله بن عليّ وباب سوق يحيى. ثمّ قال: *مكتبة جامعة طهران*

- «يا معشر [86] الأبناء، اسمعوا مني أنّ خلافة الله لا تتجاوز بالبطر، ونعمته لا تستصحب بالتجبر، وأنّ محمداً يريد أن يوقع أديانكم وينكث بيعتكم، وهو صاحب الزواويل بالأمس، أراد أن ينقل عزّكم، إلى غيركم وبالله لئن طالت به مدّة ليرجعنّ وبال ذلك عليكم. فاقطعوا أثره قبل أن يقطع

١. في آ: والله ما أنا..

٢. كذا في الاصل: خسارة. في آ: جسارة.

آثاركم، وضعوا عزّه قبل أن يضع عزّكم، فوالله لا ينصره منكم ناصر إلاّ ذلّ ولا يمنعه مانع إلاّ قُتل، وما لأحدٍ عند الله هودة ولا راقب على الإستخفاف بعهوده والختر بأيمانه.»

ثمّ أمر الناس بعبور الجسر فعبروا واجتمعت الحربية وأهل الأرباض وتسرّعت إليه خيول محمد فاقتتلوا، وأمر الحسين من كان معه من خواصّ أصحابه بالنزول فنزلوا وصدقوا القتال حتّى كشفوهم. فخلع الحسين محمداً يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من رجب سنة ست وتسعين ومائة، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون من غد يوم الإثنين إلى الليل وغدا إلى محمد يوم الثلاثاء.

إخراج محمد من قصر الخلد وما جرى على أمّ جعفر

وقد كان العباس بن موسى الهاشمي قد دخل على محمد، فأخرجه من قصر الخلد إلى قصر أبي جعفر وحبسه هناك. وكذلك [87] فعل بأمّ جعفر. فأبت أن تخرج فقتّعها بالسوط وسيّها وأغلظ لها في القول، حتّى [أ] جلست^(١) في محفّة^(٢) وأدخلت مع ابنها، المدينة فلمّا أصبح الناس طلبوا من الحسين الأرزاق وماج الناس بعضهم في بعض فقام محمد بن أبي خالد بباب الشام فقال :

«أيّها الناس والله ما أدري بأيّ سبب تأمر الحسين بن عليّ علينا وتولّى هذا الأمر دوننا. ما هو بأكبرنا سنّاً ولا أكرمنا حسباً ولا أعظمنا غناءً وفيما

١. في الأصل وآ ومط : جلست. والتصحيح منا بقرينة ما في الطبري (٨٤٧:١١).

٢. كذا في الأصل وآ ومط : محفّة. والمحفّة : سرير يحمل عليه المريض أو المسافر، ويسمّى : تخت روان.

من لا يرضى بالدنية ولا ينقاد للمخادعة. وإني أول من نقض عهده وأنكر فعله فمن كان رأيه رأيي فليعتزل.»

وقام كل رئيس قوم فتكلم وأنكر خلع محمد وأسرّه.

وأقبل شيخ كبير على فرس فصاح بالناس :

- «اسكتوا.»

فسكتوا. فقال :

- «أيها الناس هل تعتدّون على محمد بقطع منه لأرزاقكم؟»

قالوا : «لا.»

قال : «فهل قصّر بأحدٍ من رؤسائكم؟»

قالوا : «لا.»

قال : «فهل عزل أحداً من قوادكم عن قيادته؟»

قالوا : «لا.»

قال : «فما بالكم خذلتموه حتّى خلع وأسر؟ أما والله ما قتل قوم خليفتهم

إلا سلّط الله عليهم السيف القاتل والحتف الجارف. انهضوا إلى خليفتكم [88]

فادفعوا عنه وقاتلوا من أراد خلعهُ والفتك به.»

مركز تحقيق كتاب الحريّة يناهضون الحسين بن عليّ

ويحرّرون محمداً من الأسر

ثم نهضت الحريّة ونهض معهم عامّة أهل الأرباض في العدة الحسنّة،

فقاتلوا الحسين بن عليّ وأصحابه قتالاً عظيماً شديداً منذ ارتفاع النهار إلى

انكسار الشمس، حتّى هزموهم وأسروا الحسين بن عليّ. ودخل أسد الحربى

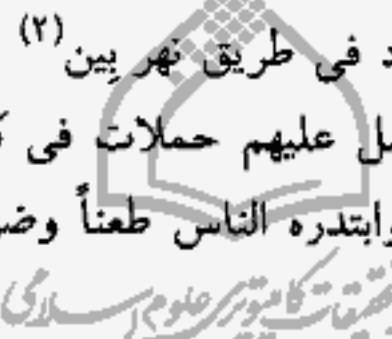
على محمد فكسر قيوده وأقعده فى مجلس الخلافة. فنظر محمد إلى قوم

ليس عليهم لباس الجند ولا عليهم سلاح، فأمرهم حتّى أخذوا السلاح من

الخزائن قدر حاجتهم وانتهب الغوغاء بذلك السبب سلاحاً كثيراً ومتاعاً آخر،
 وأتى بالحسين بن عليّ أسيراً، فلامه محمد ووبّخه وقال :
 - « ألم أقدم أباك على الناس وأولّه أعنة الخيل ؟ ألم أملأ يده من الأموال ؟
 ألم أشرف أقداركم وأرفعكم على غيركم من القواد ؟ »
 قال : « بلى . »

قال : « فما استحققت منك أن تخلع طاعتي وتؤلب^(١) الناس عليّ ؟ »
 قال : « خذلان الله يا أمير المؤمنين وأنت أكرم من عفا وصفح وتفضل . »
 قال : « فإنّ أمير المؤمنين قد فعل ذلك بك، فعليك بشار أبيك ومن قُتل من
 أهل بيتك، فقد وليتك ذلك . »

ثم دعا [89] بخلعة فخلعها عليه وحمله على مراكب وولاه، وهنّاه
 الناس. ثمّ خرج مع نفر من خاصّته ومواليه حتّى عبر الجسر ووقف حتّى
 خفّ الناس، ثمّ قطع الجسر وهرب.

فنادى محمد في الناس فركبوا في طلبه فأدركوه بمسجد كوثر على
 فرسخ من بغداد في طريق نهر بين^(٢) فلما بصر بالخيّل نزل فتحرّم وصلى
 ركعتين، ثمّ حمل عليهم حملات في كلّها يهزمهم ويقتل منهم. ثمّ عثر به
 فرسه، فسقط وابتدره الناس طعناً وضرباً حتّى قتلوه. فقال عليّ بن جبلة
 الحرّبي :  مركز تحقيق تكملة ترمذ علوم اسلامی

ألا قاتل الله الأولى كفروا به وفازوا برأس الهزئعيّ حسين
 لقد أودوا^(٣) منه قناةً صليبةً يشطب يمانئ ورُمح رُدَيْن

١. كذا في الأصل وآ والطبري (٨٤٩:١١) تؤلب. وفي مط : تقلّب.

٢. نهر بين : من نواحي بغداد. (مراصد الإطلاّع)

٣. في الطبري (٨٥١:١١) : أوردوا.

رَجَا فِي خِلافِ الْحَقِّ عِزًّا وَإِمْرَةً فَالْبَسَهُ التَّأْمِيلُ خُفًّا حُنَيْنٍ

قتل محمد بن يزيد المهلبى

وفى هذه السنة رحل طاهر بن الحسين، حين قدم عليه هرثمة، من حلوان إلى الأهواز، فقتل عامل محمد عليها، وكان عامله محمد بن يزيد بن حاتم المهلبى. [90]

وكان السبب فى ذلك

أنَّ محمد بن يزيد المهلبى جمع جيوشاً كبيرة حين توجه إليه طاهر وأقبل حتّى نزل سوق عسكر مُكرم وصيّر العمران والماء وراء ظهره. وخاف طاهر أن يعجل إلى أصحابه بجمعهم وسار بتعبته، فجمع محمد بن يزيد أصحابه وقال :

- « ما ترون، أطاول القوم وأماطلهم اللقاء، أم أناجزهم كانت لى أم على ؟ فوالله ما أرجع إلى أمير المؤمنين أبداً ولا أنصرف عن الأهواز. »

فقالوا : «الرأى أن ترجع إلى الأهواز فتحصن بها وتغادى طاهراً اللقاء وتراوجه، وتبعث إلى البصرة فتفرض بها الفرض وتستجيش بمن قدرت عليه من قومك. »

فقبل ما أشاروا به عليه وتابعه قومه. فرجع إلى سوق الأهواز. فحرص طاهر أن يسبقه إليها قبل أن يتحصن بها فلم يقدر على ذلك. وسبق محمد بن يزيد إلى المدينة فدخلها وأسند إلى العمران وعبأ أصحابه ودعا بالأموال فصبت بين يديه، وقال لأصحابه :

- « من أراد منكم الجائزة والمنزلة فليعرّفنى أثره. »

وقاتل الناس بين يديه حتّى تراّدوا وراءهم محمد بن يزيد [91] منهزمين

فقال محمد بن يزيد لنفر كانوا معه من مواليه :

- « ما ترون ؟ »

قالوا : « فى ماذا ؟ »

قال : « أرى مَنْ معى قد انهزم، ولست آمل رجعتهم ولا آمن خذلان مَنْ بقى، وقد عزمت على النزول والقتال حتى يقضى الله ما هو قاضٍ، فمن أراد منكم الإنصراف فلينصرف. »

فقالوا : « والله ما أنصفناك إذاً، أعتقتنا من الرق ورفعتنا من الضعة وأغنيتنا بعد القلة لننصررك وقت الشدة ثم نخذلك على هذه الحال ؟ بل نتقدم أمامك ونموت تحت ركابك فلن الله الدنيا بعدك. »

ثم نزلوا فعرقبوا دوابهم وحملوا على أصحاب طاهر، وكان المتولى لقتاله قريش بن شبل، فأكثروا فيهم القتل، وانتهى بعض أصحاب قريش^(١) إلى محمد بن يزيد فطعنه بالرمح فقتله.

فحكى الهيثم بن عدى قال : دخل ابن أبى عيثة المهلبى على طاهر فأنشده قوله :

مَنْ آنسَتْهُ الْبِلَادُ لَمْ يَرِمْ مِنْهَا وَمَنْ أَوْحَشَتْهُ لَمْ يُقِمِ
حتى انتهى إلى قوله :

ما ساءَ ظَنُّنِى إِلَّا لِوَأَحَدٍ فِى الصَّدْرِ مَحْصُورَةٍ عَنِ الْكَلِمِ [92]
فتبسّم طاهر ثم قال :

- « أما والله لقد ساءنى من ذلك ما ساءك وآلمنى منه ما آلمك، ولقد كنت كارهاً لما كان، غير أن الحتف واقع والمنايا نازلة، ولا بدّ من قطع الأواصر والتنكّر للأقارب فى تأكيد الخلافة والقيام بحقّ الطاعة. »

١. فى الطبرى (١١: ٨٥٤) : أصحاب طاهر. آ ومط كالأصل.

قال : فظننا أنه يريد محمد بن يزيد [بن] ^(١) حاتم.

وأقام طاهر بالأهواز حتى أنفذ عماله إلى كورها، وولى اليمامة والبحرين وعمان ممّا يلي الأهواز وممّا يلي البصرة، ثم توجه على طريق الهرّ إلى واسط، فجعلت المسالح تقوّض مسلحة مسلحة وعاملاً عاملاً، كلما قُرب منهم طاهر تركوا أعمالهم وهربوا حتى دخل واسط، ووجه قائداً من قواده يقال له : أحمد بن المهلب، نحو الكوفة وعليها يومئذ العباس بن موسى الهادي. فلما بلغه توجه خيل طاهر إليه، خلع محمداً وكتب بطاعته وبيعته إلى طاهر. ثم كتب منصور بن المهدي وكان عاملاً لمحمد على البصرة إلى طاهر بطاعته. ثم كتب إليه المطلّب بن عبيد الله - وكان بالموصل - بيعته للمأمون وخلعه محمداً، فأقرهم طاهر على ولاياتهم وأعمالهم وكان طاهر نازلاً جَرْجَرَايا ^(٢) ولما رآها قال :

- «نعم موضع [93] العسكر».

وعقد بها جسراً وخندق. فلما وردت عليه كتب أهل هذه المدائن بالتسليم سار منها إلى نهر صَرْصَر، وعقد بها جسراً وأخذ أصحاب طاهر المدائن.

فحكى أن طاهراً لما توجه إلى المدائن كان فيها خيل كثيرة لمحمد وعليهم البرمكي، قد تحصّن بها والمدد يأتيه في كل يوم والصلات والخلع. فلما قُرب طاهر منها قدّم قريش بن شبل على مقدّمته. فلما سمع أصحاب البرمكي طبوله أسرجوا الدواب، وأخذ البرمكي في تعبئة الرجال وجعل من في أوائل الناس ينضمّ إلى آخرهم، فبرّدهم البرمكي ويسوى صفوفه، فكلما

١. ما بين المعقوفتين ناقص في الأصل، أضفناه من آ، ومط والطبري (٨٥٥:١١).

٢. بلد من أعمال النهران الأسفل، بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي كانت مدينة خربت مع ما خرب من النهروانات. (مرصد الإطلاع)

سوى صفّاً انتقض عليه. فقال :

- «اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان.»

ثم التفت إلى صاحب ساقته وقال :

- «خلّ سبيل الناس فإنّي أرى جنداً لا خير عندهم.»

فركب بعضهم بعضاً نحو بغداد^(١) ونزل طاهر المدائن وقدم قريش بن شبل والعباس بن بخاراخذه إلى درزيجان وكان نصر بن منصور بن نصر بن مالك^(٢)، وأحمد بن سعيد الحرشي معسكرين بنهر دىالى، فمنا أصحاب البرمكى من الجواز إلى بغداد وتقدم طاهر حتّى صار إلى الدّريجان [94] حيال نصر وأحمد، ثمّ سَير إليهما الرجال فى السفن للقتال، فلم يجز بينهم كبير قتال حتّى انهزموا، وأخذ طاهر نحو ذات اليسار إلى نهر صرصر فعقد بها جسراً ونزلها.

خلع محمد فى مكّة والمدينة

وفى هذه السنة خلع داود بن عيسى بن موسى عامل مكّة والمدينة محمداً وباع المأمون، وأخذ البيعة بهما على الناس، وكتب بذلك إلى طاهر بن الحسين. ثمّ خرج بنفسه.

مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي

ذكر السبب فى ذلك

كان سبب ذلك أنّ محمداً كتب إلى داود بن عيسى بخلع عبد الله المأمون والبيعة لابنه موسى، وبعث بجند^(٣) إلى الكتابين اللذين كتبهما هارون

١. الحرف الأخير من «بغداد» يأتي مهملأ فى موضع، ومعجمأ فى موضع آخر، من هذا الكتاب.

٢. فى الأصل : ملك. فى آ والطبرى (١١: ٨٦٠) : مالك.

٣. كذا فى الأصل وآ. فى الطبرى (١١: ٨٦١) : محمد. بدل «بجند».

وعلقهما في الكعبة، فأخذهما. فلما بلغه في هذا الوقت غلبة طاهر على البلاد وقتله من قتل، جمع الحجة حجة الكعبة، وأهل الشرف والفقهاء، فذكّرهم عهد الرشيد إليهم والمواثيق التي أخذها عند بيت الله الحرام عليهم حين بايع لابنيه: لنكوننّ مع المظلوم منهما على الظالم. ثم قال:

- «قد رأيتم محمداً كيف بدأ بالظلم والبغى على أخويه وكيف بايع لابنه وهو طفل رضيع لم يُفطم، [95] واستخرج الكتائب من الكعبة غاصباً ظالماً فحرّقهما بالنار، وقد رأيتم خلعهم ومبايعة عبد الله المأمون بالخلافة، إذ كان مظلوماً مبغياً عليه.»

فقال القوم بأجمعهم:

- «رأينا رأيك.»

فوعدهم صلاة الظهر وأرسل إلى فجاج مكة صائحاً يصيح:

- «الصلاة جامعة.»

فلما اجتمع الناس صلى بهم الظهر، وكان وُضع له المنبر بين الركن والمقام، فصعده، وكان داود فصيحاً جهيراً فخطب خطبة حسنة ذكّرهم فيها بالشرف والقدمة، وأنّ المسلمين وفود الله إليكم وبكم تأتمّ الناس، ثمّ ذكّرهم عهد الرشيد وما جرى في الكتائب، وعظّم عليهم الأمر ودعاهم إلى خلع محمد، والبيعة للمأمون، وقال:

- «إنّي قد خلعت محمداً كما خلعت قلنسوتي هذه. - ورمى بها عن رأسه إلى بعض الخدم تحته، وكانت من بُرد^(١) حبرة^(١) حمراء مسلسلة وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها - وقد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين، ألا تقوموا إلى البيعة.»

١. في الطبري (٨٦٢:١١): من برود جرة. في آ: من برد جرة حمراء. وفي مط: من برد حيرة حمراء.

فصعد إليه مَنْ قرب من الوجوه والأشراف رجلٌ رجلٌ^(١) إلى وقت العصر، ثم نزل وصلى بالناس وجلس ناحية [96] وتتابع الناس عليه جماعةً جماعةً يقرأ كتاب البيعة ويصافحونه.

فعل ذلك ألياماً وكتب إلى ابنه سليمان بن داود وكان خليفته على المدينة يأمره أن يفعل بالمدينة كما فعل هو بمكة، ثم رحل يريد المأمون بمرو، فمر على البصرة، ثم على فارس، ثم على كرمان حتى صار إلى المأمون بمرو، فسُرَّ به المأمون وتيمّن ببركة مكة والمدينة، وكتب إليهم كتاباً لطيفاً يعدم فيه الخير، وأمر أن يكتب لداود عهدان على مكة والمدينة وأعمالهما وزيد ولاية عكّ، وعقد له على ذلك ثلاثة ألوية، وكتب له إلى الري بمعونة خمسمائة ألف درهم.

وورد داود ومَنْ معه بغداد فنزل على طاهر بن الحسين، فأكرمه وقربه، ووجه معه يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، وعقد له طاهر على ولاية اليمن، وبعث معه خيلاً كثيفة، وكان ضمن له يزيد بن جرير أن يستميل قومه وعشيرته من ملوك اليمن حتى يخلعوا محمداً ويبايعوا المأمون، وساروا جميعاً. فأقام داود على عمله بمكة ومضى يزيد بن جرير إلى اليمن، فدعا أهلها إلى البيعة للمأمون وخلع محمد وقرأ عليهم كتاب طاهر وأعلمهم عدل المأمون وإنصافه [97] ووعدهم ومناهم، فأجابته أهل اليمن واستبشروا فسار فيهم يزيد بأحسن سيرة وكتب باجابتهم وبيعتهم. وفي هذه السنة عقد محمد نحو أربعمئة لواء لقوادٍ شتى، وأمر على جميعهم عليّ بن محمد بن عيسى بن نهيك وأمرهم بالمسير إلى هرثمة بن أعين. فساروا فالتقوا بجُلُلتنا^(٢) فهزمهم هرثمة وأسر عليّ بن محمد بن نهيك

١. كذا في آ بالتكرار والرفع. وفي الطبري (٨٦٢:١١): رجل فرجل.

٢. من قرى النهروان، أو من نهر جلولا. بطريق خراسان انظر: مرصد الإطلاع.

وبعث به هرثمة إلى المأمون وزحف هرثمة فنزل النهروان.

استثمان جماعة من أصحاب طاهر إلى محمد

واستأمن إلى محمد جماعة من أصحاب طاهر، ففرّق محمد فيهم مالا عظيماً وقوّد منهم جماعة وغلّل لحاهم بالغالية فسّموا قوّاد الغالية. وكان سبب استثمان أصحاب طاهر ما كان يبلغهم من عطاء محمد وبذله الأموال والكسّى. فخرج من عسكر طاهر نحو من خمسة آلاف رجل من أهل خراسان فسّرت بهم محمد، ووعدهم ومثّاهم وأثبت أسماءهم في الثمانين، ودسّ محمد إلى أصحاب طاهر، وفرّق فيهم الجواسيس وأطعمهم، فشغبوا على طاهر، وراسل طاهر عيونه وجواسيسه ببغداد بأن يُغري أصاغرهم بأكابريهم، لأنّه فرّق في الأكابر خاصّة مال، فشغبوا على محمد.

ثمّ أخرج محمد المستأمنة [98] مع خلق كثير - ومع كلّ عشرة أنفس منهم طبل - إلى طاهر، فأرعدوا وأجلبوا^(١) حتّى أشرفوا على نهر صرصر فعبّى طاهر أصحابه كراديس وجعل يمرّ على كردوس كردوس فيقول:

- «لا يغرتكم كثرة من ترون، فإنّ النصر مع الصدق والفلح مع الصبر.»

ثمّ أمرهم بالتقدّم، فصبر الفريقان ثمّ انهزم أهل بغداد وانتهبهم أصحاب طاهر، ثمّ كثر الشغب على محمد ونقب أهل السجون سجونهم وخرجوا، وفُتن الناس، ووثب على أهل الصلاح الدّعار والشطّار، فعزّ الفاجر وذلّ المؤمن واختلّ الصالح وساءت حال الناس، إلّا من كان في عسكر طاهر، لتفقّده الأمور، وغادى القتال وراوحوه حتّى خربت بغداد، وتواكل الفريقان وقاتل الأخ أخاه والابن أباه واحترب الناس^(٢).

١. والعبارة في الطبري (٨٦٥:١١): فأرعدوا، وأبرقوا، وأجلبوا، ودبّوا.

٢. احترب الناس: أوقدوا نار الحرب.

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة
محاصرة طاهر وهرثمة وزهير
بن المسيّب محمداً ببغداد

وفى هذه السنة حاصر طاهر وهرثمة وزهير بن المسيّب محمداً ببغداد.
أما زهير فنزل قصرأ برقة كلواذى ونصب المجانيق والعرادات واحترق
الخنادق، وكان إذا اشتغل الجند بحرب طاهر يرمى بالعرادات من أقبل ومن
أدبر ويعشر أموال [99] التجار ويجتبي السفن. وأذى الناس وبلغ منهم كل
مبلغ وبلغ أمره طاهراً وأتاه الناس فشكوا ما نزل بهم من زهير، ثم قصده
الناس بالحرب وبلغ ذلك هرثمة فأمدّه بالجند وقد كاد يؤخذ، فأمسك عنه
الناس.

وأما هرثمة فنزل نهر بين وجعل عليه خندقاً وحائطاً، وأعد المجانيق
والعرادات،

وأُنزل طاهر عبيد الله بن الوضّاح الشماسية. وأما طاهر فنزل البستان الذى
بباب الأنبار.

فذكر عن الحسين الخليع - وكان ينادم محمداً - أنه قال: لما نزل طاهر
البستان الذى بباب الأنبار دخل محمداً أمر عظيم وضاق به ذرعاً، وكان
فرّق ما فى يده من الأموال، فأمر ببيع كل ما فى الخزائن وضرب آنية الفضة
والذهب دنانير ودراهم يفرّق فى أصحابه وفى نفقاته.

واستأمن إلى طاهر سعيد بن مالك^(١) بن قادم، فولّاه ناحية من الأسواق
وشاطئ دجلة وما اتصل به أمامه إلى جسور دجلة وأمر بحفر الخنادق وبناء

١. فى الأصل ملك. فأثبتنا كما فى آ ومط والطبرى (١١: ٨٧٠): مالك.

الحيطان من كل ما غلب عليه من الدور والدروب، وأمدّه بالنفقات والفَعْلَة والفرسان والسلاح فكثُر الخراب والهدم [100] حتّى درست محاسن بغداد، وأرسل إلى أهل الأرباض من طريق الأنبار وباب الكوفة وما يليها، فكلّما أجابه أهل ناحية خندق عليهم ووضع مسالحه وأعلامه، ومن أبى إجابته والدخول فى طاعته ناصبه وقاتله وأحرق منزله، وفعل ذلك قوّاده وفرسانه وربّالته حتّى أوحشت بغداد. وقال الشعراء فى ذلك شيئاً كثيراً لم نجد فيه ما نختاره فتركناه.

وسمّى طاهر الأرباض التى خالفته سكانها ومدينة أبى جعفر والشرقية وأسواق الكرخ والخلد وما والاها: دار النكت، وقبض ضياع من لم ينبجز إليه من بنى هاشم والقوّاد والموالى وغلاتهم، حيث كانت من عمله فذلّوا وانكسروا، وتواكلت الأجناد عن القتال إلّا باعة الطريق والعراة وأهل السجون والأوباش والطارين.

وكان الأمين قد تقدّم إلى خالد بن أبى الصقر والهرش بإباحتهم النهب والإستعانة بهم على قتال طاهر. وكان محمد بن عيسى بن نهيك صاحب شرطة محمد يقاتل مع الأفارقة وأهل السجون والأوباش، وكان محمد بن عيسى غير مدهن فى أمر محمد وكان مهيباً فى الحرب [101] وكان من يجرى مجراه من أصحاب محمد على أفراهمرد، وكان موكّلاً بقصر صالح وسليمان بن أبى جعفر وفى يده مجانيق وعزّادات يحفظ بها ما فى يده من تلك النواحي إلى حدّ الجسور، فأمر الباعة والغوعاء والعراة باتخاذ تراسٍ من البوارى وبالرمى بالمقاليع وما أشبهها، فكانوا يقاتلون ويؤثرون فى أصحاب طاهر وهرثمة، ومحمد قد أقبل على اللهو والشرب ووكل الأمر كلّها إلى محمد بن عيسى بن نهيك وإلى الهرش.

فأمّا الفضل بن الربيع فإنّه استتر وخفى أمره قبل أن ينتهى بهم الأمر إلى

هذا بزمان كثير، فاستكلب العيَّارون والعراة وسلبوا مَنْ قدروا عليه من الرجال والنساء والضعفاء من أهل الذمَّة والمَلَّة، فكان منهم في ذلك ما لم يبلغنا أنَّ مثله كان في شيءٍ من الأوقات المتقدِّمة. فأما في المستأنف^(١) فقد جرت أمور عظام قبيحة مثل هذا وأقبح منه سنذكرها إذا بلغنا إليها إن شاء الله.

فلَمَّا طال ذلك على الناس وضائق بغداد بأهلها استأمن محمد بن عيسى صاحب الشرطة وعلى أفراهمرد إلى طاهر، فضعف أمر محمد جدًّا وأيقن بالهلاك وخرج من بغداد كلٌّ من كانت [102] به قوَّة، بعد الغرم الفادح وبعد المضايقة^(٢) العظيمة والخطر الفاحش، فكان الرجل أو المرأة إذا تخلص من أصحاب الهرش وصار إلى أصحاب طاهر، ذهب عنه الروع وأمن، وأظهرت المرأة ما معها من حليِّها وغير ذلك، وكذلك الرجل.

ولَمَّا صارت الحرب بين العيَّارين وبين أصحاب طاهر، خرج قائد من قوَّاد خراسان، ممَّن كان مع طاهر بن الحسين من أهل البأس والنجدة، فنظر إلى قوم عراة لا سلاح معهم، فاستهان بهم واستحقرهم وقال لأصحابه :

« ما يقاتلنا إلَّا مَنْ أرى ؟ »

قالوا : « نعم، هؤلاء^(٣) هم الآفة. »

قال : « أف لكم حين تخيمون عن هؤلاء وتتكصون عنهم وأنتم في السلاح الظاهر والعدَّة، وأنتم أصحاب الشجاعة والبسالة وما عسى أن يبلغ كيد

١. كذا في آ : المستأنف. وما في الأصل غير واضح : المستأنف ؟ المسانف ؟ ولم نجده في مظانِّه في الطبري (١١ : ٨٨٣).

٢. ما في الأصل يحتمل أن يكون « مصانعة »، والمصانعة : المصارعة.

٣. في الأصل : هؤلاء ستحقرهم الآفة. وما في آ كما أثنناه. والعبارة في الطبري (١١ : ٨٨٥) : نعم، هؤلاء الذين ترى هم الآفة. وربما كانت ما في الأصل : هؤلاء الذين استحقرتهم هم الآفة.

هؤلاء بلا سلاح ولا جُنَّة ؟»

ثم أوتر قوسه وتقدّم ووضع عينه على بعضهم، فقصده نحوه وفي يده بارية^(١) مقيرة وتحت إبطه مخلّاة فيها حجارة، فجعل الخراساني كلّما رمى بسهم استتر منه العيّار، فوقع في باريته وقريباً منه فياخذه فيجعله في موضع من باريته [103] قد هيّأه لذلك شبيهاً بالجعبة، فكّلما وقع في ترسه منهم أخذه وصاح.

- «دَنَق».

أي ثمن النشابة دَنَق قد أحرزه.

فلم يزل حال الخراساني وحال العيّار تلك، حتّى أنفذ الخراساني سهامه، ثمّ حمل على العيّار ليضربه بسيفه، فأخرج العيّار من مخلّاته حجراً فجعله في مقلاعه ورماه، فما أخطأ به عينه، ثمّ ثناه سريعاً فكاد يصصره عن فرسه لولا تحامله وكثر راجعاً وهو يقول :

- «ما هؤلاء بأنس».

فحدّث طاهر بحدِيثه فاستضحك وأعفا الخراساني من الخروج إليهم. وقال بعض شعراء أهل بغداد :

خَرَجَتْ هَذِهِ الْخِرَوبُ رِجَالاً
مَعشراً في جَوَاشِين الصُّوفِ يَعدُّو
وَعَلَيْهِمْ مَغَافِرُ الْخُوصِ تُجْزِي
لَيْسَ يَدْرُونَ مَا الْفَرَارُ إِذَا الْأَبْ
وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَشُدُّ عَلَى الْ
لَا لِـقَحْطَانِهَا وَلَا لِـنَزَارِ
نَ إِلَى الْحَرْبِ كَالْأَسُودِ الضُّوَارِ
هُمْ عَنِ الْبَيْضِ وَالتُّرَاسِ الْبَوَارِ
طَالُ عَاذُوا مِنَ الْقَنَا بِالْفَرَارِ
فَيْنِ عُرْيَانٍ مَا لَهُ مِنْ إِزَارِ

١. والضبط في الطبري (٨٥٥:١١) وفي تد (٤١٣) : بارية (بالتشديد) ولا شدة على ما في الأصل وآ.

ويقول الفتى إذا طعن الـ طُعْنَةً خذها مِنَ الْفَتَى الْعِيَارِ [104]

فى أبيات كثيرة، ووصفهم الشعراء كثيراً.

وأخذ طاهر فى الهدم والحرق على من خالفه ومنع الملاحين وغيرهم من إدخال شىء إلى بغداد ووضع الرِّصْد عليهم فكان يحوى فى كل يوم ناحية بعد ناحية ويخندق عليها ويقيم عليها المقاتلة. فكان أصحاب محمد ينقضون، حتّى لقد كان أصحاب طاهر يهدمون الدار وينصرفون، فيقلع أبوابها وسقوفها أصحاب محمد ويكونون أضرّ عليهم من أصحاب طاهر.

ولمّا منع طاهر الميرة من بغداد وكان يأخذ من كل سفينة تحمل دقيقاً أو غيره مالاً عظيماً غلت الأسعار، وصار أمر الناس إلى القنوط واليأس من الفرج وحسد المقيم منهم من قد خرج عنها. وصار^(١) أمر محمد إلى أن أمر غلامه زَرْجُج بتتبع الأموال وطلبها عند من وجد، وأمر الهرش بطاعته، فكان يهجم على الناس فى منازلهم ويبيتهم ليلاً ويأخذ بالظنّة، فجبى بذلك السبب أموالاً كثيرة وأهلك خلقاً.

ثم إن حاتم بن الصقر من قوّاد محمد وكان قد واعد أصحابه العراة أن يواقعوا عبيد الله بن الوضّاح ليلاً، فمضوا إلى عبيد الله مفاجأة وهو لا يعلم، فأوقعوا به وقعة [105] أزالوه عن موضعه، وولّى منهزماً، فأصابوا له خيلاً وسلاحاً.

الخبر عن هزيمة هرثمة

وبلغ الخبر هرثمة، فأقبل فى أصحابه لنصرته وليردّ العسكر إلى موضعه،

١. فى مط : وآل، بدل «وصار».

فوافاه أصحاب محمد ونُسِّبَت الحرب بينهم فأسر رجل من العُراة هرثمة ولم يعرفه، فحمل بعض أصحاب هرثمة على العريان فقطع يده وخلص هرثمة، فمَرَّ منهزماً وبلغ خبره أهل عسكره فتقَوَّضَ بما فيه وخرج أهله هاربين على وجوههم نحو حلوان، وحجز الليل أصحاب محمد عن الطلب والنهب والأسر، فلم يتراجع أصحاب هرثمة إلا بعد يومين وثلاثة، وقويت العراة بما صار في أيديهم. وقيلَت في هذه الواقعة أشعار كثيرة.

وبلغ طاهراً هزيمة عبيد الله بن الوضَّاح وهرثمة وما صار إلى العراة من سلاحهم وأموالهم، فاشتدَّ عليه وقام منه وقعد، ووجه إلى أصحابه وعبَّأهم وأمر بعقد جسر فوق الشَّماسيَّة وخرج معهم إلى الجسر، فعبروا النهر وقاتلوهم أشدَّ قتال يكون، حتَّى ردَّوا أصحاب محمد وأزالوهم عن الشَّماسيَّة [106] وردَّ إليها جند عبيد الله وهرثمة. وكان محمد أعطى بنقض^(١) قصوره ومجالسه بالخيزرانية بعد ظفر العراة ألفي ألف درهم في مواضعها وقد كانت النفقة عليها عشرين ألف ألف درهم. فحرقها أصحاب طاهر وكانت السقوف مذهَّبة.

وهرب عبيد الله بن خازم بن خزيمة، لأنَّ محمداً اتهمه وتحامل عليه قوم من السفلة والعيَّارين، فخافهم على نفسه فلحق بالمدائن ليلاً في السفن بعياله وولده، وأقام بها ولم يحضر شيئاً من القتال وفعل ذلك بمواطاة طاهر. وضاق على محمد أمره ونفذ ما كان عنده ولم يبق له حيلة، وطلب الناس الأرزاق فقال عند ضجره بذلك :

«وددت أن الله قتل الفريقين جميعاً وأراحني منهم، فما منهما إلا عدو، وأما هؤلاء فيريدون مالي ولم يبق، وأما هؤلاء فيريدون نفسي.»

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

بين خزيمة وطاهر

وفيهما كاتب طاهر خزيمة بن خازم يذكر له أنَّ الأمر إن انقطع بينه وبين محمد ولم يكن له أثر في نُصرتِه لم يقصر في مكروهه. فلَمَّا وصل كتابه إليه شاور ثقاته [107] فقال له أصحابه وأهل بيته :

- «نرى والله إنَّ هذا الرجل آخذ بقفا صاحبنا عن قليل، فاحتل لنفسك ولنا.»

فكتب إلى طاهر بطاعته وأخبره أنَّه لو كان هو النازل في الجانب الشرقي مكان هرثمة لكان يحمل نفسه على كلِّ هول، وأعلمه قلَّة ثقته بهرثمة ويناشده ألاَّ يحمله على مكروهٍ عظيمٍ إلَّا أن يضمن له القيام دونه، ووعدته بإدخال هرثمة وقطع الجسور وأنَّه يتَّبِع هواه ويؤثر رضاه، وأنَّه إن لم يضمن ذلك فليس يسعه تعريضه للسفلة والغوغاء والرعاغ والتلف.

فكتب طاهرًا إلى هرثمة يلومه ويعجَّزه ويقول :

- «جمعت الأجناد وأتلفت الأموال دون أمير المؤمنين ودوني في مثل حاجتي إلى النفقات وقد توقفت عن قوم هيَّنة شوكتهم يسير أمرهم توقَّف المحجم الهائب لهم، استعَدَّ للدخول فقد أحكمتُ الأمر على دفع العسكر وقطع الجسور وأرجو ألاَّ يختلف عليك في ذلك إثنان، إن شاء الله.»

فأجابه هرثمة :

- «أنا عارف ببركة رأيك ويؤمن مشورتك فمر بما أحببت، فلن [108] أخالفك.»

قال : فكتب بذلك طاهر إلى خزيمة.

خزيمة ودعوته للمأمون

وكان كتب طاهر إلى محمد بن عليّ بن عيسى بمثل ذلك قبل، فلمّا كانت ليلة الأربعاء لثمانٍ بقين من المحرم سنة ثمانٍ وتسعين ومائة، وثب خزيمة بن خازم ومحمد بن عليّ بن عيسى على جسر دجلة، فقطعاه ورگزا أعلامهما عليه وخلصا محمداً، ودعوا لعبد الله المأمون، وسكن أهل الجانب الشرقي ولزموا منازلهم وأسواقهم من يومهم ذلك، ولم يدخل هرثمة حتّى تقدّمه قوم وعادوا إليه فحلفوا أنّه لا يرى مكروه^(١) فدخل حينئذٍ.

وباكر طاهر من غد ذلك اليوم وهو يوم الخميس المدينة وأرباضها، والكرخ وأسواقها، وهدم قنطرتي الصراه العتيقة والحديثة واشتدّ عندهما القتال، وباشر طاهر القتال بنفسه وقاتل بين يديه أصحابه حتّى هزم أصحاب محمد، وفرّوا على وجوههم لا يلوى أحد على أحد حتّى دخل قسراً بالسيف، وأمر مناديه بالأمان لمن لزم منزله، ووضع بقصر الوضاح وسوق الكرخ والأطراف قواداً وجنداً في كلّ موضع على قدر حاجته منهم، وقصد [109] إلى مدينة أبي جعفر فأحاط بها وبقصر زبيدة وقصر الخلد من لدن الجسر إلى باب خراسان وباب الشام وباب الكوفة وباب البصرة وشاطئ الصراه إلى مصيبتها في دجلة بالخيول والسلاح، وثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر والهرش، فنصب المجانيق خلف السور على المدينة وبازاء قصر زبيدة وقصر الخلد ورماه.

وخرج محمد بأمّه وولده إلى مدينة أبي جعفر وتفرّق عنه عامّة جنده وخصيانه وجواريه في السكك والطرق لا يلوى منهم أحد على أحد وتفرّق

١. في الأصل : مكروهاً.

الغوغاء والسفلة. وتحصّن محمد بالمدينة هو ومن يقاتل معه، وحصره طاهر وأخذ عليه الأبواب ومنع منه ومن أهل المدينة الدقيق والماء وغيرهما. فحكى طارق الخادم وكان من خاصّة محمد - وكان المأمون بعد ذلك أيضاً يقدّمه - أن محمداً سأله يوماً من الأيام وهو محصور - أو قال في آخر يوم من أيامه - أن أطعمه شيئاً. قال : فدخلت المطبخ فلم أجد شيئاً فجئت إلى حمرة^(١) العطارّة وكانت خازنة^(٢) الجواهر فقلت لها :

- «إن أمير المؤمنين جائع، فهل عندك شيء؟ فإنني [110] لم أجد في المطبخ شيئاً؟»

فقلت لجارية لها يقال لها بنان :

- «أى شيء عندك؟»

فجاءت بدجاجة ورغيف، فأتيته بهما فأكل وطلب ماءً يشربه فلم يجد في خزانة الشراب ماءً، فأمسى وكان عزم على لقاء هرثمة، فما شرب ماءً حتى أتى عليه.

ذكر اتفاقات عجيبة

حكى إبراهيم بن المهدي أنه كان نازلاً مع محمد المخلوع في مدينة المنصور في قصره بباب الذهب لما حصره طاهر. قال : فخرج ذات ليلة من القصر يريد أن يتفرّج من الضيق الذي هو فيه، فصار إلى قصر القرار في قرن الصراة في جوف الليل، ثم أرسل إلى فصرته إليه، فقال لي :

- «يا إبراهيم أما ترى طيب هذه الليلة وحسن هذا القمر وضوءه في الماء - ونحن حينئذٍ في شاطئ دجلة - فهل لك في الشرب؟»

١. في الأصل : حمزة. وهو تصحيف. وفي الطبري (٩٠٨:١١) : حمرة العطارّة.

٢. في الطبري : جارية الجواهر.

قلت : « شألك ، جعلنى الله فداءك . »

قال : فدعا برطل فشربه ، ثم أمر فسقيت مثله .

قال : فابتدأت أغنيه من غير أن يسألنى لعلمى بسوء خلقه ، فغنيت ما كنت أعلم أنه يحبّه فقال لى :

- « ما تقول فيمن يضرب عليك ؟ »

فقلت : « ما أحوجنى إلى ذلك . »

فدعا بجارية متقدمة عنده يقال [111] لها : ضَعْفُ ، فتطيرت من اسمها ونحن فى تلك الحال التى هو عليها . فلما صارت بين يديه قال ^(١) لها :

- « تغنى . »

فغنّت بشعر النابغة الجعدى :

كَلَيْبُ لَعْمَرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرُ جُرْمًا مِنْكَ ضُرَجَ بِالْدَّمِ

قال : فاشتدّ عليه ما غنّت به وتطير منه فقال لها :

- « غنى غير هذا . »

فغنّت :

مركز تحقيق كاتوير علوم راسدى

أَبْكَى فِرَاقُهُمْ عَيْنِي فَأَزَقَهَا إِنَّ التَّفَرُّقَ لِلْأَحْبَابِ بَغَاءُ
مَا زَالَ يَبْعُدُو عَلَيْهِمْ رَيْبُ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَنَاءَوْا ^(٢) وَرَيْبُ الدَّهْرِ عَذَاءُ

فقال لها :

١. فى الأصل : قالت ، وهو سهو

٢. كذا فى الأصل وآ ومط : تناءوا . فى الطبرى (١١ : ٩٠٩) : تفانوا .

- «لعنك الله، أما تعرفين من الغناء شيئاً سوى هذا الفن؟»
 فقالت: «يا سيدي ما تغنيت إلا بما ظننت أنك تحبه، وما أردت ما
 تكرهه، وما هو إلا شيء جاءني.»
 ثم أخذت تغني:

أما وربُّ السُّكُونِ والحَرَكِ إِنَّ المَنَايا كثيرةُ الشَّرَكِ
 ما اختلفَ الليلُ والنَّهارُ ولا دارَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ في الفَلَكِ
 إلا لنقلِ السُّلطانِ مِن مَلِكٍ عَاشَ بِسُلْطَانِهِ إلى مَلِكِ
 ومُلكُ ذِي العَرشِ دائمٌ أبداً لَيْسَ بِفَانٍ ولا بِمُشْتَرَكِ [112]

فقال لها:

- «قومي، غضب الله عليك ولعنك.»

فقامت.

وكان له قدح من بلّور حسن الصنعة، وكان محمد يسميه: زُبَّ رِيّاح،
 وكان موضوعاً بين يديه فقامت الجارية منصرفة، فسحبت عليه رداؤها
 فكسرتة وقالت:

- «تعس وانتكس الشيطان.»

فقال إبراهيم: فقال لي:

- «ويحك يا إبراهيم أما ترى ما جاءت به هذه الجارية، ثم ما كان من
 كسر القدح؟ والله ما أظنّ أمرى إلا وقد قرب.»

فقلت: «يطيل الله بقاءك ويعزّ ملكك ويديم نعمتك ويكبت عدوك.»

فما استتم الكلام حتّى سمعنا صوتاً عن دجلة:

- «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ»^(١)

فقال لي :

- «يا إبراهيم أما سمعت ؟»

قلت : «لا والله ما سمعتُ شيئاً. وقد كنت سمعتُ.»

قال : «تَسْمَعُ حَسُّناً.»

قال : فدنوت من الشطّ فلم أر شيئاً، ثمّ عاودنا الحديث فعاد الصوت :

- «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ.»

فوثب من مجلسه ذلك مغتماً، ثمّ ركب ورجع إلى موضعه بالمدينة، فما

كان بعد هذا إلا ليلة أو ليلتان، حتّى حدث ما حدث من قتله. [113]

وفى هذه السنة قُتل محمد بن هارون الأمين.

مقتل محمد بن هارون الأمين

ذكر ما أُشير به على محمد فلم

يقبله وما تأدّى إليه الأمر

لَمَّا صار محمد إلى المدينة وقرّ فيها وعلم قوّاده أنّه ليس لهم ولا له فيها

عدّة للحصار. وخافوا أن يُظفر بهم دخل على محمد حاتم بن الصقر ومحمد

بن إبراهيم بن الأغلب الأفريقى وقوّاده فقالوا له :

- «قد آلت حالك وحالنا إلى ما ترى، وقد رأينا رأياً نعرضه عليك، فانظر

فيه واعتزم عليه، فإنّا نرجو أن يكون صواباً، إن شاء الله.»

قال : «وما هو ؟»

قالوا : «قد تفرّق جنودك عنك وأحاط عدوك بك من كلّ جانب وقد بقي

من خيلك سبعة آلاف فرس من خيارها وجيادها سوى مراكبك، فنرى أن تختار ممن عرفناه بمحبّتك من الأبناء سبعة آلاف رجل، فتحملهم على هذه الخيل وتخرج ليلاً على باب من هذه الأبواب، فإنّ الليل لأهله، فنخرج ولن يثبت لنا أحد وتسير حتّى تلحق بالشام والجزيرة فنفرض الفروض ونجبي الخراج وتصير في مملكة واسعة ومُلكٍ جديد، فيسارع إليك الناس من كلّ أوب وينقطع الجنود في طلبك وإلى ذاك ما قد أحدث الله في مكرٍّ^(١) الليل والنهار أموراً.»

فقال لهم :

- «نِعْمًا رأيتم.» [114]

واعتزم على ذلك وخرج الخبر إلى طاهر، فكتب إلى سليمان بن أبي جعفر وإلى محمد بن عيسى بن نهيك وإلى السندی بن شاهك :

- «قد بلغني عزيمة محمد ووالله لئن لم تردّوه عن هذا الرأي لا تركتُ لكم ضيعة إلا قبضتها، ثم لا تكون لي همّة إلا نفوسكم. فإنّ هؤلاء الذين يسرون معه صعاليك لا يخلّفون شيئاً يشفقون عليه. فاعملوا على ما رسمته تسلموا، إن شاء الله.»

فدخلوا على محمد وقالوا :

- «نذكرك الله في نفسك فإنّ هؤلاء صعاليك، وقد ضاق عليهم الحصار وهم يرون أن لا أمان لهم على أنفسهم وأموالهم عند أخيك وعند طاهر، لما قد انتشر عنهم من مباشرة الحرب والجّد، فيها ولسنا نأمن إذا برزوا وحصلت في أيديهم أن يأخذوك أسيراً أو يأخذوا رأس عدوك فيقتربوا بك ويجعلوك سبب أمانهم.»

١. الضبط موافق لما في الأصل والطبرى (١١: ٩١٢) : مكرّ.

وضربوا له فى ذلك الأمثال حتى فزع وغيّر عزمه ورأيه.
وكان أصحابه الذين أشاروا بما أشاروا أولاً جلوساً فى رواق البيت،
فسمعوا جميع ما قاله سليمان وأصحابه، فهتّوا جميعاً بقتل سليمان
وأصحابه. ثمّ قالوا:

- «حرب من خارج وحرب من داخل.» [115]
فأمسكوا.

ثمّ أشار عليه هؤلاء وقالوا:

- «قد بُذل لك الأمان فاقبله، فإنّما غايتك اليوم السلامة واللّهو، وليس
يمنعك^(١) أخوك من ذلك وسينزلك حيث تحبّ ويفردك مع من تحبّ وتهوى،
وليس عليك منه بأس ولا مكروه.»

فركن إلى ذلك وأجابهم إلى الخروج إلى هرثمة دون طاهر، وكان استشر
خوفاً من طاهر. وكان جماعة من أصحابه يكرهون هرثمة، لأنّهم كانوا من
أصحابه وقد عرفهم وعرفوه وخافوا أن يجفّوهم ولا يجعل لهم مراتب.
فدخلوا على محمد فقالوا:

- «أمّا إذ أبيت ما أشرنا به وهو الصواب وقبلت رأى هؤلاء وهو الخطأ،
فالخروج إلى طاهر خير لك من الخروج إلى هرثمة.»

فقال لهم محمد: *توبوا عنكم*

- «ويحكم إنّي أكره طاهراً وذلك أنّى رأيت فى منامى كائن قائم على
حائط من آجر شاهق فى السماء عريض الأساس وثيق لم أر حائطاً يشبهه
فى الطول والعرض والوثاقة وعلى سوادى ومنطقتى وسيفى وقلنسوتى
وحقّى، وكان طاهر فى أصل ذلك الحائط، بيده بيل يضرب به أصل الحائط

١. فى مط: يخلعك. وآ كالأصل: يمنعك.

فما زال يضرب أصله حتى سقط [116] الحائط وسقطت وندرت قلنسوتي عن رأسي وأنا أتطير منه وأكره الخروج إليه، وهرثمة مولانا وبمنزلة الوالد وأنا به أشد ثقة.»

فلما همّ محمد بالخروج إلى هرثمة وسعى له بذلك وأجابه هرثمة إلى ما أراد، إشتد ذلك على طاهر وأبى أن يرفقه عنه ويدعه يخرج وقال :
- «هو في حيّزى والجانب الذى أنا فيه وأنا أخرجته بالحرب والحصار حتى طلب الأمان فلا أَرْضى أن يخرج إلى هرثمة دونى فيكون الفتح له.»
فلما رأى هرثمة والقواد ذلك اجتمعوا فى منزل خزيمة بن خازم، فصار إليهم طاهر فى خاصّة قواده وحضر محمد بن عيسى بن نهيك والسندى بن شاهك وأداروا الرأى بينهم. فأخبروا طاهراً أنّه لا يخرج إليه أبداً وأنّه إن لم يجب إلى ما سأل لم يؤمن أن يجرى فى أمره ما جرى مثله أيام الحسين بن على بن عيسى بن ماهان وقالوا له :

- «يخرج ببذنه إلى هرثمة إذ كان يأنس به ويثق بناحيته ويدفع الخاتم والقضيب والبُرْدَة وذلك هو الخلافة إليك، فلا تُفسد هذا الأمر واغتنمه.»
فأجاب طاهر إلى ذلك ورضى.

ولما تهياً مجعد للخروج خرج [117] إلى صحن القصر فقعده على كرسيّ وقام خدمه بين يديه بالأعمدة. وجاءه خادم فقال :

- «يا سيّدى، أبو حاتم يقرأ عليك السلام - يعنى هرثمة - ويقول لك : يا سيّدى وافيت للميعاد لحملك، ولكنى رأيت ألا تخرج الليلة فأئنى قد رأيت - وفى دجلة وعلى الشطّ - أمر قد رابنى وأخاف أن أغلب فتؤخذ من يدي أو تذهب نفسك ونفسي، ولكن أقم بمكانك حتى أرجع فاستعدّ، ثمّ آتيك القابلة، فأخرجك، فإن حوربتُ دونك حاربت ومعى عُدتى.»

قال : فقال له محمد :

- «إرجع إليه فقل له : لا تبرح، فأنتى خارج إليك الساعة لا محالة.»
قال : وقلق :

- «إنه قد تفرّق عني الناس ومن على بابي من الموالى والحرس ولا آمن
إن أصبحتُ وانتهى خبري إلى طاهر أن يدخل عليّ فيأخذني.»
ثمّ دعا بفرس له أدهم أغرّ محبّل كان يسمّيه : الزهيري، ودعا بابنيه
فضمّهما إليه وشمّهما وقال :
- «أستودعكما الله.»

ودمعت عيناه، فجعل يمسح دموعه بكمّته، ثمّ قام فوثب على القرس
وخرجنا بين يديه إلى باب القصر حتّى ركبنا دوابنا وبين يديه شمعة واحدة
حتّى خرجنا إلى المشرعة، فإذا حرّاقة [118] هرثمة، فنزل في الحرّاقة^(١).
ورجعنا إلى المدينة فدخلناها وأمرنا بالباب فأغلق وسَمِعْنَا الواعية
فصعدنا القبة التي على الباب نتسَمَع الصوت.
فذكر أحمد بن سلام صاحب المظالم أنّه قال : كنت مع هرثمة مع قوّاده
في الحرّاقة. فلمّا دخل محمد الحرّاقة قمنا على أرجلنا إعظاماً له وجنا
هرثمة على ركبتيه وقال :

- «يا سيّدي لا أقدر على القيام لمكان النقرس الذي بي.»

ثمّ احتضنه وصيّره في حجره وجعل يقبّل يديه ورجليه وعينه ويقول :

- «سيّدي ومولاي وابن سيّدي ومولاي.»

وجعل محمد يتصفّح وجوهنا ونظر إلى عبيد الله بن الوضّاح فقال :

- «أيّهم أنت؟»

قال : «أنا عبيد الله بن الوضّاح.»

١. الحرّاقة : السفينة الحربيّة، فيها مرامي نيران يُرمى بها العدو.

قال : « نعم جزاك الله خيراً فما أشكرنى لما كان منك فى أمر الثلج ولو قد لقيت أخى - أبقاء الله - لم أدع شكرك عنده. »

قال : فبينما نحن كذلك، وقد أمر هرثمة بالحرّاقة أن تدفع، إذ شدّ علينا أصحاب طاهر فى الزواريق وعطعطوا وتعلّقوا بالسكّان وبعض يقطع السكّان وبعض ينقب الحرّاقة وبعض يرمى بالنشاب فنقبت الحرّاقة سريعاً ودخلها [119] الماء وغرقت وسقط هرثمة إلى الماء وسقطنا كلّنا فتعلّق الملاح بشعر هرثمة فأخرجه وخرج كلّ واحد منّا على حياله لقربنا من الشطّ ورأيت محمداً فى تلك الحال وقد شقّ عنه ثيابه ورمى بنفسه إلى الماء. فأما أنا فتعلّق بى رجل من أصحاب طاهر ومضى بى إلى رجل قاعد على كرسى على شطّ دجلة وبين يديه نار توقد. فقال له بالفارسية :

- « هذا رجل أخرج من الماء ممّن غرق من أهل الحرّاقة. »

فقال لى :

- « ممّن أنت ؟ »

قلت : « من أصحاب هرثمة أنا أحمد بن سلام صاحب المظالم مولى أمير المؤمنين. »

قال : « كذبت فاصدقنى. »

قلت : « قد صدقتك. »

قال : « فما فعل المخلوع ؟ »

قلت : « رأيتّه حين شقّ عنه ثيابه وقذف بنفسه فى الماء. »

قال : « قدّموا دابّتى. »

فقدّموا دابّته فركب وأمر بى أن أجنب، فجعل فى عنقى حبل وجنبت وأخذ فى درب الزبيدية. ولما عدوت ساعة انبهرت فلم أقدر على العدو فقمّت. فقال الذى خلفى :

- «قد قام هذا الرجل وليس يعدو.»

قال : «إنزل فخذ رأسه.»

قلت : «جُعلت فداك، ولم تقتلني وأنا رجل لله عليّ نعمة ولا أقدر على

العدو وأنا أفدى نفسي بعشرة آلاف درهم.» [120]

فلما سمع ذكر العشرة آلاف قال للرجل الذي أمره بقتلي :

- «أمسك.»

ثم قال :

- «وكيف لي بالعشرة آلاف؟»

قلت : «تحبسنى عندك حتى نصبح، ثم تدفع إليّ رسولاً أرسله إلى وكيلي

في منزلي في عسكر المهدي، فإن لم يأتك بالعشرة آلاف فاضرب عنقي.»

قال : «قد أنصفت.»

وأمر بحملي فحُملت ردفاً، فمضى بي إلى دار صاحبه دار أبي صالح

الكاتب وأمر غلمانه أن يحتفظوا بي، وتفهم مني خبر محمد ووقوعه إلى

الماء ومضى إلى طاهر ليخبره وإذا هو إبراهيم البلخي. قال : فصيرني غلمانه

في بيت من بيوت الدار فيه بوارى ووسادتان وفي زاوية من زواياه حصر

مدرّجة قال : فقعدت في البيت وصيّروا فيه سراجاً وتوثّقوا من الباب وقعدوا

يتحدّثون. فلما ذهب من الليل ساعة إذا نحن بحركة الخيل، فدقّوا الباب

ففتح لهم وهم يقولون :

- «بُسر زبيدة^(١).»

قال : «فأدخل إليّ رجل عريان عليه سراويل وعمامة مثلث بها وعلى

كتفيه خرقة خلقة. فصيّروه معي وتقدّموا إلى من في الدار بحفظه وخلفوا

١. كذا في الأصل : بُسر زبيدة. ما في آ تصحيف بالإهمال. وفي الطبري : (٩٢١:١١) : بُسر زبيدة.

أي ابن زبيدة. وما في الأصل معرب.

معهم قوماً آخرين منهم أيضاً. قال : فلما استقرّ في البيت حسر العمامة عن وجهه، فإذا هو محمد، فاستعبرت [121] واسترجعت فيما بيني وبين نفسي، وجعل ينظر إليّ. ثمّ قال :

- «أيّهم أنت؟»

قلت : «أنا مولاك يا سيّدي.»

قال : «وأيّ الموالى؟»

قلت : «أحمد بن سلام صاحب المظالم.»

قال : «أعرفك بغير هذا، كنت تأتيني وتُلطّفتني كثيراً، لست مولاي، ولكنّك أخى.»

ثمّ قال : «يا أحمد.»

قلت : «لبيك يا سيّدي.»

قال : «أدُنْ مِنِّي وَضَمِّنِي إِلَيْكَ، فَإِنِّي أَجِدُ وَحْشَةً شَدِيدَةً.»

قال : «فَضَمَمْتَهُ إِلَيَّ، فَإِذَا قَلْبُهُ يَخْفِقُ حَتَّى يَكَادُ يَخْرُجُ مِنْ صَدْرِهِ، فَلَمْ أَزَلْ أَضَمُّهُ إِلَيَّ وَأُسَكِّنُهُ.»

قال : ثمّ قال لي :

«يا أحمد ما فعل أخى؟»

قلت : «هو حيّ.»

قال : «قَبِّحَ اللَّهُ صَاحِبَ بَرِيدِهِمْ مَا أَكْذِبُهُ ! كَانَ يَقُولُ : قَدْ مَاتَ، شَبَّهِ الْمَعْتَذِرَ مِنْ مُحَارَبَتِهِ.»

قال : قلت : «يا سبحان الله ! ففِي أَيِّ شَيْءٍ دُفِعْنَا إِذَا، بَلْ قَبِّحَ اللَّهُ وَزُرَاءَكَ.»

قال : «لَا تَقُلْ لَوْ زَرَّائِي إِلَّا خَيْرًا، فَمَا لَهُمْ ذَنْبٌ وَلَسْتُ بِأَوَّلَ مَنْ طَلَبَ أَمْرًا فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ.»

ثم قال لى : «يا أحمد ما تراهم يصنعون بى، تراهم يقتلونى أو يفون لى بأمانهم؟»

قال : قلت : «بل يفون لك يا سيدي.»

قال : وجعل يضم على نفسه الخرقة التى على كتفيه ويضمها ويمسكها بعضديه يمنة ويسرة. قال : ونزعت مبطنة كانت على وقلت يا سيدي :
- «ألق هذه عليك.»

قال : [122]

- «ويحك دعنى، فهذا من الله لى فى هذا الموضع خير.»

قال : وبيننا نحن كذلك إذ دق باب الدار ففتح فدخل علينا رجل عليه سلاحه فتطلع فى وجهه مستتباً له، فلما أثبتته معرفة إنصرف وأغلق الباب وإذا هو محمد بن حميد الطاهرى. قال : فعلمت أن الرجل مقتول. قال : وكان بقى على من صلاتى الوتر فخفت أن أقتل معه ولم أوتر. قال : فقممت أوتر. فقال لى :

- «يا أحمد لا تباعدنى وصل إلى جانبى فإنى أجد وحشة شديدة.»

قال : فاقتربت منه. فلما انتصف الليل أو قارب سمعت حركة الخيل، ودق الباب ففتح فدخل الدار قوم من العجم بأيديهم السيوف مسللة، فلما رآهم قام قائماً وجعل يقول : *پير علوم دى*

- «إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب والله نفسى فى سبيل الله، أما من حيلة

أما من مغيث، أما من أحد من الأبناء؟»

قال : وجاءوا حتى قاموا على باب البيت الذى نحن فيه، فأحجموا عن الدخول وجعل بعضهم يقول لبعض «تقدم» ويدفع بعضهم بعضاً. قال : فقممت فصرت خلف الحُصْر المدرجة فى زاوية البيت، وقام محمد فأخذ [123]

بيده وسادة وجعل يقول :

- «ويحكم إني ابن عمّ رسول الله - صلى الله عليه - أنا ابن هارون، أنا أخو المأمون الله الله في دمي.»

قال: فدخل عليه رجل منهم يقال له: حميروه^(١) غلام لقريش الدنداني مولى طاهر، فضربه على مقدم رأسه وضرب محمد وجهه بالسادة التي كانت في يده واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده، فصاح بالفارسية: «قتلني، قتلني.»

قال: فدخل منهم جماعة فنخسه واحد منهم بالسيف في خاصرته، وركبوه فذهبوه ذبحاً من قفاه، وأخذوا رأسه فمضوا به إلى طاهر، فتركوا جثته. ولما كان في وقت السحر جاءوا إلى جثته فأدرجوها في جُلّ وحملوها. قال: فأصبحت فقيلاً: «هات العشرة آلاف درهم.»

قال: فبعثت إلى وكيلي فأتاني فأمرته فأتاني بها فدفعتها إليه. ولما أصبح طاهر نصب رأس محمد على البُرج برج حائط البستان الذي يلي باب الأنبار، وفتح باب الأنبار وخرج من أهل بغداد للنظر إليه ما لا يحصى عددهم. وأقبل طاهر يقول: «هذا رأس المخلوع.»

وذكر محمد بن عيسى أنه قال: رأى المخلوع على ثوبه قمّة، فقال: «ما هذا؟»

قالوا: «شيء [124] يكون في ثياب الناس.» فقال: «أعوذ بالله من زوال النعمة.» فقُتل من يومه.

١. كذا في الأصل. في آ: حمرويه. في مط: جيرونه. في الطبري (١١: ٩٢٣): خمارويه. وفي تد (٤١٥): خميروه (بالخاء المعجمة)

وبعث طاهر برأس محمد إلى المأمون مع الرداء والقضيب والمصلّى وهو من سعف مبطّن مع محمد بن مصعب ابن عمّه فأمر له المأمون بألف ألف درهم. قال: فرأيت ذا الرئاستين وقد أدخل رأس محمد على ترسٍ بيده إلى المأمون. قال: فلما رآه سجد.

وكتب طاهر إلى إبراهيم بن المهدي بعد قتل المخلوع: - «أما بعد، فإنه عزيز عليّ أن أكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة بغير التأمير^(١) ولكنه بلغني أنك تميل بالرأى وتصفي بالهوى إلى الناكث المخلوع. فإن كان كذلك فكثير ما كتبتُ به إليك، وإن كان غير ذلك فالسلام عليك ورحمة الله وبركاته.»

وثوب الجند بطاهر بعد مقتل الأمين

وفي هذه السنة وثب الجند بعد مقتل محمد بطاهر، فهرب منهم وتغيّب أيّاماً حتّى أصلح أمرهم.

ذكر الخبر عن ذلك وسببه وما

استعمله طاهر من الحزم قبله

إن أصحاب طاهر بعد مقتل محمد بخمسة أيّام طلبوا أرزاقهم ووثبوا به ولم يكن في يده مال فضاّق به أمره، وظنّ أنّ ذلك بمواطأة أهل الأرباض إيّاهم [125] وأنّهم معهم عليه ولم يكن تحرّك في ذلك من أهل الأرباض أحد، فاشتدّت شوكتهم وخشى طاهر على نفسه فهرب من البستان وانتهبوا بعض متاعه، ومضى إلى عاقز قوف.

١. في مط: الأمير. آ والطبري (١١: ٩٣٣): كالأصل.

وكان معاً قَدَم الحزم فيه أن حفظ أبواب المدينة وباب القصر لَمَّا فرغ من قتل محمد وحوّل زبيدة وموسى وعبد الله ابنى محمد إلى قصر الخلد ليلاً ثمّ حملهم فى حرّاقة همينيا على الغربى من الزاب الأعلى، ثمّ أمر بحمل موسى وعبد الله إلى عَمَهما بخراسان على طريق الأهواز وفارس .
فلَمَّا وثب الجند بطاهر وطلبوا الأرزاق أحرقوا باب الأنبار الذى على الخندق وباب البستان، وشهروا السلاح ونادوا :
- «موسى يا منصور.»

وبقوا كذلك يومهم ومن الغد، فتبيّن صواب رأى طاهر فى إخراج موسى وعبد الله. وكان طاهر انحاز ومن معه من القوّاد وتعباً لقتالهم ومحاربتهم. فلَمَّا بلغ ذلك الوجوه والقوّاد ممّن شَغَب صاروا إليه واعتذروا وأحالوا على سفهاء الجند وأحداثهم وسألوه الصّح عنهم وقبول عذرهم والرضى وضمنوا له ألا [126] يعودوا لمكروهه ما أقام معهم.
وأتاه مشايخ الأرباض فحلفوا له بالمغلظة من الأيمان أنّه لم يتحرّك فى هذه الأيام أحد من أبناء الأرباض، ولا كان ذلك عن رأيهم ولا أرادوه. وضمنوا له أن يقوم له كلّ إنسان منهم فى ناحيته بما يجب عليه حتّى لا يأتيه من ناحيته أمر يكرهه.

وأتاه عَميرة أبو شيخ بن عَميرة الأسدى فى مشيخة من الأبناء، فلقوه بمثل ذلك وأعلموه حسن رأى من خلفهم من الأبناء فطابت نفسه إلّا أنّه قال :

- «والله ما اعتزلت عنهم إلّا لوضع السيف فيهم. وأقسم بالله لئن عدتم لمثلها لأعودنّ إلى رأى فيكم ولأخرجنّ إلى مكروهكم.»
فكسرهم بذلك وأمر لهم برزق أربعة أشهر وانصرف إلى معسكره بالبستان ودعا بوجوه أصحابه وفيهم سعيد بن مالك وقال :

«أنّه لا مال عندي وقد أطلقت للقوم أرزاقهم، فما الوجه؟»
فقال سعيد :

«أنا أحمل عشرين ألف دينار.»

فطابت نفسه وحمل غيره حتّى أَرْضَى أصحابه وقال لسعيد :

«إنّي أقبلها على أن تكون ديناً عليّ.»

فقال : «بل هي هدية وقليله لفلانك وفيما أوجب الله من حقك.» [127]
وسكن الجند.

وكانت خلافة محمد المخلوع نحو خمس سنين ينقص شهرين، وكان
عمره كلّه ثمانياً وعشرين سنة، وكان سبطاً أنزع أبيض أقرنى جميلاً طويلاً
أبعد ما بين المنكبين صغير العينين.

وذكر الموصلي أنّ طاهراً لَمَّا بعث برأس محمد إلى المأمون بكى ذو
الرئاستين وقال :

«سَلَّ عليها سيوف الناس وألستهم أمرناه أن يبعث به أسيراً فبعث به
عقيراً.»

فقال له المأمون :

«أنّه قد مضى ما مضى فاحتل في الاعتذار منه.»

وكتب الناس فأطالوا وجاء أحمد بن يوسف بشبر قرطاس فيه :

«أمّا بعد فإنّ المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب

واللحمة، فقد فَرَّقَ الله بينه وبينه في الولاية والحرمة بمفارقته عَصَمَ الدين
وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين. يقول الله عزَّ وجلَّ حين اقتَصَّ نبأ ابن
نوح : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ^(١) ولا طاعة لأحدٍ في معصية

الله ولا قطيعة إذا كانت القطيعة في جنب الله وكتايبى هذا إلى أمير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع وردّاه رداء نكته وأحصد لأمر المؤمنين أمره [128] وأنجز له وعده وما ينتظر من صادق أمره حين ردّ به الألفة بعد فرقتها وجمع الأمة بعد شتاتها وأحيى به الأعلام من الإسلام بعد دروسها.»^(١)



مرکز تحقیقات کاپیتولر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة المأمون

وفى هذه السنة ولى المأمون كل ما كان طاهر بن الحسين إفتتحه من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة واليمن الحسن بن سهل أخا الفضل بن سهل، وذلك بعد مقتل محمد المخلوع ودخول الناس فى طاعة المأمون. وفيها كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين وهو مقيم ببغداد بتسليم جميع ما فى يده من الأعمال فى البلدان كلها إلى خلفاء الحسن بن سهل وأن يشخص عن ذلك إلى الرقة وجعل إليه حرب نصر بن شَبث^(١) وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب، وقدم على بن أبى سعيد العراق خليفة الحسن بن سهل على خراجها. فدافع طاهر علياً بتسليم الخراج إليه حتى وفى الجند أرزاقهم. فلما وفاهم سلم إليه العمل. وكتب المأمون إلى هرثمة يأمره بالشخوص إلى خراسان.

ودخلت سنة تسع وتسعين ومائة [129]

وفىها قدم الحسن بن سهل العراق من عند المأمون واليه الحرب والخراج، وفرق عماله فى الكور والبلدان.

١. كذا فى الأصل والطبرى (١١ : ٩٧٥) : شَبث. فى مط : شبيب (بإهمال الحرف الأخير).

خروج ابن طباطبا في الكوفة دعوة إلى الرضا من آل محمد (ص) والعمل بالكتاب والسنة

وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يدعو إلى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة وهو الذي يقال له: ابن طباطبا، وكان القيم بأمره في الحرب وتديرها وقيادة جيوشه أبو السرايا واسمه السري بن منصور.

ذكر السبب في خروجه

كان سبب خروجه صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي افتتحها وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل أخا الفضل بن سهل. وذلك أن الناس بالعراق تحدثوا بينهم أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون، وأنه قد أنزله قصرًا حجب فيه عن أهل بيته ووجوه قواده ومن الخاصة والعامة، وأنه يبرم الأمور على هواه ويستبد بال رأي دونه. فغضب لذلك من بالعراق من بني هاشم ووجوه الناس وأنفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون [130] واجترأوا على الحسن بن سهل بذلك، وهاجت الفتن في الأمصار. فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا الذي ذكرت.

وكان سبب خروجه أن أبا السرايا كان من رجال هرثمة، فمطله بأرزاقه وأخره بها. فغضب أبو السرايا ومضى إلى الكوفة فبايع ابن طباطبا واجتمع إلى ابن طباطبا الناس. فوجه الحسن بن سهل زهير بن المسيب في أصحابه إلى الكوفة في عشرة آلاف فارس وراجل، فتهيأوا للخروج إليه، فلم تكن

بهم قوّة على الخروج. فأقاموا حتّى بلغ زهير قرية شاهى،^(١) ثمّ واقعهم ابن طباطبا فهزمهم واستباح عسكرهم وأخذوا ما كان معه من مال وسلاح ودوابّ وغير ذلك.

فلما كان من غد ظفّره بزهير واستباحته عسكره، مات فجأة، فتحدّث الناس أنّ أبا السرايا سمّه وأنه إنّما فعل ذلك لأنّ ابن طباطبا لمّا أحرز ما فى عسكر زهير بن المسيّب من المال والسلاح والكراع، منعه أبا السرايا وحظّره عليه، وكان الناس له مطيعين فعلم أبو السرايا أنّه لا أمر له فسقّه.

فلما مات ابن طباطبا أقام أبو السرايا [131] مكانه غلاماً أمرد حدثاً وهو محمد بن محمد بن زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب، عليهم السلام. فكان أبو السرايا هو الذى ينقذ الأمور.

وكان الحسن بن سهل قد وجّه عبدوس بن محمد بن أبى خالد المروذى إلى الثّيل حين وجّه زهيراً إلى الكوفة. فلما هزم أبو السرايا زهيراً خرج عبدوس يريد الكوفة بأمر الحسن بن سهل حتّى بلغ الجامع وزهير مقيم بالقصر،^(٢) فتوجّه أبو السرايا إلى عبدوس فواقعه بالجامع فقتله وأسر هارون بن أبى خالد واستباح عسكره وكان فى أربعة آلاف، فلم يفلت منهم أحد كانوا بين قتيل وأسير.

وانتشر الطالبيّون وانتحاز زهير إلى نهر الملك وأقبل أبو السرايا حتّى نزل قصر ابن هُبيرة بأصحابه وكانت طلائعه تأتى كوثى. ثمّ وجّه أبو السرايا جيوشه إلى البصرة وواسط فدخلوها، وكان بواسط وأعمالها عبد الله بن سعيد الحرشى والياً عليها من قبل الحسن بن سهل، فواقعه جيش أبى السرايا قريباً من واسط فهزموه فانصرف راجعاً إلى بغداد وقُتل أصحابه وأسيروا.

١. شاهى : موضع قرب القادسيّة. (مرصد الإطلاع).

٢. بالقصر : كذا فى الأصل ومط وتند (٤٢١) والطبرى (٩٧٨:١١). وفى آ : بالبصرة.

فلما رأى الحسن بن سهل أن أبا السرايا يهزم عساكره [132] ولا يتوجه إلى بلدة إلا افتتحها ولم يجد في قواده من يكفيه حربه، تذكر هرثمة. وكان هرثمة لما قدم الحسن بن سهل العراق والياً من قبل المأمون سلم إليه ما كان بيده من الأعمال وتوجه نحو خراسان مغاضباً، فبلغ حلوان وبعث إليه الحسن السندی وصالحاً صاحب المصلى يسأله الإنصراف إلى بغداد لحرب أبي السرايا فامتنع وأبى وقال :
- «تذكرونا عند البلاء.»

فانصرف رسل الحسن إليه بإيائه وتمنعه فأعاد إليه السندی بكتب لطيفة ورسائل تشبه الكتب، فأجاب وانصرف إلى بغداد فقدمها في شعبان وتهيأ للخروج.

وأمر الحسن علي بن أبي سعيد أن يخرج إلى ناحية المدائن وواسط والبصرة وتهيأوا لذلك وبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة، فوجه إلى المدائن فدخلها أصحابه في شهر رمضان وتقدم هو بنفسه حتى نزل صرصر. وكان هرثمة أنفذ منصور بن المهدي إلى الياسرية فخرج وعسكر بها. فلما قدم هرثمة خرج فعسكر بالسفينتين بين يدي منصور ثم شخص إلى نهر صرصر بإزاء أبي السرايا والنهر بينهما. [133]

وتوجه علي بن أبي سعيد من طريق كلواذي إلى المدائن فقاتل أصحاب أبي السرايا وهزمهم وأخذ المدائن وبلغ أبا السرايا فرجع من نهر صرصر إلى قصر ابن هبيرة وأصبح هرثمة فجذ في طلبه فوجد جماعة كبيرة فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل ثم صار إلى قصر ابن هبيرة فكانت بينه وبين أبي السرايا وقعة قتل فيها من أصحاب أبي السرايا خلق كثير وانحاز أبو السرايا إلى الكوفة.

فوثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبين على دور بني العباس

ومواليهم وأتباعهم فانتهبوها وهدموها وحرّقوها وخربوا ضياعهم وأخرجوهم من الكوفة وعملوا في ذلك عملاً قبيحاً جداً واستخرجوا الودائع التي كانت عند الناس.

وتوجّه عليّ بن أبي سعيد بعد أخذه العدائن إلى واسط فأخذها ثمّ توجّه إلى البصرة فلم يقدر على أخذها حتّى انقضت سنة تسع^(١).

ثمّ دخلت سنة مائتين

هروب أبي السرايا من الكوفة ومقتله

وفيها هرب أبو السرايا من الكوفة ودخلها هرثمة ومنصور بن المهدي فأمنوا [134] أهلها ولم يعرضوا لأحد. ثمّ إنّ أبا السرايا عبر دجلة أسفل واسط. فأتى عبّاسي^(٢) فوجد بها مالاً كان حُمِل من الأهواز فأخذه ثمّ مضى حتّى أتى السوس فنزلها وأقام بها أربعة أيّام وجعل يعطى الفارس ألفاً والراجل خمسمائة.

فلما كان اليوم الرابع أتاهم الحسن بن عليّ الباذغيسي المعروف بالمأموني فأرسل إليهم:

«إذهبوا حيث شئتم فإنّه لا حاجة لي في قتالكم، إذا أنتم خرجتم من عملي فليست أتبِعكم»

فأبى أبو السرايا إلّا قتاله فقاتلهم فهزمهم الحسن واستباح عسكرهم وجرح أبو السرايا جراحة شديدة فهرب واجتمع هو ومحمد بن محمد وأبو الشوك، فأخذوا ناحية الجزيرة يريدون منزل أبي السرايا برأس العين، فلما انتهوا إلى جلولاء عُثر بهم فأتاهم حمّاد فأخذهم فجاء بهم إلى الحسن بن

١. كذا في الأصل وآ ومط : سنة تسع. في الطبري (٩٨٤:١١) : سنة ١٩٩ وفي تد (٤٢٢) : سنة.

٢. عبّاسي (تعريب أفداسهي) : اسم لما كان حول كسكر من العمارة (مرصد الإطلاّع).

سهل وكان مقيماً بالنهروان حين طردته الحرية فضرب عنق أبي السرايا، وكان الذي تولى ضرب رقبتة هارون بن محمد بن أبي خالد الذي كان أسيراً في يده. فلم ير أحد عند القتل أشدّ جزعاً من أبي السرايا كان يضرب بيديه ورجليه ويصيح أشدّ ما يكون من الصياح حتّى جعل في رأسه حبل [135] وفي يديه حبل وفي رجله حبل وهو في ذلك يضطرب ويلتوى ويصيح حتّى ضربت عنقه. ثمّ بعث برأسه فطيف به وبعث بجسده إلى بغداد فصُلب على الجسرين في كلّ جسر نصف.

وكان بين خروجه وقتله عشرة أشهر.

وتوجّه عليّ بن أبي سعيد إلى البصرة فافتتحها، وكان الذي بها من الطالبين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وهو الذي يقال له: زيد النار، وإنّما سُمّي بذلك لكثرة ما حرّق من الدور بالبصرة. وكان إذا أتى برجل من المسوّدة كانت عقوبته أن يحرقه بالنار، فأسره عليّ بن أبي سعيد مع جماعة من قوّاده وبعث بهم إلى الحسن بن سهل.

خروج إبراهيم بن موسى بن جعفر (ع) باليمن

وفي هذه السنة خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام باليمن.

ذكر السبب في خروجه

كان سببه أنّ أبا السرايا لمّا تغلب على الكوفة وتجاسر الناس على الحسن بن سهل، حدّث هذا أيضاً نفسه باليمن وكان بها من قبل المأمون إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى. [136] فلما سمع بإقبال إبراهيم بن

موسى العلوى وأهل بيته إليه كره قتالهم وخرج بجميع من فى عسكره من الخيل والرجل فخلّى لإبراهيم اليمن. فدخل إبراهيم بلاد اليمن وقتل خلقاً كثيراً وسبى وأخذ أموالاً عظيمة من الناس فسبى إبراهيم الجزار.

جلوس الأفطس

وفى هذه السنة جلس حسين بن حسن الأفطس وكان خرج من قبل أبى السرايا. فجلس على نمرقة مثنية خلف المقام فأمر بشباب الكعبة التى عليها فجُرِدَتْ منها حتى لم يبق عليها شيء وبقيت حجارة. ثم كساها ثوبين من قز رقيق وجّه بهما أبو السرايا مكتوب عليهما:

«مما أمر به الأصفر بن الأصفر ابن السرايا داعية آل محمد لكسوة بيت الله وأن يطرح عنه كسوة الظلّمة من ولد العباس لتطهر من كسوتهم وكتب فى سنة تسع وتسعين ومائة.»

ثم أمر الحسين بالكسوة التى كانت على الكعبة فقُسمت بين أصحابه من العلويين وأتباعهم، وعمد إلى ما فى خزانة^(١) الكعبة من مال فأخذه ولم يسمع بأحدٍ عنده وديعة لأحدٍ من ولد العباس وأتباعهم إلا هجم عليه فى داره فأخذه. وإن لم يجد عنده شيئاً أخذه فحبسه وعاقبه حتى يفتدى بقدر طوله [137] حتى أفقر خلقاً وهرب كثير من أهل النعم فتعقبهم بهدم دورهم، حتى صار أصحابه إلى أخذ الحرم وأخذ أبناء الناس وتهتكوا وجعلوا يحكّون الذهب الرقيق الذى فى أسافل رؤوس أساطين المسجد الحرام، فيخرج من الأسطوانة بعد التعب الشديد قدر مثقال ذهباً، وقلعوا الحديد الذى على شبّاك كوى المسجد الحرام وقلعوا شبّاك زمزم وباعوها، فتغيّر لهم الناس ولعنوهم.

١. ما فى الأصل : خزاية. فى آ ومط والطبرى (١١: ٩٨٨) : خزانة.

اجتماع الحسين وأصحابه إلى محمد بن جعفر لمبايعته بالخلافة

وبلغهم أنّ أبا السرايا قُتل، وطُرد من كور العراق كلّها الطالبيّون، وأنّ الولاية رجعت بها لولّد العباس. فعلم حسين أنّه لا ثبات له ولا لأصحابه لسوء السيرة التي ظهرت منهم. فاجتمعوا إلى محمد بن جعفر بن محمد الصادق وكان شيخاً ودعاً^(١) يروى العلم عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام، وينتابه الناس فيكتبون عنه، وكان له سمت وزهد، وفارق ما كان عليه أهل بيته، فكان محبوباً في الناس. فلما اجتمع إليه حسين وأصحابه قالوا له :

- «قد تعلم حالك في الناس، فأبرز شخصك نباع لك بالخلافة، فليس يختلف عليك إثنان.»

فأبى إباءً شديداً. فلم يزل به ابنه عليّ وحسين بن حسن الأفطس حتّى غلبا الشيخ [138] عليّ رأيه فأجابهم. فأقاموه يوم الجمعة فبايعوه بالخلافة، وحشروا إليه الناس من أهل مكّة والمجاورين، فبايعوه وسمّوه : أمير المؤمنين. فأقام شهوراً ليس له من الأمر إلّا اسمه، وابن عليّ وحسين وجماعة معهم أسوأ ما كانوا سيرةً.

فوثب حسين بن حسن عليّ امرأة من قريش ولها زوج، وكانت ذات جمال بارع. فانتزعها وأخاف زوجها حتّى توارى، واغتصبها نفسها بعد أن كسر عليها بابها وحملت حملاً إلى حسين.

ووثب عليّ بن محمد وهو ابن أمير المؤمنين محمد بن جعفر عليّ غلام

١. في آ : وداعا. وفي الطبري (٩٨٩:١١) : وداعا.

من قريش، ابن قاضي بمكة يقال له: إسحاق بن محمد، كان جميلاً بارعاً في الجمال. فاقتحم عليه بنفسه نهراً جهاًراً في داره على الصفا مشرفاً على المسعى، حتى حمله على فرسه في السرج، وركب على عجز الفرس، وخرج به يشق السوق. فلما رآه أهل مكة ومن بها من المجاورين خرجوا، فاجتمعوا في المسجد الحرام وغلقت الدكاكين ومال معهم أهل الطواف بالكعبة، حتى أتوا أباه محمد بن جعفر فقالوا:

- «لنخلعنك ولنقتلنك أو تردّ إلينا هذا الغلام الذي أخذه [139] ابنك

جهره.»

فأغلق بابه وكلمهم من شباك الشارع في المسجد وقال:

- «والله ما علمت، فأمهلوني.»

ثم أرسل إلى حسين بن حسن الأقطس وسأله أن يركب إلى ابنه فيستنقذ الغلام من يده. فأبى ذلك حسين وقال:

- «والله إنك لتعلم أنني لا أقوى على ابنك، ولو جئته لقاتلني في

أصحابه.»

فلما رأى محمد بن جعفر ذلك، قال لأهل مكة:

- «آمنوني حتى أركب إليه وأخذ الغلام.»

فآمنوه فركب بنفسه حتى صار إلى ابنه، فأخذ الغلام منه وسلمه إلى أهله. فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى أقبل إسحاق بن موسى العباسي إليهم، فاجتمع العلويون إلى محمد بن جعفر وقالوا:

- «هذا إسحاق بن موسى مقبلاً إلينا في الخيل والرجال، وقد رأينا أن

نخندق خندقاً وتبرز شخصك ليراك الناس فيتحاربوا معك.»

وبعثوا إلى من حولهم من الأعراب ففرضوا لهم وخندقوا بأعلى مكة.

فورد إسحاق وقاتلهم أياماً ثم كره إسحاق الحرب وخرج يريد العراق. فلقبه

ورقاء بن جميل ومَن كان معه من أصحاب الجلودى فقالوا لإسحاق :

- «إرجع معنا إلى مكّة ونحن نكفيك القتال.»

فرجع معهم واجتمع إلى محمد [140] مَن كان معه، فتقاتلوا عند بئر ميمون يوماً ثمّ عاودهم بعد ذلك بيوم، فكانت الهزيمة على أصحاب محمد بن جعفر. فبعث محمد بن جعفر رجالاً من قريش فيهم قاضى مكّة يسألون لهم الأمان حتّى يخرجوا من مكّة ويذهبوا حيث شاءوا. فأجابهم إسحاق وورقاء إلى ذلك وأجلّوهم ثلاثة أيّام. ثمّ دخل إسحاق وورقاء مكّة وتفرّق الطالبيّون وأخذ كلّ قوم ناحيته.

وفى هذه السنة شخص هرثمة من معسكره إلى المأمون بعرو^(١)

ذكر خروج هرثمة ومراغمته للحسن والفضل

وما آل إليه أمره

لما فرغ هرثمة من أمر أبى السرايا ومحمد بن محمد العلوى ودخل الكوفة، أقام فى معسكره أيّاماً. ثمّ أتى نهر صرصر والناس يظنون أنّه يأتى الحسن بن سهل بالمدائن. فلما بلغ نهر صرصر خرج على عرقوف^(٢)، ثمّ أتى البردان ثمّ أتى النهروان. ثمّ سار حتّى أتى خراسان فاستقبلته كتب من المأمون فى غير منزل أن يرجع فيلى الشام والحجاز. فأبى وقال :

- «لا أرجع حتّى ألقى أمير المؤمنين.» إدلالاً منه عليه لما كان يعرف من

نصيحته له ولآبائه وأراد أن يعرف المأمون ما يدبر عليه الفضل بن سهل وما يكتم عنه من [141] الأخبار، وآلا يدعه حتّى يرده إلى بغداد دار خلافة آبائه وملكهم، ليتوسّط سلطانه ويشرف على أطرافه. فعلم الفضل ما يريد

١. انظر الطبرى (١١: ٩٩٦).

٢. فى آ: عرقوب.

فقال للمأمون :

- «إنَّ هرثمة قد أنغل عليك العباد والبلاد، وظاهر عليك عدوك، وعادى وليك، ولقد دسَّ أبا السرايا وإثما هو بعض خوله، حتَّى عمل ما عمل. ولو شاء هرثمة ألا يفعل ذلك أبو السرايا ما فعله.»

وقد كتب إليه أمير المؤمنين عدَّة كتب أن يرجع فيلى الشام والحجاز فأبى، وقد رجع إلى باب أمير المؤمنين عاصياً مشاقاً يظهر القول الغليظ ويتوعَّد بالأمر الجليل وإن أطلق هذا كان مفسدة لغيره. فأشرب قلب المأمون عليه. وأبطأ هرثمة في المسير. فلم يصل إلى خراسان إلا في شهر. فلما بلغ مرو خشى أن يكتم المأمون قدومه، فضرب بالطبول لكي يسمعها المأمون. فسمعها فقال :

- «ما هذا؟»

قالوا: «هرثمة قد أقبل يرعد ويبرق.»

وظنَّ هرثمة أنَّ قوله هو المقبول فأمر بإدخاله فلما دخل كان قد أشرب قلب المأمون ما أشرب فقال له :

- «يا هرثمة مألأت أهل الكوفة والعلويين وداهنت [142] ودسست إلى أبى السرايا حتَّى خلع وعمل ما عمل، وكان رجلاً من أصحابك ولو أردت أن تأخذهم جميعاً لفعلت، ولكنك أرخيت خناقهم وأجررت لهم رسنهم.»

فذهب هرثمة ليتكلَّم ويعتذر ويدفع عن نفسه ما قرف به، فلم يقبل ذلك منه وأمر به فوُجِّئ على أنفه وديس في بطنه وسُحب من بين يديه.

وكان تقدَّم الفضل بن سهل إلى الأعوان في الغلظة عليه والتشديد، حتَّى حُبس. ثمَّ دسَّ إليه، بعد أن أذَّله من قتله. وقالوا مات.

هياج الشغب ببغداد بين الحريّة والحسن بن سهل
وفى هذه السنة هاج^(١) الشغب ببغداد بين الحريّة والحسن بن سهل.

ذكر السبب فى ذلك

لَمَّا خرج هرثمة إلى خراسان وثبوا وقالوا :

- « لا نرضى حتّى نطرد الحسن بن سهل وعمّاله عن بغداد. »

وكان من عمّاله بها محمد بن أبى خالد، وأسد بن أبى الأسد. فأخرجوهم
وطردوا أسبابهم، وصيّروا إسحاق بن موسى بن المهدي خليفةً للمأمون
ببغداد، فاجتمع أهل الجانبين على ذلك ورضوا به.

وكان الحسن بن سهل مقيماً بالمدائن [143] منذ شخص هرثمة إلى
خراسان وإلى أن اتصل بأهل بغداد خبر هرثمة وما صنع به المأمون. فلَمَّا
علم الحسن بن سهل أنّ أهل بغداد قد وقفوا على ذلك أرسل إلى على بن
هشام، وهو والى بغداد من قبله أن :

- « امطلّ جند الحريّة والبغداديين أرزاقهم ومنّهم ولا تُعْطِهِمْ. »

فلَمَّا وثب أهل بغداد بأصحابه دسّ إلى قومٍ من قوّادهم أن يشعّبوا على
إسحاق بن موسى. فشعّبوا، فحوّل الحريّة لإسحاق إليهم وأنزلوه على
دُجَيل، وبعث الحسن بن سهل علىّ بن هشام من الجانب الآخر وجاء هو
ومحمد بن أبى خالد وقوّادهم ليلاً حتّى دخلوا بغداد، فقاتل الحريّة ثلاثة
أيّام على قنطرة الصراة العتيقة والجديدة والأرجاء.

ثمّ إنّ وعد الحريّة أن يعطيهم رزق ستّة أشهر إذا أدركت الغلّة فسألوه أن

١. فى آ : صاح، وهو تصحيف. ومط كالأصل.

يعجّل لهم خمسين درهماً لكل رجل لينفقوها في شهر رمضان. فأجابهم إلى ذلك ثمّ دافعهم بها ولم يف لهم بإعطاء الخمسين، فشذّوا على عليّ بن هشام فطرده.

وكان المتولّى ذلك والقيّم بأمر الحربية محمد بن أبي خالد وذلك أنّ عليّ بن هشام كان يستخفّ به ويضع من مقداره. ووقع بين محمد بن أبي خالد وأزهر بن زهير بن المسيّب [144] كلام فقتّنه أزهر بالسوط. فغضب محمد وتحوّل إلى الحربية واجتمع إليه الناس فلم يقربهم^(١) عليّ بن هشام حتّى أخرجوه من بغداد.

وفى هذه السنة تقدّم المأمون بإحصاء ولد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين ذكر وأنثى.

ودخلت سنة إحدى ومائتين

مراودة أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة

وفىها راود أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع من ذلك عليهم فراوده على الإمارة عليهم عليّ أن يدعو للمأمون بالخلافة فأجابهم إلى ذلك.

مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

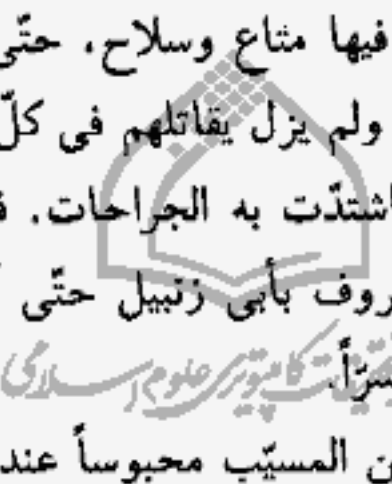
ذكر السبب في ذلك

لما أخرج أهل بغداد عليّ بن هشام منها واتصل الخبر بالحسن بن سهل وكان بالمداين انهزم حتّى صار إلى واسط، فتبعه محمد بن أبي خالد مخالفاً له، وقد تولّى القيام بأمر الناس، وولّى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب

١. كذا في الأصل: فلم يقربهم. ما في آ مهمل. في تد (٤٣٠): فلم يقتر بهم. وفي الطبري (١١: ١٠٠٠): فلم يقو بهم.

الغريب، ونصر بن حمزة بن مالك الجانب الشرقي. وكانفه ببغداد منصور بن المهدي وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع، وقد كان الفضل بن الربيع مختفياً قبل قتل المخلوع. فلما رأى محمد بن أبي خالد قد بلغ واسطاً بعث إليه يطلب [145] منه الأمان فأعطاه إياه.

وظهر^(١) وقديم على محمد بن أبي خالد ابنه عيسى من عند طاهر بن عيسى فاجتمع مع أبيه على قتال الحسن فتعبد محمد بن أبي خالد للقتال وتقدم هو وابنه عيسى مع أصحابهما حتى صاروا على ميلين من واسط. فوجه إليهم الحسن أصحابه وقواده فاقتتلوا قتالاً شديداً عند أبيات واسط.

فلما كان بعد العصر هبت ريح شديدة وغبرة حتى اختلط القوم بعضهم ببعض فكانت الهزيمة على أصحاب محمد بن أبي خالد فثبت، فأصابته جراحات شديدة في جسده، فانهزم هو وأصحابه هزيمة شديدة قبيحة، فقتل أصحاب الحسن منهم وسلبوا حتى بلغوا فم الصلح^(٢) وقلعت الريح ما كان معهم من سفن فيها متاع وسلاح، حتى أدخلها واسطاً فأخذها أصحاب الحسن وتبعوه، ولم يزل يقاتلهم في كل منزل بالنهار، ثم يرتحل بالليل حتى بلغ جَزْجَرَايا فاشتدت به الجراحات، فأمر قواده أن يقيموا في عسكره، وحمله ابنه المعروف بأبي زنبيل حتى أدخله بغداد ومات محمد من ليلته ودُفن في داره شرقاً. 

وكان زهير بن المسيب محبوباً عند جعفر بن محمد بن أبي خالد [146] فلما قدم أبو زنبيل مضى إلى خزيمة بن خازم فأعلمه خبر أبيه وأوصل إليه

١. بياض في الأصل بقدر كلمة، ولكن لا يوجد مكان هذا البياض شيء في كل من آ ومط وتد (٤٣١). والعبرة لا توجد في الطبرى بهذه الصورة (١١: ١٠٠٣).

٢. فم الصلح: نهر كبير، وعند فمه كانت دار الحسن بن سهل وفيه بنو المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل. (مراسد الإطلاع)

كتاباً عن أخيه عيسى. فبعث خزيمة إلى بنى هاشم والقوادم فأعلمهم الخبر وقرأ عليهم كتاب عيسى بن^(١) محمد بن أبي خالد إليه وأنه يكفيهم الحرب، فرفضوا به.

وصار عيسى مكان أبيه وانصرف أبو زنبيل من عند خزيمة حتى أتى زهير بن المسيب، فأخرجه من محبسه وضرب عنقه ونصب رأسه على رمح وأخذوا جسده، فشدوا في رجله حبلاً وطافوا به على دوره ودور أهل بيته، ثم أداروا^(٢) به في الكرخ وردّوه إلى باب الشام، ولما جنّ عليهم الليل رموه في دجلة.

ورجع أبو زنبيل إلى أخيه عيسى، فوجهه عيسى إلى قم الصراة، وبلغ الحسن بن سهل موت محمد بن أبي خالد، فخرج من واسط ووجه حميد بن عبد الحميد الطوسي وسعيد بن الساجور وغيره من القوادم، فلقوا أبا زنبيل بقم الصراة فهزموه فأنحاز إلى أخيه هارون بالنيل، ثم رجعوا إلى هارون فقاتلوه وهزموه مع أخيه أبي زنبيل، فخرجوا هاربين إلى المدائن وبلغ الخبر بنى هاشم وقوادم بغداد، فجدّوا في الخلاف على الحسن بن سهل وقالوا: «لا نرضى [147] بالمجوسي بن المجوسي بن سهل حتى نطرده ويرجع إلى خراسان ونخلع المأمون».

وتراضوا أياً ما أتاهم من طيور علوم رسي

ثم أرادوا منصور بن المهدي على أن يعقدوا له الخلافة فأبى عليهم. فما زالوا به حتى صيروه أميراً وخليفة للمأمون بالعراق. وقوى أمر عيسى بمن ذكرنا وكثر جنده فأمره بإحصاءهم فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً بين فارس وراجل. فأعطى الفارس أربعين درهماً والراجل عشرين درهماً.

١. كذا في الأصل: عيسى بن محمد. في آ: عيسى ومحمد.

٢. كذا: أداروا به. في آ: داروا به.

نكير المطوَّعة على الفسّاق ببغداد

وفى هذه السنة تجرّدت المطوَّعة للنكير على الفسّاق ببغداد ورئيسهم خالد الدريوش^(١) وسهل بن سلامة الأنصارى من أهل خراسان.

ذكر السبب الذى فعلت المطوَّعة له ذلك

كان فسّاق الحربية والشطّار الذين كانوا ببغداد والكرخ آذوا الناس أذى شديداً وأظهروا الفسق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق. فكانوا يأتون الرجل فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم أو يصلهم، فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يجتمعون فيأتون القرى فيكابرون أهلها ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغيره لا سلطان [148] يمنعهم، ولا يقدر على ذلك منهم، لأنّ السلطان كان يعتزّ بهم فكان لا يقدر أن يمنعهم من فسق يركبونه، وكانوا يجبون المازّة فى الطرق والسفن، ويخفرون البساتين، وكان الناس منهم فى بلاء عظيم. وخرجوا يوماً إلى قُطْرُبُل^(٢)، فانتهبوها علانية وأخذوا المتاع والذهب والفضّة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك، فأدخلوها ببغداد وجعلوا يبيعونها علانية.  فلما رأى الناس ذلك وظهور البغى والفسق والنهب، وأنّ السلطان لا يغيّره، مشى بعضهم إلى بعض وقام صلحاء كلّ ربضٍ ودربٍ، فمشى بينهم أمثالهم وقالوا:

١. انظر الطبرى (١١: ١٠٠٨).

٢. قُطْرُبُل: قرية بين بغداد والمرزفة، وإليها ينسب الطسّوج الذى هو فيه، فيقال: طسّوج قُطْرُبُل. (مراسد الإطلاع)

- «يا قوم إنما في كلّ درب فاسق وإثنان إلى عشرة، وعددكم بعد أكثر. فلو اجتمعتم حتى يكون أمركم واحداً لقمعتم هؤلاء الفسّاق واحتشموكم.»
فقام رجل من طريق الأنبار يعرف بالدريوش، فدعا جيرانه وأهل محلّته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجابوه إلى ذلك. فشذّ على من يليه من الفسّاق والشطّار، فمنعهم ممّا كانوا يصنعون، فامتنعوا عليه فقاتلهم وهزمهم وأخذ بعضهم فضربهم [149] وحبسهم.

قيام سهل بن سلامة

ثمّ قام بعده رجل آخر يقال له : سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان، وتكنّى أبا حاتم، فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيّه محمد - صلى الله عليه - وعلّق مصحفاً في عنقه، ثمّ بدأ بجيرانه وأهل محلّته فأمرهم ونهاهم فقبلوا منه، ثمّ دعا الناس جميعاً إلى ذلك، الشريف منهم والوضيع، وجعل ديواناً يثبت فيه اسم من أتاه يبايعه على ذلك وقتال من خالفه كائناً من كان، فأتاه خلق كثير فبايعوه. ثمّ إنّه طاف ببغداد وأسواقها وأرباضها وطرقها ومنع كلّ من يخفر ويجبي المازّة وقال :

- «لا خفارة في الإسلام.»

والخفارة أنّ الرجل منهم كان يأتي إلى من له دار أو بستان أو تجارة فيقول :

- «أنت في خفرتي لا يتعرّض أحد لمالك، أدفع من أرادك بسوءٍ ولى في عنقك كلّ شهر كذا وكذا درهماً.»

فيعطيه.

وقوى على ذلك فقمع أهل الشرّ وكان يخالفه الدريوش في أنّه كان لا

يغير على السلطان شيئاً ولا يخالفه ولا يقاتله ويقول :

- «أنا لا أرى مخالفة أمر السلطان بشيء».

وقال سهل بن سلامة :

- «أنا أرى قتال كل من خالف الكتاب والسنة [150] كائناً من كان».

فلما فشا ذلك وقوى^(١)، ضعف أمر منصور بن المهدي وعيسى بن محمد بن أبي خالد لأن معظم أصحابهم الشطّار ومن لا خير فيه، فكسروهم ذلك. ودخل منصور بن المهدي بغداد فكاتب الحسن بن سهل وسأله الأمان له ولأهل بيته على أن يعطي الحسن جنده وسائر أهل بغداد من المرتزقة رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلة. فأجابته الحسن إلى ذلك. وارتحل الحسن من معسكره فدخل بغداد وتقوضت تلك العساكر وأشرك بين عيسى ويحيى بن عبد الله ابن عم الحسن بن سهل في ولاية السواد وأعمال بغداد.

وكان أهل عسكر المهدي مخالفين لعيسى. فوثب المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي يدعو إلى المأمون وإلى الفضل والحسن ابني سهل. فامتنع عليه سهل بن سلامة وقال :

- «ليس على هذا بايعتني».

وتحوّل منصور بن المهدي وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع وكانوا بايعوا سهل بن سلامة على ما يدعو إليه من العمل بالكتاب والسنة، فنزلوا بالحربية هرباً من المطلب، وجاء سهل بن سلامة إلى الحسن وبعث إلى المطلب، فأبى أن يجيبه فقاتله سهل أياماً قتالاً شديداً ثم اصططح عيسى والمطلب، فدمس [151] عيسى إلى سهل من اغتاله وضربه بالسيف ضربة لم يعمل كبير عمل. فلما اغتيل سهل رجع إلى منزله وقام عيسى بأمر الناس فكفّوا عن القتال.

١. في مط : وقوى أمره.

ثم بعث عيسى إلى سهل بن سلامة، فاعتذر إليه ممّا صنع وبايعه، وأمره أن يعود إلى ما كان عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّه عوّنه على ذلك، فعاد سهل إلى ما كان عليه.

المأمون يجعل عليّ بن موسى (ع) وليّ عهد المسلمين

وفى هذه السنة جعل المأمون عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب^(١) وليّ عهد المسلمين، والخليفة من بعده، وسماه: الرضا من آل محمد، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق.

ذكر الخبر عن ذلك وسببه

وما آل إليه الأمر

بيننا عيسى بن محمد بن أبي خالد يعرض أصحابه منصرفه من معسكره إلى بغداد، إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل، يعلمه أنّ أمير المؤمنين المأمون قد جعل عليّ بن موسى وليّ عهده من بعده، وأنّه نظر في بنى العباس وبنى عليّ فلم يجد أفضل ولا أروع ولا أعلم منه، وأنّه سمّاه: الرضا من آل محمد، وأمره بطرح السواد، ولبس ثياب الخضرة، [152] وذلك في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجنود وبنى هاشم بالبيعة له، وأن يأخذهم بلبس الخضرة في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم ويأخذ أهل بغداد بذلك.

فلما أتى عيسى ذلك دعا أهل بغداد إلى ذلك، على أن يعجل لهم رزق

١. وزاد في مط: رضى الله عنهم، كما في الطبرى (١١: ١٠١٢).

شهر، والباقي إذا أدركت الغلة.

فقال بعضهم :

- «نبايع ونلبس الخضرة.»

وقال بعضهم :

- «لا نبايع ولا نخرج هذا الأمر من ولد العباس، وإنما هذا دسيس من

قبل الفضل بن سهل.»

وغضب بنو العباس، ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا :

- «نولى بعضنا ونخلع المأمون.»

وكان المتكلم في هذا والساعي له منصور وإبراهيم إبن المهدي.

أهل بغداد يبايعون إبراهيم بن المهدي بالخلافة

وفي هذه السنة بايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي بالخلافة وخلعوا

المأمون^(١).

ذكر السبب في ذلك

قد ذكرنا ما أنكره العباسيون ببغداد على المأمون حتى أخرجوا الحسن بن سهل عن بغداد. فلما ورد أمره بالبيعة لعل بن موسى ولبس الخضرة وأخذ الناس به، أرادوا [153] أن يبايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة ويخلعوا المأمون، وبذلوا للجند عشرة دنائير لكل واحد منهم. فاضطرب الناس وقبل بعضهم ورضى وأبى قوم وامتنعوا، فاجتمعوا وأمروا رجلاً يقول يوم الجمعة حين يؤذن المؤذن :

١. انظر الطبري (١١: ١٠١٣).

- «إنا نريد أن ندعو للمأمون ومن بعده إبراهيم يكون^(١) خليفته والنائب عنه.»

ودسّوا قوماً آخرين يقولون :

- «إذا قام هذا الرجل وقال ما عنده لا نرضى إلا أن تباعوا لإبراهيم بالخلافة وتخلعوا المأمون، أتريدون أن تأخذوا أموالنا كما صنع منصور، ثم تجلسوا في بيوتكم؟»

فقال يوم الجمعة هذا الرجل ما وصّوه به، وقام الآخرون فقالوا ما وصّوا به، وماج الناس، فلم يصلّ تلك الجمعة ولا خطب أحد وإنما صلى الناس بعد ما حسّوا الفوت أربع ركعات وانصرفوا.

تحرك بابك الخرمي في الجاويذانية

وفي هذه السنة تحرّك بابك الخرمي في الجاويذانية أصحاب جاويزان بن سهل صاحب البذل^(٢)، وادّعى أن روح جاويزان دخل فيه، وأخذ في العيث والفساد.

ودخلت سنة اثنتين ومائتين [154]

فلما كان يوم الجمعة لخمس خلون من المحرم أظهروا أمر إبراهيم، وصعد إبراهيم المنبر، فكان أول من بايعه عبيد الله بن العباس بن محمد، ثم منصور بن المهدي، ثم سائر بني هاشم وكان المتولّى لأخذ البيعة المطلب بن عبد الله بن مالك وقام في ذلك السندى وصالح صاحب المصلّى ومنجابه^(٣)

١. في آ: على أن يكون.

٢. في آ: صاحب البند. وفي مط: صاحب اليد: والطبرى (١١: ١٥٠) كالأصل.

٣. الثالث غير واضح في الأصل. وما أثبتناه يوافق الطبرى (١١: ١٠٦) وما في آ مهمّل.

وَنُصِيرُ الْوَصِيفَ وَسَائِرَ الْمَوَالِي - إِلَّا أَنْ هَؤُلَاءِ كَانُوا الرُّؤَسَاءَ - غَضَبًا مِنْهُمْ عَلَى الْمَأْمُونِ حِينَ أَرَادَ الْخُرُوجَ، وَإِخْرَاجَ وَلَدِ الْعَبَّاسِ مِنَ الْخِلَافَةِ، وَلِتَرْكِهِ لِبَاسِ آبَاءِهِ.

وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ وَعَدَ الْجَنْدَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فِدَافِعَهُمْ بِهَا. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ شَغِبُوا عَلَيْهِ، فَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِائَتِي دِرْهَمٍ وَكُتِبَ لِبَعْضِهِمْ إِلَى السَّوَادِ بِقِيَمَةِ مَا لَهُمْ حَنْظَةٌ وَشَعِيرًا، فَخَرَجُوا فِي قَبْضِهَا، فَلَمْ يَمَرَوْا بِشَيْءٍ إِلَّا انْتَهَبُوهُ، وَأَخَذُوا النَّصِيبِينَ جَمِيعًا.

وَخَرَجَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ، مَهْدِي بْنُ عَلْوَانَ الْحُرُورِيِّ فَحَكَّمُ وَظَهَرَ بِبُرْزُجٍ^(١) سَابُورٍ، وَغَلِبَ عَلَى الرَّاذَانِيِّ وَنَهْرَ بُوْقٍ. فَوَجَّهَ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهِ أَبَا إِسْحَاقَ ابْنَ الرَّشِيدِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْقَوَادِ كَثِيرِينَ، وَكَانَ مَعَ أَبِي إِسْحَاقَ غُلَمَانٌ لَهُ أَتْرَاكٌ، فَلَقُوا [155] الشَّرَاةَ، فَطَعَنَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ أَبَا إِسْحَاقَ فَحَامِي عَنْهُ غَلَامٌ تَرْكِيٌّ، وَقَالَ لَهُ :

- « يَا مَوْلَايَ، مَرَا بِشَنَاسٍ. »

فَسَمَّاهُ يَوْمَئِذٍ : اَشْنَاسَ .

إِنْفَازُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ إِلَى الْكُوفَةِ

وَأَنْفَذَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ الْعَبَّاسُ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَهُوَ أَخُو عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا، إِلَى الْكُوفَةِ وَأَمَرَهُ بِلِبَاسِ الْخَضِرَةِ، وَأَنْ يَدْعُو أَوَّلًا لِلْمَأْمُونِ وَمَنْ بَعْدَهُ لِأَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى، وَأَعَانَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَقَالَ لَهُ :

- « قَاتِلْ عَنْ أَخِيكَ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ يَجِيبُونَكَ وَأَنَا مَعَكَ. »

وَكَانَتْ الْكُتُبُ نَفَذَتْ مِنْ جِهَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ إِلَى الْكُوفَةِ بِتَقْلِيدِهِ الْأَمْرَ

١. فِي تَد (٤٣٨) : بُرْزُجٌ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ. بُرْزُجٌ سَابُورٌ مِنْ طَسَاسِيجَ بَغْدَادَ (مَرَاوِدُ الْإِطْلَاقِ).

وقيامه بأمره المؤمنين وخلع المأمون، ونفذت الكتب من جهة الحسن بن سهل بما رآه المأمون وكثر الخلاف، وكانت لهم أخبار لا يليق ذكرها بهذا الكتاب إذ كانت فتناً لا تجربة فيها وحروباً يقتل فيها بعض الناس بعضاً من غير تدبير لطيف ولا مكر بديع، وإنما كانت مصالطات بالسيوف، فمرة يكون لهؤلاء ومرة لهؤلاء.

فلما بلغ خبر العباس بن موسى بن جعفر العلوي أهل الكوفة، أجابه قوم كثيرون وقال قوم آخرون:

«إن كنت إنما تدعو إلى المأمون ثم من بعده إلى أخيك، فلا حاجة لنا في دعوتك. وإن كنت تدعو إلى أخيك أو إلى نفسك [156] أجبناك.»

فقال: «إنما أدعو إلى المأمون ثم من بعده لأخي.»

فقعد عنه المستبصرون في التشيع، وكان يظهر أن حُميداً يأتيه ويعينه ويقويه، وأن الحسن بن سهل يوجه^(١) إليه قوماً مدداً له، فلم يأتهم أحد، وتوجه إليه أصحاب إبراهيم بن المهدي فهمزموه.

وكان كل فريق من أصحاب الخصرة والسواد ينهبون ويحرقون.

ثم أمر إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالدة أن يسير إلى ناحية واسط على طريق النيل، وأمر جماعة أن يسيروا معاً إلى جوحى^(٢) حتى عسكروا قرب واسط معاً إلى الصيادة وعليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد، فتحصن منهم الحسن بن سهل، فكان لا يخرج إليهم. ثم تهيأ بعد أيام الحسن للقتال فظن الناس أن ذلك لنظره في النجوم. ثم اختار يوماً فخرجوا إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً إلى الظهر، ووقعت الهزيمة على عيسى وأصحابه فانهزموا، فأخذ أصحاب الحسن جميع ما كان في عسكرهم من سلاح

١. في آ: توجه.

٢. جوحى: نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد (مرصد الإطلاع).

ودواب ومتاع وغير ذلك.

ظفر إبراهيم بسهل المطوعى

وفى هذه السنة ظفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوعى فحبسه وعاقبه.

وكان السبب فى ذلك [157]

أن عيسى لما انهزم، أقبل هو وإخوته وأصحابه نحو سهل بن سلامة، لأنه كان يذكرهم بأسوأ أعمالهم ويسمّيهم الفساق، ليس لهم عنده اسم غيره. وكان أصحابه - الذين بايعوه على الكتاب والسنة وألا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق - وقد عمل كل رجل منهم على باب داره برجاً بجصّ وآجر، وقد نصب عليه السلاح والمصاحف حتى بلغوا من الحربية إلى باب الشام سوى من أجابه من الكرخ وسائر الناس. فلما قصده عيسى لم يمكنه الوصول إليه. فأعطى أصحاب الدروب التى تقرب منه، الألف درهم والألفى درهم، على أن يتنحّوا له عن الدروب، فأجابوه إلى ذلك وكان نصيب الرجل الدرهم والدرهمان ونحو ذلك.

فلما كان يوم السبت لخمس بقين من شعبان تهيّأوا له من كل وجه وخذله أهل الدروب حتى وصلوا إلى مسجده ومنزله. فلما رأهم قد وصلوا إليه اختفى منهم وألقى سلاحه واختلط بالنظارة ودخل بين النساء. فدخلوا منزله فلم يظفروا به وأذكوا عليه العيون. فلما كان فى الليل أخذوه فى بعض الأزقة فأتوا به إسحاق بن موسى الهادى وهو ولّى [158] عهد عمّه إبراهيم وهو بمدينة السلام، فكلمه وحاجّه وجمع بينه وبين أصحابه وقال له: «حرّضت علينا الناس وعبت أمرنا.»

فَقَالَ لَهُ :

– «إِنَّمَا كَانَتْ دَعْوَتِي عَبَّاسِيَّةً، وَإِنَّمَا كُنْتُ أَدْعُو إِلَى الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَا عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ السَّاعَةَ.»

فقالوا: « لا نقبل ما تقول، اخرج إلى الناس وقل لهم إنَّ ما كنت أدعوكم إليه باطل. »

فَقَالَ : « نَعَمْ . »

فَأُخْرِجَ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ :

- «يا معشر الناس قد علمتم ما كنت أدعوكم إليه من العمل بالكتاب والسنة وأنا أدعوكم إليه الساعة.»

فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ هَذَا وَجَّوْا^(١) فِي عُنُقِهِ وَضَرَبُوا وَجْهَهُ. فَقَالَ لَهُمْ:

- «يا معشر الحربية، المغرور من غرتموه؟»

فَأَخِذْ وَأَدْخِلْ إِلَى إِسْحَاقَ فَقِيْدَهُ، ثُمَّ أَخْرِجْهُ إِلَى إِبْرَاهِيْمَ بْنِ الْمَهْدِي بِالْمَدَائِنِ فَحَبَسَهُ مَعَ قَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. وَأَشَاعُوا أَنَّ عِيْسَى قَتَلَهُ تَخَوُّفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا بِمَكَانِهِ فَيُخْرِجُوهُ. وَكَانَ بَيْنَ خُرُوجِهِ وَبَيْنَ أَخْذِهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا.

وفي هذه السنة شخص المأمون من مرو إلى العراق^(٢).

والسبب في ذلك

أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ الرِّضَا أَخْبَرَ [159] الْمَأْمُونُ بِمَا فِيهِ النَّاسُ مِنْ

١. في الأصل : وجَّوَا.

٢. انظر الطبري (١١: ٢٥-١).

الفتنة والقتال منذ قتل أخوه محمد، وبما كان الفضل بن سهل يستره عنه من أخبار الناس، وأنّ أهل بيته قد تقموا عليه أشياء، وأنّهم يقولون إنّهُ مسحور مجنون، وأنّهم لمّا رأوا ذلك بايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة^(١). فقال له المأمون :

- «إنّهم ما بايعوه بالخلافة وإنّما صيّروه أميراً يقوم بأمرهم على ما كان أخبره به الفضل.»

فأعلمه أنّ الفضل قد كذبه وغشّه، وأنّ الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن، وأنّ الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكاني ومكان بيعتي من بعدك..

فقال : «ومن يعلم هذا من أهل عسكري؟»

فقال له :

- «يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وعدّة من وجوه أهل العسكر.» فقال له :

- «أدخلهم عليّ حتّى أسألهم عمّا ذكرت.»

فأدخلهم عليه وهم هؤلاء وجماعة آخرون فيهم عليّ بن أبي سعيد وهو ابن أخت الفضل، فسألهم المأمون عمّا أخبره به عليّ بن موسى الرضا، فأبوا أن يخبروه حتّى يجعل لهم^(٢) الأمان من الفضل بن سهل ألاّ يعرض لهم، فضمن ذلك لهم وكتب لكلّ رجل منهم كتاباً بخطّه ودفعه إليهم، فأخبروه بما فيه الناس من الفتن وبيّنوا ذلك له وأخبروه بغضب [160] أهل بيته ومواليهم وقوّاده في أشياء كثيرة، وبما موّه عليه الفضل من أمر هرثمة، وأنّ هرثمة إنّما جاء لنصحه وليبيّن له ما يعمل عليه وأنّه إن لم يتدارك أمره خرجت

١. في آ : بايعوا عمّه إبراهيم بن المهدي (بزيادة «عمّه»).

٢. لهم ما في الأصل مطموس. فأثبتنا الكلمة على ما في آ والطبري (١٠٢٥:١١).

الخلافة من يده ومن أهل بيته، وأنَّ الفضل دسَّ إلى هرثمة من قتله حين أراد نصحه، وأنَّ طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعته ما أبلى وافتتح له ما افتتح وقاد إليه الخلافة مزمومة، حتَّى إذا وطأ له الأمر أُخرج من ذلك كلَّه وصُير في زاوية من الأرض بالرقَّة وقد حُظرت عليه الأموال حتَّى ضعف أمره وشغب عليه جنده، ولو أنَّه كان على خلافتك ببغداد لضبط المُلْك ولم يُجترأ عليه بمثل ما اجترأ عليه من الحسن بن سهل، وأنَّ الدنيا قد تفتَّقت من أقطارها، وأنَّ طاهر بن الحسين قد تنوَّس في هذه السنين منذ قتل محمد، فهو بالرقَّة لا يستعان به في شيء من هذه الحروب، وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد وقالوا:

- «إنَّ بنى هاشم والموالي والقوَّاد لو قد رأوا عزَّتكَ سكنوا وبخعوا بالطاعة لك.»

فلَمَّا تحقَّق ذلك عنده أمر بالرحيل إلى بغداد. فلَمَّا أمر بذلك علَّم الفضل بن سهل ببعض أمرهم فتعنَّتهم حتَّى ضرب [161] بعضهم بالسياط وحبس بعضاً وנתف لحى بعض.

فعاوده علىَّ بن موسى في أمرهم، وأعلمه ما كان من ضمانه لهم. فقال له:

- «إنِّي أدارى أمرى وسأبلغ ما فيه الصلاح بعشيئة الله.»

قتل الفضل بن سهل في الحَمَّام بضرب السيوف

ثمَّ ارتحل من مرو. فلَمَّا أتى سرخس شدَّ قوم على الفضل بن سهل وهو في الحَمَّام فضربوه بالسيوف حتَّى مات، وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة اثنتين ومائتين.

وكان الذين قتلوه أربعة نفر من حشم المأمون: غالب بن الأسود

الشَّعُوذِيَّ^(١) وقسطنطين الرومي، وفرج الديلمي، وموفق الصقلي - وقُتِلَ الفضل وله ستون سنة - وهربوا.

فبعث المأمون في طلبهم وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار فجاء بهم، فسألهم المأمون فقال بعضهم:

- «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَخْتِ الْفَضْلِ دَسَّهْمٌ».

ومنهم مَنْ أَنْكَرَ.

وقد حُكِيَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ:

- «أَنْتَ أَمَرْتَنَا بِقَتْلِهِ».

فأمر المأمون بهم، فضربت أعناقهم.

ثم بعث إلى عبد العزيز بن عمران وعليّ ومونس^(٢) وغيرهم ممن كانوا سعوا بالفضل إليه، فسألهم فأنكروا أن يكونوا علموا بشيء من ذلك. فلم يقبل ذلك منهم وأمر بهم فقتلوا، وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل إلى واسط، وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل [162] الفضل، وأنه قد صيره مكانه.

ورحل المأمون من سرخس نحو العراق وقد كان المطلب بن عبد الله بن مالك يدعو في السرّ إلى المأمون وإلى خلع إبراهيم عليّ أن منصور بن المهدي خليفة المأمون. فأجابه منصور وخزيمة وجماعة من القواد، وكاتب المطلب حميداً وعليّ بن هشام أن يتقدّما فنزل حميد صرصر وعليّ النهروان، وتحقّق عند إبراهيم الخبر، فخرج من المدائن إلى نحو بغداد وطلب المطلب وأصحابه، فامتنع المطلب فنأى:

١. الشعوذى: كذا في الأصل، في آ: الشعورى. في مط: السعوى. في الطبرى (١١: ٢٧-١٠): المسعودى، كما في تد (٤٤٣). في حواشى تد: الشعوذى.

٢. كذا في الأصل ومط وتد (٤٤٣): مونس. ما في آ مهمل. في الطبرى (١١: ٢٧-١٠): موسى.

- «مَنْ أَرَادَ النَّهْبَ فَلْيَأْتِ دَارَ الْمُطَّلَبِ.»

فانتهبوا داره ودور أهل بيته ولم يُظفر به.

وندم إبراهيم حيث صنع بالمطّلب ما صنع ثم لم يظفر به. وبلغ الخبر حميداً وابن هشام. فأما حميد فبعث من جهته مَنْ أَخَذَ المَدَائِنَ وَقَطَعَ الجَسَرَ وَنَزَلَهَا. وأما عليّ بن هشام فبعث من جهته مَنْ أَتَى نَهْرَ دِيَالِي وَقَطَعَ الجَسَرَ.

زواجات ثلاثة

وفي هذه السنة تزوّج المأمون بُورَان بنت الحسن بن سهل، وزوّج عليّ بن موسى الرضا ابنته أمّ حبيب، وزوّج محمد بن عليّ بن موسى ابنته أمّ الفضل.

ودخلت سنة ثلاث ومائتين [163]

وفي هذه السنة مات عليّ بن موسى الرضا [عليه السلام]^(١)

وذلك بطوس

ذكر الخبر عن ذلك

لَمَّا صَارَ إِلَيْهَا المَأمُونُ أَقَامَ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ أَيَّامًا، ثُمَّ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى - عَلَى مَا حُكِيَ - أَكَلَ عَنِيًّا فَأَكْثَرَ مِنْهُ فَمَاتَ فَجَاءَتْ^(٢) فَأَمَرَ بِهِ المَأمُونُ فَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ الرَشِيدِ.

وكتب إلى الحسن بن سهل بذلك وإلى وجوه بني العبّاس والموالي ويعرفهم أنّهم إنّما نعموا ببيعته له من بعده ويسألهم الدخول في طاعته. ورحل المأمون إلى بغداد، فلمّا صار إلى الرّى أسقط من وظيفتها ألفى ألف درهم.

١. التسليم ليس في الأصل ولا في مط ودد.

٢. نقل مسكويه الخبر عن الطبري دون أيّ تعليق ! انظر الطبري (١١: ١٠٣٠).

غلبة السّوداء على الحسن بن سهل

وفى هذه السنة غلبت السّوداء على الحسن بن سهل حتّى شُدّ في الحديد وحُبس. وكتب بذلك قوّاد الحسن إلى المأمون فأتاهم الجواب: أن يكون على عسكريه دينار بن عبد الله ويعلمهم أنّه قادم على إثر كتابه.

ضرب إبراهيم بن المهدي، عيسى بن محمد

وفى هذه السنة ضرب إبراهيم بن المهدي، عيسى بن محمد بن أبي خالد وحبس.

ذكر السبب في ذلك

كان عيسى بن محمد يكاتب حُميداً والحسن ويظهر لإبراهيم طاعة ونصيحة، وكلّما قال [164] له إبراهيم: تهياً لقتال حُميد، تعلّل عليه بأرزاق الجند وأشباه ذلك، حتّى واقف الحسن وحُميداً على أن يسلم إبراهيم إليهم يوم الجمعة انسلاخ شوال. وسعى بعيسى بعض أهله إلى إبراهيم وكان عيسى سأل إبراهيم أن يصلّي الجمعة بالمدينة فأجابه إلى ذلك، فلمّا تكلم عيسى بما بلغه وسعى إليه تحذير وبعث إلى عيسى يسأله أن يصير إليه لينظره في بعض أموره. فلمّا صار إليه عاتبه ساعة فأخذ عيسى ينكر بعض ما يقول. فلمّا واقفه على أشياء وعلامات أمر به فضرِب وحبس، وأخذ أمّ ولد له وصبياناً صغاراً فحبسهم، وطلب خليفة له يقال له العباس فاختم.

فلمّا عرف أهل بيت عيسى وإخوته وأصحابه خبره مشى بعضهم إلى بعض وحرّضوا الناس على إبراهيم فاجتمعوا، وكان رأسهم العباس خليفته، فشدّوا على عامل إبراهيم على الجسر فطردوه وقطعوا الجسر وطرّدوا كلّ

عامل لإبراهيم في الكرخ وغيره في الجانب الغربي.

وكتب العباس إلى حميد يسأله أن يقدم عليهم حتى يسلموا إليه بغداد. فجاء حميد حتى نزل نهر صرصر طريق الكوفة وخرج إليه قواد أهل بغداد، فوعدهم ومناهم فقبلوا ذلك منه، ووعدهم [165] أن يضع لهم العطاء في الياسرية على أن يصلوا يوم الجمعة فيدعوا للمأمون، ويخلعوا إبراهيم. فأجابوه إلى ذلك.

فبلغ ذلك إبراهيم فأخرج عيسى من الحبس وسأله أن يكفيه أمر هذا الجانب وأخذ منه كفلاء،^(١) فعبر إليهم عيسى وأخوته مع قواد الجانب الشرقي وعرض عليهم العطاء، فشتموه وقالوا: - «لا نرضى إبراهيم».

احتياط من عيسى

ثم تكاثر الناس على عيسى، فانصرف بأصحابه نحو باب خراسان، ثم رجع عيسى كأنه يريد قتالهم واحتال حتى صار في أيديهم شبه الأسير، فأخذه بعض قواده فأتى به منزله، ورجع الباكون إلى إبراهيم فأخبروه، فاغتم وقلق، وقد كان المطلب مستتراً فظهر ليلحق بحميد فغمز به فأخذ وحمل إلى إبراهيم فحبسه. ثم عرف إبراهيم انخراق^(٢) الأمر فأطلقه وأطلق سهل بن سلامة وكان عند الناس أنه مقتول. فلما دخل حميد بغداد أخرجه إبراهيم. وكان يدعو في مسجد الرصافة كما كان يدعو. فإذا كان الليل رده إلى حبسه. فلما كان بعد أيام خلّى سبيله فذهب واستتر.

وكثر العيث ببغداد وظهر الشطار والعيّارون، واختفى الفضل بن الربيع،

١. كذا في الأصل وآ: كفلاء. في مط: كفيلا.

٢. في مط: انحراف.

وأخذ القوّاد وبنو هاشم يلحقون بحُميد واحداً واحداً، فسُقَطَ في يد إبراهيم وشقّ^(١) [166] عليه مداواة أمره.

ذكر الخبر عن هرب إبراهيم بن المهدي واستتاره

وأخذ إبراهيم يداري أصحابه يوم الثلاثاء لاثنتي عشر ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين. فلمّا جنّ به الليل هرب واستتر، وبعث المطلب إلى حُميد:

«إني قد أجدت بدار إبراهيم.»

وكتب إلى عليّ بن هشام بمثل ذلك. فأقبلوا إلى دار إبراهيم فطلبوه فيها فلم يجدوه. ولم يزل إبراهيم متوارياً حتّى قدّم المأمون، وكان من أمره ما كان.

وكانت أيّام إبراهيم كلّها سنة وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً. وغلب عليّ بن هشام على شرقى بغداد وحُميد بن عبد الحميد على غربيّها.

ودخلت سنة أربع ومائتين

مزدحم المأمون العراق والرجوع إلى لبس السواد وفيها قدّم المأمون العراق وانقطعت مادّة الفتن ببغداد.

ذكر الخبر عن ذلك

لمّا صار المأمون إلى النهروان أقام ثمانية أيّام، وخرج إليه أهل بيته

١. في مط: وشقي.

وقوّاده ووجوه الناس، وكان كتب إلى طاهر وهو بالرقّة أن يوافيه إلى النهروان، فوافاه بها ثمّ دخل مدينة السلام ولباسه ولباس أصحابه : أقبيتهم وقلانسهم وطرزهم^(١) وأعلامهم كلّها، [167] الخضرة^(٢) وطاهر معه، فلم يكن يدخل إليه أحد من القوّاد والناس كافّة إلّا في ثياب خضر مدّة، ثمّ تكلم في ذلك بنو العبّاس خاصّة وخاطبوا طاهر بن الحسين وكاتبه أيضاً قوّاد خراسان. وكان المأمون أمر طاهر أن يسأله حوائجه. فكان أوّل حاجة سأله أن يرجع إلى لبس السواد وزيّ دولة الآباء.

فلما رأى المأمون طاعة الناس له في لبس الخضرة مع كراحتهم لها جمع الناس. ثمّ دعا بسوادٍ فلبسه، ودعا بخلعة سواد فألبسها طاهراً. ثمّ دعا لقوّاده بخلع السواد، وطرح الناس الخضرة.

ودخلت سنة خمس ومائتين

ولاية طاهر بن الحسين

وفيهما ولّى المأمون طاهر بن الحسين من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق.

مركز تحقيق تكملة توير ذكر السبب في ذلك

كان المأمون ولّاه الحربة والشُرط وجانبى بغداد ومعاون السواد. فاتفق أنّ محمد بن أبى العبّاس ناظر علىّ بن الهيثم بين يدى المأمون في التشييع ودار الكلام بينهما إلى أن قال محمد لعليّ :
« يا نبطى، ما أنت والكلام ؟ »

١. طرزهم : كذا في الأصل وآ ومط. ومواشى الطبرى. وما فيه : طرّاداتهم (١١: ١٠٣٧).

٢. الخضرة : ساقطة من آ.

وكان المأمون متكئاً، فجلس وقال: [168]

- «الشم عي والبداء لؤم»^(١) وقد أبحنا الكلام، فمن قال الحق حمدناه ومن جهل وقفناه، فاجعلا بينكما أصلاً ترجعان إليه.»
فعادا إلى المناظرة وعاد محمد لعلّ بالسفه. فقال عليّ:
- «لولا جلالة مجلسه وما وهب الله من رأفته وما نهى عنه أنفاً، لعزّقت جبينك. وكفاك من جهلك غسلك المنبر بالمدينة.»
فجلس المأمون وكان متكئاً فقال:

- «وما غسلك المنبر، التقصير منّي في أمرك أم لتقصير المنصور في أمر أبيك؟ لولا أنّ الخليفة إذا وهب استحي أن يرجع فيه لكان أقرب شيء بيني وبينك إلى الأرض رأسك. قم، وإياك ما عدت.»
فخرج محمد بن أبي العباس ومضى إلى طاهر وهو زوج أخته، فقال له:
- «كان من قصّتي كيت وكيت.»

وكان يحجب المأمون على الشراب فتح الخادم وحسين يسقيه. فركب طاهر إلى الدار ودخل فتح يستأذن له، فقال المأمون:
- «إنه ليس من أوقاته ولكن ائذن له.»
فدخل طاهر فسلم، فردّ عليه السلام وقال:
- «إسقوه رطلًا.»
فأخذه في يده اليمنى وقال له:
- «اجلس.»

فجلس وشربه، ثم شرب المأمون وقال:
- «اسقوه الثاني.»

١. في الأصل: والبداء لؤم، من دون همز. انظر الطبري (١١: ١٠٤٠).

ففعل كفعله الأول، ثم نهض. فقال [169] له المأمون :

- «اجلس.»

فقال : «يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشرط أن يجلس بين يدي

سيده.»

قال المأمون :

- «ذاك في مجلس العامة، فأما في مجلس الخاصة فطلق.»

قال : وبكى المأمون وتغرغرت عيناه، فقال له طاهر :

- «يا أمير المؤمنين لا تبكي عيناك. فوالله لقد دانت لك البلاد وأذعن لك

العباد وصرت إلى المحبة في كل أمرك.»

فقال : «أبكي لأمرٍ ذكره ذلّ وستره حزن، ولن يخلو أحد من شجن.

فتكلم بحاجتك التي جئت لها.»

قال : «يا أمير المؤمنين، محمد بن أبي العباس أخطأ، فأقله عثرته وارض

عنه.»

قال : «قد رضيت عنه وأمرت بصلته، ورددت عليه منزلته. ولولا أنه

ليس من أهل الأنس لأحضرتة.»

قال : وانصرف طاهر ثم دعا طاهر بهارون بن جبعويه^(١) فقال :

- «إنّ أهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض وإنّ لى إليك حاجة. خذ معك

ثلاثمائة ألف درهم فأعطِ الحسين الخادم مائتي ألف درهم وأعطِ كاتبه

محمد بن هارون مائة ألف، وسله أن يسأل المأمون : لم بكى ؟»

قال : ففعل ذلك. فلمّا تغدّى المأمون قال :

- «يا حسين اسقني.»

١. جبعويه : كذا في الأصل. في آ : جبعويه. وفي الطبري (١١: ١٠٤١) : جبعويه.

قال : « لا والله لا سقيتك ، أو تقول لى لم بكيت حين دخل عليك طاهر . »

قال : « يا حسين وكيف عُنيت بهذا حتى سألتنى عنه ؟ »

قال : « لغمى [170] بذلك . »

قال : « يا حسين ، أمر إن خرج من رأسك قتلتك . »

قال : « يا سيدي ومتى أخرجت لك سرّاً ؟ »

قال : « إني ذكرت محمداً أخى وما ناله من الذلة ، فخنقتنى العبرة .

فاسترحمت إلى الإفاضة ، ولن يفوت طاهراً منى ما يكره . »

فأخبر حسين طاهراً بذلك . فركب طاهر إلى أحمد بن أبى خالد فقال له :

- « إنَّ الشَّاء منى ليس برخيص ، وإنَّ المعروف عندى ليس بضائع ، فغيبنى

عن عينه . »

فقال له :

- « سأفعل ، فبكر على غداً . »

وركب ابن أبى خالد إلى المأمون ، فلما دخل إليه قال له :

- « ما بتُّ البارحة . »

فقال له :

- « ولم ويحك ؟ »

قال : « لأنك وليت خراسان غسان^(١) وهو ومن معه أكلة رأس ، وأخاف

أن تخرج عليه خارجة من الترك فتصلطمه . »

قال : « لقد فكّرت فى ذلك ، فمن ترى ؟ »

قال : « طاهر بن الحسين . »

قال : « ويلك يا أحمد ، هو والله خالع . »

١. فى آ : حسان ، بدل « غسان » . مط والطبرى (١١ : ١٠٤١) : كالأصل .

قال : «أنا الضامن له .»

قال : «فأنفذه .»

قال : فدعا طاهراً من ساعته فعقد له وشخص من ساعته . فنزل في بستان جليل^(١) يحمل إليه في كل يوم ما أقام فيه مائة ألف . فأقام شهراً ثم شخص إلى خراسان .
وكان طاهر استخلف ابنه بالرقّة على قتال نصر بن شبث^(٢) .

ذكر نادرة لكاتب

صارت سبباً لصلاح حاله وحال الكتّاب ببغداد^(٣) [171]

تحدّث محمد بن خالد بن رودى^(٤) المدائنى الكاتب قال :

كان مَخْلَد يلقّب بلبّد لطول عمره فحدّثنى أنّ المأمون أوّل ما قدّم العراق حَظَرَ أن يقلّد الأعمال إلّا الشيعة الذين قدّموا معه من خراسان . فطالت عَطَلَةٌ كُتّاب السواد وعمّاله وكانوا يحضرون داره في كلّ يوم حتّى ساءت حال أكثرهم . فخرج يوماً بعض مشايخ الشيعة وكان مغفلاً ، فتأمّل وجوههم فلم ير فيهم أسنّ من مَخْلَد ، فجلس إليه ثمّ قال له :

- «إنّ أمير المؤمنين قد أمرنى أن أتخيّر ناحية من نواحي الخراج صالحة المرفق ليوقع بتقليدى إتياءه ، فاختر لى أنت ناحية .»

١. فى الطبرى (١١: ٤٣-١٠) : خليل بن هاشم . فى آ وحواشى الطبرى وتد (٤٥٠) جليل . وفى مط : خليل .

٢. وزاد فى تد (٤٥٠) : وفيها ولى المأمون عيسى بن محمد بن أبى خالد ارمىنية وآذربيجان لمحاربة باهك .

٣. العنوان غير موجود فى تد (٤٥٠) .

٤. فى آ ومط : دردى .

فقال: «إني لا أعرف لك عملاً أولى من مرتدات»^(١) البحر وصدقات الوحش وخراج وبار.»

فقال: «اكتبه لي بخطك.»

فكتب ذلك له بخطه، فذهب الشيعي حتى عرض الرقعة على المأمون وسأله تقليده ذلك العمل. فقال له:

- «من كتب لك هذه الرقعة؟»

قال: «شيخ من الكتاب يحضر الدار كل يوم.»

قال: «هلمه.»

فلما أدخل، قال له المأمون:

- «ما هذا يا جاهل، قد بلغ بك الفراغ إلى مثل هذا؟»

فقال: «يا أمير المؤمنين أصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما تحصل استخراجهم وصار في أيديهم. [172] فأما شروط الخراج، حكمه، وما يجب تعجيل استخراجهم، وما يجب تأخيرهم، وما يجب إطلاقه، وما يجب منعه، وما يجب إنفاقه، وما يجب الإحتساب، به فلا يعرفونه، وتقليدهم يعود بذهاب الإرتفاع، فإن كنت يا أمير المؤمنين لا تثق بنا فمُرْ بأن يُضَمَّ إلى كل رجل منهم رجل منا، فيكون الشيعي يحفظ الأموال ونحن نجمعه.»

فاستصاب المأمون كلامه، وأمر بتقليد عمال السواد وكتابهم، وأن يُضَمَّ إلى كل واحد منهم واحد من الشيعة، وضمَّ مَخلد إلى ذلك الشيخ، فقلَّده ناحية جليلة.

وفيها ولي المأمون عيسى بن محمد بن أبي خالد أرمينية وأذربيجان

١. مرتدات: الحرف الأول غامض في الأصل. في مط: بريدات. والعبارة في آ: «بريدات البحر والأخرى بريدات [بالإهمال إلا في الحرف الأخير] البحر». في تد (٤٥١): بريدات. والمرتدة: المرتدة: الفائدة. ولم نجد الرواية في الطبري في هذه السنة.

لمحاربة بابك.

ودخلت سنة ست ومائتين
وفيها ولى المأمون عبد الله بن طاهر الجزيرة إلى مصر
ذكر السبب في ذلك

كان يحيى بن معاذ بالجزيرة فمات في هذه السنة، فدعا المأمون عبد الله بن طاهر فقال:

- «يا عبد الله، إني أستخير الله عز وجل منذ شهر وأرجو أن يخير الله لى. إن الرجل يصف [173] ابنه ليطريه لرأيه فيه، ويرفعه، وقد رأيتك فوق ما وصفك أبوك، وقد مات يحيى بن معاذ واستخلف ابنه وليس بشيء، وقد رأيت توليتك مصر ومحاربة نصر بن شيبث^(١)».

فقال: «السمع والطاعة لأمر المؤمنين، وأرجو أن يجعل الله لأمر المؤمنين الخير وللمسلمين».

فعقد له وأمر أن يقطع جبال القصارين عن طريقه، وتُحصى عن الطرقات المظالُّ لئلا يكون في طريقه ما يردّ لواءه، ثم عُقد له لواء مكتوب عليه بصفرة ما يكتب على الألوية، وزاد فيه: «المأمون يا منصور».

فركب إليه الناس وركب إليه الفضل بن الربيع فأكرمه عبد الله وقال له:

- «قد تقدّم أبى وأخوك إلى ألا أقطع أمراً دونك. وأحتاج أن أستطلع رأيك

واستضىء بمشورتك».

فأقام عنده إلى الليل وسأله المبيت فأبى واعتذر. فمشى معه عبد الله إلى صحن داره وودّعه.

١. فى آ: شيبث.

وفى هذه السنة ولى عبد الله بن طاهر إسحاق بن إبراهيم أمر الجسر وجعله خليفته على ما كان أبوه طاهر استخلفه فيه من الشرط وأعمال بغداد وشخص هو إلى الرقة لحرب نصر بن شُبث.

ودخلت سنة سبع ومائتين وفاة ذى اليمينين

وفيها كانت وفاة ذى اليمينين طاهر من حمى وحرارة أصابته. وذكر أنه وُجد في فراشه [174] ميتاً. فحكى خواصه وعمه علي بن مُصعب أنهم صاروا إليه يعودونه، فسألوا الخادم عن خبره وكان يغلس بصلاة الصبح، فقال الخادم:

- «هو نائم لم ينتبه.»

فانتظروه ساعة، فلما تأخر قالوا للخادم:

- «أيقظه.»

قال:

- «لا أجسر.»

فقالوا له:

- «طرق لنا لندخل إليه.»

فدخلوا فوجدوه ملتقاً في دُواج قد أدخله تحته وشده عليه من عند رأسه ورجليه، فحرّكوه فلم يتحرك، فكشفوا عن وجهه فوجدوه قد مات، ولم يعلم أحد الوقت الذي توفى فيه.

وذكر أبو سعده^(١) كلثوم بن ثابت قال: كنت على برید خراسان ومجلسي

يوم الجمعة في أصل المنبر، فلمّا كانت سنة سبع ومائتين بعد ولاية طاهر بن الحسين بسنتين حضرت الجمعة، فصعد طاهر المنبر فخطب، فلمّا بلغ إلى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له وقال :

- «اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك واكفها مؤونة من بغى لها السوء وأرادها بمكروه بلمّ الشعث وحقن الدماء وإصلاح ذات البين.»
قال : فقلت في نفسي : أنا أول مقتول لأنّي لا أكتم الخبر. فانصرفت واغتسلت ووصّيت وائترزت بإزار ولبست قميصاً وارترديت رداءً وطرححت السواد [175] وكتبت إلى المأمون.

قال : فلمّا صلّى العصر دعاني، وحدث حادث في جفن عينه وفي ماقه^(١) فسقط ميتاً. فخرج طلحة بن طاهر فقال :

- «ردّوه ردّوه.»

وقد خرجت فردّوني وقال :

- «هل كتبت بما كان؟»

قلت : «نعم.»

قال : «فاكتب بوفاته.»

فأعطاني مالاً وثياباً. فكتبت بوفاته وقد قام طلحة بالجيش.

قال : فوردت الخريطة على المأمون بخلعه. فدعا ابن أبي خالد فقال :

- «اشخص الآن فأت به كما زعمت وضمنت.»

قال : «أبيت ليلتي؟»

قال : «لا لعمري ولا تبيت إلّا على الظهر.»

فلم يزل يناشده حتّى أذن له في المبيت، ووافقت الخريطة بموته ليلاً.

١. كذا في الأصل وآ والطبري (١١: ١٠٦٤).

فأمر بمكاتبة طلحة وأقامه مقامه فبقى طلحة والياً على خراسان فى أيام المأمون سبع سنين بعد موت طاهر ثم توفى وولى عبد الله خراسان. وذكر بعض خواص المأمون قال: شهدت مجلساً للمأمون وقد أتاه نعى طاهر فقال:

«لليدين وللفم. الحمد لله الذى قدّمه وأخرنا.»

ثم وجّه المأمون أحمد بن أبى خالد إلى خراسان للقيام بأمر طلحة، فشخص أحمد إلى ماوراء النهر فافتتح أسروشنه، وأسر كاووس وابنه وبعث بهما إلى المأمون، ووهب طلحة لأحمد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً بألفى درهم [176] ووهب لإبراهيم بن العباس كاتب أحمد خمسمائة ألف درهم.

ودخلت سنة ثمان ومائتين

ولم يحدث فيها حدث يُنسخ فى هذا الكتاب.

ودخلت سنة تسع ومائتين

وفىها حضر عبد الله بن طاهر بن نصر بن شيب وضيق عليه حتى طلب الأمان^(١).

ويقال: إن ثمامة حكى أن المأمون سأله أن يحمل إليه رجلاً له عقل وبيان يُحمّله رسالة إلى نصر بن شيب. قال: فحملتُ إليه رجلاً من بنى عامر يقال له جعفر بن محمد فقال: أحضرنى المأمون بين يديه فكلّمنى بكلام

١. انظر الطبرى (١١: ١٠٦٧).

كثير، ثم أمرني أن أبلغه نصراً. قال: فأتيته نصراً وهو بسروج بموضع يقال له كفرغزون^(١) فأبلغته رسالته فأذعن وشرط شروطاً منها أن لا يطاء له بساطاً. قال: فأتيت المأمون فأخبرته فقال:

- «لا أجيبه إلى هذا أبداً ولو أفضيت إلى بيع ما عليّ حتى يطاء بساطي وما باله ينفر مني.»
قال: قلت:

- «لجرمه وما تقدّم منه.»

قال: «أترأه أعظم جرماً عندى من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن أبي خالد أتدرى ما صنع [177] بي الفضل؟ أخذ قوادى وأموالى وجنودى وسلاحى وجميع مالى ممّا أوصى به لى أبى فذهب به إلى محمد وتركنى بمرو وحيداً وأسلمنى وأفسد علىّ أخى حتى كان من أمره ما كان. أتدرى ما صنع به عيسى بن أبى خالد؟ طرد خليفتى من مدينتى ومدينة آبائى وذهب بخراجى وفيثى وأخرب علىّ ديارى وأقعد إبراهيم خليفة بإزائى ودعاه باسمى.»

قال: قلت:

- «يا أمير المؤمنين تأذن لى فى الكلام فأتكلم؟»

قال: «تكلم.»

قال: قلت:

- «الفضل بن الربيع رضيعكم ومولاكم وحال سلفه حالهم يرجع إليه بضروب كلّها تردّك إليه وعيسى بن أبى خالد رجل من أهل دولتك وسابقته وسابقة من مضى من سلفه سابقتهم، وهذا رجل لم تكن له يد قط فتحتمل

١. فى الطبرى (١١: ١٠٦٧)، كفرغزون (باهمال الرابع).

عليها ولا لمن مضى من سلفه، إنما كانوا جند بنى أمية.»
 قال: «إنّ ذلك لكما تقول، فكيف بالحنق والغيط. لست أقلع عنه حتّى
 يطأ بساطي.»
 قال: «فأتيت نصرأ فأخبرته بذلك. قال: فصاح بالخيّل صيحة فجالت
 عليه ثمّ قال:
 - «ويلي عليه هو؟ لم يقو على أربعمئة ضفدع تحت جناحه - يعنى
 الزُطّ - يقوى على حلبة العرب؟»
 فذكر أنّ عبد الله بن طاهر لمّا جادّه القتال بلغ منه حتّى طلب الأمان
 [178] فأعطاه وبعث به إلى المأمون.

ودخلت سنة عشرة ومائتين

وفيهما أخذ إبراهيم بن المهدي ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من ربيع
 الآخر وهو متنقّب بين امرأتين فى زى امرأة أخذه حارس أسود ليلاً فقال:
 - «مَن أنتنّ وأين تُرذنّ فى هذا الوقت؟»
 فأعطاه إبراهيم خاتم ياقوت كان فى إصبعه له قدر عظيم، وقال:
 - «خلّنا ولا عليك أن تعلم مَن نحن.»
 فلمّا نظر الحارس إلى الخاتم استراب وقال فى نفسه: هذا خاتم رجل له
 شأن فرفّعن إلى صاحب المسلحة، فأمرهنّ أن يُسفرن، فتمنّع إبراهيم فجبذه
 فبدت لحيته، فرفعه إلى صاحب الجسر، فرفعه فذهب به إلى باب المأمون
 فأعلم به فأمر بالاحتفاظ به فى الدار. فلمّا كان غداة الأحد أقعد فى دار
 المأمون لينظر إليه بنو هاشم والقوادر والجند وصيّروا المقنعة التى كان متنقّباً
 بها فى عنقه والملحفة فى صدره ليراه الناس ويعلموا كيف أخذ، فلمّا كان
 يوم الخميس حوّل إلى منزل أحمد بن أبى خالد فحبس عنده.

بناء المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل

وفى هذه السنة بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل فى شهر رمضان. وكان الحسن بالصُّلح، فشخص المأمون إلى الصُّلح، [179] وأمر بحمل إبراهيم بن المهدي خلفه. وكان العباس بن المأمون قد تقدّم أباه على الظهر ووافى المأمون وقت العشاء فأفطر هو والحسن والعباس ودينار بن عبد الله قائم على رجله حتّى فرغوا من الإفطار، فدعا المأمون بشراب فأتى بجام ذهب فضّب فيه وشرب ومدّ يده بجام فيه شراب إلى الحسن، فتباطأ عنه الحسن فغمزه دينار بن عبد الله، فقال الحسن :

- «يا أمير المؤمنين أشربه بإذنك.»

فقال له :

- «لولا أمرى لم أمدّ يدى إليك بها.»

فأخذ الجام فشربه. فلما كان فى الليلة دخل على بوران. فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدّتها ألف دُرّة كانت فى صينيّة ذهب وكان تحتها حصير ذهب معمول على السامان. فقال المأمون :

- «قاتل الله أبا نؤاس كأنه حاضر هذا المنظر فى قوله :

«حصباء دُرّ على أرضٍ من الذهب.»

ثمّ أمر المأمون أن يُجمع وسألها عن عدد الدُرّ كم كان فقالت :

- «ألف حبة.»

فأمر بعدّها فنقصت عشراً فقال :

- «مَن أخذها فليردّها.»

فقال حسين رَحْلَةً^(١) :

- «يا أمير المؤمنين إنما نثر لناخذه وإلا فالعقد أولى به.»

قال : «رَدَّهَا فَأَتَى أَخْلَفَهَا عَلَيْكَ.»

فَرُدَّتْ. فجمعها [180] المأمون في الآنية كما كانت، ووَضِعَ في حجرها،

وقال :

- «هذه نحلتيك وسلى حوائجك.»

فأمسكت، فقالت جدتها :

- «كَلَّمَى سَيِّدَكَ وَسَلِيَهُ حَوَائِجَكَ، فَقَدْ أَمَرَكَ.»

فسأله الرضا عن إبراهيم بن المهدي. فقال :

- «قد فعلت.»

وسأله الإذن لأم جعفر في الحج، فأذن لها. وألبستها أم جعفر البدنة

الأموية. وابتنى بها من ليلته وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون مناً

في تور ذهب فأنكر المأمون ذلك عليهم وقال :

- «هذا سرف.»

فلما كان من الغد دعا إبراهيم بن المهدي، فجاء يمشى من شاطئ دجلة.

فلما دخل على المأمون قال :

- «هيه يا إبراهيم.»

فقال : «يا أمير المؤمنين، وَلِيَ الثَّأْرَ مُحْكَمٌ فِي الْقِصَاصِ وَالْعَفْوِ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَى وَمَنْ تَنَاولَهُ الْإِغْتِرَارُ بِمَا مَدَّ لَهُ مِنْ أَسْبَابِ الشَّقَاءِ أَمَكْنَ عَادِيَةِ الدَّهْرِ

مِنْ نَفْسِهِ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ ذِي ذَنْبٍ كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذِي ذَنْبٍ دُونَكَ

فَإِنْ تَعَاقَبَ فَبِحَقِّكَ وَإِنْ تَعَفَّ فَبِفَضْلِكَ.»

١. كذا في الأصل : حسين رخله. في الطبري (١٠٨٢:١١) : حسين رجلة.

قال : « بل أعفو يا إبراهيم . »

فكبر وسجد وقال إبراهيم يمدح المأمون : [181]

يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ يَمَانِيَّةٌ بِهِ
عَسَلُ الْفَوَارِعِ مَا أُطِغَتْ فَإِنْ تَهَجَّ
مِلْتُ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَخَافَةً
بِأَبِي وَأُمِّي فِدْيَةً وَبَيْنَهُمَا
مَا أَلَيْنَ الْكَتْفَ الَّذِي بَوَّأْتَنِي
نَفْسِي فِدَاؤُكَ إِذْ^(٢) تَضَلُّ مَعَاذِرِي
أَمَلًا لِفَضْلِكَ وَالْفَوَاضِلُ شِيَعَةٌ
فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ
إِلَّا الْعُلُوُّ عَنِ الْعُقُوبَةِ بَعْدَ مَا
فَرَحِمْتَ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهَا
مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَالْعُفَاةُ تُمِدُّنِي
حَتَّى إِذَا عَلِقْتُ حَبَائِلُ شَفَوَتِي
لَسَمَ أُذِرُ أَنْ لِحْزُومٍ مِثْلِي غَافِرًا
رَدَّ الْحَيَاةَ عَلَيَّ بَعْدَ ذَهَابِهَا
أَحْيَاكَ مَنْ وَلَّاكَ أَطْوَلَ مُدَّةٍ
إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْخِلَافَةَ حَاذَهَا

بَعْدَ الرَّسُولِ لَا يَسِ وَلِطَامِعِ
فَالصَّابُ يُمَزَّجُ بِالسَّعَامِ النَّاقِعِ
وَتَسِيْتُ تَكَلُّوهُمْ بِقَلْبٍ خَاشِعِ
مِنْ كُلِّ مُغْضِلَةٍ وَذَنْبٍ وَاقِعِ
وَطَنًا وَأَمْرَعًا رَيْعَةً لِلرَّائِعِ^(١)
وَالْوُدُّ مِنْكَ بِفَضْلِ حِلْمٍ وَاسِعِ
رَفَعْتَ بِنَاءَكَ بِالْمَحَلِّ الْيَافِعِ
عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعِ
ظَفَرْتُ يَدَاكَ بِمُسْتَكِينِ خَاضِعِ
وَعَوِيلَ عَائِسَةٍ كَقَوْسِ النَّارِعِ
جُهْدُ الْأَلِيَّةِ مِنْ حَنِيفٍ رَاكِعِ
أَسْبَابُهَا إِلَّا بِنِيَّةِ طَائِعِ
بَرَدَى إِلَى حَفْرِ الْمَهَالِكِ هَائِعِ
فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ أَى حَتْفٍ صَارِعِي
وَرَعُ الْإِمَامِ الْقَادِرِ الْمُتَوَاضِعِ
وَرَمَى عَدُوَّكَ فِي الْوَتِينِ بِقَاطِعِ
فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ الشَّابِعِ

١. كذا في الأصل : ريعه للرائع . في آ والطبرى (١٠٧٨: ١١) : ريعه للرائع . في تد (٤٥٨) : ريعه للرائع .

٢. في الأصل وآ : أن . وفي تد : إن . في الطبرى (١٠٧٨: ١١) : إذ . وهو الأصح .

جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَيْكَ جَامِعُ أَمْرَهَا وَخَوَى رِذَاؤُكَ كُلَّ خَيْرٍ جَامِعٍ [182]

فقال المأمون حين أنشده إبراهيم هذه القصيدة :

- «أقول ما قال يوسف لإخوته : لا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(١).

فأمّا الحسن بن سهل فإنه أضاف المأمون وجميع من معه وخلع على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم، وكان مبلغ ما لزمه عليهم خمسين ألف ألف درهم سوى ما نثره.

وكان كتب رقاعاً فيها أسماء ضياعه ونثرها على القواد وبنى هاشم فمَن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث^(٢) فتسلّمها.

افتتاح مصر

وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن طاهر مصر واستأمن إليه عبيد الله بن السري بن الحكم.

ذكر الخبر عن ذلك

لما فرغ عبيد الله بن طاهر من نصر بن شُبث ذهب إلى مصر، فلما قَرُب منها وصار على مرحلة قَدَّمَ قائداً من قَواده ليرتاد لمعسكره موضعاً يعسكر فيه، وقد خندق ابن السري على نفسه خندقاً. فاتصل الخبر بابن السري عن مسير القائد إلى ما قَرُب منها فخرج بمن استجاب له من أصحابه إلى القائد الذي كان يطلب موضع المعسكر، فأبرد القائد [183] إلى عبد الله بريداً يخبره

١. س ١٢ يوسف : ٩٢.

٢. في تد (٤٥٩) : بعث بها.

وخبر خروج ابن السريّ إليه، فحمل عبد الله رجاله على البغال على كلّ بغل رجلين بآلاتهما وجنّبوا الخيل وأسرعوا السير حتّى لحقوا القائد وابن السري وأصحابه، فلم يكن من أصحاب عبد الله إلّا حملة واحدة حتّى انهزم ابن السريّ وأصحابه وتساقطت عامّة أصحاب ابن السريّ في الخندق. فمّن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض في الخندق أكثر ممّن قتله الجند. وانهزم ابن السري فدخل الفسطاط وأغلق على نفسه وأصحابه ومّن فيها الباب وحاصره عبد الله بن طاهر، فلم يعاوده ابن السريّ الحرب حتّى خرج إليه في الأمان. فحكى ابنُ ذى القلمين قال: بعث ابن السريّ إلى عبد الله بن طاهر لما ورد مصر، ومأمنه من دخولها بألف وصيف ووصيفة، مع كلّ واحد منهم ألف دينار في كيس حرير، وبعث بهم إليه ليلاً. قال: فردّهم عليه عبد الله وكتب إليه:

- «لو قبلتُ هديتك نهراً لقبلتها ليلاً - بل أنتم بهديتكم تفرحون إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبلَ لهم بها ولنُخرجنهم منها أدلّة وهم صاغرون.»^(١)

قال: فحينئذٍ طلب الأمان وخرج إليه.

مَرْخِيعُ أَهْلِ قِمِّ السُّلْطَانِ وَمَا كَانَ مِنْ عَاقِبَتِهِ

وفى هذه السنة خلع أهل قِمِّ^(٢) السلطان ومنعوا الخراج. [184]

ذكر سبب ذلك

كان المأمون وقت اجتيازه بالريّ حظّاً عن أهلها من الخراج على ما

١. س ٢٧ النمل: ٣٦.

٢. لا شدّة على الميم في هذا الاسم في كل المواطن من الأصل.

ذكرت، فطمع أهل قم في مثل ذلك وكان خراجهم ألفى ألف درهم، فكانوا يستكثرونها. فرفعوا إلى المأمون يشكون ثقل الخراج ويسألونه الحط فلم يجبه المأمون، فامتنعوا ولم يؤدوا شيئاً، فوجه المأمون إليهم علي بن هشام ثم أمده بعجيف فحاربهم فظفر بهم وقتل يحيى بن عمران وهدم سور قسم وجباها سبعة آلاف ألف، بعد ما كانوا يتظلمون من ألفى ألف درهم.

ودخلت سنة إحدى عشرة ومائتين

المأمون يدس رجلاً إلى عبد الله بن طاهر

وفيها قال بعض إخوة المأمون للمأمون :

- «يا أمير المؤمنين، إن عبد الله بن طاهر يعيل إلى ولد أبي طالب وكذا

كان أبوه قبله.»

قال : فدفع المأمون ذلك وأنكره.

ثم عاد لمثل هذا القول، فدس إليه رجلاً وقال له :

- «إمض في هيئة القراء^(١) والنسك إلى مصر فادع جماعة من كبرائها إلى

القاسم بن إبراهيم بن طباطبا واذكر مناقبه وعلمه وفضائله ثم صر بعد ذلك

إلى بعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم ائتته فادعه ورغبه في استجابته [185]

له، وابتحت عن دفين نيتته بحثاً شافياً، وأتني بما تسمع منه.»

قال : ففعل الرجل ما قال له وأمره به، حتى إذا دعا جماعة من الرؤساء

والأعلام قعد يوماً بباب عبد الله بن طاهر وقد ركب إلى عبيد الله بن السري

بعد صلحه وأمانه. فلما انصرف قام إليه الرجل فأخرج من كمه رقعة فدفعها

إليه فأخذها بيده. قال : فما هو إلا أن دخل خرج الحاجب، فأدخله عليه

١. في الأصل وآ وتد (٤٦١) : الفزة. في مط : العرة. في الطبري (١٠٩٦:١١) : القراء، وهو

وهو قاعد على بساطه ما بينه وبين الأرض غيره وقد مدد رجله وخُفَّاه^(١) فيهما. فقال له :

- «قد فهمت ما في رقعتك من جملة كلامك، فهات ما عندك.»

قال : «ولى أمانك ذمة من الله معك ؟»

قال : «لك ذلك.»

فأظهر له ما أراد، ودعاه إلى القاسم وأخبره بفضائله وعلمه وزهده.

فقال له عبد الله :

- «أتتصفنى ؟»

قال : «نعم.»

قال : «هل يجب شكر الله على العباد ؟»

قال : «نعم.»

قال : «فهل يجب شكر بعضهم على بعض عند الإحسان والمنة

والفضل ؟»

قال : «نعم.»

قال : «فتجئ إلى وأنا على هذه الحال التي ترى، لى خاتم فى المشرق

جائز وخاتم فى المغرب كذلك، وفيما بينهما أمرى مطاع وقولى مقبول. ثم

ما ألفت يمينى ولا شمالى ولا ورائى ولا قدامى إلا رأيت نعمة لرجل أنعمها

على [186] ومنه ختم بها رقبتى وبدأ لائحة بيضاء ابتدأنى بها كرمًا وتفضلاً

فتدعونى إلى الكفر بهذه النعمة وهذا الإحسان وتقول : اغدر بمن كان أولاً

لهذا وآخرًا واسع في إزالة خيط رقبتة وسفك دمه، تراك لو دعوتنى إلى

الجنة عياناً من حيث أعلم، أكان الله عز وجل يحب أن أغدر به وأكفر

إحسانه ومُنْتَه وأنكث بيعته ؟»

فسكت الرجل . فقال له عبد الله :

- «أما إنّه قد بلغنى أمرك وبالله ما أخاف عليك إلّا نفسك، فارحل عن هذا البلد، فإنّ السلطان الأعظم إن بلغه أمرك كنت الجانى على نفسك ونفس غيرك.»

فعاد الرجل إلى المأمون فأخبره الخبر. فاستبشر فقال :

- «ذلك غرس يدي وإلف أدبي.»

ولم يظهر من حديثه هذا شيء لأحد إلّا بعد موت المأمون.

وكتب المأمون إلى عبد الله بن طاهر وهو بمصر كتاباً بخطّه. فكان فى أسفله هذه الأبيات :

أخى أنت ومولائى	ومن أشكر نِعْماء
فما أحببت من أمرٍ	فإنى الدهر أهواه
وما تكره من شيءٍ	فإنى لست أرضاه
لَكَ اللهُ على ذاك	لَكَ اللهُ لك اللهُ

مركز تحقيق التراث والخطوط النادرة

وبفضل على بن أبى طالب (ع)

وفى هذه السنة قَدِم عبد الله بن طاهر مدينة السلام من المغرب وتلقاه العباس بن [187] المأمون وأبو إسحاق المعتصم وسائر طبقات الناس وقَدِم معه بالمتغلبين على الشام.

وفىها أمر المأمون منادياً فنادى :

- «برئت الذمة ممّن ذكر معاوية بخير.»

وأظهر القول بخلق القرآن وبفضل عليّ بن أبي طالب^(١).

ودخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

وفيها مات طلحة بن طاهر بن الحسين بخراسان.

وفيها ولي المأمون أخاه أبا إسحاق الشام ومصر وولي ابنه العباس بن المأمون الجزيرة وأمر لكل واحد منهما ومن عبد الله بن طاهر بخمسمائة ألف دينار. فقليل إنه لم يفرّق في ساعة من يوم من المال مثل ذلك.

ودخلت سنة أربع عشرة ومائتين

وفيها استفحل أمر بابك وقتل محمد بن حميد وقُضّ عسكره وقتل أكثر من كان معه.

وفيها بعث المأمون إلى عبد الله بن طاهر إسحاق بن إبراهيم ويحيى بن أكثم يخبرانه بين خراسان والجبّال وإرمينية وأذربيجان ومহারبة بابك. فاختار خراسان وشخص إليها^(٢).

ودخلت سنة خمس عشرة ومائتين [188]

وفيها شخص المأمون من مدينة السلام لغزو الروم في المحرم. فافتتح بها حصوناً وعاد إلى دمشق.

ودخلت سنة ست عشرة ومائتين

فكرّ المأمون إلى أرض الروم، وكان سبب ذلك ورود الخبر على المأمون

١. في آ: صلوات الله وسلامه عليه. في مط: رضى الله عنه.

٢. انظر الطبري (١١: ١١٠٢).

بقتل ملك الروم قوماً من أهل طرسوس والمصيصة وكانوا نحو ألفي رجل، فشخص المأمون حتى دخل بلاد الروم. فما نزل على حصن إلا خرج إليه أهله على صلح حتى افتتح ثلاثين حصناً، ثم أغار على طوانة وسبي وقتل وأحرق. ثم ارتحل إلى دمشق.

ودخلت سنة سبع عشرة ومائتين

وعاد المأمون إلى أرض الروم. وكان سبب ذلك كتاب ورد عليه من ملك الروم يسأله الموادة، وبدأ فيه بنفسه. فغزا المأمون هذه الغزوة بحنق، وأنزل ابنه بطوانه من أرض الروم، ووجه معه الفعلة وابتدأ بها في بناء عظيم وجعل سورها على ثلاثة فراسخ وجعل لها أربعة أبواب وبنى على كل باب حصناً، وكتب إلى أخيه أبي إسحاق أن يفرض على جند دمشق وما والاها أربعة آلاف رجل وأنه يجزى [189] على الفارس مائة درهم وعلى الراجل أربعين درهماً وفرض على مصر وغيرها من البلدان.

وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم وهو خليفته ببغداد، ففرض على أهل بغداد فرضاً.

مركزة المأمون يختبر الآراء في التشبيه وخلق القرآن

وفي هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة والمحدثين والفقهاء، فمن لم يقبل منهم بنفى التشبيه وبخلق القرآن يشخصهم إليه مقيداً.

وكتب في ذلك كتاباً بليغاً فيه آيات منتزعة من القرآن وتهديد كثير مع رفق في مواقع، وطعن على أصحاب الحديث الذين لا يتفقهون ولا يعقلون، فأشخص إليه جماعة فيهم محمد بن سعد كاتب الواقدي ومستمل يزيدي بن

هارون ويحيى بن معين وزهير بن حرب وعده يجرون مجراهم، فامتنحهم
وسألهم عن القرآن فأجابوا جميعاً :
- «إنَّ القرآن مخلوق».

وامتنح إسحاق بن إبراهيم جماعة فيهم بشر بن الوليد وقال له :
- «ما تقول في القرآن ؟»

قال : «أقول إنه كلام الله».

قال : «لم أسألك عن هذا، أمخلوق هو ؟»

قال : «الله خالق كل شيء».

قال : «فالقرآن شيء ؟»

[قال : نعم، هو شيء.]^(١)

قال : «فهو مخلوق».

قال : «ليس بخالق ؟»

قال : «فهو مخلوق».

قال : «ما أحسن^(٢) غير هذا».

ثم كلّم جماعة من وجوه الفقهاء والقضاة [190] فقالوا قريباً من قول
بشر.

فكتب مقالات القوم رجل إلى رجل إلى المأمون.

فكتب المأمون في الجواب يستجمل واحداً واحداً ويحاجّه ويشتم كلَّ
واحد بما يعرفه فيه ويأمر في آخر الكتاب بأن :

- «مَنْ لم يرجع عن شركه يسفك دمه. أمّا بشر بن الوليد فابعث إلى
برأسه وكذلك إبراهيم بن الحسن، وأمّا الباقر فاحملهم في قيود وأغلال

١. ما بين المقوفتين ساقط من الأصل، أضفناه من آ وتد (٤٦٥).

٢. كذا في الأصل وآ ومط وتد (٤٦٥) : أحسن.

لينفذ فيهم أمرى.»

فأجاب القوم كلهم :

- «إنَّ القرآن مخلوق.»

إلا نفسان : أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، فشدا في الحديد ووجَّها إلى طرسوس.

ثم بلغ المأمون أنَّ بشر بن الوليد والجماعة تأولوا قوله - عزَّ وجلَّ - : «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»^(١)

فكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم أن :

- «قد فهم أمير المؤمنين ما كتب به صاحب الخبر أنَّ بشر تأول الآية التي ذكرت وقد أخطأ التأويل، إنما عني الله عزَّ وجلَّ بهذه الآية مَنْ كان معتقداً الإيمان مظهراً الشِّرك، فأما مَنْ كان معتقداً الشِّرك مظهراً الإيمان فليس هذه له.»^(٢)

فأشخص القوم جميعاً إلى طرسوس وأخذ عليهم الكفلاء، فأشخص نحواً من عشرين مع بشر بن الوليد [191] من وجوه الفقهاء والقضاة وأصحاب الحديث. فلما بلغوا الرقة أتاهم وفاة المأمون فرُدُّوا إلى مدينة السلام، فأمرهم إسحاق بلزوم منازلهم.

مركز تحقيق كتاب تبيين علوم سدي

كتاب المأمون إلى عماله في البلدان

وفي هذه السنة نفذت الكتب من المأمون إلى عماله في البلدان :

- «من عبد الله، عبد الله^(٣) المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده

١. س ١٦ النحل : ١٠٦.

٢. انظر الطبري (١١: ١١٣٢).

٣. تكرار «عبد الله» صحيح. انظر أيضاً الطبري (١١: ١١٣٢).

أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين إلى الرشيد.»

وقيل : إنَّ ذلك لم يكتبه المأمون وإنما مرضَ بالبذندون وهو نهر بأرض الروم، فلما أفاق أمر بأن يكتب إلى العباس ابنه وعبد الله بن طاهر وإلى إسحاق أنه إن حدث به حدث الموت في مرضه فالخليفة من بعده أبو إسحاق ابن الرشيد. فكتب بذلك محمد بن يزيداذ وختم الكتب وأنفذها. فكتب أبو إسحاق إلى عماله :

- «من أبي إسحاق أخى أمير المؤمنين والخليفة بعد أمير المؤمنين، أمرهم بحسن السيرة وتخفيف المؤونة. وكتب إلى جمع من في أعماله من أجناد الشام جند حمص والأردن وفلسطين بمثل ذلك.

فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيت من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين صلى إسحاق بن يحيى بن معاذ فى مسجد دمشق، فقال فى خطبته بعد دعائه [192] لأمر المؤمنين :

- «اللهم وأصلح الأمير أخا أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبا إسحاق ابن الرشيد أمير المؤمنين.» وفى سنة ثمانى عشرة ومائتين توفى المأمون بالبذندون.

مركز تحقيق تكملة تاريخ طبرستان وفات المأمون

ذكر سبب وفاته

حكى سعيد العلاف القارئ قال : أرسل إلى المأمون وهو ببلاد الروم وكان دخلها من طرسوس، فحملتُ إليه وهو بالبذندون، وكان يستقرينى^(١) فدعانى يوماً فجئته فوجدته جالساً على شاطئ البذندون وأبو إسحاق المعتصم

١. يستقرينى : كذا فى الأصل وآ ومط . فى تد (٤٦٧) : يستقرينى .

جالس عن يمينه. فأمرني فجلست نجوةً منه^(١) فإذا هو وأبو إسحاق مُدَّليان أرجلهما في البذندون. فقال :

- «يا سعيد دلّ رجلك في الماء وذُقه، هل رأيت قطّ ماءً أشدّ برداً ولا أعذب وأصفى صفاءً منه؟»

فعلت وقلت :

- «يا أمير المؤمنين ما رأيت مثل هذا قطّ.»

قال : «أى شيء يطيب أن يؤكل ويُشرب هذا الماء عليه؟»

فقلت : «أمير المؤمنين أعلم.»

فقال : «رطب الآزاذ.»

فبينما هو يقول هذا إذ سمع وقع لُجُم البريد، فالتفت فإذا بغال البريد على أعجازها حقائب فيها الألفاف، فقال لخادم له :

- «إذهب فانظر [193] هل في هذه الألفاف رطب، فإن كان فيها الرطب فانظر فإن كان آزاذاً فأْت به.»

فجاء يسمى بسَلْتين فيهما^(٢) رطب آزاذٍ كأنما جُنِيَ من النخل تلك الساعة، فأظهر شكر الله عزّ وجلّ، وكثّر تعجبنا منه، فقال :

- «ادنُ فِكُلْ.»

فأكل هو وأبو إسحاق وأكلت معهما وشربنا جميعاً من ذلك الماء، فما قام منا أحدٌ إلّا وهو محموم فكانت منية المأمون من تلك العلة ولم يزل المعتصم عليلاً حتّى دخل العراق ولم أزل عليلاً حتّى كان قريباً.

ولمّا اشتدّت بالمأمون علته بعث إلى ابنه العباس وهو يظنّ أن لن يأتية لشدة مرضه، فأتاه وأقام عند أبيه وقد أوصى قبل ذلك إلى أخيه أبي إسحاق،

١. كذا في الأصل : «نجوة منه» بالجمع المعجمة، في مط وآ، وتد (٤٦٧) : نحوه منه.

٢. في الأصل وآ ومط وتد (٤٦٧) : فيها. والتصحيح من الطبرى (١١: ١١٣٥).

ثم أعاد الوصيّة بحضرة العباس والقضاة والفقهاء والقوادر.
ولما توفّي حمله ابنه العباس وأخوه أبو إسحاق إلى طرسوس، فدفناه في
دار خاقان خادم الرشيد وصلى عليه أخوه أبو إسحاق.
فكانت خلافته عشرين سنة وستّة أشهر سوى سنتين، كان دُعي له فيهما
بمكة وأخوه الأمين محمد ابن الرشيد محصور ببغداد.
وكان وُلدَ للنصف من شهر ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة. وكان ربعة،
أبيض، جميلاً.
وقيل : كان [194] أسمر تعلوه صفرة، أقنى، أعين، طويل اللحية رقيقها،
أشيب بخذه خال أسود.

من سيرة المأمون

فأما سيرته فمشهورة لا تخفى على أحد جوده وعطاؤه وسماحة أخلاقه
وحلمه ولكننا نحكي بعض ذلك :
حكى عن العيشي صاحب إسحاق بن إبراهيم أنّه قال :
كنت مع المأمون بدمشق، وكان قد قلّ المال عنده حتّى أضاق وشكا ذلك
إلى أبي إسحاق المعتصم، فقال :
- «يا أمير المؤمنين كأنك بالمال قد وافاك بعد جمعة».
قال : وكان حُمل إليه ثلاثون ألف ألف من خراج ما كان يتولّاه أبو
إسحاق. قال : فلمّا ورد عليه ذلك المال قال المأمون ليحيى بن أكثم :
- «اخرج بنا ننظر إلى هذا المال».

قال : فخرجنا ووقفنا ينظرانه وقد كان هَيّئاً بأحسن هيئة وحُلّيت أباعره
وألْبست الأَحلاس التي وُشّيت والجِلال المُصبّغة وقُلّدت العِهن وعُلّيت

البذر^(١) بالحرير الصينى الأحمر والأخضر والأصفر، وأبدت رؤوسها. قال:
فنظر المأمون إلى شىء حسن واستكثره وعَظُمَ فى عينه واستشرفه الناس
ينظرون إليه ويعجبون منه فقال المأمون ليحيى:

- «يا أبا محمد، ينصرف أصحابنا هؤلاء الذين تراهم الساعة خائبين إلى
منازلهم وننصرف [195] نحن بهذه الأموال قد ملكناها دونهم؟ إنا إذاً للنام.»
ثم دعا محمد بن يزداد. فقال:

- «وَقَعَ لآل فلان بألف ألف و لآل فلان بمثلها و لآل فلان بمثلها
خمسمائة ألف.»

قال: «فوالله إن زال كذلك، حتى فرَّق أربعة وعشرين ألف ألف، ورجله
فى الركاب.»

ثم قال:

- «إدفع الباقي إلى المعلّى بن أيوب يُعطِ جندنا.»

قال العيشى: فجئت حتى قمت نصب عينه وحدقت نحوه فلم أرَ طرفى
عن عينه لا يلحظنى إلا رأتى بتلك الحال فقال:

- «يا محمد، وقع لهذا بخمسين ألف من الستة الآلاف الألف لا يختلس
ناظرى.»

فلم يأتِ على ليلتان حتى أخذت المال.

وللمأمون شعر كثير فمن مشهور شعره.^(٢)

بَعَثْتُكَ مُرْتَاداً فَفُزْتَ بِنَظَرَةٍ وَأَغْفَلْتَنِي حَتَّى أَسَاتُ بِكَ الظَّنَّ

١. كذا فى الأصل وآ ومط. والطبرى (١١: ١١٤٣). فى تد (٤٦٨): البدن.

٢. انظر الطبرى (١١: ١١٥٢).

فَنَاجَيْتُ مَنْ أَهْوَى وَكُنْتُ مُبَاعِداً^(١) فَيَالَيْتَ شِعْرِي عَنْ ذُنُوكَ مَا أَغْنَى
أَرَى أَثْراً مِنْهُ بِعَيْنِكَ بَيْنَا لَقَدْ سَرَقَتْ عَيْنَاكَ مِنْ عَيْنِهِ حُسْنَا
فَيَالَيْتَنِي كُنْتُ الرَّسُولَ وَكُنْتَنِي فَكُنْتُ الَّذِي تُقْصَى^(٢) وَكُنْتُ الَّذِي أَدْنَى



مركز تحقیقات کلام و علوم اسلامی

١. والضبط في تد (٤٦٩) : مباعدًا. بكسر العين. وما في الأصل غير مشكول فضبطناه كما في الطبري (١١٥٢:١١).

٢. في تد (٤٦٩) : وكنتُ الذي يُقْصَى. والبيت غير موجود في الطبري.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة أبي إسحاق المعتصم

وفى هذه السنة ببيع لأبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بالخلافة
لاثنى عشرة ليلة [196] خلت أو بقيت من رجب سنة ثمانى عشرة
ومائتين.^(١)

وفىها شغب الناس على المعتصم، وطلبوا العباس، ونادوه باسم الخلافة
فأرسل أبو إسحاق المعتصم إلى العباس فأحضره وبايعه ثم خرج إلى الجند
وقال :

- « ما هذا الخب^(٢) البارد ؟ قد بايعت عمى وسلّمت الخلافة إليكم. »

فسكن الجند.

وفىها أمر المعتصم بهدم ما كان المأمون أمر ببنائه بطوانة^(٣) وحمل ما
كان بها من السلاح والآلة وغير ذلك ممّا قدر على حمله، وإحراق ما لم
يقدر على حمله، وأمر بصرف من كان المأمون أسكن ذلك الموضع من
الناس إلى بلادهم.

١. انظر الطبرى (١١: ١١٦٤).

٢. الخبّ : الخدعة والفساد.

٣. طوانة : بلد بشقور المصيّصة، وجاء ذكره فى بيت من شعر يزيد بن معاوية (مرصد الإطلاع).

وفيهما انصرف المعتصم إلى بغداد ومعه العباس بن المأمون، فقَدِمَها يوم السبت مستهل شهر رمضان.

توجيه المعتصم عساكر لقتال الخرمية

وفيهما دخل جماعة من أهل الجبال كثيرة من همذان وإصبهان وماسبذان ومهرجانفذق وغيرها في دين الخرمية. ثم تراسلوا وتجمعوا في أعمال همذان. فوجه المعتصم إليهم عساكر، فكان آخر عسكر وجهه مع إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب وعقد له على الجبال. فشخص إليهم فقاتلوه وهزمهم وقتل هناك ستين ألفاً منهم وهرب باقيهم إلى بلاد [197] الروم وكتب بالفتح إلى المعتصم.^(١)

ودخلت سنة تسع عشرة ومائتين

ظهور محمد بن القاسم بالطالقان من خراسان

وفيهما ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضا من آل محمد (ص) فاجتمع إليه بها ناس كثير، وكانت بينه وبين قواد لعبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها كان آخرها عليه، فانهزم هو وأصحابه ومضى هارباً يريد بعض كور خراسان كان أهلها كاتبوه، فلمّا صار بنسا كان بها والد لبعض من معه فمضى الرجل الذي كان له والد هناك ليسلم علي والدّه، فلمّا تلاقوا سأله عن الخبر. فأخبره أنّهم يقصدون كورة كذا. فمضى أبو ذلك الرجل إلى عامل نسا فأخبره بأمر محمد بن القاسم. فبذل له العامل على

دلّالته عليه مالا وجاء العامل إلى محمد بن القاسم، فأخذه واستوثق منه وبعث به إلى عبد الله بن طاهر، فبعث به عبد الله إلى المعتصم فحبس بسر من رأى ووكل به قوم يحفظونه.

فلما كان ليلة الفطر واشتغل الناس بالعيد^(١) والتهنئة له هرب من الحبس وافتقد، فجعل لمن يدلّ عليه مائة ألف درهم، ونادى المنادى، فما عُرف له خبر إلى اليوم. [198]

توجيه عجيف لحرب الزُطّ

وفيها وجّه المعتصم عجيف بن عنيسة لحرب الزُطّ الذين كانوا عاثوا في طريق البصرة، وكانوا تغلبوا على تلك الناحية. فقطعوا الطرق واحتملوا غلات البيادر بكشكر وما يليها من البصرة وأكثروا الفساد.

فرتّب المعتصم الخيل في سكك البصرة وبغداد من البرد تركض إليه بالأخبار فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصير إلى المعتصم من يومه، وولّى النفقة على عجيف من قبل إبراهيم البخترى كاتباً.

فصار عجيف في خمسة آلاف رجل إلى الصافية وهي قرية أسفل واسط فسدّ نهراً بها يحمل من دجلة ثم صار إلى بردودا فسدّ أنهاراً آخر وحصرهم من كلّ وجه، ثم قصدهم فأسر منهم جماعة وقتل جماعة. ف ضرب أعناق الأسرى وبعث برؤوسهم ورؤوس القتلى إلى المعتصم.

ثم أقام عجيف بإزاء الزُطّ خمسة عشر يوماً وظفر بخلق كثير منهم فأنفذهم ثم جاهده الباقون فمكث يقاتلهم بعد ذلك تسعة أشهر.

ودخلت سنة عشرين ومائتين [199]

وفيها دخل عجيف بالزط بغداد بعد أن قهرهم حتى طلبوا منه الأمان، فأمنهم على دماءهم وأموالهم، فكانت عدّتهم سبعة وعشرين ألفاً بين رجل وامرأة وصبي فجعلهم في السفن وأقبل بهم حتى نزل الزعفرانية وأعطى أصحابه دينارين دينارين جائزة، ثم عبّأهم في زواريقهم على هياتهم في الحرب معهم البوقات حتى دخل بغداد بهم والمعتصم ببغداد في سفينة يقال لها: الزوّ، حتى مرّ به الزط على تعبثهم ينفخون في البوقات. فكان أولهم بالقفص^(١) وآخرهم بحذاء الشماسية، وأقيموا في سفنهم ثلاثة أيام. ثم دفعوا إلى بشر بن السميدع فذهب بهم إلى خائقين، ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة، فأغارت عليهم الروم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد.

عقد المعتصم للأفشين حرب بابك

وفي هذه السنة عقد المعتصم للأفشين حيدر بن كاوس على الجبال وحرب بابك. وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة. فعسكر بمصلّى بغداد، ثم صار إلى بززند^(٢)

ذكر بابك ومخرجه

كان ظهور بابك في سنة إحدى ومائتين وكان من قرية يقال لها: البذ^(٣).

١. القفص : هنا قرية ببغداد مشهورة (مراد الإطلاع).

٢. بلد من نواحي تفليس من أعمال جرجان من أرمينية الأولى، وقال الإصطخرى : هي من أذربيجان (مراد الإطلاع).

٣. كورة بين أذربيجان وأتران (مراد الإطلاع).

وهزم [200] جيوش السلطان وقتل من قوّاده جماعة.

فلما أفضى الأمر إلى المعتصم وجّه المعتصم أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل وأمره أن يبنى الحصون التي خرّبها بابك فيما بين زنجان وأردبيل، ويقيم مسالح لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة إلى أردبيل. فتوجّه أبو سعيد لذلك وبنى الحصون التي خرّبها بابك.

ثمّ وجّه بابك سرّيّة إلى بعض غاراته وعليها أمير من قبله يقال له : معاوية، فعرض له أبو سعيد فاستنقذ ما كان حواه وقتل من أصحابه جماعة وأسر جماعة، فهذه أوّل هزيمة كانت على أصحاب بابك.

ووجّه أبو سعيد الرؤوس والأسرى إلى المعتصم بالله، ولما صار الأفشين إلى برزند عسكر بها ورمّ الحصون فيما بين برزند وأردبيل وأنزل محمد بن يوسف بموضع يقال له خُشّ، فاحتفر فيه خندقاً وأنزل الهيثم الغنوي القائد في رُبُستاق يقال له : أرشق، فرمّ حصنه واحتفر حوله خندقاً وأنزل علّويّه الأعور من قوّاد الأبناء في حصن ممّا يلي أردبيل يسمّى : حصن النهر، فكانت السابلة والقوافل تخرج فتسلّمها بذرقه^(١) من واحد من هؤلاء إلى آخر [201] حتّى يتأدّوا^(٢) إلى مأمّنهم وكان كلّما ظفّر واحد من هؤلاء القوّاد بجاسوس وجّهوا به إلى الأفشين، فكان الأفشين لا يقتلهم ولا يضربهم ولكن يهب لهم، ويصلّهم ويسألهم ما كان بابك يعطيهم فيضعفه لهم ويقول للجاسوس :

«كن جاسوساً لنا.»

١. بذرقه : في الأصل بإهمال الثاني. في آ وتد (٤٧٤) : بذرقه (بالذال المعجمة).

٢. في الأصل : يتادون. والصحيح ما في آ : يتأدّوا.

بابك وأفشين وما كان من أمرهما بأرشق

وفيهما كانت الواقعة بين بابك والأفشين بأرشق، قتل فيها من أصحاب بابك خلق كثير وهرب بابك إلى موقان ثم شخص منها إلى مدينته التي تدعى البند.

ذكر السبب في ذلك

كان المعتصم وجه مع بغا الكبير بمال إلى الأفشين عطاء لجنده وللنفقات، فقدم بغا بذلك المال أردبيل، فلما نزلها بلغ بابك خبره فتهياً ليقطع عليه قبل وصوله إلى الأفشين. فقدم جاسوس على الأفشين فأخبره أن بغا الكبير قد قدم بمال وأن بابك وأصحابه قد تهياًوا ليقطعوه قبل وصوله إليك وكان هذا الجاسوس ورد على أبي سعيد أولاً فوجه به أبو سعيد إلى الأفشين وهياً بابك كميناً في مواضع للمال فكتب الأفشين إلى أبي سعيد يأمره أن يحتال لمعرفة صحة خبر بابك. فمضى أبو سعيد [202] متنكراً مع جماعة حتى نظروا إلى النيران في المواضع التي وصفها الجاسوس. فكتب الأفشين إلى بغا أن يقيم بأردبيل حتى يأتيه رأي، وكتب أبو سعيد إلى الأفشين بصحبة خبر الجاسوس. فكتب الأفشين إلى بغا يظهر أنه يريد الرحيل ويشد المال على الإبل ويقتطرها ويسير متوجّهاً من أردبيل كأنه يريد برزند^(١)، فإذا صار إلى مسلحة النهر أو سار شبيهاً بفرسخين إحتبس القطار حتى يجوز من سحب المال من قافلة وغيرها إلى برزند، فإذا جاوزت القافلة رجع بالمال إلى أردبيل.

١. في آ: متوجّهاً من أردبيل يريد زرند. والأصل يوافق الطبري (١١٧٥:١١).

ففعل ذلك بُغا وسارت القافلة حتّى نزلت النهر وانصرف جواسيس بابك إليه يُعلمونه أنّ المال قد حُمِل وعاینوه محمولاً. ورجع بُغا بالمال إلى أردبیل وركب الأفشين في اليوم الذي وعد فيه بُغا من برزند، فوافى خُشّ مع غروب الشمس، فنزل معسكراً خارج خندق أبي سعيد. فلما أصبح ركب في سرّ لم يضرب طبلًا ولا نشر علماً، وأمر أن تُلفّ الأعلام وأمر الناس بالسكوت^(١). وجدّ في السير ورحلت القافلة التي كانت توجّهت في ذلك اليوم من النهر إلى ناحية الهيثم الغنوى.

ورحل الأفشين من خُشّ^(٢) [203] يريد ناحية الهيثم ليصادفه في الطريق، ولم يعلم الهيثم فرحل بمن كان معه من القافلة يريد بها النهر وتعباً بابك في خيله ورجاله وعساكره، وصار على طريق النهر وهو يظنّ أنّ المال موافيه، وخرج صاحب النهر يُبذرق من عنده وهو علوية الذي قلنا إنّ كان هناك، فأخذ يسير نحو الهيثم على رسمه.

فخرجت عليه خيل بابك وهم لا يشكّون أنّ المال معه فقاتلهم صاحب النهر علوية وأصحابه فقتلوه وقتلوا من كان معه من الجند والسابلة وأخذوا جميع ما كان معهم من المتاع وعلموا أنّ المال قد فاتهم، فأخذوا علّمه ولباس أهل النهر ودراريهم وخفائينهم ولبسوها وتنكّروا ليأخذوا أيضاً الهيثم ومن معه ولا يعلمون بخروج الأفشين، وجاءوا كأنّهم أصحاب النهر. فلما جاءوا ولم يعرفوا الموضع الذي كان يقف فيه علّم صاحب النهر وقفوا في غير موضعه، وجاء الهيثم فوقف في موقفه فأنكر ما رأى فوجّه ابن عمّ له وقال :

«إذهب إلى هذا البغيض، فقل له : أيّ شيء وقوفك ؟»

١. في آ : بالسكون. ما في تد (٤٧٥) كالأصل : بالسكوت.

٢. خش : في الأصل تخفيف الأخير. وما في تد (٤٧٣) والطبرى بالتشديد.

فجاء ابن عم هيثم. فلما رأى القوم ودنا منهم أنكرهم، فرجع إلى الهيثم. فقال له :

- «إِنَّ هؤلاء القوم لست أعرفهم.» [204]

فقال له الهيثم :

- «أخزأك الله ما أجبنك.»

ووجه خمسة من الفرسان، فلما قربوا من القوم خرج من الخرمية رجلان فتلقوهم فأنكروهما وأعلموهما أنهم قد عرفوهما، ورجعوا إلى الهيثم ركضاً فقالوا :

- «إِنَّ الكافر قد قتل علوية وأصحابه وأخذوا أعلامهم ولباسهم.»

فانصرف الهيثم وأتى القافلة التي كانت معه، فأمرهم أن يركضوا ويرجعوا لئلا يؤخذوا، ووقف هو في أصحابه يسير بهم قليلاً قليلاً ويقف قليلاً ليستغل الخرمية عن القافلة وصار شبيهاً بالحامية لهم، حتى وصلت القافلة إلى حصنه الذي كان فيه يكون الهيثم وهو أرشق، وقال لأصحابه :

- «مَنْ يذهب منكم إلى الأمير وإلى أبي سعيد فيعلمهما وله عشرة آلاف

درهم وفرس بدل فرسه إن نفق؟»

فتوجه رجلان من أصحابه على فرسين فارهين يركضان، ودخل الهيثم الحصن وخرج بابك فيمن معه ونزل بالحصن، ووضع له كرسي وجلس على شرف بحيال الحصن وأرسل إلى الهيثم من يحاربه. وكان مع الهيثم في الحصن ستمائة راجل وأربعمائة فارس وله خندق حصين. فقاتله وقعد بابك فيمن معه ووضع بين يديه الخمر مع أصحاب له [205] يشربونها والحرب مشتبكة.

ولقى الفارسان الأفشين على أقل من فرسخ من أرشق، فساعة نظر إليهما

من بعيد قال لصاحب مقدّمته :

- «إضربوا بالطبل وانشروا الأعلام واركضوا نحو هذين الفارسين اللذين يركضان إلينا وصيحوا بهما: لبيك، لبيك.»

فلم يزل الناس في طلق واحد متراكضين يكثر بعضهم بعضاً حتى لحقوا بابك وهو جالس. فلم يتدارك أن يتحرك ويركب حتى وافته الخيل والناس واشتبكت الحرب، فلم يفلت من رجالة بابك أحد، وأفلت هو في نفر يسير ودخل موقان وقد تقطع عنه أصحابه. وأقام الأفشين في ذلك الموضع وبات ليلته ثم رجع إلى معسكره ببرزند.

وأقام بابك بموقان [أياماً]^(١) ثم بعث إلى البذ، فجاءه في الليل عسكر فيهم رجالة فرحل من موقان حتى دخل البذ، فلما كانت بعد أيام مرت قافلة من خُش إلى برزند من قبل أبي سعيد ومعها صاحب لهم ومعهم ميرة ومتاع يُحمل إلى معسكر الأفشين، فخرج عليهم إصبيذ بابك فأخذ القافلة وقتل من كان فيها من أهل القافلة وانتهب جميع ما فيها فحط عسكر الأفشين.

فكتب الأفشين إلى صاحب المراغة يأمره بحمل الميرة وتعجيلها عليه فإن الناس قد قحطوا وأضاقوا. [206] فوجه إليه صاحب المراغة بقافلة فيها قريب من ألف ثور سوى الحمير والدواب تحمل الميرة ومعها جند يذرقونها. فخرجت عليهم أيضاً سرية لبابك فاستباحوها عن آخرها بجميع ما فيها وأصاب الناس ضيق شديد فكتب الأفشين إلى صاحب الشيروار^(٢) أن يحمل إليه طعاماً، فحمل إليه طعاماً كثيراً وأغاث الناس في تلك السنة وقدم بغا على الأفشين بمال ورجال.

١. ما بين المعقوفتين من الطبري (١١٧٨:١١).

٢. كذا في الأصل: شيروار. في مط: الشيروان. في آ: الشيروازن. في الطبري (١١٧٩:١١): الشيروان.

خروج المعتصم إلى القاطول

وابتدأوه ببناء سُرٍّ من رأى

وفى هذه السنة خرج المعتصم إلى القاطول وابتدأ ببناء سُرٍّ من رأى وذلك فى ذى القعدة منها.

ذكر السبب فى ذلك

كان سبب خروجه إلى القاطول أنَّ غلمانَه الأتراك كانوا عَجَمًا قد اصطنعهم ورأى فيهم نجابة، وكان لا يزال يجد الواحد بعد الواحد قتيلاً فى الأرباض. وذلك أنهم كانوا يركبون الدوابَّ فيتراكضون فى طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجل والمرأة ويطأون الصبي، فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم فربما هلك. فتأذى الأتراك بهم وتأذت العامة بالأتراك حتى شكت [207] الأتراك إلى المعتصم.

فحكى أنَّ المعتصم كان ركب يوم عيدٍ إلى المصلَّى، فلما انصرف وصار فى مربعة الحرشى، قام إليه شيخ فقال:

«يا با إسحاق».

فابتدره الجند ليضربوه، فأشار إليهم المعتصم بالكفِّ عنه فقال الشيخ^(١):
«مالك لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجنت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا فأيتمت بهم صبياننا وأرملت بهم نساءنا وقتلت بهم رجالنا».

والمعتصم يسمع ذلك كله، ثم دخل داره.

١. كذا فى الأصل وآ ومط: الشيخ. فى الطبرى (١١: ١١٨١): للشيخ.

فلم يُرَ راكباً إلى السنة القابلة في مثل ذلك اليوم.
فلما كان العام المقبل في مثل ذلك اليوم خرج فصلّى بالناس العيد، ثمّ لم يرجع إلى داره ببغداد. ولكنه صرف وجهه دابته إلى القاطول^(١).
وحكى أنّه قام أيضاً إلى المعتصم يوماً رجلاً من العامة فقال :
- «يا با إسحاق، اخرج عن مدينتنا وإلا حاربناك بما لا تقوم له.»
فتقدّم بأخذ الرجل وحمله إليه. فلما صار بين يديه قال :
- «ويلك بمن تحاربنى وما هذا الذى لا أقوم له؟»
قال : «نحاربك بأصابعنا إذا هدأت الأصوات بالليل» - يعنى الدعاء.
فسكت عن الرجل ولم يعرض له.
ثمّ خرج فبنى سُرّاً رأى.
وفى هذه السنة غضب [208] المعتصم على الفضل بن مروان وحبسه.

ذكر الخبر عن غضبه عليه وحبسه له

وسبب اتصاله به ونفاقه عليه

كان الفضل هذا رجلاً من أهل البردان حسن الحظّ، فاتصل بكاتب للمعتصم يقال له يحيى الجرمقانى. فمات يحيى وصار الفضل فى موضعه وذلك قبل خلافة المعتصم، ثمّ خرج معه إلى عسكر المأمون وصار معه إلى مصر، فاحتوى على أموال مصر وكثرت ذخائره وكنوزه. ثمّ قدّم الفضل قبل المأمون ببغداد يُنفذ أمور المعتصم ويكتب عنه وعلى لسانه ما أحبّ، حتّى قدّم المعتصم خليفة، فصار الفضل صاحب الخلافة والدواوين كلّها تحت يديه فتضاعفت كنوزه.

١. القاطول : نهر كان فى موضع سامراً قبل أن يعمر (مراسد الإطلاع).

فكان المعتصم يأمر بإطلاق الشيء لندمائه ومغنييه، فلا ينفذ الفضل، وربما رآه في الشيء إدلالاً عليه وأنساً به، وكان قد نزل منه وحلّ من قلبه المحلّ الذي لا يحدث أحد نفسه بملاحظته فضلاً عن منازعته ولا في الاعتراض عليه إذا أراد شيئاً أو حلم به، فكانت هذه المنزلة تحمله على الدالة حتى كان يخالفه ويمنعه بعض أمره وبعض المال الذي [209] يصرفه في مهمّة. فحكى عن أحمد بن أبي دؤاد أنّه قال: كنت أحضر مجلس المعتصم فكثيراً ما كنت أسمعه يقول للفضل بن مروان:

«إحمل إلّى كذا من الدراهم.»

فيقول: «ما عندي.»

فيقول: «فاحتلها من وجه، فليس منها بدّ.»

فيقول: «ومن أين أحتالها ومن أين وجهها ومن يعطيني هذا القدر؟»

فكان ذلك يسوءه وأعرفه في وجهه فلمّا كثر هذا من فعله ركبت يوماً إليه فقلت له مستخلياً به:

«يا با العباس إنّي أعرف أخلاقك، وعلى ذاك ما أدع نصيحتك وأداء ما

يجب علىّ من حقّك، وقد أراك كثيراً ما تردّ على أمير المؤمنين أجوبة غليظة تُرمضه وتقذح في قلبه والسلطان لا يحتمل هذا لإبنه، لا سيّما إذا كثر ذلك وغلظ.»

قال: «وما ذاك يا با عبد الله؟»

قلت: «أسمعه كثيراً، كثيراً^(١) ما يقول لك: نحتاج إلى كذا من المال

لنصرفه في وجه كذا، فتقول من يعطيني هذا وهذا ما لا تحتمله الملوك.»

قال: «فما أصنع إذا طلب منّي ما ليس عندي؟»

قلت : « تصنع أن تقول : أحتال يا أمير المؤمنين في ذلك فتدفع ^(١) عنك أياماً ثمّ تحمل إليه بعض ما يطلب وتسوّفه الباقي . »
 قال : « نعم أفعل وأصير إلى ما أشرت به . »
 قال : فوالله لكأنّي كنت [210] أغريه بالمنع . فكان إذا عاود مثل ذلك القول عاد إلى مثل ما يُكره من الجواب .

وكان مع المعتصم رجل مضحك يستخفّ روحه وكان قديم الصُحبة له يقال له : إبراهيم الهفتيّ ، فأمر له بمال وتقدّم إلى الفضل بن مروان في إعطائه فلم يعطه الفضل شيئاً . فبينما الهفتيّ يوماً يتمشّي مع المعتصم في بستان داره التي بُنيت له ببغداد ، وقد نقل إليه أنواع من الرياحين والغروس ^(٢) ، وكان الهفتيّ يصحب المعتصم قبل أن تفضى إليه الخلافة ، فيقول له فيما يداعبه :
 - « والله لا أفلحت . »

وكان الهفتيّ مربوعاً ذا كدنة والمعتصم رجلاً معرقاً خفيف اللحم فجعل المعتصم يسبق الهفتيّ في المشي فإذا تقدّمه ولم ير الهفتيّ معه إلّفت إليه فقال له :
 - « ما لك لا تمشي ؟ » يستعجله .

فلما كثر ذلك من أمر المعتصم على الهفتيّ قال له الهفتيّ مداعباً له :
 - « أصلحك الله ، كنت أراني أماشي خليفة ولم أكن أراني أماشي فيجاء ^(٣) والله لا أفلحت . »

فضحك المعتصم وقال :

١. كذا في الأصل ومط . في آ : فتدافع .
 ٢. في آ : الغروش (بالشين المعجمة) .
 ٣. الفيج : رسول السلطان الذي يسمى على رجليه ، والكلمة معربة عن « پيك » الفارسية ، التي أصبحت في الإنجليزية والفرنسية : page وبغض المعنى .

- «ويلك وهل بقي من الفلاح شيء لم أدركه بعد الخلافة؟»

فقال له الهفتي :

- «أتحسب أنك قد أفلحت الآن؟ إنما لك من الخلافة الإسم، والله ما

يجاوز أمرك أذنك. [211] وإنما الخليفة الفضل بن مروان الذي يأمر فينفذ

أمره من ساعته.»

قال المعتصم :

- «وأي أمر لي لم ينفذ؟»

فقال : «أمرت لي بكذا وكذا منذ شهرين فما أعطيت مما أمرت به منذ

ذاك حبة.»

وكان هذا أول ما حرّك المعتصم في القبض على الفضل بن مروان.

وكان محمد بن عبد الملك الزيات يتولّى ما كان أبوه يتولّاه للمأمون من

عمل القساطيط وآلة الجمّازات^(١) ويكتب عليها ممّا جرى على يدي محمد

بن عبد الملك. وكان يلبس إذا حضر الدار الدّراعة السوداء والسيف

بالحمائل.

فدعاه الفضل يوماً وقال له :

- «ما هذا الزي إنما أنت تاجر فما لك والسواد والسيف؟»

فترك ذلك محمد وأخذ الفضل برفع حسابه إلى دليل بن يعقوب

النصراني فأحسن دليل إليه ولم يزرأه شيئاً. وعرض عليه محمد هدايا فأبى

دليل أن يقبل منها شيئاً. ثم غضب المعتصم على الفضل بن مروان وأهل بيته

وأمرهم برفع ما جرى على أيديهم وصيّر محمد بن عبد الملك مكانه.

فلما صار محمد بن عبد الملك وزيراً استدعى الفضل يوماً وقد دخل دار

١. الجمّازات : ما في الأصل مهمل. في آ حمّازات. وفي مط : خمّارات. فضبطناها حسب تد

السلطان بسواد وسيف وهو إذ ذاك مغضوب عليه يحاسب، فقال :
- « ما هذا الزئى ؟ إلزم منزلك، فإن احتيج إليك [212] استُدعيت. »

ودخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

وقعة كانت بين بُغا وبابك

وفى هذه السنة كانت بين بُغا الكبير وبابك وقعة بناحية هشتاذسر فهزِم
بُغا واستبيح عسكره.^(١)

ذكر الخبر عن ذلك

كان بُغا قديم بالمال الذى مضى ذكره ففرقه الأفشين على أصحابه وتجهَّز
بعد النيروز عند زوال البرد ومكروه الثلج، ووجَّه بغا فى عسكر ليدور حول
هشتاذسر وينزل فى خندق محمد بن حميد ويحكمه ويخفيه، ووجَّه أبا
سعيد من وجه آخر ورجل الأفشين من برزند، فتجهَّز بغا من غير موافقة^(٢)
الأفشين وسار حتَّى نزل قرية البذ فى وسطها وأقام بها يوماً واحداً واحتاج
إلى الميرة والأعلاف، فوجَّه ألف رجل فى علافةٍ له، فخرج عسكر من
عساكر بابك فاستباح العلافة وقتل البعض وأسر البعض ورجع بغا إلى خندق
محمد بن حميد شبيهاً بالمنهزم وكتب إلى الأفشين يعلمه ذلك ويسأله المدد
فقال الأفشين :

- « ما عمل شيئاً وأقدم بغير أمرنا. »

ثم وجَّه إليه أخاه الفضل بن كاوس وأحمد بن الخليل بن هشام وابن
جوشن وصاحب شرطة الحسن وقرابة [213] للفضل بن سهل. ثم كتب

١. انظر الطبرى (١١: ١١٨٦).

٢. كذا فى الأصل : موافقة. فى آ : موافقة. وفى مط : موافقة.

الأفشين إلى بغا يعلمه أنه يغزو بابك في يوم سمّاه له ويأمره أن يغزوه في ذلك اليوم بعينه ليحاربه من كلا الوجهين. فخرج الأفشين في ذلك اليوم يريد بابك وخرج بُغا، فعسكر على دعوة فهاجت ريح شديدة ومطر شديد فلم يكن للناس صبر على البرد وشدة الريح فانصرف بُغا إلى عسكره وواقعهم الأفشين من الغد وبُغا غير حاضر، فهزمه الأفشين وأخذ عسكره وخيمته، ونزل الأفشين في معسكر بابك.

ثمّ تجهّز بُغا من الغد وصعد هشتادسر، فوجد العسكر الذي كان مقيماً بإزائه قد انصرف إلى بابك فترك بغا في موضعه وأصاب قماشاً وخرتياً^(١) قد تركوه، ثمّ انحدر من هشتادسر يريد البذّ وكان على مقدّمته داود سياه فبعث إليه :

- «إنا قد توسّطنا الموضع الذي تعرفه يعنى الذى كنا فيه فى المرّة الاولى وهذا وقت المساء وقد تعب^(٢) الرّجالة، فانظر جبلاً حصيناً يسع معسكرنا حتّى نعسكر فيه ليلتنا هذه.»

فالتمس داود سياه ذلك، فصعد إلى قلّة جبل فأشرف فرأى أعلام الأفشين ومعسكره شبه الخيال^(٣) فقال :

- «هذا موضعنا.»

فجاءهم فى تلك الليلة سحاب وبرد [214] ومطر وثلج كثير، فلم يقدر أحد حين أصبحوا أن ينزل من الجبل لأخذ ماء ولا سقى دابة من شدة البرد وكثرة الثلج وكأنهم كانوا فى نهارهم ذلك فى ليل من الضباب المتراكم وشدة الظلمة. فلمّا كان اليوم الثالث قال الناس لبُغا :

١. الخرّمى : أردأ المتاع وسقطه . فى آ : حريثاً .

٢. فى مط : بعث .

٣. فى مط : شبه الجبال .

« قد فنى ما معنا من الزاد وأضر بنا البرد فانزل على أية حال كانت، إمّا راجعين وإمّا نحو الكافر. »

تبييت بابك الأفشين

وقد كان فى يوم الضباب بيّت بابك الأفشين ونقض عسكره وانهزم الأفشين وانصرف إلى معسكره ف ضرب بغا بالطبل وانحدر يريد البذ. فلما صار إلى بطن الوادى نظر إلى السماء منجلية والدنيا طيبة غير رأس الجبل الذى كان عليه. فعبأ بغا أصحابه ميمنة وميسرة ومقدمة وتقدّم يريد البذ وهو لا يشك أن الأفشين فى موضع معسكره فمضى حتى صار لزق^(١) جبل البذ ولم يبق بينه وبين أن يشرف على أبيات البذ إلا صعود قدر نصف ميل، وكان على مقدّمته غلام لابن البعيث، وكان ابن البعيث هذا ذا نكاية فى بابك وأصحابه وكان للغلام قرابة بالبذ، فلقيتهم طلائع لبابك، فعرف بعضهم الغلام فقال له :

« فلان ؟ »

قال : « نعم. »

قال : « من هذا هاهنا ؟ »

فسمّى له [215] من معه من أهل بيته فقال :

« ادن منى حتى أكلمك. »

فدنا منه الغلام فقال له :

« ارجع وقل لمن تُعنى به يتنحى فإنّا قد بيّتنا الأفشين وهزمناه، ونحن

قد تهّأنا لكم فى عسكرين، فعجل الإنصراف لعلك أن تنقلت. »

فرجع الغلام فأخبر صاحبه ابن البعيث، فأخبر ابن البعيث بغا بذلك، فوقف بغا يشاور أصحابه، فقال بعضهم :
 - «هذا باطل وهذه خدعة، ليس من هذا شيء» .
 وقال بعض الكوهانيين^(١) :

- «إنّ هذا جبل أعرفه . من صعد إلى رأسه نظر إلى عسكر الأفشين .»
 فصعد بغا والفضل بن كاوس وجماعة منهم معن نشط، فأشرفوا على الموضع فلم يروا فيه أحداً، فيقن أنّه مضى وتقرّر رأيه على أن ينصرف في صدر النهار قبل أن يجنّهم الليل، فأمر داود سيّاه بالانصراف، فجذّ في السير ولم يعد في الطريق الذي دخل منه مخافة المضايق والعقاب، وأخذ الطريق الذي دخل منه في المرّة الأولى يدور حول هشتاذسر وليس فيه مضيق إلّا في موضع واحد . فسار بالناس وبعث الرّجالة فرموا بأسلحتهم وطرحوا الرماح في الطريق ودخلتهم وحشة شديدة ورعب عظيم وصار بغا والفضل بن كاوس وجماعة [216] من القوّاد في السّاقة، وظهرت طلائع بابك ونزل بغا فتوضّأ وصلى ووقف في وجوههم وتخوّف بغا على عسكره أن يواقفه^(٢) الطلائع من ناحية ويدور عليهم في بعض الجبال والمضايق قوم آخرون فشاور من حضره وقال :

- «لست آمن أن يكون هؤلاء الذين بإزائنا مشغلة يحبسونا عن المسير ويسبقونا إلى المضايق قوم آخرون» .

فأشار الفضل بن كاوس أن يوجّه إلى داود سيّاه وهو على المقدّمة أن يسرع السير ولا ينزل حتّى يجاوز المضيق ولو في نصف الليل . فأما نحن

١. كذا في الأصل وآ ومط : الكوهانيين . ما في الطبري (١١: ١١٩٠) : الكوهبانيين .

٢. في مط : أن تواقفه .

فنقف ها هنا ونماطلهم حتّى تجيء الظلمة^(١)، فإنّ هؤلاء لا يعرفون حيثنّ لنا موضعاً، فإن أخذ علينا المضيق تخلّصنا بأفراسنا من طريق هشتاذسر أو من طريق آخر.

وأشار غيره على بغا فقال :

- «إنّ العسكر قد تقطّع وليس يدرك أوله آخره والناس قد رموا بسلاحهم وقد بقى المال والسلاح على البغال وليس معه أحد ولا نأمن أن يخرج علينا من يأخذ المال والسلاح والأسير الذى معنا» - وكان معهم ابن جويدان^(٢) أسيراً.

فلما ذكر ذلك لبغا أشفق منه ووجّه إلى داود سياه : «حيثما رأيت جبلاً حصيناً فعسكر عليه».

فعدل داود إلى جبل مؤزّب لم يكن للناس [217] فيه موضع للجلوس من شدّة نصوبه^(٣)، فعسكر عليه وضرب لبغا مضرب على طرف الجبل فى موضع شبيه بالحائط ليس فيه مسلك، فنزل فيه وأنزل الناس وقد كلّوا وفنيت أزوادهم، فباتوا على تعبئة يتحارسون من ناحية المصعد وجاءهم العدو من الناحية الأخرى، فعلقوا بالجبل حتّى صاروا إلى مضرب بغا، فكبسوه وبيّتوا العسكر وخرج بغا راجلاً حتّى نجا وخرج الفضل بن كاوس ونجا وقُتل ابن جوشن وقرابة الفضل بن سهل وجماعة غيرهم، ووجد بغا بعد خروجه من العسكر دابة فركبها، ومرّ بابن البعيث فأصعده على هشتاذسر حتّى انحدر به على عسكر محمد بن حميد وخندقه، فوافاه فى جوف الليل وأخذ الخرمية المال والعسكر والسلاح والأسير ولم يتبعوا الناس

١. فى مط : حتّى يجيء الليل والظلمة.

٢. جويدان = جاويدان.

٣. فى الطبرى (١١: ١١٩٢) : هبوطه.

ومرّ الناس متقطعين حتّى وافوا بغا.
وأقام بغا خمسة عشر يوماً فى خندق محمد بن حُميد حتّى أتاه كتاب
الأفشين يأمره بالرجوع إلى المراغة. وانصرف الفضل أخو الأفشين وجمع
من كان فى عسكر الأفشين إلى الأفشين، وفرّق الأفشين الناس فى مشاتهم
تلك السنة [218] حتّى جاء الربيع من السنة المقبلة.

ثمّ دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين

وفىها وجّه المعتصم بالله إلى الأفشين جعفر بن دينار الخياط مدداً له، ثمّ
أنبعه بإيتاخ ووجّه معه ثلاثين ألف ألف درهم للجند والنفقات. فلما جاء
الربيع ووصل إلى الأفشين ما وجّه من المال والمدد فوافاه^(١) ذلك كلّهُ وهو
ببرزند سلّم إليه إيتاخ المال والرجال وانصرف وأقام جعفر الخياط إلى أن
حضر الوقت الذى يمكن فيه الغزو وطاب الزمان.

فتح البَدْ مدينة بابك واستباحتها

وفى هذه السنة فُتحت البَدْ مدينة بابك ودخلها المسلمون واستباحوها.

مركز تحقيق تكملة توير ذكر الخبر عن ذلك وسببه

لما عزم الأفشين على الدنو من البَدْ جعل يزحف قليلاً قليلاً على خلاف
زحفه قبل ذلك إلى المنازل التى كان ينزلها وكان يتقدّم الأميال الأربعة
فيعسكر فى موضع على طريق المضيق الذى ينحدر إليه ولا يحفر خندقاً
ولكنّه يقيم معسكراً [219] فى الحَسَك، وكتب إليه المعتصم يأمره أن يجعل

١. فوافاه : كذا فى الأصل وآ ومط : فوافاه.

الناس نواب كراديس، تقف على ظهور الخيل كما يدور العسكر بالليل، فبعض القوم معسكر وبعض وقوف على ظهور دوابهم على ميل كما يدور العسكر بالليل والنهار، مخافة البيات، كي إن دهمهم أمر كان الناس على تعبئة والرجالة في العسكر، فضج الناس من التعب وقالوا:

- «كم نقعد هاهنا في المضيق ونحن قعود في الصحراء وبيننا وبين العدو أربعة فراسخ ونحن نفعل فعال من يرى العدو بإزائه؟ قد استحيينا من الناس والجواسيس الذين يمرّون بنا، وبين العدو وبيننا أربعة فراسخ ونحن قد متنا من الفزع، إقدم بنا فإمّا لنا وإمّا علينا.»

فقال: «أنا والله أعلم أنّ ما تقولون حق، ولكن أمير المؤمنين أمرني بهذا ولا أجد بداً منه.»

فلم يلبث أن ورد عليه كتاب المعتصم يأمره أن يتحرى بدراجة الليل، فأنحدر في خاصته حتى نزل روز الروذ وتقدّم حتى شارف الموضع الذي واقعه عليه بابك في العام الماضي، فنظر إليه فإذا عليه كردوس من الخرمية فلم يحاربوه ولم يحاربهم فقال بعض العلوج: [220]

- «ما لكم تجهّتون وتفرّون، أما تستحيون؟»

فأمر الأفسشين ألا يجيئوهم ولا يبرز إليهم أحد، فلم يزل مواقفهم إلى قريب من الظهر ثم رجع إلى عسكره فلم يزل على ذلك أيّاماً وكان يأمر أبا سعيد أن يذهب فيواقفهم ولا يحركهم ولا يهيجهم وأمر الفعلة وكانوا يسمّون الكِلْفَرِيَّة^(١) أن يحملوا شكاء الماء والكعك.

فلمّا صاروا إلى روز الروذ أمر أبا سعيد أن يذهب فيواقفهم على حسب ما كان يواقفهم، وأمر الفعلة أن ينقلوا الحجارة ويحصّنوا الطرق التي تسلك إلى

١. والضبط من الطبرى (١١٩٩:١١) حيث جاء فيه: الكِلْفَرِيَّة، وهم الفعلة. ويحتمل أن يكون أصلها الفارسي: گلگران، أى عمال الطين.

تلك الأجبال، وكانت ثلاثة أجبال حصينة كان اختارها ففعل ذلك فصارت شبه الحصون، ثم أمر فاحتفر على طريق وراء تلك الحجارة على المصعد خندقاً، ولم يترك إليها إلا مسلكاً واحداً، ثم أمر أبا سعيد بالإنصراف.

فلما كان الثامن من الشهر وعلم أن ضوء القمر قد أمتع. دفع إلى الرجالة الكعك والسويق ودفع إلى الفرسان الزاد والشعير ووكل بمعسكره من يحفظه، وانحدر وأمر الرجالة بالصعود إلى رؤوس تلك الجبال، وأن يحملوا معهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد، ووجه أبا سعيد [221] ليوافق القوم على عادته وأمر الناس بالدخول في السلاح وألا يأخذ الفرسان سروج دوابهم. ثم خط الخندق وأمر الفعلة بالعمل فيه، ووكل بهم من يستحثهم، وكان يأمر بالعشي أن يصعد الفعلة مع الرجالة إلى رؤوس الجبال التي حصنها، ثم يأمر الرجالة أن يتحارسوا ولا يناموا ويدعوا الفعلة فوق الجبال ينامون، ويأمر الفرسان أن يصيروا كراديس بين كل كردوس وكردوس مقدار رمية سهم، وتقدم إلى جميع الكراديس:

- «ألا يلتفتن واحد منكم إلى الآخر وليحفظ كل رجل منكم ما يليه. فإن سمعتم هدة فلا يلتفتن أحد منكم إلى أحد فكل كردوس قائم بما إليه^(١)، ونحن لا نمده بأحد.»

مركز تحقيق تكملة تراث علوم اسلامی

ملاحظة بين بابك وأفشين في تلك الحال

فلم تزل الكراديس وقوفاً على ظهور دوابهم إلى الصباح والرجالة فوق رؤوس الجبال يتحارسون، فلبثوا كذلك عشرة أيام حتى فرغوا من حفر الخندق، ودخله اليوم العاشر وأمر القواد أن يبعثوا إلى أنقالهم وأنقال أصحابهم

١. كذا في الأصل وآ ومط: إليه. ما في الطبري (١١: ١٢٠٠): بما يليه.

على الرفق فينقلوه. وأتاه رسول بابك معه قَتَاء وبَطِيخ وخيار يعلمه أنه في أيامه هذه في جفاء، إنما يأكل الكعك والسويق [222] هو وأصحابه، وأنه إن أحب أن يلطفه بذلك فعل.

فقال الأفشين للرسول :

- «قد عرفت أي شيء أراد أخى بهذا. إنما أراد أن ينظر إلى العسكر، وأنا أقبل برّه وأعطي شهوته، فقد صدق، أنا في جفاء.»
وقال للرسول :

- «أما أنت فلا بد لك أن تصعد حتى ترى معسكرنا وترى ما وراءنا.»

فأمر بحمله على دابة، وأن يصعد به، حتى يرى الخندق، وينظر إلى خندق كلان رود. وخندق بَرَزَنْد ويتأمل الخنادق الثلاثة ولا يخفى عليه منها شيء ليخبر به صاحبه.

ففعل به ذلك. ثم أطلقه ووصله وقال :

- «اذهب واقرأه مني السلام.»^(١)

ثم إن الأفشين كان في كل أسبوع يضرب الطبول نصف الليل ويخرج بالشمع والنقاطات إلى باب الخندق، وقد عرف كل إنسان كردوسه من كان في الميمنة ومن كان في الميسرة. فيخرج الناس فيقفون في مواقعهم.

وكان الأفشين يحمل أعلاماً سوداء كباراً على البغال وكان اثني عشر علماً وكانت أعلامه الصغار نحو خمسمائة علم وكانت طبوله الكبار اثني عشرين طبلاً، فيقف أصحابه على مراتبهم حتى إذا طلع الفجر ركب الأفشين من مضربه [223] فيؤذن المؤذن بين يديه ويصلي الناس بغلس، ثم يأمر بضرب الطبول ويسير زحفاً، وكانت علامة السير ضرب الطبول، فإن

١. أي : اقرأ عليه مني : السلام.

أراد أن يقف أمسك عن ضربها فيقف الناس من كل ناحية في جبل أو وادٍ. وكان يسير هذه الستة الأميال التي بين معسكره وهو روذ الروذ وبين البذ ما بين طلوع الفجر إلى الضحى الأكبر، فإذا أراد أن يصعد إلى الموضع الذي كانت الحرب عليها في العام الماضي خلف بخاراخذه^(١) على رأس العقبة مع ألف وستمئة رجل يحفظون الطريق، لا يخرج أحد من الخرمية، فيأخذ عليهم الطريق.

وكان بابك إذا أحس بعساكر الأفشين أنها قد تحرّكت من الخندق تريده فرّق أصحابه كُمتنا، ولم يبق معه إلا نُفير يسير، ولم تكن تعرف المواضع التي يكمنون فيها. وكان الأفشين إذا صعد إلى ذلك الموضع أشرف على قصر بابك وجلس على كرسي، وفرّق الرجالة في طلب الكُمتاء ووقف الفرسان على ظهور دوابهم إلى بعد الظهر، والخرمية بين يدي بابك يشربون الشراب ويزمرون بالشُرنايات ويضربون بالطبول، حتّى [224] إذا صلّى الأفشين انحدر إلى خندقه بروذ الروذ.

ونفخ أصحاب بابك في بوقاتهم وضربوا بصنوجهم استهزاءً ولا يبرح بخاراخذه حتّى يجوزه الناس جميعاً، ثمّ ينصرف في آثارهم حتّى إذا كان في بعض الأيام ضجرت الخرمية من التفتيش وانصرف الأفشين كعادته وانصرفت الكراديس. فلما انتهى إلى جعفر الخياط نوبة العبور فتح الخرمية خندقهم وخرج منهم عدّة فحملوا على من بقي من أصحاب جعفر الخياط، وارتفعت الضجة في العسكر ورجع جعفر مع كردوس من أصحابه بنفسه وحمل على أولئك الفرسان حتّى ردّهم إلى باب البذ. ثمّ وقعت الضجة في العسكر فرجع الأفشين وجعفر من ذلك الجانب يقاتل في أصحابه وقد جرح

من أصحابه عدّة ومن أصحاب بابك عدّة من الفرسان مع فرسان ليس بينهم رجالة، فرجع الأفشين حتّى طرح الكرسيّ له على النطع فى موضعه الذى كان يجلس فيه وهو يتلظى^(١) على جعفر ويقول :

« قد أفسد تعبتي وما أريد. »

وكان مع أبى دُلف فى كردوسه قوم من المطوّعة من البصرة وغيرها. فلما ارتفعت الضجّة ونظروا إلى جعفر يحارب [225] انحدر أولئك المطوّعة بغير أمر الأفشين وعبروا إلى الجانب الآخر من الوادى حتّى صاروا إلى حائط البذّ فتعلّقوا به وأثروا فيه آثاراً، وكادوا يصعدونه فيدخلون البذّ. ووجه جعفر إلى الأفشين أن :

« أمدّنى بخمسمائة راجل من الناشبة، فإنّى أدخل البذّ إن شاء الله، فقد عرفت القوم وعلمت مآتهم. »

فبعث إليه الأفشين :

« قد أفسدت علىّ أمرى كلّهُ، فتخلّص قليلاً قليلاً وخلّص أصحابك وانصرف. »

وارتفعت الضجّة من جهة المطوّعة حتّى تعلّقوا بالبذّ وظنّ الكُمناء من أصحاب بابك أنّها الحرب قد اشتبكت، فنعروا ووثبوا من تحت عسكر بخاراخذاه، ووثب آخرون وراء الركوة التى كان الأفشين عليها يقعد، فتحرّكت الخرمية والناس وقوف على رؤوسهم لم يزل منهم أحد. فقال الأفشين :

« الحمد لله الذى بيّن لنا مواضع هؤلاء. »

ثمّ انصرف جعفر وأصحابه والمطوّعة، فجاء جعفر فقال للأفشين :

- «إنما وجهنى أمير المؤمنين للحرب التى ترى لا للعود هاهنا، وأراك تقعد بى فى أوقات حاجاتى. قد كان يكفينى خمسمائة رجل حتى أدخل البذ^(١) أو جوف داره لأتئى قد رأيت من بين [226] يدئ». فقال الأفشين :

- «لا تنظر إلى من بين يديك ولكن انظر إلى من خلفك وما قد وثبوا ببخارا خذاه وأصحابه». فذهب جعفر يتكلم، فقال له الفضل بن كاوس :

- «لو كان الأمر إليك ما كنت تصعد إلى هذا الموضع الذى أنت عليه واقف حتى تقول كنت^(٢)». قال له جعفر :

- «هذه الحرب وها أنا^(٣) واقف لمن جاء». فقال له الفضل :

- «لولا مجلس الأمير لعرفتك نفسك الساعة». فصاح بهما الأفشين فأمسكا وأمر أبا دلف أن يرد المطوعة عن السور. فقال أبو دلف للمطوعة :

- «انصرفوا».

فجاء رجل منهم ومعه صخرة فقال :

- «أتردنا وهذا الحجر من السور أخذته ؟ ولو أخذ معى كل واحد مثله لأزلنا السور عن موضعه». فقال له :

١. فى آ : «التداة جوف داره» بدل «البذ»، أو جوف داره.
٢. كنت : كذا فى الأصل وآ ومط. فى الطبرى (١١: ١٢٠٧) : كنت وكنت.
٣. كذا فى آ ومط : أنا. والضبط فى الأصل والطبرى (١١: ١٢٠٧) : هانا (بحذف الهمزة للتخفيف).

- «إذا انصرفت الساعة تدرى على من طريقك» - يعنى العسكر الذى وثب على بخاراخذاه من ورائه.

ثم قال الأفشين لأبى سعيد فى وجه جعفر:

- «أحسن الله جزاءك عن نفسك وعن أمير المؤمنين. ليس كل من خف رأسه فيقول، يفى بما يقول.^(١) إن الوقوف فى الموضع الذى نحتاج إليه خير من المحاربة فى الموضع الذى لا نحتاج إليه. لو وثب هؤلاء الذين تحتك - وأشار إلى الكمين - كنت تدرى هؤلاء المطوعة الذين هم فى القمص [227] أى شئ كان يكون حالهم، فالحمد لله الذى سلمهم، قف هاهنا فلا تبرح حتى لا يبقى هاهنا أحد.»

وانصرف الأفشين وكان من سنته أن ينصرف على تعبئة كردوس بعد كردوس ويكون آخرهم. وأقام الأفشين فى خندقه بروذ الروذ أياماً. فشكا إليه المطوعة الضيق فى العلوفة والزاد، فقال لهم:

- «من صبر فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع فلينصرف بسلام، فإن معى من جند أمير المؤمنين ومن هو فى أرزاقه من يقيم معى فى الحر والبرد، ولست أبرح من هاهنا حتى يسقط الثلج.»
فانصرف المطوعة وهم يقولون:

- «لو ترك الأفشين جعفرًا وتركنا لأخذنا البذ، ولكنه يشتهى المماطلة.»

أفشين والرؤيا التى رآها بعض المطوعة

فبلغه ذلك وما أكثر فيه المطوعة وتناولوه بالسنتهم حتى قال بعضهم:

١. فيقول، يفى بما يقول: كذا فى الأصل، وهو التصحيح. فى مط: فيقول: ولا يفى بما يقول. فى آ: يقول، بقى بما يقول. والعبارة فى الطبرى (١١: ١٢٠٨): «ليس كل من خف رأسه يقول: إن الوقوف...»

- «رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه فقال لى : قل للأفشين إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت فى أمره، وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة.»

فتحدث الناس بذلك فى العسكر حتى صار جلّ حديثهم به علانية كأنه مستور.

فبعث الأفشين إلى رؤساء المطوعة فأحضرهم وقال لهم :
- «أحب أن تُرونى هذا الرجل.»

فأتوه به، فانحشر [228] معه الناس فقرّبه وأدناه ثم قال :
- «قصّ على رؤياك ولا تحتشم. فإنك إنما تؤدى.»
قال : «رأيت كذا وكذا.»

فقال : «الله يعلم بنيتى وما أريده للمسلمين وبهؤلاء الخلق، وإن الله عز وجل لو أراد أن يأمر الجبال برجم أحد لرجم الكافر وكفانا مؤنثته، فكيف يرجمنى حتى أكفيه مؤنثته، كان يرجمه ولا يحتاج أن أقاتله، وأنا أعلم أن الله مطلع على قلبى وما أريد بكم يا مساكين.»
فقال رجل من المطوعة من الوجوه :

- «أيها الأمير، لا تحرمنا شهادة إن حضرت^(١)، فإنما قصدنا ثواب الله ووجهه، ولو أردنا الحياة لقمعنا فى منازلنا، فدعنا وحدنا حتى نتقدم بعد أن يكون بأذنك، فلعل الله أن يفتح علينا.»
فقال الأفشين :

- «أرى نياتكم حاضرة، وأحسب هذا الأمر يريد الله، وقد نشطتم ونشط أصحابى وقد حدث لى الساعة رأى فى ذلك وهو خير إن شاء الله، اعزموا

١. كذا فى الأصل. ما فى الطبرى (١١: ١٢١٠) : إن كانت قد حضرت.

على بركة الله أي يوم شتم حتى نناهضه، لا حول ولا قوة إلا بالله.»
فخرج القوم مستبشرين، فمن كان أراد الإنصراف أقام ومن كان خرج ثم
سمع بذلك رجع.

ووعده الناس ليوم، وتقدم إلى الناس بأخذ الأهبة ثم خرج [229] وأخرج
المحاميل على البغال لمن لعله يُجرح، وأخرج المتطبين، وزحف الناس،
حتى صعد إلى المكان الذي كان يجلس فيه وطرح له النطع ووضع عليه
الكرسي كما كان يفعل وقال لأبي دلف:

- «قل لأصحابك أي ناحية هي أسهل عليهم فليقتصروا عليها.»

وقال لجعفر:

- «العسكر كله بين يديك والناشبة والنقاطون أمامك، فخذ حاجتك واعزم
على بركة الله، ادن من أي موضع شئت.»

قال: «أريد أن أقصد الموضع الذي كنت عليه.»

قال: «امضي.»

ثم دعا أبا سعيد فقال له:

- «قف بين يدي أنت وجميع أصحابك ولا يبرحن منكم أحد.»

ودعا أحمد بن الخليل فقال له:

- «قف أنت أيضاً وجميع أصحابك ها هنا ودعوا جعفرأ يعبر ومن معه من

الرجال، فإن أراد رجالاً وفرساناً أمددناه.»

توجه أبي دلف نحو حائط البذ

فتوجه أبو دلف مع المطوعة نحو حائط البذ وعلقوا بالحائط على حسب
ما كانوا فعلوا ذلك اليوم وحمل جعفر حملة حتى ضرب باب البذ كما فعل
تلك الدفعة ووقف على الباب وواقفه الخرمية ساعة، فوجه الأفشين برجل

معه بدرة دنانير وقال :

- «قل لأصحاب جعفر : من تقدّم حثوت له ملّ كفى.»

ودفع بدرة [230] أخرى دنانير إلى آخر، وقال :

- «إذهب إلى موضع المطوّة وقل مثل ذلك.»

وبعث بأطواق وأسورة مع البدرتين، واشتبكت الحرب، ثمّ فتح الخرمية الباب وخرجوا على أصحاب جعفر فنحوهم عن الباب وشدّوا على المطوّة من الناحية الأخرى فرموهم عن السور، وأخذوا علمين لهم وشدخوهم بالصخر حتّى أثروا فيهم ورقّوا عن الحرب. وصاح جعفر بأصحابه فبدر منهم نحو مائة رجل فبركوا^(١) خلف تراسهم التى كانت معهم وواقفهم متحاجزين لا هؤلاء يقدمون ولا هؤلاء، حتّى صلى الناس الظهر يختلف بينهم النشاب والحجارة.

فلما نظر الأفشين إلى ذلك كره أن يطمع العدو فى الناس، فوجّه إلى جعفر بكر دوس فقال جعفر :

- «لست أوتى من قلة الرجال، معى رجال ولكن لست أرى للحرب موضعاً وقد انقطعت الحرب.»

فبعث إليه :

- «انصرف على بركة الله.»

فانصرف جعفر وتقدّم الأفشين بحمل الجرحى ومن به وهن من الحجارة فى المحامل التى على البغال وأمر الناس بالانصراف فانصرفوا إلى خندقهم بروذ الروذ ويشس الناس من الفتح فى تلك السنة وانصرف [231] أكثر المطوّة.

١. فبركوا: كذا فى الأصل والطبرى (١٢١٣:١١). فى آ: مائة راجل فنزلوا.

ثم إنَّ الأفشين تجهَّز بعد جُمعتين فلَمَّا كان فى الليل بعث الرِّجالة الناشبة وهم مقدار ألف رجل، فدفع إلى كلِّ واحد منهم شكوة^(١) وكعكاً، ودفع إليهم أعلاماً سوداً وقال :

- «سيروا حتى تصيروا خلف التلِّ الذى عليه آذين» - وهو صاحب جيش بابل.

وأرسل مهم الأدلاء وأمرهم ألا يعلم بهم أحد حتَّى يروا أعلام الأفشين عند صلاة الغداة، فحينئذٍ فركبوا الأعلام على الرماح واضربوا بالطبول وانحدروا من فوق الجبل وارموا بالنشاب والصخر على الخرمية وإن هم لم يروا الأعلام لم يتحرَّكوا حتى يأتهم خبره.

ففعلوا ذلك ووافوا رأس الجبل عند السحر وجعلوا فى تلك الشكاء الماء من الوادى.

فلَمَّا كان السحر وجَّه الأفشين إلى القوَّاد أن :

- «اركبوا فى السلاح».

فركبوا، وأخرج النقَّاطين والشمع وضرب بالطبل حتَّى وافى الموضع الذى كان يقف عليه وبُسطَ النطع ووُضع الكرسيّ لعادته، وكان بخاراخذاه يقف على العقبة التى كان يقف عليها فى كلِّ يوم فلَمَّا كان ذلك اليوم صيَّر بخاراخذاه فى المقدمة مع أبي سعيد وجعفر الخياط وأحمد بن الخليل، فأنكر الناس هذه التعبئة وأمرهم أن يدنوا [232] من التلِّ الذى عليه آذين فيحدقوا به، وقد كان ينهاهم عن هذا قبل ذلك اليوم. فمضوا جميعاً حتَّى صاروا كالحلقة حول التلِّ وارتفعت الضجَّة وتحرك الكمين واشتبكت الحرب. فلَمَّا سمع الرِّجالة الناشبة الذين تقدَّموا صوت الطبول ورأوا الأعلام

١. الشكوة : وعاء من جلد للماء أو اللبن.

وركبوا أعلامهم وانحدروا على أصحاب آذين وحمل جعفر الخياط وأصحابه حتى صعدوا إليهم ثم حملوا حملة منكرة، قلبوه^(١) وأصحابه في الوادي. وكان آذين قد هباً فوق الجبل عَجَلًا عليها صخرة. فلما حمل الناس دفع العجل على الناس، فأفرج الناس عنها حتى تدحرجت ثم حمل الناس من كل وجه.

بابك يريد الأمان

فلما نظر الناس إلى ذلك كبروا ونظر بابك إلى أصحابه قد أحسوا بهم، فخرج من طرف البذ من باب يلي الأفشين يكون بين هذا الباب وبين التل الذي عليه الأفشين قدر ميل، فأقبل بابك يسأل عن الأفشين فقال لهم المطوعة وأصحاب أبي دلف: «من هذا؟»

فقالوا: «بابك، يريد الأفشين». فأرسل أبو دلف إلى الأفشين يعلمه ذلك. فأرسل الأفشين رجلاً يعرف بابك. فنظر إليه، ثم عاد إليه فقال: «نعم هو بابك».

فركب إليه الأفشين، فدنا منه حيث يسمع كلامه وكلام أصحابه، والحرب مشتبكة [233] في ناحية آذين، فقال له: «أريد الأمان من أمير المؤمنين». فقال له الأفشين: «قد عرضت عليك هذا وهو لك مبدول متى شئت».

١. قلبوه: كذا في مط والطبري (١٢١٦:١١). ما في آ مهمل.

فقال : « قد شئت الآن على أن تؤجلنى أجلاً أحمل فيه عيالى وأتجهّز. »
قال له الأفسين :

- « قد والله نصحتك غير مرّة وأنا أنصحك الساعة : خروجك اليوم فى الأمان خير من غدٍ. »

قال : « قد قبلت أيها الأمير. »
قال له الأفسين :

- « فابعث بالرهائن التى كنت سألتك. »

قال : « نعم. أمّا فلان وفلان فهم على ذلك الجبل، فمُر أصحابك بالتوقّف عنهم. »

فجاء رسول الأفسين ليردّ الناس، فقبل له :

- « من يرّد الناس ؟ إنّ أعلام الفراغة^(١) قد دخلت البذّ وصعدوا بها إلى القصور. »

فصاح الأفسين بالناس ودخل ودخلوا وصعد الناس بالأعلام فوق القصور وقد كان بابك كمن فى قصوره وهى أربعة، ستمائة راجل. فوافاهم الناس فصعدوا فوق القصور بالأعلام وامتأّ شارع البذّ وميدانها من الناس وفتح أولئك الكمناء أبواب القصور وخرجوا يقاتلون الناس، ومرّ بابك حتّى دخل الوادى الذى يلى هشتاد سرّ واشتغل الأفسين وقوّاده بالحرب على أبواب القصور وأحضروا النقاطين فصبّوا عليهم النفط والناس والنار يهدمون [234] القصور حتّى قتلوهم عن آخرهم.

وأخذ الأفسين أولاد بابك وعتلاتهم وأمر الناس بالإنصراف فانصرفوا، وكان عامّة الخرمية فى البيوت فرجع الأفسين إلى الخندق بروذ الروذ.

١. فى آ ومط : الفراغة (بالمين المهملة). والأصل مثل الطبرى (١١: ١٢١٨).

فذكر الناس أنّ بابك وأصحابه حين علموا أنّ الأفشين قد رجع إلى خندقه رجعوا إلى البذّ، فحملوا من الزاد ما أمكنهم حمله وحملوا أموالهم، ثمّ دخلوا الوادى الذى يلى هشتادسر، فلما كان من الغد خرج الأفشين حتّى دخل البذّ فوقف فى القرية وأصعد الكلغريّة^(١) فهذّموا القصور وحرّقوها. فعل ذلك ثلاثة أيّام حتّى أحرق خزائنه وقصوره ولم يدع بيتاً واحداً. ثمّ رجع وقد علم أنّ بابك قد أفلت فى بعض أصحابه. فكتب إلى ملوك أرمينية وأصحاب الأطراف يقول :

- «إنّ بابك قد هرب فى عدّة معه وهو ماّر بكم فلا يفوتتكم.»

وجاءت الجواسيس إلى الأفشين فأخبروه بموضعه فى الوادى وكان وادياً معشياً كثير الشجر طرفه بأرمينية وطرفه الآخر بأذربيجان، ولم يمكن الخيل أن تنزل إليه ولا يُرى من يستخفى فيه، إنّما هو غيضة ملتفة الأشجار والأنهار فوجّه الأفشين إلى كلّ موضع يعلم أنّ منه طريقاً ينحدر إلى تلك الغيضة، إذ يمكن بابك أن يُخرج [235] منه عسكرياً، وكان يوجّه إلى كلّ عسكر من هذه العساكر الميرة من عسكريه وكانت عدّة هذه العساكر خمسة عشر عسكرياً.

مركزية أمان مختوم بالذهب من المعتصم لبابك

وكانوا كذلك حتّى ورد كتاب أمير المؤمنين المعتصم بالله مختوماً بالذهب فيه أمان لبابك. فدعا الأفشين ممّن كان استأمن إليه من أصحاب بابك وبالأسرى وفيهم ابن له كبير، أكبر ولده فقال لهم :

- «هذا ما لم أكن أطمع له فيه، أن يكتب له أمير المؤمنين وهو فى هذه

١. فى مط : الكل مرته وهو خطأ. والكلمة شرحناها قبل.

الحال بأمان، فمن يأخذه ويذهب به إليه؟»
 فلم يجسر على ذلك أحد منهم وقالوا:
 - «أيها الأمير ما فينا من يجترئ أن يلقاه بهذا.»
 فقال الأفشين:
 - «ويحكم، إنه يفرح بهذا.»
 قالوا: «أصلح الله الأمير، نحن أعرف بهذا منك.»
 قال: «فلا بد من أن تهبوا لى أنفسكم وتوصلوا هذا الكتاب إليه.»
 فقام رجلان منهم فقالا:
 - «إضمن لنا أنك تُجرى على عيالاتنا.»
 فضمن لهما. وأخذا الكتاب وتوجّها، فلم يزالا يدوران فى الغيضة حتى
 أصاباه، وكتب معهما ابن بابك يُعلمه الخبر ويسأله أن يصير إلى الأمان. فدفعا
 إليه الكتاب عن ابنه فقرأ كتاب ابنه وقال:
 - «أى شىء صنعتُم؟»
 قال: «أسرّ عيالاتنا [236] ولم نعرف موضعك فنأتيك.»
 فقال للذى كان معه الكتاب:
 - «أما هذا فلا أعرفه، ولكن أنت يا بن الفاعلة كيف اجترأت أن تجيئنى
 من عند ابن الفاعلة؟» - يعنى ابنه.
 فأخذه وشدّ الكتاب على صدره مختوماً لم يفضّه وضرب عنقه.
 ثم قال للآخر:

- «إذهب أنت فقل لابنى^(١): يا بن الزانية قد تحققت الساعة أنك لست
 لى بابن، وأن أمك جاءت بك من عهري، لو عشت يوماً واحداً وأنت رئيس

١. ما فى الأصل: لابنه. فصَحّناه حسب السياق، والعبارة ساقطة فى كلّ من آ ومط. وهى فى
 الطبرى (١١: ٢١ - ١٢٢٠). «وقل لذاك ابن الفاعلة - يعنى ابنه».

هذه الدعوة، كان خيراً لك من أن تعيش أربعين سنة وأنت عبد ذليل، ولكنك من جنس لا خير فيه.»
وردة الرجل مع أدلاء حتى دلوه ورجعوا إلى بابك.

فناء زاد بابك

ثم إن بابك فنى زاده وخرج ممّا يلى طريقاً فيه جبل لا يقيم عليه عسكر لبعده من الماء، وكان الناس قد أقاموا هناك فارسين وكوهيين^(١) يحرسون الطريق بنوبة، فلما خرج بابك وأصحابه وكان معه أخواه عبد الله ومعاوية وامرأة له وساروا يريدون أرمينية، نظر إليهم الفارسان والكوهيَّان، فتوجّهوا إلى العسكر وعليه أبو الساج، فأعلموه أنّهم رأوا فرساناً خرجوا من الفيضة ومزّوا لا ندرى من هم. فركب [237] الناس وساروا فنظروا إليهم من بُعد وقد نزلوا على عين ماء يتغذّون عليها. فلما نظروا إلى الناس بادر الكافر فركب وركب من كان معه. فأقلت وأخذ معاوية وأمّ بابك والمرأة التي كانت معه، ومع بابك غلام له. فوجّه أبو الساج بمعاوية والمرأتين إلى العسكر ومزّ بابك حتى دخل جبال أرمينية يسير متكئاً فى الجبال فاحتاج إلى طعام، وكان جميع بطارقة أرمينية قد تحفّظوا بنواحسهم وأطرافهم وأوصوا مسالحهم^(٢): [أن] لا يجتاز عليهم أحد إلا أخذوه حتى يعرفوه. وكان أصحاب المسالح كلّهم متحفّظين.

١. الكوهي: المنسوب إلى الـ«كوه» وهو بالفارسية: الجبل.

٢. فى آ: مشالحهم. وهو تصحيف.

٣. أن: أضفناها من مط.

بابك والحرّاث وما فعل ابن سنباط

وأصاب بابك الجوع فأشرف فإذا هو بحرّاث يحرت على فدان له فى بعض الأودية. فقال للغلام له :

- «إنزل إلى هذا الحرّاث وخذ معك دراهم ودنانير، فإن كان معه خبز فخذ وأعطه.»

وكان للحرّاث شريك ذهب لحاجته. فنزل الغلام إلى الحرّاث يخاطبه، فنظر إليه شريكه من بعيد فوقف بالبعد يفرق أن يجىء إلى شريكه. فدفع الغلام إلى الحرّاث شيئاً، فجاء الحرّاث فأخذ الخبز فدفعه إلى الغلام وشريكه قائم ينظر ويظنّ أنّه إنّما اغتصبه خبزه. فعدا إلى صاحب [238] المسلحة^(١) فأعلمه أنّ رجلاً عليه سيف وسلاح جاءهم وأخذ خبز شريكه من الوادى.

فركب صاحب المسلحة وكان فى جبال ابن سنباط، ووجّه إلى سهل بن سنباط بالخبر. فركب ابن سنباط وجماعة معه حتّى جاءه مسرعاً، فوافى الحرّاث والغلام عنده فقال :

- «ما هذا؟»

قال الحرّاث :

- «هذا رجل من بني فطلب خبزاً فأعطيته.»

فقال للغلام :

- «أين مولاك؟»

قال : «ها هنا.»

فأوماً إليه، فاتّبعه فأدركه وهو نازل. فلما رأى وجهه عرفه، فترجّل له

ابن سنباط عن دابته ودنا منه فقَبِل يده ثم قال :

- «يا سيدي^(١) إلى أين؟»

قال : «أريد بلاد الروم - أو موضعاً سماه.»

فقال له :

- «لا تجد أحداً أعرف بحقك ولا أحق أن تكون عنده مني. أنت تعرف

موضعي، ليس بيني وبين السلطان عمل ولا يدخل عليّ أحد من أصحاب

السلطان، وأنت عارف بقصتي وبلدي وكل من هاهنا من البطارقة، إنما هم

أهل بيتك قد صار لك منهم أولاد.»

وذلك أن بابك كان إذا علم أن عند أحد البطارقة بنتاً أو أختاً جميلة وجّه

يطلبها، فإن بعث بها وإلا بيّته وأخذها وأخذ جميع ما له من متاع وغيره.

ثم قال له ابن سنباط :

- «صرّ عندي في حصني [239] فإنما هو منزلك وأنا عبدك فكن فيه

شتوتك هذه ثم ترى رأيك.»

وكان بابك قد أصابه الضرّ والجهد فركن إلى كلام سهل بن سنباط وقال

له :

- «ليس يستقيم أن أكون أنا وأخي في موضع واحد، لعلّه أن يُعثر بأحدنا

فيبقى الآخر، ولكنني أقيم عندك وتوجّه^(٢) عبد الله أخى إلى ناحية ابن

اصطفانوس، لأنه ليس لنا خلف يقوم بدعوتنا.»

فقال له ابن سنباط :

- «ولذلك كثير.»

قال : «ليس فيهم خير.»

١. في الأصل : يا سيده. في آ : يا سيدي. وفي الطبري (١١: ١٢٢٣) : يا سيده.

٢. كذا في الأصل : توجّه. في الطبري (١١: ١٢٢٣) : يتوجّه.

ابن سنباط يكتب الخبر إلى الأفشين وما كان بعد ذلك

وكان يثق بابن اصطفانوس. فلما أصبح عبد الله مضى إلى حصن اصطفانوس وأقام بابك عند ابن سنباط. فكتب ابن سنباط إلى الأفشين يعلمه أن بابك عنده في حصنه. فكتب إليه :
- «إن كان هذا صحيحاً فلك عندي وعند أمير المؤمنين - أعزّه الله - الذي تحبّ.»

وكتب يجرّيه خيراً.

ووصف الأفشين صفة بابك لرجل من خاصّته ممّن يثق به ووجهه به إلى ابن سنباط، وكتب إليه يعلمه أنّه وجه إليه برجل من خاصّته يحبّ أن يرى بابك ليحكى للأفشين ذلك. فكبره ابن سنباط ذلك إشفافاً من أن يوحش ذلك بابك. فقال للرجل :

- «ليس يمكنك أن تراه إلا في الوقت الذي يكون منكباً على طعامه يتغذى. فإذا رأيتنا قد [240] دعونا بالطعام فالبس ثياب الطبّاخين الذين معنا على هيئة علوجنا وتعال كأنك تقدّم الطعام أو تتناول شيئاً، فإنّه يكون متكئاً على الطعام فتفقد منه ما تريد، فاذهب فاحكه لصاحبك.»

ففعل به ذلك في وقت الطعام فرفع بابك رأسه فنظر إليه فأنكره وقال :
- «من هذا الرجل ؟»

فقال له ابن سنباط :

- «هذا رجل من أهل خراسان منقطع إلينا منذ زمان، نصراني.»

فقال له بابك :

- «منذ كم أنت هاهنا ؟»

قال : « منذ كذا وكذا سنة . »

قال : « وكيف أقمت ها هنا ؟ »

قال : « تزوّجت ها هنا . »

فقال له :

- « صدقت، إذا قيل للرجل من أين أنت، قال : من حيث امرأتى . »

ثمّ رجع إلى الأفشين فأخبره ووصف له بابه :

ووجه الأفشين أبا سعيد وبوزبازة^(١) إلى ابن سنباط وكتب إليه معهما وأمرهما إذا صارا إلى بعض الطريق قدّما كتابه^(٢) إلى ابن سنباط مع علاج من الأعلاج . وأمرهما ألا يخالفا ابن سنباط فيما يشير به عليهما .

ففعلا ذلك فكتب إليهما ابن سنباط في المقام بموضع قد سمّاه ووصفه لهما إلى أن يأتيهما رسوله . فلم يزالا مقيمين في الموضع الذي وصفه لهما، ووجه إليهما ابن سنباط بالميرة والزاد حتّى تحرّك بابه للخروج إلى الصيد [241] فقال له :

- « ها هنا وادّ طيّب وأنت مغموم في جوف هذا الحصن، فلو خرجت، ومعنا باز^(٣) وباشق وما تحتاج إليه فنتفرّج إلى وقت الغداء بالصيد . »

فقال له بابه :

- « إذا شئت فأنفذ لي ركبا بالغداء . »

وكتب ابن سنباط إلى أبي سعيد وبوزبازة يعلمهما ما عزم عليه ويأمرهما أن يوافياه : واحد من هذا الجانب من الجبل والآخر من الجانب الآخر، وأن

١. كذا في الأصل وآ : بوزبازة . في الطبري (١٢٢٥:١١) : بوزبازة . وفي حواشيه : بوزباه .

٢. في الأصل وآ : كتابهما . ما في الطبري (١٢٢٥:١١) : كتابه . وهو الصحيح .

٣. كذا في الأصل وآ ومط : باز وباشق . وهما في الطبري (١٢٢٥:١١) : بازى وباشق . وأصلهما الفارسي : باز وباشه .

يسيرا متكئين مع صلاة الصبح، فإذا جاءهما رسوله أشرفا على الوادى فانحدرا عليه إذا رأوهم وأخذوهم.

فلما ركب ابن سنباط وبابك وجه ابن سنباط رسولا إلى هذا وأراد أن يشبهه على بابك ويقول :

- «هذه خيل قد جاءتنا فأخذتنا ولم يحب أن يدفعه إليهما من منزله.»
فأشرفا على الوادى فإذا هما ببابك وابن سنباط وكان على بابك درّاعة بيضاء. فانحدرا وأصحابهما عليه هذا من هاهنا وهذا من هاهنا. فأخذاهما ومعهما البواشيق. فلما نظر بابك إلى العساكر قد أحذقت به وقف ينظر إليهم. فقالا له :

- «انزل.»

فقال : «ومن أنما ؟»

قال أحدهما :

- «أنا أبو سعيد.»

وقال الآخر :

- «أنا بوزبازة.»

فقال : «نعم.»

وثنى رجله فنزل - وكان ابن سنباط ينظر إليه - فرفع رأسه [242] إلى ابن سنباط فشمته وقال :

- «إنما بعثنى من اليهود بالشىء اليسير، لو أردت المال متى وطلبت له لأعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء.»

بابك يُحمل إلى الأفشين

ثم أركبوه وحملوه وجاءوا به إلى الأفشين. فجلس له الأفشين ببرزند فى

خيمة بين يديها فآزة، فاصطف الناس له صفين، فأمر الأفشين ألا يتركوا غريباً^(١) من الصفين فرقاً أن يجرحه إنسان أو يقتله ممن قتل أوليائه أو صنع به داهية.

وقد كان صار إلى الأفشين نساء كثير وصبيان ذكروا أن بابك كان أسرهم وأنهم أحرار من العرب والدهاقين. فأمر الأفشين بإفرادهم في حظيرة وأجرى عليهم أقواتهم وأمرهم أن يكتبوا إلى أوليائهم وكل من جاءه فعرّف امرأة أو صبيّاً أو صبيّة وأقام شاهدين يعرفان أنها حرمة له أو قرابة دفعها إليه. فكان قد ذهب خلق كثير وبقي ناس كثير منهم ينتظرون أن تجيء أولياؤهم.

فلما كان ذلك اليوم وصار بين بابك وبين الأفشين قدر نصف ميل أنزل بابك، فمشى بين الصفين في درّاعته وعمامته وخفيه حتّى وقف بين يدي الأفشين. فنظر إليه الأفشين ثم قال :

- «إنزلوا به إلى العسكر».

فنزلوا به راكباً.

فلما نظر النساء والصبيان الذين كانوا [243] أفردهم الأفشين في حظيرة لطموا وجوههم وصاحوا وبكوا حتّى ارتفعت أصواتهم.

فوجه الأفشين إليهم:

- «أنتم بالأمس تقولون أسيرنا وأنتم اليوم تبكون عليه، لعنكم الله».

قالوا: «إنه كان محسناً إلينا».

فأمر به الأفشين فأدخل بيتاً، ووكل به جماعة من ثقاته. وكان عبد الله أخو بابك مقيماً عند عيسى بن اصطفانوس، فأعلم الأفشين بمكانه فكتب

١. كذا في الأصل وآ: غريباً. وفي الطبري (١١: ١٢٢٧): غريباً.

إليه يأمره أن يوجّه بعد الله. فوجّه به عيسى بن اصطفانوس إلى الأفشين. فلما صار في يد الأفشين حبسه مع أخيه في بيت واحد ووكل بهما قوماً يحفظونهما. وكتب إليه المعتصم يأمره بالقدوم بهما عليه.

فلما أراد أن يصير إلى العراق وجّه إلى بابك :

« أنظر ما تشتهي من بلاد أذربيجان. »

قال : « أشتهى أن أنظر إلى مدينتي. »

فوجّهه مع قوم في ليلة مقمرة إلى البذّ حتى دار فيه ونظر إلى البيوت والقتلى فيه إلى وقت الصبح ثم رُدّ. فيظنّ أنّه تأمل مواضع كنوزه.

ودخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

قدوم الأفشين ببابك على المعتصم

وما فعل المعتصم به

فقدّم فيها الأفشين على المعتصم ببابك وأخيه سرّ من رأى. وكان المعتصم يوجّه [244] إلى الأفشين كلّ يوم منذ فصل من برزند إلى أن وافى سرّ من رأى فرساً وخلعة،

وكان المعتصم لعنايته بأمر بابك وفساد الطريق بالثلج وغيره رتب بين سرّ من رأى وبين عقبة حلوان خيلاً مضمرّة على رأس كلّ فرسخ فرساً معه مُجَرّ، وكان يركض بالخبر ركضاً حتى يؤدّيه واحد إلى واحد يبدأ بيد.

وأما ما وراء حلوان إلى أذربيجان فقد رتب فيه دوابّ المَرَج فكانت تركض يوماً أو يومين ثمّ تُبدّل. وكان لهم دِيَادِبَةٌ^(١) على رؤوس الجبال بالليل والنهار ينعمون إذا جاءهم الخبر. فإذا سمع الذي يليه تعباً واستعدّ فلا

١. في الأصل : دَبَابَة. وهو تحريف. في آ : دِيَادِبَة. وفي الطبري (١١: ١٢٢٩) : دِيَادِبَة وكلاهما صحيح. وهو جمع مفردة : الدِيدْبَان : الرقيب. المراقب. (فارسيّ معرّب).

يبلغ إليه صاحبه حتى يقف له على الطريق فيأخذ منه الخريطة ويركض بها. فكانت الخريطة تصل من عسكر الأفشين إلى سُرّ من رأى فى أربعة أيّام وأقلّ.

فلما صار الأفشين ببابك إلى سُرّ من رأى لم يصبر المعتصم أن يُحمل إليه حتى ذهب متنكراً فرأاه وتأمّله وبابك لا يعرفه. ثمّ قعد له المعتصم من الغد واصطفّ له الناس بين باب العامّة إلى المطيرة وبها أنزل بابك.

وأراد المعتصم أن يُشهره فاستشار:

- «على أىّ شىء يُحمل ويُشهر؟»

فقيل: «يا أمير المؤمنين [245] لا شىء أشهر من الفيل.»

فأمر بتهيئة الفيل فخُضِبَ وحُمِلَ عليه بابك فى قباء ديباج وقلنسوة سمّور مدوّرة هو وحده. فقال محمد بن عبد الملك الزيات:

قد خُضِبَ الفيلُ كعادته ليحمل شيطان خراسان
والفيل لا تُخُضِبُ أعضاؤه إلّا لذى شأنٍ من الشأن

فاستشرفه الناس من المطيرة^(١) إلى باب العامّة، ثمّ أدخل به على المعتصم وأحضّر جُزّار لقطع أعضائه، ثمّ أمر أن يُحضر سيّافه، وكان اسمه نوذ، فخرج الحاجب من باب العامّة فقال:

- «نوذ، نوذ.»

وارتفعت الضجّة:

- «نوذ، نوذ.»

١. المطيرة: قرية من نواحي سامراء كانت متنزهاتها بُنيت فى أواخر خلافة المأمون بناها مطير بن فزارة السبعاني فنسبت إليه (مرصد الإطلاع).

حتى حضر، فأمره المعتصم أن يقطع يديه ورجليه فقطعهما فسقط، فأمر أن يُشق بطنه، ثم حُزَّ رأسه. ووجهه به إلى خراسان وصلب بدنه بسُرٍّ من رأى. فموضع خشبته مشهور إلى الآن.

أخو بابك يحمل إلى بغداد

وحُمِل أخوه إلى بغداد فعمل به ما عمل ببابك. ويقال إنه لما صار إلى البردان أنزل على ابن شروين في قصره، وابن شروين ملك طبرستان، فحمد الله أخو بابك وقال :

«أنا أشكر الله حيث وفق لي رجلاً من الدهاقين يتولى قتلى.»

قال : «إنما يتولى قتلك هذا.» [246]

وأشار إلى نود، وكان حاضراً وقد حُمِل معه.

فقال : «أنت صاحبي وإنما هذا عالج فاخبرني أمرت أن تُطعمني شيئاً أم لا ؟»

قال : «قل ما شئت.»

قال : «اضرب لي فالوذجة.»

فأمر فضربت له فالوذجة في جوف الليل فأكل منها حتى تملأ ثم قال :

«يا با فلان ستعلم غداً أنني دهقان إن شاء الله.»

ثم قال : «تقدر أن تسقيني نبیذاً؟»

قال : «نعم ولا تُكثر.»

قال : «فإني لا أكثر.»

قال : فأحضر أربعة أرطال خمرأ، فشربها على مهل إلى قريب الصبح. ثم وافى به من الغد مدينة السلام وأحضر رأس الجسر. فأمر إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بقطع يديه ورجليه، فلم ينطق ولم يتكلم ولم يضطرب، ثم أمر

بصلبه فضلب في الجانب الشرقي.

واستخرج الأفشين لسهل بن سنباط من المعتصم ألف ألف درهم ومنطقة مغرقة بالذهب^(١) والجوهر وتاج البطرقة وكان هذا سبب بطرقة سهل بن سنباط. وأخذ الأفشين لمعاوية أخى بابك مائة ألف درهم.

تتويج المعتصم الأفشين بعد قتل بابك

وتوّج المعتصم الأفشين وألبسه وشاحين بالجوهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم : عشرة آلاف له وعشرة آلاف يفرّقها في أهل عسكره، وعقد له على السند وأدخل إليه الشعراء يمدحونه وأمر لهم بصلات. فمما مدح به [247] قول أبي تمام الطائي :

بَذَّ الْجِلَادُ الْبَذَّ فَهُوَ دَفِينٌ ما إنَّ بِهِ إِلَّا الْوَحُوشُ قَطِينٌ
قد كَانَ عُدْرَةً سُودِدٍ فَافْتَضَّهَا بالسَّيْفِ فَحُلَّ الْمَشْرِقِ الْأَفْشِينُ
هَطَلَتْ عَلَيْهَا مِنْ جَمَاجِمِ أَهْلِهَا دَيْمٌ إِمَارَتُهَا طُلَى وَشَوْوَن

إيقاع ملك الروم بأهل زبطرة

وفي هذه السنة أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل زِبْطَرَة^(٢) فأسرههم وخرّب بلدهم ومضى من فوره إلى مَلْطِيَّة^(٣) فأغار على أهلها وعلى حصون كثيرة فسبا من المسلمات خلقاً كثيراً ومثّل بمن صار في يده من

١. الذهب : ليس لا في آ ولا في الطبرى (١١: ١٢٣٢).

٢. زِبْطَرَة : مدينة بين ملطية وسميساط (= شمشاط). (مراسد الإطلاع).

٣. مَلْطِيَّة : والعامة تكسر الطاء وتشدد الياء : من بلاد الرّوم مشهورة تتاخم الشام (مراسد الإطلاع).

المسلمين فسلم أعينهم وقطع آنفهم وأذانهم.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن بابك لما ضاق به الأمر وأشرف على الهلاك وأحس فيمن صاحبه بالضعف، كتب إلى ملك الروم توفيل بن ميخائيل يعلمه: أن ملك العرب قد وجه عساكره ومقاتلته إلى وشغلهم بي، حتى وجه خياطه - يعني جعفر بن دينار - ووجه طبّاخه - يعني ايتاخ - ولم يبق على بابه أحد، فإن أردت الخروج إليه [248] فاعلم أنه ليس في وجهه أحد يمنعك منه، طمعاً منه في أن ملك الروم إن تحرّك انكشف عنه بعض ما هو فيه بصرف المعتصم بعض من بازائه من جيوشه إلى ملك الروم.

فخرج ملك الروم في مائة ألف وأكثر، فيهم من الجند تيف وسبعون ألفاً والباقون حشر وأتباع، وأخرج معه المحمرة الذين كانوا أخرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب وكان الملك صيرهم مقاتلته. فلما دخل ملك الروم زبطرة وقتل أهلها وسبي الذراري والنساء بلغ النفير سر من رأى، وخرج أهل ثغور الشام والجزيرة إلا من لم يجد سلاحاً ولا دابة، واستعظم المعتصم ذلك، فلما انتهى إليه الخبر قال:

- «لبيك لبيك». -

وذلك أنه بلغه أن امرأة من السبي قالت:

- «وامعتصماه» -

وصاح في قصره النفير. ثم ركب دابته وسقط خلفه شكالاً وسكة حديد وحقيبة، ولم يستقم له أن يخرج إلا بعد التعبئة فأحضر ثلاثمائة ونيّفاً وعشرين من القضاة والعدول فأشهدهم على ما وقف من الضياع، فجعل ثلثاً لولده وثلثاً لله وثلثاً لمواليه، ثم عسكر بغري دجلة ووجه عجيف بن عنيسة

وعمر [249] الفرغاني وجماعة أمثالهما من القواد إلى زبطرة إغاثة لأهلها فلحقوا وقد انصرف ملك الروم وفعل ما فعل. فلمّا ظفر المعتصم ببابك قال :
- «أَيّ بلاد الروم أمنع وأحصن ؟»

ف قيل : «عموريّة، لم يعرض لها أحد من المسلمين وهي عين النصرانية وهي أشرف عندهم من قسطنطينية.»

شخص المعتصم غازياً إلى بلاد الروم

فشخص المعتصم غازياً إلى بلاد الروم فتجهّز جهازاً لم يتجهّز مثله قطّ خليفة من السلاح والعدّد والآلات وحياض^(١) الأدم والروايا والقرب والبغال وآلة الحديد وآلة النار والنفط، وجعل على مقدّمته اشناس، ويتلوّه محمد بن إبراهيم، وعلى ميمينته ايتاخ وعلى ميسرته جعفر بن دينار وعلى القلب عجيب بن عنيسة، وبعث الأفشين حيدر بن كاووس إلى سروج وأمره بالتزوّد منها وسمّى له يوماً أمره فيه بدخول درب الحدث وقدر لعسكره وعسكر اشناس يوماً يدخل فيه الأفشين بقدر ما بين المسافتين، ورأى أن تجتمع عساكره بأنقرة، فإذا فتحتها الله صار إلى عمريّة. فقدم اشناس من درب طرسوس وتبعه وصيفه وجمع مقدمات العسكر.

فلمّا صار اشناس بمرج الأسقف ورد عليه كتاب المعتصم يأمره بالمقام [250] ويعلمه أن الجواسيس أتته بأنّ الملك يريد أن يقف على المخاضة ويكبسهم، وأعلمه أيضاً أنّه ينتظر ساقته لأنّ فيها الأثقال والمجانيق والزاد. فأقام اشناس بمرج الأسقف ثلاثة أيّام حتّى ورد كتاب المعتصم يأمره أن يوجّه قائداً في سريّة يلتمسون رجلاً من الروم يسألونه عن خبر الملك ومن

١. كذا في الأصل وآ والطبري (١١: ١٢٣٦) : حياض. في مط : حياظ.

معه. فوجه اشناس عمر الفرغانى فى مائتى رجل فرساناً، فساروا ليلتهم حتى أتوا حصن قُرّة وطافوا يلتمسون رجلاً حول الحصن فنذر بهم صاحب قُرّة، فخرج فى جميع من معه بأنقرة وكمن فى الجبل الذى بين قُرّة ودُرّة، وعلم عمر الفرغانى بما صنع. فتقدم إلى دُرّة فتكمن بها ليلته.

فلما انفجر عمود الصبح صير عسكره ثلاثة كراديس وأمرهم أن يركضوا ركضاً سريعاً بقدر ما يأتونه بأسير عنده خبر الملك وواعدهم إلى موضع عرفه الأدلاء ووجه مع كل كردوس دليلين ومضوا فتفرقوا فى ثلاثة وجوه فأخذوا عدّة من عسكر الملك ومن الضواحي، وأخذ عمر فارساً من فرسان أنقرة فسأله عن الخبر، فأخبره أن الملك وعسكره بالقرب منه وراء اللامس^(١) بأربعة فراسخ وهو نهر قريب من طرسوس على نحو فرسخ منها عليه يقع الفداء^(٢).

وذكروا أن الملك بلغه [251] دخول عسكر كثير بلاده فرحل إليه واستخلف على عسكره هناك ابن عم له ينتظر ورود الملك - يعنى المعتصم - ليواقعه فكان ذلك العسكر الذى توسط بلاد الروم عسكر الأفشين. فوجه اشناس بذلك الرجل إلى المعتصم فأخبره بجميع ذلك.

وبادر المعتصم من عسكره بقوم من الأدلاء وضمن لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم على أن يوافقوا بكتابه الأفشين. وأعلمه أن أمير المؤمنين مقيم فليقيم، وأشفق أن يواقعه ملك الروم. وكتب إلى اشناس يأمره أن يوجه من قبله رسولاً مع الأدلاء العارفين بالطرق والجبال والمتشبهة بالروم، وبذل لكل واحد منهم عشرة آلاف ويكتب إلى الأفشين: «أن ملك الروم قد أقبل نحوه فليقيم مكانه حتى يوافيه أمر أمير المؤمنين.»

١. كذا فى الأصل ومط: اللامس. فى آ: اللامير. وفى الطبرى (١١: ١١٣٩): اللّيس.

٢. كذا فى الأصل وآ ومط: الفداء.

فتوجهت الرسل نحو الأفشين فلم يلحقه أحد منهم : لأنه كان وغل في بلاد الروم وتوافت آلات المعتصم وأثقاله مع صاحب الساقة. فكتب إلى اشناس يأمره بالتقدم فتقدم والمعتصم وراءه بينهما مرحلة ينزل هذا ويرحل هذا ولم يرد عليه خبر من الأفشين حتى صاروا بأنقرة على ثلاث مراحل، وضاق عسكر المعتصم ضيقاً شديداً من [252] الماء والعلف.

اشناس والشيخ

وكان اشناس قد أسر عدة أسرا في طريقه فأمر بهم فضربت أعناقهم حتى بقى منهم شيخ كبير فقال الشيخ :

- « ما تنتفع بقتلى وأنت في عسكرك في هذا الضيق من الماء والزاد والعلف وأنا أدلك على قوم بالقرب، قد هربوا من أنقرة خوفاً من أن ينزل بهم ملك العرب ومعهم من الميرة والطعام شيء كثير. »

فوعده اشناس أن يطلقه إن فعل ذلك. فسار بهم الشيخ إلى وقت العتمة فأوردهم على وادٍ وحشيش كثير، فأمرج الناس دوابهم حتى شبعوا وتعشى الناس وشربوا حتى رووا.

ثم سار بهم حتى أخرجهم من الغيضة^(١) بقية ليلتهم يدور بهم في جبل ولا يخرجهم منه. فقال الأدلاء :

- « هذا الرجل يدور بنا. »

فسأله عما قال الأدلاء. فقال الشيخ :

- « صدقوا ولكن القوم الذين نريدهم خارج الجبل، وأخاف أن أخرج من الجبل بالليل فيسمعوا صوت حوافر الخيل على الصخر فيهربوا، فإذا خرجنا

من الجبل ولم تر أحداً قتلتنى. فأنا أدور بك فى هذا الجبل إلى الصبح، فإذا أصبحنا خرجنا إليهم فأريتُك إياهم.»
فقال له :

- «ويحك فأنزلنا فى الجبل حتى نستريح.»

فقال : «رأيتك.»

فأنزلنا على الصخر وأمسكنا لجم دوابنا حتى الفجر. فلما طلع الفجر قال :
- «وجّهوا رجلين [253] يصعدان هذا الجبل^(١) فيبصران ما فوقه ويأخذان من أدركا فيه.»

فصعد أربعة فأصابوا رجلاً وامرأة فأنزلوهما وسألهما العالج عن أهل أنقرة : «أين باتوا.» فسعىا الموضع. فقال الشيخ :

- «خلّوا عن هذين فإننا قد أعطيناهما الأمان حتى دلّونا.»

فخلّى عنهما وسار بهم العالج إلى الموضع. فأشرف بهم على عسكر أهل أنقرة. فلما رأوا العسكر صاحوا بالنساء والصبيان فدخلوا الملاحه^(٢) ووقفوا على طرفها يقاتلون وأخذوا منهم عدة أسرى وأصابوا فى الأسرى قوماً بهم جراحات فسألوهم عنها فقالوا :

- «كنّا مع الملك فى وقعة الأفسين.»

فقالوا لهم : مركز تحقيق كاپتور علوم رى

- «فحدّثونا بالقصة.»

فأخبروا أنّ الملك كان معسكراً بلامس حتى جاءه رسول فأخبره أنّ عسكراً ضخماً قد دخل من ناحية الارمنياق^(٣) فاستخلف على عسكره

١. فى آ : هذا الرجل.

٢. انظر الطبرى (١١: ١٢٤٢).

٣. فى مط : الارمنيان.

رجلاً من أهل بيته وأمره بالقيام في موضعه، فإن ورد عليه مقدمة ملك الروم واقعه، إلى أن يذهب هو فيواقع هذا العسكر - يعنى عسكر الأفشين.

فقال أميرهم :

- «نعم وكنت مَن سار مع الملك فواقعناهم صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالتهم كلهم وتقطعت عساكرنا في طلبهم. فلما كان [254] الظهر رجع فرسانهم فقاتلونا قتالاً شديداً حتى اختلطوا بنا فلم ندر أين الملك ولم نزل كذلك إلى العصر. ثم رجعنا إلى موضع معسكر الملك بالأمس فلم نصادفه، ووجدنا العسكر قد انتقض وانصرف الناس عن قرابة الملك الذي كان الملك استخلفه على العسكر، فأقمنا ليلتنا.

فلما كان الغد فإذا الملك في جماعة يسيرة فوجد عسكره قد اختل فطلب الذي كان استخلفه وضرب عنقه وكتب إلى المدن والحصون: لا يأخذوا رجلاً [ممن انصرف] ^(١) من عسكر الملك إلا ضربوه بالسياط حتى يرجع إلى موضع سمّاه لهم الملك. حتى إذا اجتمع الناس ناهض ملك العرب وأنفذ الملك خصياً له إلى عَمُورِيَّة إلى أن يلحقه بها.»

لحوق اشناس، ثم المعتصم،

مركز تحقيق كاپيتولر علوم ثم الأفشين بأنقرة

فانصرف المسلمون بما أخذوا وتركوا السبي والمقاتلة يريدون عسكر أشناس وساقوا في طريقهم غنماً وبقراً كثيراً، وأطلقوا ذلك الشيخ الأسير، وسار اشناس بالأسرى حتى لحق بأنقرة فمكث اشناس يوماً واحداً ثم لحقه المعتصم من غدٍ فأخبره بجميع ما ذكره الأسير فسّر المعتصم. فلما كان اليوم

١. ما بين المعقوفتين هو من آ والطبري (١٢٤٣:١١). وهو ليس لا في الأصل ولا في مط.

الثالث جاءت البشرى من ناحية الأفشين يخبرون بالسلامة [255] وأنه وارد على أمير المؤمنين بأنقرة.

ثم ورد الأفشين فأقاموا أياماً ثم ساروا إلى عَمُورِيَّة وقد صير المعتصم العسكر ثلاثة عساكر وبين عسكر وعسكر فرسخان، فساروا يخربون ويسبون ما بين أنقرة إلى عَمُورِيَّة وبينهما سبع مراحل. ثم توافت العساكر بعَمُورِيَّة فكان أول من وردها أشناس فدار حولها دورة، ثم نزل على ميلين منها بموضع فيه ماء وحشيش. ولما كان من الغد جاء المعتصم فدار حولها دورة، ثم جاء الأفشين في اليوم الثالث فقسّمها أمير المؤمنين بين القوّاد كما يدور وصير إلى كلّ واحد منهم أبراجاً منها على قدر كثرة أصحابه وقتلتهم. وتحصّن أهل عَمُورِيَّة وتحرّزوا، وكان بعَمُورِيَّة رجل من المسلمين أسره قديماً أهل عَمُورِيَّة فتنصّر وتزوّج فيهم فحبس نفسه عند دخولهم الحصن. فلما رأى أمير المؤمنين ظهر وجاء إلى المعتصم فأعلمه أنّ موضعاً من المدينة حمل عليه الوادي من سيل عظيم فوق السور من ذلك الموضع، فكتب ملك الروم إلى عامل عَمُورِيَّة أن يبنى ذلك الموضع فتوانى في بنائه حتّى كان خروج الملك من قسطنطينية إلى بعض المواضع، فتخوّف الوالى أن يمرّ الملك على الناحية فيمرّ بالسور فلا يراه بُنى فبنى وجه السور [256] بالحجارة حجراً حجراً وصير وراءه من جانب المدينة حشواً، ثم عقد فوقه الشرف كما كان.

فوقف ذلك الرجل المعتصم على هذه الناحية التى وصف فأمر المعتصم بضرب مضربه فى ذلك الموضع ونصب المجانيق على ذلك البناء، فانفرج السور من ذلك الموضع.

فلما رأى أهل عَمُورِيَّة انفراج السور علّقوا عليه الخشب الكبار المضمومة بعضها إلى بعض فكان حجر المنجنيق إذا وقع على الخشب تكسّر، فعلقوا

فوق الخشب البراذع.

فلَمَّا ألَحَّت المجانيق على ذلك الموضع لم ينفع فيها شيء وتصدَّع السور. فكتب ياطس والخصي إلى ملك الروم كتاباً يُعلمانه أمر السور ووجَّه الكتاب مع رجل فصيح بالعربية وغلّام رومي فعبرا الخندق ووقعا إلى ناحية عمر الفرغاني، فوجَّه بهما إلى أشناس. فحين سألوهما:

- «مَنْ أنتما؟»

لم يعرفا أحداً من القوَّاد بالعسكر يسمّيانه لهم. ففتَّشا فوجد معهما الكتاب^(١). فقرئ وإذا فيه:

- «إنَّ العسكر قد أحاط بالمدينة وأَنَّهُ قد عزم على أن يركب ويحمل خاصّة أصحابه على الدواب التي في الحصن ويفتح الأبواب ليلاً غفلة ويخرج عن^(٢) العسكر، كائناً فيه ما كان أقلت من أقلت وأُصيب من أُصيب، حتّى يصير [257] إلى الملك.»

فلَمَّا قرأ المعتصم الكتاب أمر للرجل الذي يتكلَّم بالعربية وللغلّام الرومي بيده فأسلما وخلَّع عليهما وأمر بهما حين طلعت الشمس فأدارهما^(٣) حول عموريّة فقالا:

- «ياطس يكون في هذا القصر.» - يعنون البرج.

فوفقا بخدائهم طويلاً وعليهما الخلع وبين أيديهما رجلان يحملان لهما الدراهم ومعهما الكتاب حتّى عرف خبرهما جميع الروم وسمعا شتمهم إيَّاهما ثمَّ نحوهما.

ثمَّ أمر المعتصم بحراسة الأبواب نواب يحصرها الفرسان يبيتون على

١. في مط: كتاب.

٢. في مط: على.

٣. في آ: فأداروهما.

دوائهم في السلاح لئلا يفتح الباب ليلاً فيخرج إنسان. فلم يزالوا كذلك حتى انهدم ما بين برجين في الموضع الذي وصف للمعتصم ممّا لم يُحكم عمله، فسمع أهل العسكر الوجبة، فارتاعوا وظنّوا العدو قد احتال بحيلة وخرج، حتّى أرسل المعتصم من طاف على العسكر يعلمهم أنّ ذلك صوت السور قد سقط فطّيبوا نفساً.

تدبير حربى فاشل

وكان المعتصم اتخذ مجانيق كباراً وجعلها على كراسى تحتها عجل وعملها كأوثق ما تكون، ثم فرّق غنماً مما استاقه على أهل العسكر ليأكلوا لحمها ويحشوا جلودها تراباً ثم أتى بالجلود مملوءة تراباً فطُرحت في الخندق، وعمل [258] دبابات كباراً تسع كلّ دبابة عشرة رجال على أن يدحرجوها على تلك الجلود حتّى يمتلئ الخندق. فلما طُرحت الجلود وقعت مختلفة فلم يمكن تسويتها^(١) خوفاً من حجارة المنجنيق، فأمر أن يُطرح فوقها التراب حتّى استوت، ثم قُدّمت دبابة فدحرجوها. فلما صارت من الخندق في نصفه تعلّقت بتلك الجلود وبقي القوم فيها فما تخلّصوا إلّا بعد جهد، ثم مكثت تلك العجلة مقيمة باقية هناك لا يمكن فيها حيلة حتّى فُتحت عمورية وبطلت الدبابات والمنجنيقات والสลالم حتّى أُحرقت. فلما كان من الغد قاتلهم على الثلثة وكان المعتصم واقفاً على دابته بإزاء الثلثة واشناس والأفشين وقوف رجالة.

١. في الأصل : تسريبها. في آ وتد (٤٩١) والطبرى (١٢٤٨: ١١) : تسويتها.

ذكر اتفاق سيء^(١) من كلام سبق

فقال المعتصم :

- « ما كان أحسن الحرب اليوم ؟ »

فقال عمر الفرغانى :

- « الحرب اليوم أجود منها أمس . »

فسمعها شناس وأمسك . فلما انصرف المعتصم وانصرف شناس وقرب من مضاربه ترجل له القواد على عادتهم وفيهم عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل بن هشام [259] فلما مشوا بين يديه قال لهم شناس :

- « يا أولاد الزنا، أى شىء^(٢) تمشون بين يديّ ؟ كان ينبغى أن تقاتلوا

أمس حيث كان يقاتل غيركم . انصرفوا إلى مضاربكم . »

فلما انصرفا قال أحدهما لصاحبه :

- « أما ترى هذا العبد ابن الفاعلة - يعنى شناس - ما صنع بنا اليوم ، أليس

الدخول إلى بلاد الروم أهون من هذا الذى سمعناه ؟ »

فقال عمر الفرغانى لأحمد بن الخليل :

- « سيكفيك الله أمره عن قريب . »

فأوهم أحمد أن عنده خبراً ، فالح عليه أحمد يسأله فأخبره بما هم فيه ،

وقال العباس بن المأمون :

- « قد تمّ أمره وسيبائع له طاهر أو نقتل المعتصم وشناس وغيرهما عن

قريب . »

ثم قال :

١. فى تد (٤٩١) : شىء .

٢. أى شىء . والضبط فى الطبرى (١٢٤٩: ١١) : ايش (بالتخفيف اللهجوى) .

- «وأنا أشير عليك أن يأتى العباس فتقدم فتكون فى عداد من قد مال إليه.»

فقال له أحمد :

- «هذا أمر لا أحسبه يتم.»

فقال عمر :

- «قد تم وفرغ منه.»

وأرشده إلى الحارث السمرقندى، وكان المتولى لإيصال الرجال إلى العباس وأخذ البيعة عليهم، فقال له عمر :

- «أنا أجمع بينك وبين الحارث.»

فقال أحمد :

- «إن كان هذا الأمر يتم فيما بيننا وبين عشرة أيام فأنا معكم، وإن تجاوز ذلك فليس بينى وبينكم عمل.»

فذهب الحارث فأعلم العباس أن عمر قد أدخل أحمد بن الخليل بيننا. فقال :

- «ما كنت أحب أن يطلع الخليلى على شىء مما نحن فيه، فأمسكوا عنه ودعوه [260]. بهما،» فتركوه.

فلما كان الثالث كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين. ثم أحس ايتاخ والمغاربة والأتراك، والقيّم بذلك^(١) ايتاخ، فأتسع لهم الموضع المنثلم وكثرت الجراحات فى الروم وكان القائد الموكل بالموضع الذى انثلم يقال له : وندوا، وتفسيره بالعربية ثور. فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه وكثر القتلى فيهم. فاستمد ياطس فلم يمدّه هو ولا غيره وقال كل واحد :

١. فى آ : بذلك اليوم فأتسع. فى مط : بذلك أجمع ايتاخ فأتسع.

- «نحن نحفظ ما يلينا، فاحفظ أنت ما يليك.»

فقال :

- «يا قوم إنَّ الحرب إنما هي اليوم علىَّ وعلى أصحابي ولم يبق معي أحد إلا وقد جُرح، فصيِّروا أصحابكم على الثلعة يرمون، وإلا افتضحتم وذهبت المدينة.»

فلم يلتفتوا إليه فاعتزم هو وأصحابه أن يخرجوا إلى أمير المؤمنين ويسألوه الأمان على الذريَّة حتَّى يسلموا إليه الحصن بما فيه من السلاح والأثاث وغير ذلك. فلَمَّا أصبح أمر أصحابه ألا يحاربوا حتَّى يخرج ويعود إليهم فخرج بأمان حتَّى صار إلى العسكر وحُمِل إلى المعتصم فصار بين يديه وقد أمسك الروم عن المحاربة أعنى أصحاب وندوا والناس يتقدّمون إلى الثلعة ووندوا جالس بين يدي المعتصم.

فدعا المعتصم بفرس فحمّله عليه وقاتل حتَّى صار [261] الناس معهم على حرب الثلعة وعبد الوهّاب بن علي بين يدي المعتصم فأوماً إلى الناس بيده أن: ادخلوا.

فدخل الناس المدينة. فالتفت وندوا وضرب بيده إلى لحيته، فقال له المعتصم :

- «ما لك؟»

قال : «جئت أريد أن أسمع كلامك وتسمع كلامي فغدرت بي.»

فقال المعتصم :

- «كلَّ شيءٍ تريد أن تقوله فهو لك علىَّ. قل ما شئت، فلست أخالفك.»

قال : «كيف لا تخالفني وقد دخلوا المدينة؟»

فقال المعتصم :

- «احتكم وقل ما شئت فأنّي أعطيكه.»

وصار خلق من الروم إلى كنيسة لهم عظيمة، فقاتلوا هناك قتالاً شديداً. فأحرق المسلمون الكنيسة فاحترقوا عن آخرهم وبقي ياطس في برجه حوله بقية الروم وأصحابه وقد أخذتهم السيوف. فجاء المعتصم حتى وقف حذاء ياطس^(١) فكان ممّا يلي اشناس، فصاحوا:

- «يا ياطس هذا أمير المؤمنين واقف.»

فصاح الرومي من فوق البرج:

- «ليس ياطس ها هنا.»

قالوا: «بلى، فليُنزل إلى أمير المؤمنين.»

قالوا: «لا، ما هو ها هنا.»

فمرّ المعتصم مغضباً، فصاح الروم:

- «هذا ياطس، هذا ياطس.»

فنصبت بعض تلك السلايلم المعمولة حتى صعد عليه الحسن الرومي وهو غلام لأبي سعيد محمد بن يوسف فكلمه ياطس وقال [262] له:

- «هذا أمير المؤمنين، فانزل على حكمه.»

فنزل الحسن فأخبر المعتصم أنّه رءاه وكلمه. فقال المعتصم:

- «فاصعد^(٢) إليه وقل له فليُنزل.»

فصعد الحسن ثانية فخرج ياطس من البرج متقلداً سيفاً حتى وقف على البرج قائماً والمعتصم ينظر إليه فخلع سيفه من عنقه فدفعه إلى الحسن ثم نزل فوقف بين يديّ المعتصم فقتّعه سوطاً وانصرف إلى مضربه فقال:

١. في الأصل: باطس بالباء الموحدة إلى عدة مواضع، وكان حتى هنا بالياء التحتانية، كما في تد والطبري، فوحدنا ضبطه.

٢. في الأصل والطبري (١٢٥٣:١١): فاصعدوا. آ، ومط وتد (٤٩٤): فاصعد.

- «هاتوه»^(١).

فمشى قليلاً ثم جاءه رسول يقول :

- «إحملوه».

فحمل إلى مضرب أمير المؤمنين. ثم أقبل الناس بالأسرى والسبي من كل وجه فأمر المعتصم أن يُميّز الأسرى فيُعزل منهم أهل الشرف في ناحية، ثم أمر بالمقاسم أن ينادى عليها كل صاحب عسكر في ناحيته ووكل مع كل قائد من هؤلاء رجلاً من قبل أحمد بن أبي دؤاد يحصى عليه فبعث المقاسم في خمسة أيام يبيع منها ما استباع وأمر بالباقي فضرب بالنار.

ولما همّ المعتصم بالرحيل وثب الناس على مغنم ايتاخ الذي كان يبيعه وهو اليوم الذي عجيف وعد فيه الناس أن يشب بالمعتصم، فركض المعتصم بنفسه ركضاً وسلّ سيفه فتنحّى الناس من بين يديه وكفّوا عن انتهاب المغنم، فرجع إلى مضربه [263] وأمر من الغد أن لا ينادى على الشيء إلا ثلاثة أصوات وإلا بيع العلق. فكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة وعلى المتاع الكبير جملة واحدة.

وكان ملك الروم قد وجّه رسولاً في أوّل ما نزل المعتصم عمورية، فأنزله المعتصم على ثلاثة أميال حتّى فتح عمورية. فلما فتحها أذن له في الإنصراف ولم يصل إليه.

حبس العباس بن المأمون.

وفي هذه السنة حبس المعتصم العباس بن المأمون وأمر بلعنه.

١. في الأصل وتد (٤٩٤) : هاتموه. في آ ومط وآ والطبري (١٢٥٣:١١) : هاتوه.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنَّ عجيف بن عنيسة حين وجَّهه المعتصم إلى بلاد الروم مع عمر الفرغانى لم يطلق يده في النفقات كما أُطلقت يد الأفشين، واستقصر المعتصم أمر عجيف وأفعاله وحقد عجيف ذلك، فقال للعباس بن المأمون:

« ما كان أضعف همّتك عند وفاة أبيك المأمون حين بايعت أبا إسحاق؟ »

ويذمّه على تفريطه، وشجّعهُ على أن يتلافى ما كان منه. فقبل العباس ذلك.

وكان الحارث السمرقندى أديباً له عقل ومدارة وكان العباس يأنس به فصيّره واسطة بينه وبين القوّاد، فلم يزل [264] يدور في العسكر حتّى بايعه جماعة من القوّاد والخواصّ، وسمّى لكلّ واحد من قوّاد المعتصم رجلاً من ثقات أصحابه ممّن بايعه وقال:

« إذا أمرنا فليشب كلّ رجل منكم على من ضمّناه^(١) أن يقتله. »

فوكّل من خاصّة الأفشين بالأفشين ومن خاصّة أشناس بأشناس وخاصّة المعتصم بالمعتصم، فضمّنوا ذلك جميعاً. فلمّا أرادوا أن يدخلوا الدرب وهم يريدون أنقرة وعمورية ودخل الأفشين من ناحية ملطية، أشار عجيف على العباس أن يشب على المعتصم في الدرب وهو في قلّة من الناس وقد تقطّعت عنه العساكر، فيقتله ويأمر الناس بالقفول إلى بغداد فإنّ الناس يفرحون بانصرافهم، فأبى العباس عليه وقال:

١. والضبط في تد (٤٩٥) والطبرى (١٢٥٧:١١): ضمّناه.

ـ «لا أفسد هذه الغزاة.»

فلما فتحوا عمورية قال عجيف للعباس :

ـ «يا نائم كم تمام؟ قد فُتحت عمورية والرجل ممكن، دُس قوماً ينتهبون هذا الخُرثى، فإنه إذا بلغه ذلك ركب من ساعته، فتأمر من يقتله هناك.»

فأبى عليه العباس وقال :

ـ «أنتظر حتى أصير إلى الدرب، فيخلو كما خلا في البداية، فهو أمكن منه هاهنا.»

وكان عجيف قد أمر من ينتهب المتاع فانتهب الخُرثى في عسكر ايتاخ وركب المعتصم وجاء [265] ركضاً فسكن الناس ولم يطلق العباس لأحد من أولئك الناس أن يتحرّكوا.

ذكر سوء تحفظ في القول عاد بهلكية

كان عمر الفرغانى قد بلغه الخبر ذلك اليوم، وكان له قرابة غلام أمرد في خاصّة المعتصم. فجاء الغلام إلى أولاد عمر يشرب عندهم تلك الليلة، فأخبرهم أنّ أمير المؤمنين ركب مستعجلاً وأنه كان يعدو بين يديه وقال :

ـ «إنّ أمير المؤمنين غضب فأمرنى أن أسل سيفي.»

وقال : «لا يستقبلك أحد إلا ضربته.»

فسمع عمر ذلك من الغلام فأشفق عليه أن يُصاب فقال له :

ـ «يا بُنى أنت أحمق أقلّ من الكينونة عند أمير المؤمنين والزم خيمتك،

فإن سمعت صيحة مثل هذه الصيحة فلا تبرح من خيمتك، فإنك غلام غرّ.»

وارتحل المعتصم من عمورية يريد الثغر ووجه الأفشين صاحباً له في

خلاف طريق المعتصم، وأمره أن يغير على موضع سمّاه له وأن يوافيه في

بعض الطريق، وكان عسكر الأفشين على حدة من عسكر المعتصم بينهما

قدر ميلين. فتوجه صاحب الأفشين حتى أغار وسبى وغنم وأتى عسكر الأفشين بما أصاب من الغنائم.

واعتلّ اشناس فركب المعتصم يعوده ولم يكن الأفشين لحقه بعد. فلما عاد وانصرف تلقاه [266] الأفشين في الطريق، فقال له المعتصم:

- «امض إلى أبي جعفر.»

وكان عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل عند منصور المعتصم من عيادة اشناس توجهها إلى ناحية^(١) الأفشين ولقيهما الأفشين يريد اشناس، فترجلا له وسلما عليه ورءاهما حاجب اشناس من بعيد. فلما دخل الأفشين إلى اشناس وخرج توجهها إلى عسكر الأفشين لشراء السبى ولم يكن السبى أخرج بعد ووقفا ناحية ينتظران أن ينادى على السبى فيشتريا، ودخل حاجب اشناس على اشناس فقال له:

- «رأيت عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل فلقيا الأفشين وهما يريدان عسكره فترجلا له وسلما عليه وتوجهها إلى عسكره. فدعا اشناس محمد بن سعيد وقال له:

- «اذهب فانظر هل ترى هناك عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل، وانظر عند من نزلا وأي شيء قصتهما.»

فجاء محمد بن سعيد فأصابهما واقفين على ظهور دوابهما فقال:

- «ما وقفكما هنا؟»

قالا: «وقفنا ننتظر سبى ابن الأقطع فنشتري بعضه.»

فقال لهما محمد بن سعيد:

- «وكلّا وكيلاً يشتري لكما.»

١. فى آ: إلى ناحية عسكر الأفشين.

فقالا : « لا نحب أن نشترى إلا ما نراه. »

فرجع محمد فأخبر أشناس بذلك فقال لحاجبه :

- « قل لهؤلاء : الزموا عسكركم خير لكم - يعنى عمر الفرغانى وأحمد بن

الخليل - لا تدوروا هاهنا [267] وهاهنا. »

فذهب الحاجب إليهما فأعلمهما واغتمًا لذلك واتفقا على أن يذهبا إلى

صاحب خبر العسكر فيستعفيا^(١) من أشناس فصار إلى صاحب الخبر فقالا :

- « نحن عبيد أمير المؤمنين يضمنا إلى من شاء، فإن هذا الرجل يستخف

بنا، قد شتمنا وتوعدنا ونحن نخاف أن يقدم علينا. »

فأنهى صاحب الخبر ذاك إلى المعتصم من يومه ذلك، واتفق الرحيل من

الغد وكان إذا ارتحل الناس سارت العساكر على حيالها وسار أشناس

والأفشين وجميع القواد فى عسكر أمير المؤمنين ووكلوا حلفاءهم^(٢)

بعساكرهم. فلما ذهب أشناس إلى المعتصم قال له :

- « أحسن أدب عمر الفرغانى وأحمد بن الخليل فإنهما قد حمقا

أنفسهما. »

فجاء أشناس ركضاً إلى معسكره فسأل عن عمر وأحمد بن الخليل

فأصاب^(٣) عمر وكان ابن الخليل قد مضى فأحضر عمر الفرغانى وقال :

- « هاتوا سياطاً. »

فمكث طويلاً مجرداً ليس يؤتى بالسياط فتقدم عمه إلى أشناس وكلمه

فيه وكان عمه أعجمياً فقال :

١. كذا فى الأصل : فيستعفيا. فى الطبرى (١١: ١٢٦٠) : فيستعفياه. وفى تد (٤٩٨) : فيستعينا.

٢. ما فى الأصل وآ : حلفاءهم (بالحاء المهلعة)، فأثبتناه حسب مط وتد (٤٩٨) والطبرى (١١: ١٢٦٠).

٣. فى آ : فأجاب. آ ومط والطبرى (١١: ١٢٦١) كالأصل : فأصاب.

- «احملوه وألبسوه قباطاق»^(١) واحملوه على بغل في قبة.

وساروا به وجاء أحمد بن الخليل وهو يركض فقال:

- «احبسوا هذا معه».

فأنزل عن دابته وصير عديله فبقيا كذلك يسار بهما على كرامة [268] وأثقالهما وغلمانهما في العسكر لم يحرك لهما شيء حتى سمع الغلام الفرغانى قرابة عمر بحبس عمر، فذكر للمعتصم ما دار بينه وبين عمر من الكلام في تلك الليلة وقوله: إذا سمعت صوتاً مثل هذا فالزم خيمتك.

فقال المعتصم لبغا:

- «لا ترحل غداً حتى يجيء أشناس فتأخذ منه عمر وتلحقني به».

وكان هذا بالصفصاف^(٢). ففعل لبغا ذلك ومضى بعمر إلى المعتصم. فلما أفرد أحمد بن الخليل قلق وأنفذ غلاماً له ليتبع عمر وينظر ما يصنع به. فرجع الغلام فأخبره أنه دخل على أمير المؤمنين. فمكث ساعة ثم دفع إلى ايتاخ وكان سائله أمير المؤمنين عن الكلام الذي قاله الغلام قرابته فأنكر وقال:

- «هذا الغلام كان سكران ولم يفهم وما قلت شيئاً مما ذكر».

وسار المعتصم حتى صار إلى باب مضايق البذندون فأقام اشناس هناك ثلاثة أيام ينتظر أن تتخلص عساكر أمير المؤمنين، لأنه كان على الساقة. فكتب أحمد بن الخليل رقعة إلى اشناس يعلمه أن لا مير المؤمنين عنده نصيحة. فبعث إليه اشناس بأحمد بن الخصيب وأبى سعيد محمد بن يوسف يسألانه عن النصيحة فذكر أنه لا يخبر بها إلا أمير المؤمنين. فرجعا فأخبرا اشناس بذلك فقال:

١. في مط: قباطا.

٢. في مط: بالصفصافان.

- «ارجعنا فاحلِّقنا [269] له أننى حلفت بحياة أمير المؤمنين إن هو لم يخبرنى بهذه النصيحة أن أضربه بالسياط حتى يموت.»
فرجعا فأخبراه بذلك فأخرج جميع من كان يحفظه وبقى^(١) أحمد بن الخصيب وأبو سعيد فأخبرهما بما ألقى إليه عمر الفرغانى من أمر العباس وشرح لهما جميع ما كان عنده من خبر الحارث السمرقندى. فانصرفا إلى أشناس وأخبراه بذلك فبعث أشناس فى طلب الحدادين فجاءوا بهم فدفع إليهم حديداً وقال :

- «إعملوا لى قيداً مثل قيد أحمد بن الخليل وعجلوه لى الساعة.»
ففعّلوا ذلك. فلما كان وقت العتمة ذهب حاجب أشناس إلى خيمة الحارث السمرقندى فأخرجه منها وجاء به إلى أشناس فقّيده وأمر الحاجب أن يحمله إلى أمير المؤمنين فحمله إليه. واتفق رحيل أشناس صلاة الغداة فجاء أشناس إلى موضع معسكره فتلقاه الحارث ومعه رجل من قبل المعتصم وعليه خلع، فقال له أشناس :

- «مه ؟»

قال : «القيد الذى كان فى رجلى [صار]^(٢) فى رجل العباس.»
وكان المعتصم سأل الحارث عن أمره فأخذ عهده إن صدقه ونصحه أطلقه، ثم أقرّ له بجميع أمره وجميع من بايع العباس من القواد، فأطلق المعتصم الحارث وخلع عليه ولم يصدّق على أولئك القواد لكثرتهم [270] وكثرة من سُمى منهم. وتحرّر المعتصم فدعا به حين خرج من الدرب فأطلقه ومناه وأوهمه أنّه قد صفح عنه وتغذى معه وصرفه إلى مضربه.

١. فى آ : ومضى.

٢. ما بين المعقوفين من الطبرى (١١: ١٢٦٣).

ثمّ دعاه بالليل فنادمه [على] ^(١) الشراب وسقاه حتّى أسكره واستحلفه أن لا يكتمه من أمره شيئاً. فشرح له قصّته وسمّى له جميع من كان دبّ في أمره فكتبه المعتصم وحفظه، ثمّ دعا الحارث السمرقندي بعد ذلك فسأله عن الأسباب، فقصّ عليه مثل ما قصّ العباس.

ثمّ أمر بعد ذلك بتقييد العباس.

ثمّ قال للحارث :

- «قد رُضْتُكَ على أن تكذب فأجد السبيل إلى سفك دمك فلم تفعل.»

ثمّ دفع العباس إلى الأفسشين وتتبّع المعتصم أولئك القوّاد فأخذوا جميعاً. فأمر أحمد بن الخليل فأمر أن يُحمل على بغل بأكاف ^(٢) بلا وطاء ويُطرح في الشمس إذا نزل ويُطعم في كلّ يوم رغيفاً واحداً.

وأما عجيف بن عنبسة فدُفع مع جماعة من القوّاد إلى ايتاخ ودُفع أحمد بن الخليل إلى أشناس وأخذ الشاه بن سهل فأحضره المعتصم والعباس بين يديه، فقال له :

- «يا ابن الزانية، أحسنت إليك فلم تشكر.»

فقال الشاه :

- «ابن الزانية هذا الذي بين يديك - يعني العباس - لو تركنى هذا كنت

أنت يا هذا لا تقدر [271] أن تقعد في هذا المجلس وتقول ما تقول.»

فأمر به المعتصم فضربت عنقه ودُفع عجيف إلى ايتاخ فعلق عليه حديداً كثيراً وحمله على بغل في محمل بلا وطاء.

وأما العباس فكان في يد الأفسشين، فلمّا نزل المعتصم منبج ^(٣) وكان

١. ما بين المعقوفتين من الطبري (١١: ١٢٦٣).

٢. الأكاف : البرذعة.

٣. في آ : منبج، وفي مط : منبج. وكلاهما تصحيف.

العباس جائعاً فسأل عن الطعام فقُدّم إليه طعام كثير فأكل فلماً طلب الماء مُنع وأدرج في مسح فمات.

وأما عمر الفرغانى فإنه لَمّا نزل المعتصم بنصيبين في بستان دعا صاحب البستان فقال له :

- «احفر بئراً في موضع أوماً إليه.»

ثم دعا بعمر وقد تناول أقداحاً. فلماً مَثَلَ بين يديه جُرَد وضرب بالسياط. فلماً انتهى حفّار البئر ممّا أمره به أمر المعتصم أن يُضرب وجه عمر بالخشب. فلم يزل يُضرب حتّى سقط أنفه وأستانه ثم قال :

- «جُزّوه إلى البئر فاطرحوه فيها.»

فلم يتكلم عمر ولم ينطق بحرف حتّى طُرِحَ في البئر وطُمّت عليه. وأما عجيف فإنه مات في المحمل بباعيناثا^(١) فطُرِحَ عند صاحب المسلحة فُدِّنَ هناك. وذكر أن عجيفاً كان في يد محمد بن إبراهيم بن مصعب فسأله المعتصم عنه فقال :

- «يا محمد لم يمت عجيف يا با صالح؟»

قال : «يا سيدى اليوم يموت.»

فمات ذلك اليوم. [272]

وأما التركى الذى ضمن للعباس قتل أشناس فإنه كان كريماً على اشناس يناديه ولا يحجب عنه، فأمر اشناس بحبسه قبله في بيت مظلم وسدّ عليه الباب وكان يُلقى إليه كلّ يوم رغيف وكوز ماء. فأتاه ابنه في بعض أيامه، فكلمه من وراء الحائط فقال له :

- «يا بنى لو كنت تقدر على سكين كنت أقدر أن أتخلص من موضعى

١. في الأصل : باغيناثا (بالعين المعجمة). في الطبرى (١١: ١٢٦٥). باغيناثا. قرية كبيرة كالمدينة فوق جزيرة ابن عمر، لها نهر كبير يصبّ في دجلة (مراسد الإطلاع).

هذا.»

فلم يزل ابنه يتلطف للموكلين حتى فتح له بمقدار دُون الدرهم ضوء فطرح إليه من هناك سكيناً فقتل بها نفسه.

وأما أحمد بن الخليل فإنه دفعه اشناس إلى محمد بن سعيد فحفر له بئراً وأطبق عليه وفتح فيها كوة ليرمى إليه منها الخبز والماء فقال له المعتصم:

« ما حال أحمد بن الخليل؟ »

فأخبره بحاله. فقال المعتصم:

« أحسبه قد سمن على هذه الحال. »

فنقل إلى غيره فسمّه حتى مات.

وقُتل باقى القواد إلا هرثمة بن النصر الخثلى فإنه كان يُحمل فى الحديد من المراغة لأنه كان هناك. فتكلم فيه الأفسين واستوهبه من المعتصم فوهبه له وولاه البلد الذى يصل إليه الكتاب فيه، فوصل إلى الدينور عند العشاء مقيداً مغلولاً فطرح فى خان فوفاه الكتاب فى بعض الليل وأصبح هو والى الدينور. [273]

وقتل من الأتراك والفراغنة وغيرهم ممن لم يُحفظ اسمه خلق كثير وورد المعتصم سرّاً من رأى سالماً بأحسن حالٍ.

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

ودخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

وفيهما أظهر مازيار بن قارن الخلاف على المعتصم بطبرستان

ذكر السبب فى ذلك

كان مازيار^(١) منافراً لآل طاهر لا يحمل الخراج إليهم وكان المعتصم

يكتب إليه يأمره بحمله إليهم فلا يحمل ويقول :

- «أحمله إلى أمير المؤمنين».

فكان المعتصم يأمر بالمال إذا بلغ همدان أن يستوفيه عامله، ثم يسلمه إلى صاحب عبد الله بن طاهر ليردّه إلى خراسان. ولما ظفر الأفشين ببابك ونزل من المعتصم المنزلة التي لا يتقدّمه فيها أحد وبلغه منافرة مازيار آل طاهر طمع في ولاية خراسان ورجا أن يكون ذلك سبباً لعزل عبد الله بن طاهر.

فدسّ الكتب إلى مازيار يعلمه ميله إليه بالدهقنة ويظهر مودّته ويقول أنه قد وعد بولاية خراسان.

فدعا ذلك مازيار إلى الاستمرار في عداوة [274] آل طاهر وترك حمل الخراج إليه، وما شكّ الأفشين، إن كاشف وخالف، سيطاول عبد الله بن طاهر حتّى يحتاج المعتصم أن يوجّهه وغيره إليه ولم يزل يكاتب مازيار ويبعثه على محاربة عبد الله بن طاهر ويهوّن أمره عنده حتّى خالف وأخذ رهائن أكابر أهل ناحيته وأمر الأكرّة بانتهاب أموال أرباب الضياع وغلاتهم والأفشين في كلّ ذلك يكاتبه ويعرض عليه النصرة.

وأخذ مازيار الناس بالخراج فجبى جميع الخراج في شهرين وكان يُجبى كلّ سنة الثلث في أربعة أشهر. وهرب رجل ممّن أخذت رهينته.

فجمع أبو صالح سرخاستان خليفة المازيار الناس بسارية^(١) وقال :

- «كيف يثق بكم الملك وهذا فلان ممّن حلف وأعطى الرهينة ثمّ نكث وخرج فأنتم لا تفون ولا تكرهون الحنث فكيف يرجع لكم الملك إلى ما تحبّون؟»

فقال بعضهم :

- «نقتل الرهينة حتّى لا يعود غيره إلى الهرب.»

فقال : «أوتفعلون ؟»

قالوا : «نعم.»

فكتب أبو صالح إلى صاحب الرهائن يأمره أن يوجّه بابن الهارب. فلمّا حُمِلَ إلى سارية ندم الناس على ما قالوا وجعلوا يرجعون على من أشار بذلك باللوم، فجمعهم أبو صالح وقال :

- «قد ضمنت [275] لى قتل الرهينة وها هو قد حضر فاقتلوه.»

فقال بعضهم :

- «أصلح الله الأمير، إنك أجّلت من خرج عن البلد شهرين وهذا الرهينة قبلك فنسألك أن تؤجّله شهرين فإن رجع أبوه وإلا أمضيت فيه رأيك.»

فغضب ودعا بصاحب حرسه فأمر بصلب الغلام. فسأله الغلام أن يأذن له حتّى يصلى ركعتين. فأذن له فطوّل في صلاته وهو يُرْعَدُ^(١) وقد مدّ له جذع، فجذبوا الغلام من صلاته ومدّوه حتّى اختنق ومات.

ثم أمر أهل سارية أن يخرجوا إلى آمل وتقدّم إلى أصحاب المسالح في إحضار أهل الخنادق من الأبناء والعرب فأحضروا ومضى معهم إلى آمل وقال لهم :

- «إنّى أريد أن أشهدكم على أهل آمل وأشهد أهل آمل عليكم وأردّ ضياعكم وأموالكم، فإن لزمتم الطاعة والمناصحة زدناكم من عندنا ضعف ما أخذناه منكم.»

فلمّا وافوا آمل ميّز أهل سارية ناحية ناحية ووكل بهم وكتب أسماء

١. يُرْعَدُ : تأخذه الرعدة.

جميع أهل آمل حتى لم يخف عليه منهم أحد، ثم عرضهم على الأسماء حتى اجتمعوا، وتقدم إلى أصحاب السلاح حتى أخذقوا بهم ووكل بكل رجل رجلين وساقهم مكتفين حتى وافى بهم جبلاً يُعرف بهزْمُذِيَار^(١) وكبّلهم [276] بالحديد وبلغت عدّتهم عشرين ألفاً فحبسهم هناك، وفعل مثل ذلك بوجوه العرب والأبناء وكبّلهم وحبسهم ووكل بهم.

فلما تمكّن مازيار واستوى أمره وحبس كل من يخشى غائلته وأمن جميع أصحابه وأمر سرخاستان بتخريب سور مدينة آمل فخربه بالطبول والمزامير ثم سار إلى ساريه ففعل بها مثل ذلك ثم فعل بطميش^(٢) - وهي على حدّ جرجان من عمل طبرستان - مثل ذلك وعمل سوراً من طميش إلى البحر مقدار ثلاثة أميال. وكانت الأكاسرة بنته بينها وبين الترك لأنّ الترك كانت تغير على أهل طبرستان في أيامها.

ونزل سرخاستان معسكراً بطميش وصيّر حولها خندقاً وثيقاً وأبراجاً للحرس وصيّر عليها باباً وثيقاً ووكل به الثقات، ففرع أهل جرجان فهرب منهم قوم إلى نيسابور. وانتهى الخبر إلى عبد الله بن طاهر عامل المعتصم على خراسان، فوجّه إليه عمّه الحسن بن الحسين بن مصعب مع جيش كثيف لحفظ جرجان وأمره أن يعسكر على الخندق. فنزل الحسن بن الحسين على الخندق معسكراً وضار بينه وبين سرخاستان عرض الخندق، ثم بعث إليه [277] عبد الله بن طاهر حيّان بن جبلة في أربعة آلاف فارس إلى قومس فعسكر على حدّ جبال شروين.

ووجّه المعتصم من قبله محمد بن إبراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن

١. كذا في الأصل وآ ومط وتد (٥٠٤) هرمزديار. في الطبري (١٢٧٤:١١) هرمزد آباد.

٢. طميش: كذا في الأصل وآ، ومط. في الطبري (١٢٧٥:١١): طميش [= طيمسة] (بالسين المهملة).

إبراهيم في جمعٍ كثيفٍ وضَمَّ إليه الحسن بن قارن الطبري العابد^(١) ومن كان
بالباب من الطبرية، ووجه منصور بن الحسن صاحب دنباوند إلى الريّ
ليدخل طبرستان من ناحية الريّ ووجه أبا الساج إلى اللار^(٢) ودنباوند
فأحدثت الخيل بمازيار من كلّ جانب فبعث مازيار إلى أهل المدن
المحبّسين عنده :

- «إِنَّ الخيل قد زحفت إلىّ من كلّ جانب وإنّما حبستكم ليعث أميركم
فيسأل فيكم - يعني المعتصم - فلم يكثرث بكم وأنتم عشرون ألفاً ولست
أتقدّم إلى حربته وأنتم ورائي، فأدّوا إلىّ خراج سنتين وأُخْلِى سبيلكم، ومن
كان منكم شاباً قوياً قدّمته للقتال. فمن وفى رددت عليه ماله ومن لم يف
أكون قد أخذت ديتي، ومن كان شيخاً ضعيفاً صيرته من الحفظة والحراس
والبوابين.

ثم إنّ سرخاستان جمع من أبناء القوّاد وغيرهم من أهل آمل ممّن فيه قوّة
وشجاعة مائتين وستين فتى ممّن يخاف ناحيته وأظهر أنّه يريد مناظرتهم
وبعث إلى الأكرة [278] الدهاقين. قال لهم :

- «إِنَّ هؤلاء هواهم مع العرب ولست آمن غدرهم وهم أهل الظنّة قد
جمعتم فاقتلوهم لتأمنوا ولا يكون في عسكريكم من يخالفكم.»
ثمّ كتّفهم ودفعهم إلى الأكرة الدهاقين. فصاروا بهم إلى قناة هناك قد
خربت فقتلوهم ورموا بهم في آبار القناة. ثمّ عطف سرخاستان إلى
المحبّسين من أهل المدن فطالبهم بمال العواقفة فقالوا :

- «إِنَّ صاحبك لم يُبق لنا مالاً ولا ذخيرة ولو علم أنّ وراءنا درهماً

١. كذا في الأصل وآ، ومط وتد (٥٠٥) : العابد. في الطبري (١٢٧٦:١١) : القائد.

٢. في الطبري : اللارز.

واحداً^١ لاستخرجه ولكننا نعطي ضياعنا وأملانا بقيمة ما نطلب.»
فقال لهم :

- «الضياع للملك ولا حقّ لكم فيها فاحتالوا للملك.»

فلم يجد عندهم شيئاً. فقال لأولئك الأكرّة الذين قتلوا من قتلوا :

- «إني قد أبحتكم منازل أرباب الضياع وحرّمهم إلّا ما كان من جارية جميلة من بناتهم فإنّها تصير للملك.»
وقال لهم :

- «صيروا إلى الحبس فاقتلوا أرباب الضياع أولاً ثمّ حوزوا ما وهبث لكم من منازلهم وحرّمهم.»

فَجَبَنَ القوم ولم يُقدّموا على عشرين ألفاً، فلم يقبلوا منه.

وكان الموكّلون بالسور من أصحاب سرخاستان يتحدّثون ليلاً مع حرس [279] الحسن بن الحسين بن مصعب حتّى استأنس بعضهم ببعض وتأمروا على تسليم السور فسلموه، ورحل أصحاب الحسن بن الحسين من موضعهم إلى عسكر سرخاستان على غفلة من غير أن يعلم بذلك صاحبهم. فنظر الناس بعضهم إلى بعض فتأروا يدخلون من الحائط. وبلغ الحسن بن الحسين ذلك فأشفق أن تكون حيلة فجعل يصيح ويمنع من الدخول وهم لا يقبلون حتّى نصبوا أعلامهم على السور في معسكر سرخاستان.

وانتهى الخبر إلى سرخاستان وهو في الحقام وسمع الضجيج فلم تكن له همّة إلّا الهرب فخرج هارباً في غلاله ودخل الناس من غير مانع حتّى استولوا على جميع ما في العسكر ومضى قوم في الطلب.

فتحدّث زرارة بن يوسف قال : بينا أنا في الطريق إذ صرت في موضع

١. في الأصل : درهم واحد.

يسرة الطريق فوجلت منه ثم اقتحمته بالرمح ولم أرَ أحداً ولكنى صحت :
- « من أنت ويلك . »

فإذا رجل يصيح :

- « زينهار . »

يعنى : الأمان . فأخرجته وإذا هو شيخ جسيم فقلت :
- « من أنت ؟ »

فقال : « أنا شهريار . »

وإذا به أخو سرخاستان صاحب العسكر .

فحملته إلى الحسن بن الحسين فضرب عنقه .

وأما سرخاستان فإنه مضى على وجهه وكان عليلاً فلما جهده العطش

نزل عند غيضة واستلقى وصاح بعض أصحابه ممن تبعه :

- « يا فلان [280] اسقنى ماء فقد جهدنى العطش . »

فقال : « ليس معى ما أغرف به ^(١) من هذا الموضع . »

فقال له سرخاستان :

- « خذ رأس جعبتى فاسقنى به . »

فنظر الرجل إلى أصحابه وقال لهم :

- « هذا الشيطان قد أهلكنا . فلم لا نتقرب به إلى السلطان ونأخذ لأنفسنا

أماناً ؟ »

فأجابوه إلى ذلك ووئبوا عليه وشدّوه كتافاً فقال لهم :

- « خذوا منى مائة ألف واتركونى فإنّ العرب لا تعطىكم شيئاً . »

قالوا : « أحضرها . »

١. فى آ : ليس معى إناء أغرف به .

قال : « هاتوا ميزاناً . »

فقالوا : « من أين لنا ها هنا ميزان ؟ »

قال : « فمن أين لي ها هنا ما أعطيكم . ولكن صيروا معي إلى المنزل وأعطيتكم العهود والمواثيق أني أفي لكم بذلك . »

فصاروا به إلى الحسن بن الحسين واستقبلهم خيل الحسن بن الحسين . فضربوا رؤوسهم وأخذوا سرخاستان منهم فهزمتهم أنفسهم ، ومضى به أصحاب الحسن إلى الحسن فدعا بوجوه أصحابه وسألهم :

- « هل هذا سرخاستان ؟ »

قالوا :

- « نعم هو هو . »

فأمر به فضربت عنقه .

وكاتب^(١) حيّان بن جبلة من ناحية طميش قارن بن شهر يار ورغبه في الطاعة وضمن له أن يملكه على جبال أبيه وجدّه وكان قارن هذا ابن أخي مازيار وقد قوّده مع أخيه [281] عبد الله بن قارن وضمّ إليه عدّة من ثقات قوّاده وقرباته ، فلمّا استماله حيّان اطمانّ إليه وضمن له قارن أن يسلمّ إليه الجبال أو مدينة ساريه إلى حدّ جرجان على أن يملكه على مملكة أبيه وجدّه إذا وفّى له بالضمن ،

وكتب بذلك حيّان إلى عبد الله بن طاهر فسجّل له عبد الله بن طاهر بكلّ ما سأل ، وكتب إلى حيّان يأمره بالتوقّف ولا يدخل الجبل ولا يوغل حتّى يكون من قارن ما يستدلّ به على الوفاء لئلاّ يكون منه مكر ، وكتب حيّان إلى قارن بذلك .

١ . في مط : وكان .

فدعا قارن بعمّه عبد الله بن قارن أخى مازيار ودعا جميع قواده إلى طعامه. فلما أكلوا ووضعوا سلاحهم واطمأنوا أحرق بهم أصحابه فى السلاح، وكتفهم ووجه بهم إلى حيّان بن جبلة. فلما صاروا إليه استوثق منهم وركب حيّان فى جمعه حتّى دخل جبال قارن وبلغ مازيار الخبر، فاغتمّ وقلّق وقال له أخوه قوهيار^(١) :

- «فى حبسك عشرون ألفاً من المسلمين ما بين اسكافٍ وخيّاط وقد شغلت نفسك بهم، وإنما أتيت من مأمّنك وأهل بيتك وقراباتك. فما تصنع بهؤلاء المحبّسين عندك.»

فأمر بأن يخلّى جميع من فى [282] محبسه. ثمّ دعا بكتّابه وخلفاءه وصاحب خراجهم وصاحب شرطه وقال لهم :

- «إنّ حرمكم ومنازلكم وضياعكم بالسهل وقد دخلت العرب إليه، وأكره أن أسومكم^(٢) فاذهبوا إلى منازلكم وخذوا الأمان لأنفسكم.»
وواصلهم وأذن لهم فى الإنصراف.

ولما بلغ قوهيار أخا مازيار دخول حيّان ساريه، أطلق محمد بن موسى عامل طبرستان من حبسه وحمله على بغل ومركبٍ ووجهه إلى حيّان ليأخذ له الأمان ويجعل له جبال أبيه وجده، على أن يسلم إليه مازيار ويوثق له بذلك. وضمّ إليه أحمد بن الصّغير وهو من مشايخ الناحية ووجوهها. فلما سار محمد بن موسى إلى حيّان وأخبره وسأله قوهيار قال له حيّان :

- «من هذا؟» - يعنى أحمد.

قال : «هذا شيخ هذه البلاد يعرفه الخلفاء ويعرفه الأمير عبد الله بن طاهر.»

١. فى الطبرى (١١: ١٢٨٣) القوهيار.

٢. فى الطبرى (١١: ١٢٨٤) : أسومكم.

ورأى حَيَّان تحت أحمد برذوناً ضخماً نبيلاً، فبعث إليه يسأله أن يقوده إليه ليراه، فبعث به، فلَمَّا تأمَّله وجده مشطَّب اليدين فزهد فيه وقال لرسول أحمد:

« هذا لما زيار ومال ما زيار لأُمير المؤمنين. »

فرجع الرسول فأخبر أحمد، فغضب [283] من فعل حَيَّان به ذلك، وكتب إلى قوهيار:

« ويحك لم تغلط في أمرك وتترك مثل الحسن بن الحسين عمَّ الأمير عبد الله بن طاهر وتدخل في أمان هذا العبد الحائك وتدفع إليه أخاك وتضع من قدرك ويحقد عليك الحسن بن الحسين بتركك إِيَّاه وميلك إلى عبد من عبيده. »

فكتب إليه قوهيار:

« قد غلطت في أول الأمر وواعدت الرجل أن أصير إليه بعد غدٍ ولا آمن إن خالفته أن يناهضني ويحاربني ويستبيح منازلِي وأموالي وإن قاتلته وقتلت من أصحابه وجرت الدماء بيننا وقعت الشحنةاء ويبطل ما نحن فيه. »

فكتب إليه أحمد:

« إذا كان يوم الميعاد فابعث إليه رجلاً من أهل بيتك، واكتب إليه أنه عرضت لك علة منعك من الحركة وأنتك تتعالج ثلاثة أيَّام فإن عوفيت وإلا صرت في محمل وسنحمله نحن على قبول ذلك منك. »

ثم إنَّ أحمد بن الصقير ومحمد بن موسى كتبَا إلى الحسن بن الحسين وهو في معسكره بطميش ينتظر أمر عبد الله بن طاهر وجواب كتابه بقتل سرخاستان وفتح طميش^(١) فكتب إليه أن:

١. في تد (٥٠٨): طميس. بالسين المهملة، كالطبرى.

- «اركب إلينا لندفع إليك قارن والجبل وإلا فاتك فلا تقيم.»

فلما وصل الكتاب إلى الحسن ركب من [284] ساعته وسار مسير ثلاث ليالٍ في ليلة حتى انتهى إلى ساريه. ولما أصبح سار إلى خرّماباذ وهو يوم موعد قوهيار، وسمع حيّان وقع طبول الحسن فركب وتلقاه على رأس فرسخ. فقال له الحسن:

- «ما تصنع هاهنا ولم توجه إلى هذا الموضع وقد فتحت جبال شروين وتركتها وراءك فما يؤمنك أن يغدر بك القوم جميع ما عملت عليك، ارجع إلى الجبل وأشرف على القوم إشراقاً لا يمكنهم الغدر إن همّوا به.»
فقال له حيّان:

- «أنا على الرجوع وأريد أن أحمل أثقالى وأتقدّم إلى رجالى بالرحيل.»
فقال له الحسن:

- «امض أنت فإنّى باعث بأثقالك ورجالك خلفك وبت الليلة بساريه حتى يوافوك ثم بكر من غد.»

فخرج حيّان من فوره ولم يقدر على مخالفة الحسن. ثم ورد عليه كتاب عبد الله بن طاهر وهو بلبون^(١) من جبال ونداهزْمُزْد من أحصن جباله وكان أكثر مال مازيار بها، وأمره عبد الله ألا يمنع قارن ممّا يريد من تلك الجبال والأموال. فاحتمل قارن ما كان لمازيار هناك من المال من ذخائر مازيار وسرخاستان وباستاندرة وبقدح السليان^(٢) واحتوى على ذلك كلّهُ فانتفض

١. ما في الأصل مهمل. في آ: ملثون. في مط: بلسون (مهملة) في تد (٥١٠): بليون. في الطبري (١٢٨٧:١١): بليورة.

٢. ما في الأصل مهمل والضبط في الكلمات الأخيرة من تد (٥١٠). والعبرة في الطبري (١٢٨٨:١١): فاحتمل قارن ما كان لمازيار هناك من المال، والذي كان «بأسياندر» من ذخائر مازيار وما كان لسرخاستان «بقدح السلطان» واحتوى..

على حيّان جميع ما [285] كان سنع له بسبب ذلك البرذون.
ثمّ أمر محمد بن موسى وأحمد بن الصقير الحسن وناظراه سرّاً فجزاهما
خيراً، وكتب إلى قوهيار فوافاه وبرّه وأكرمه وأجابه إلى كلّ ما سأل واتّعد
إلى يوم ثمّ صرفه. وصار قوهيار إلى مازيار فأعلمه أنّه قد أخذه الأمان
وتوثّق له ثمّ ورد عليه المازيار وقوهيار.
وتقدّم المازيار فسلم عليه بالإمرة فلم يردد عليه الحسن وتقدّم إلى طاهر
بن إبراهيم واوس البلخي فقال :
- « خذاه إليكما. »

كتاب بتسليم مازيار وإخوته وأهل بيته إلى المعتصم

ثمّ ورد كتاب عبد الله بن طاهر بتسليم مازيار وإخوته وأهل بيته إلى
محمد بن إبراهيم ليحملهم إلى المعتصم، ولم يعرض عبد الله لأموالهم، وأمر
أن يستقصى جميع ما للمازيار، فبعث الحسن إلى المازيار وأحضره وسأله
عن أمواله. فسَمّى قوماً ذكر أنّ أمواله عندهم، فأحضر قوهيار وكتب عليه
كتاباً وضمّنه المال الذي ذكر مازيار أنّه عند ثقاته وخزّانه وأصحاب كنوزه
وأشهد على نفسه. ثمّ إن الحسن أمر الشهود الذين أحضرهم أن يصيروا إلى
المازيار ليشهدوا عليه، فذكر عن بعضهم أنّه قال : لمّا دخلنا على المازيار
لنشهد عليه قال المازيار :

- « إنّ جميع ما حملتُ من أموالى وصحبني ستّة وتسعون ألف دينار،
وسبع عشرة قطعة [286] زمرد، وستّ عشرة قطعة ياقوتاً أحمر، وثمانية
أوقار سلالاً مجلّدة فيها ألوان الثياب وتاج وسيف محلى بذهب وجوهر،
وحقّ كبير مملوء جوهراً. »

وقد وضعه بين أيدينا وقد سلمت ذلك إلى محمد بن الصباح وهو جار عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على العسكر وإلى قوهيار.»
 قال : فخرجنا إلى الحسن بن الحسين فقال :
 - «أشهدتم على الرجل؟»
 قال : «نعم.»

فقال : «هذا شيء أخبرت به فأحببت أن تعلموا قتلته.»^(١)
 وذكر علي بن زبّين كاتب مازيار أن ذلك الحق كان شراء جوهره وحسبه على المازيار وشروين وشهريار ثمانية عشر ألف ألف درهم، وكان مازيار حمل جميع ذلك إلى الحسن بن الحسين على أن يظهر أنه خرج إليه في الأمان وأنه قد آمنه على نفسه وماله وولده وجعل له جبال أبيه فامتنع الحسن بن الحسين من ذلك وعف عنه وكان أعف الناس عن أخذ درهم أو دينار. فلما أصبح أنفذ مازيار مع طاهر بن إبراهيم وعلي بن إبراهيم الحربى وورد كتاب عبد الله بن طاهر في إنفاذه مع يعقوب بن منصور، وقد ساروا بمازيار مراحل فبعث الحسن فردّه وأنفذه مع يعقوب بن منصور. [287]

قتل قوهيار

ذكر ترك حزم بالدالة^(٢) عاد بهلاك

ثم أمر الحسن القوهيار أخا مازيار بحمل الأموال التي ضمنها ودفع إليه بغالاً من العسكر وأمر بانفاذ جيش معه وامتنع القوهيار وقال : إنه لا حاجة لى فيهم. وأخرج وأخرج الأموال ليحملها، فوثب عليه مماليك المازيار من الديالمة وكانوا ألفاً ومائتين فقالوا :

١. العبارة تختلف عتاً في الطبرى (١٢٩٣:١١).

٢. كذا في الأصل وتد (٥١٢). وفي آ : حزم بالدالة عاد بهلاك (!)

« غدرت بصاحبنا وأسلمته إلى العرب وجئت لتحمل أمواله. »
فأخذوه وكبلوه بالحديد، فلما جئته الليل قتلوه وانتهبوا تلك الأموال
والبغال.

فانتهى الخبر إلى الحسن فوجّه جيشاً إلى الذين قتلوا القوهيار، ووجّه
قارن جيشاً آخر من قبله في أخذهم، فأخذ منهم صاحب قارن عدّة فيهم
ابن عمّ للمازيار يقال له شهریار بن المصمغان وكان رأس العبيد ومحرضهم،
فوجّه به قارن إلى عبد الله بن طاهر فمات في الطريق، وكان جماعة أولئك
الديالمة أخذوا على السفح والغيضة يريدون الديلم فنذر بهم محمد بن إبراهيم
بن مصعب، فوجّه من قبله الطبرية وغيرهم حتّى عارضوهم وأخذوا عليهم
الطريق، فأخذوا على طريق الروذبار إلى الرويان.

سبب فساد أمر مازيار

وكان سبب فساد [288] أمر مازيار أنّ جبال طبرستان ثلاثة يتوارثها
ثلاثة أولاد لكسرى جبل ونداذ هرمز وجبل أخيه ونداذ سخنان^(١) بن الانداد
بن قارن وجبل شروين بن سرخاب بن باب.

فلما قوى أمر المازيار بعث إلى ابن عمّه فألزمه بابه وإلى أخيه قوهيار
وأنفذ إلى هناك والياً من قبله، فلما احتاج مازيار إلى رجال لمحاربة عبد
الله بن طاهر دعا ابن عمّه وأخاه وقال :

« أتتما أعلم بجبلكما من غيركما. »

وقال : « صيرا في ناحية الجبل. »

١. فيه غموض. في الطبرى (١٢٩٥:١١). ونداسنجان. ما فى تد يوافق الأصل ولكن بالإهمال
الكامل.

وكتب إلى الدرني^(١) وضم إليه العساكر وولاه السهل ليحارب عبد الله بن طاهر وظن أنه قد توثق من الجبل بآبن عمه وأخيه القوهيار، وذلك أن الجبل لم يكن يظن أنه يؤتى منه لأنه ليس فيه للعساكر والمহারبة طريق لكثرة المضايق والشجر الذي فيه، وتوثق من الموضع الذي يتخوفه بالدرني.

فلما وجه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب في عسكر عظيم من خراسان ووجه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب ووجه معه صاحب خبر يقال له: يعقوب بن إبراهيم مولى الهادي، ويعرف بقوصرة وزحفت العسكر وأحدثت بمازيار دعا ابن عم مازيار نار الحقد الذي كان في قلبه [289] على مازيار وتنحيته له عن جبله، إلى أن كاتب الحسن وأعلمه جميع ما يتطلعه من الأخبار وأخبر خبر الأفسشين، وكذلك فعل قوهيار أخوه.

وكانت هذه الأخبار ترد على عبد الله بن طاهر وعبد الله يكاتب بها المعتصم.

فشرط عبد الله بن طاهر لابن عم مازيار إن هو وثب بالمازيار أن يرد عليه جبله وما ورثه عن آباءه فلا يعرض له فيه ولا يحارب. فرضى بذلك وكتب له بذلك كتاباً وتوثق له فيه فلم يشعر المازيار حتى سلمت الجبال التي كان يأمنها وأتى من مأمنه وأُنزل على حكم المعتصم والعسكر الذي مع الدرني بالسهل غارون في حربهم فأتاهم الحرب من وراءهم وقد أسر مازيار وهلك، فأعطوا حينئذ بأيديهم حتى هلكوا بأسرهم.

وكان عبد الله بن طاهر لما أسر مازيار وحصل في يده مناه ووعدته إن هو أظهره على كتب الأفسشين، أن يسأل أمير المؤمنين الصفح عنه، وأعلمه عبد

١. كذا في الأصل وتند: الدرني. في الطبري: الدرني.

الله أنه قد علم أن الكتب عنده، فأمر المازيار بذلك فطلبت الكتب ووُجّه بها مع المازيار إلى إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب وأمره أن لا يُخرج الكتب من يده والمازيار إلّا إلى [290] يد المعتصم لئلا يحتال المازيار في الكتب، ففعل إسحاق ذلك فأوصلها من يده إلى يد المعتصم فسأل المعتصم مازيار عن الكتب فلم يقرّ بها فأمر بضربه حتّى مات فصُلب إلى جانب بابك.

نهاية الدرنيّ

فأمّا الدرنيّ^(١) فإنه كان في نفسه شجاعاً بطلاً والتقى مع محمد بن إبراهيم بن مصعب، وكان جمع أموالاً ورجالاً يريد أن يدخل بها بلاد الديلم فلمّا عارضه محمد بن إبراهيم بين الجبل والغيضة والبحر - والغيضة متصلة بالجبل والديلم - حمل الدرنيّ على أصحاب محمد فكشفهم، ثمّ سار معارضةً من غير هزيمة ليدخل الغيضة ولم يزل يحمل ويكشف الناس ويقرب من الغيضة حتّى حمل عليه رجل من أصحاب محمد يقال له فند بن حاجيل^(٢) فأخذه أسيراً واتبع الجند أصحابه وأخذ جميع ما صحبه من المال والأثاث والدوابّ والسلاح وأمر محمد بقتل أخيه بُرْزُجُشْنَس^(٣) ودعا الدرنيّ فقطعت يده من مرفقه ومُدّت رجله فقطعت من الركبة وكذلك اليد الأخرى والرجل الأخرى فقعد الدرنيّ على استه ولم يتكلّم ولا تغيّر، فأمر بضرب عنقه، فأمّا أصحابه فحملوا مكبلين.

١. في الطبري (١١: ١٣٠٠): الدرّى.

٢. كذا في الأصل وآ: فند بن حاجيل. في تد (٥١٥): فند بن حاجيل. في الطبري (١١: ١٣٠٠): فند بن حاجته.

٣. ما في الأصل وتد مهمل في الثلاثة الأولى.

خلاف منكجور الأشروشنى بأذربيجان

وفي هذه السنة خالف منكجور الأشروشنى قرابة الأفشين بأذربيجان.

[291]

ذكر السبب في ذلك

كان سبب ذلك أن الأفشين لما فرغ من بابك ولى أذربيجان منكجور هذا، فأصاب في قرية بابك في بعض منازلها مالاً عظيماً فاحتجته^(١) ولم يعلم به الأفشين ولا المعتصم، وكان على الهريد بأذربيجان رجل من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمان، فكتب إلى المعتصم بخبر، المال فكتب منكجور فيه فأنكره وهم منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمان، وذلك أنه وقعت بينهما مناظرة فهرب عبد الله وامتنع بأهل أردبيل فمنعوه وقتلوا، وبلغ ذلك المعتصم فوجه إليه عسكرياً عظيماً وبلغ منكجور فخلع وجمع إليه الصعاليك وخرج من أردبيل، وقصده القائد مع العسكر الذي خرج من جهة المعتصم وواقفه فانهزم منكجور وصار إلى حصن لبابك في جبل منيع فبناه وأصلحه وتحصن فيه ووثب به أصحابه بعد شهر وأسلموه إلى القسائد الذي يحاربه، فقدم به شرق من رأى يومئذ

ودخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

وفيها أجلس المعتصم اشناس على كرسي وتوجه ووشحه.

وفيها أحرق غنام المرتد.

١. كذا في الأصل والطبري (١٣٠١: ١١) : فاحتجته. في تد (٥١٥) فاحتجبه. احتجن المال : ضمه إلى نفسه واحتواه.

وفيهما قُدِّمَ بمازيار سُرٌّ من رأى وحُمِلَ على الفيل.
وكنا ذكرنا [292] أنَّ محمد بن عبد الملك قال بيتين فى بابك لما حُمِلَ
وهو بهذا أشبه أعنى بمازيار وهما :

قَدْ خُضِبَ الْفِيلُ كَعَادَاتِهِ لِحَمْلِ شَيْطَانِ خُرَاسَانِ
وَالْفِيلُ لَا تُخْضَبُ أَعْضَاؤُهُ إِلَّا لِذَى شَأْنٍ مِنَ الشَّانِ

وقيل : إنَّ مازيار امتنع من ركوب الفيل فحُمِلَ على بغل بأكاف، وأمر
المعتصم فجمع بينه وبين الأفشين فأقرَّ مازيار أنَّ الأفشين حمله على
العصيان وكاتبه وصوّب له ما فعل، فضرب مازيار أربعمئة سوطٍ وطلب ماءً
فسقى ومات من ساعته فضُلب.
وفيهما حُبِسَ الأفشين.

حبس الأفشين

ذكر السبب فى ذلك

كان الأفشين أيام حرب بابك ومقامه بأرض الخرمية لا تأتیه هديّة من
أهل أرمينية ولا من غيرهم إلاَّ وجهٌ بها إلى أسروشنة فيجتاز ذلك بعبد الله
بن طاهر فيكتب عبد الله بخبره إلى المعتصم فيكتب المعتصم بتعرف جميع
ما يوجّه به الأفشين من الهدايا إلى أسروشنة، فيفعل عبد الله ذلك.
وكان الأفشين كلّما تهياً عنده مال حمله [293] فى أوساط أصحابه من
الدنانير والهمالين^(١) وبقدر طاقتهم كان الرجل يحمل ما بين الألف فما فوقه

١. الهمالين : جمع مفردة : الهميان. فارسى معرّب. كيس تُجعل فيه النفقة ويُشدُّ على الوسط.

من الدنانير في وسطه فأخبر عبد الله بذلك فبينما هو كذلك إذ نزل رسل
الآفشين مع الهدايا بنيسابور ووجه إليهم عبد الله بن طاهر فأخذهم وفتشهم
فوجد في أوساطهم همايين فأخذها منهم وقال لهم :
- «من أين لكم هذا المال ؟»

فقالوا : «هذه هدايا الآفشين وهذه أمواله.»

فقال : «كذبتُم لو أراد أخى الآفشين أن يرسل بمثل هذه الأموال لكتب
إلى يعلمنى ذلك لأمر بحراسته وبدرقته لأن هذا مال عظيم وإنما أنتم
لصوص.»

وأخذ عبد الله المال وأعطاه الجند قبله وكتب إلى الآفشين بما قال القوم
وقال :

- «أنا أنكر أن تكون وجهت بمثل هذا المال إلى أسروشنه ولم تكتب إلى
لأبدرقه، فإن كان المال ليس لك فقد أعطيته الجند مكان المال الذى يوجه
به أمير المؤمنين فى كل سنة، وإن كان المال لك كما زعم القوم فإذا جاء
المال من قبل أمير المؤمنين رددته إليك، وإن يكن غير ذلك فأمر المؤمنين
أحق بهذا المال. وإنما دفعته [294] إلى الجند لأننى أريد أن أغزو الترك.»
فكتب إليه الآفشين يعلمه أن ماله ومال أمير المؤمنين واحد ويسأله
إطلاق القوم ليمضوا إلى أسروشنه، فأطلقهم عبد الله وكان ذلك سبب الوحشة
بين عبد الله وبين الآفشين.

ولما تواترت أمثال هذه من الآفشين تغير له المعتصم وأحس الآفشين
بتغير حاله عند المعتصم.

ذكر حيلهم بها الآفشين

فعزم الآفشين على أن يهتئ أطوافاً فى قصره ويحتال لأن يشغل المعتصم

وقوّاده ثمّ يأخذ طريق الموصل ويعبر الزاب على تلك الأطواف حتّى يصير إلى طريق أرمينية إلى بلاد الخزر مستأمناً، ثمّ يدور من بلاد الخزر إلى بلاد الترك، ويرجع من بلاد الترك إلى بلاد أسروشنه أو يستميل الخزر على أهل الإسلام.

فكان فى تهيئة ذلك فطال عليه الأمر وعُسّر، فهيّأ سماً كثيراً وعزم على أن يدعو المعتصم وقوّاده فيسمّهم فإن لم يجبه المعتصم استأذنه^(١) فى قوّاده فيسمّهم مثل اشناس وايتاخ وبُغا وأمّثالهم فى يوم تشاغل المعتصم، فإذا سمّهم وانصرفوا حمل فى أوّل الليل [295] تلك الأطواف والآلة على ظهور الجمال حتّى يجىء إلى الزاب فيعبر بأثقاله على الأطواف ويعبر الدوابّ سباحة وكانت أرمينية ولايته.

وكان الأفشين تنوب قوّاده فى دار المعتصم كما تنوب أمّثالهم. وكان واجن الأسروشنى قد جرى بينه وبين من يطّلع على سرّ الأفشين حديث، فقال له واجن :

« ما أرى هذا الأمر يتمّ لبعده وكثرة ما ينبغى أن يُعدّ له^(٢). »

فذهب الرجل فحكاه للأفشين. فهمّ الأفشين بقتل واجن وأحسّ واجن بذلك فركب من ساعته التى أحسّ بما أحسّ - وكان ليلاً - وأتى دار المعتصم وقد كان نام فصار إلى إيتاخ وقال :

« إنّ لأمير المؤمنين عندى نصيحة. »

فقال له إيتاخ :

« أليس كنت ها هنا ؟ قد نام أمير المؤمنين. »

فقال واجن :

١. فى الأصل : استأذنهم. وهو سهو من الكاتب.

٢. كذا فى تد (٥١٨). ما فى الأصل. يُقدّاه (بالضبط).

- «ليس يمكننى أن أصبر إلى غدٍ».

فدق إيتاخ الباب على بعض من يخبر أمير المؤمنين بخبر واجن، فقال المعتصم :

- «ليبت عند إيتاخ ثم يياكرنى».

فبات عنده. ولما أصبح بكر به إلى المعتصم فأخبره بجميع ما كان عنده، فدعا المعتصم الأفشين، فجاء الأفشين فى سوادٍ، فأمر المعتصم بنزع سواده وحبسه. وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر فى الإحتيال للحسن بن الأفشين حتى لا يفوته. وكان الحسن [296] قد كثرت كتبه إلى عبد الله بن طاهر فى نوح بن أسد يعلمه تحامله عليه وظلمه له فى ضياعه.

فكتب عبد الله إلى نوح يعلمه ما كتب به المعتصم فى أمره ويأمره بجمع أصحابه والتأهب له حتى إذا ورد عليه الحسن بن الأفشين استوثق منه وحمله، وكتب عبد الله بن طاهر إلى الحسن بن الأفشين :

- «إئنى قد عزلت نوح بن أسد ووليتك الناحية».

وكتب إليه بكتاب فيه عزل نوح وولايته، فخرج الحسن فى قلّة من أصحابه حتى ورد على نوح وعنده أنّه والٍ، فأخذه نوح فشده وثاقاً ووجهه إلى عبد الله فوجهه عبد الله إلى المعتصم.

وكان المعتصم بنى حبساً للأفشين شبيهاً بالمنارة وفى وسطها مقدار مجلسه والرجال ينوبون تحتها كما تدور.

فحكى هارون بن عيسى بن المنصور أنّه شهد المجلس الذى عقده المعتصم فى داره لمناظرة الأفشين.^(١)

ذكر مناظرات وُبُخ بها الأفشين واحتجاجاته فيها

أحبّ المعتصم أن يُبَكَّت الأفشين ويناظره ولم يكن بعد في الحبس الشديد. فأُخِلَّت الدار إلّا من ولد المنصور وأحضر قوم من الوجوه وحضر أحمد بن أبي دوّاد [297] وإسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ومحمد بن عبد الملك الزيّات، فأُتِيَ بالأفشين وأتى بمازيار والموبذ والمرزبان بن تركش وهو أحد ملوك السغد ورجلين من أهل السغد، وكان المناظر له محمد بن عبد الملك الزيّات.

بين محمد الزيّات والأفشين

فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين وعليهما ثياب رثّة. فقال لهما :
- « ما شأنكما ؟ »

فكشفا عن ظهورهما، فإذا هي عارية من اللحم فقال محمد :
- « أتعرف هذين الرجلين ؟ »

فقال : « نعم، هذا مؤدّن وهذا إمام، بنيا بأسروشنه مسجداً فضربت كلّ واحد منهما ألف سوط، وذلك أن بيني وبين ملوك السغد عهداً وشرطاً أن أترك كلّ قوم على دينهم، فوثب هذان على بيتٍ لهم كان فيه أصنامهم فأخرجوا الأصنام واتخذاه مسجداً، فخفت أن ينتقض عليّ أمر تلك البلدان فضربتُهما على ذلك لتعديهما. »

فقال محمد :

- « ما كتاب عندك قد زينتته بالحرير والجوهر والديباج فيه الكفر بالله عزّ وجلّ. »

قال: «هذا كتاب ورثته عن أبي، فيه آداب العجم وفيه دين القوم الذي هو اليوم كفر، وكنت أستمع منه بالأدب وأترك ما سوى ذلك، ووجدته محلي فلم تضطرنني الحاجة إلى أخذ الحلية [298] منه فتركته بحاله، ككتاب كليله ودمنة وكتاب مزدك في منزلك، وما ظننت هذا يخرج من الإسلام.»

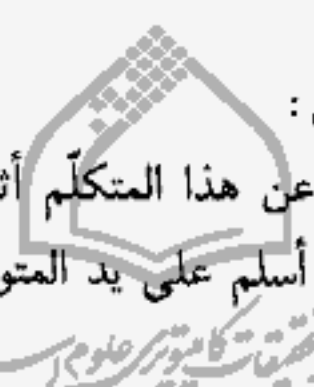
بين الموبذ والأفشين

ثم تقدّم الموبذ فقال:

- «إنّ هذا كان يأكل المخنوقة ويحملني على أكلها ويزعم أنّها أرطب لحماً من المذبوحة، وكان يأخذ كلّ يوم شاة سوداء يضرب وسطها بالسيف ثمّ يمشي بين نصفها ويأكل لحمها. وقال لي [يوماً^(١)]:
إنّى قد دخلت لهؤلاء القوم في كلّ شيء أكرهه حتّى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل، غير أنّي إلى هذه الغاية لم تسقط منّي شعرة - يعني أنّه لم يخبثن^(٢)».

فقال الأفشين:

- «خبّروني عن هذا المتكلّم أثقة هو عندكم في دينه؟» - وكان الموبذ بعد مجوسياً ثمّ أسلم على يد المتوكّل.

قالوا: «لا».  تحقيق: كاظمي نورعلي

قال: «فما معنى قبولكم شهادة من لا تثقون به ولا ترون عدالته؟»

ثمّ أقبل على الموبذ فقال:

- «هل بين منزلي وبين منزلك باب أو كوة تطلّعي منها وتعرف

أخباري؟»

١. مزيد من الطبري (١١: ١٣٠٩).

٢. كذا في الأصل وأ. وتد (٥٢١). وفي الطبري (١١: ١٣١٠): يعني: لم يطلّ ولم يخبثن.

قال : « لا . »

قال : « أفليس كنت أدخلك إلى فأبثك سرى وأخبرك بالأعجمية وميلى إليها وإلى أهلها ؟ »

قال : « نعم . »

قال : « فلست بالثقة فى دينك ولا بالكريم فى عهدك ، إذ أفشيت على [299] سراً أسررتك إليك . »
ثم تنحى الموبذ .

بين المرزبان والأفشين

وتقدم المرزبان . فقالوا للأفشين :

ـ « هل تعرف هذا ؟ »

قال : « لا . »

فقيل للمرزبان : « هل تعرف هذا ؟ »

قال : « نعم هذا الأفشين . »

فقالوا له : « هذا المرزبان . »

ثم قال له المرزبان :

ـ « يا ممخرق^(١) كم تمّوه وتدافع ؟ »

فقال الأفشين :

ـ « يا طويل اللحية ما تقول ؟ »

قال : « كيف يكتب إليك أهل مملكتك ؟ »

قال : « كما كانوا يكتبون إلى أبى وجدى . »

١. مخرق فهو ممخرق : كذب وموه واختلق . (وكأنها مأخوذة من مخاريق الصبيان ، أى الخرق المفتولة التى يلعبون بها .

قال : « فقل . »

قال : « لا أقول . »

قال المرزبان :

« أليس يكتبون إليك بالأسروشنية بكذا وكذا ؟ »

قال : « بلى . »

قال : « أفليس بالعربية : إلى إله الآلهة ، من عبده فلان بن فلان ؟ »

قال : « بلى . »

قال محمد بن عبد الملك :

« والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا ، فما بقيت لفرعون حين قال

لقومه : أنا ربكم الأعلى ؟ ^(١) »

قال : « كانت هذه عادة القوم لأبي وجدى ولى قبل أن أدخل فى الإسلام ،

فكرهت أن أضع نفسى دونها فتفسد على طاعتهم . »

فقال له إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب :

« كيف تحلف لنا بالله فنصدقك ونصدق يمينك ونجريك مجرى

المسلمين وأنت تدعى ما ادعى فرعون ؟ »

فقال : « يا بالحسن هذه سورة قرأها عجيف على على بن هشام وأنت

تقرأها [300] على ، فانظر غداً من يقرأها عليك ؟ »

بين مازيار وأفشين

قال : ثم قُدِّمَ مازيار صاحب طبرستان . فقالوا للأفشين :

« تعرف هذا ؟ »

قال : « لا . »

قالوا : « هذا المازيار . »

قال : « نعم قد عرفته الآن . »

قالوا : « هل كاتبته ؟ »

قال : « لا . »

قالوا لمازيار :

« هل كتب إليك ؟ »

قال : « نعم كتب أخوه خاش إلى أخى قوهيار أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيرى وغير أخيك وأنه بحمقه قتل نفسه، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه إلا أن دلّاه فيما وقع فيه، فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيرى ومعى من الفرسان وأهل النجدة والبأس، فإن وُجِّهْتُ إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة : العرب والمغاربة والأتراك. والعربى بمنزلة الكلب^(١)، اطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس، وهؤلاء الذباب يعنى المغاربة إنما هم أكلة رأس، وأولاد الشياطين - يعنى الأتراك - فإنما هى ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتى على آخرهم، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم . »

فقال الأفشين : « كاتبتور علوم ردى »

« هذا يدعى على أخى وأخيه ودعوى لا تجب على، ولو كتبت هذا

الكتاب [301] لأستميله إلى وليثق بناحتى لكان غير مستنكر، لأنى إذا نصرت الخليفة بيدى لكنت بالجملة أخرى أن أنصره لآخذ قفاه وآتى به الخليفة فأحظى به عنده كما حظى عبد الله بن طاهر بمجىء المازيار . »

١. ما فى الأصل مهمل . والإعجام من تد (٥٢٢) والطبرى (١٣١١:١١) .

بين ابن أبي دؤاد والأفشين

ولمّا قال الأفشين لمازيار ما قال وقال لإسحاق بن إبراهيم بن مصعب ما قال زجر ابن أبي دؤاد الأفشين، فقال له الأفشين :
- «أنت يا باعبد الله لا ترفع طيلسانك بيدك ولا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة.»

فقال له ابن أبي دؤاد :

- «أمطهر أنت ؟»

قال : «لا.»

قال : «فما منعك من ذلك، وبه تمام الإسلام والظهور من النجاسة ؟»

قال : «أو ليس في دين الإسلام استعمال التقيّة ؟»

قال : «بلى.»

قال : «فإني خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدي فأموت.»

قال : «أنت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك من أن تكون

في الحرب وتجزع من قطع غُلفة^(١).»

قال : «تلك ضرورة أدفع إليها فأصبر عليها إذا وقعت، وهذا شيء أستجلبه

فلم آمن معه مخرج نفسي ولم أعلم أن في تركها خروجاً^(٢) من الإسلام.»

فقال ابن أبي دؤاد :

- «قد بان لكم.» [302]

ثم التفت إلى بُغا الكبير وكان الأفشين تابعاً له. فقال :

- «يا باموسى عليك به.»

١. الغُلفة والغُلفة : جُليدة يقطعها الخائن.

٢. في الأصل : خروج.

فضرب يده إلى منطقتة فجذبها. فقال :

- «قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم.»

فقلب بغا القباء على رأسه، ثم أخذ بمجامع القباء عند عنقه وأخرجه إلى محبسه.

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين
وفيهما مات الأفشين.

ذكر الخبر عن موته

لما جاءت الفاكهة جمع المعتصم من الفواكه شيئاً كثيراً في طبق وقال
لابنه هارون الوراق :

- «اذهب بهذه الفواكه إلى الأفشين.»

فحملت مع هارون حتى صعد بها إليه في البناء الذي بُنى له وحُبس فيه،
فنظر إليه الأفشين، ثم قال للوراق :

- «لا إله إلا الله، ما أحسنه لولا أنى فقدت منه ما أشتهيه.»

وكان فُقد منه الشاهلوج. فقال الوراق :

- «وما هو؟»

فقال : «الشاهلوج.»

فقال : «هو ذى، أنصرف فأوجّه به إليك.»

ولم يمس من الفاكهة شيئاً. فلما أراد الوراق الإنصراف قال له الأفشين :

- «اقرأ على سيدي السلام وقل له : أسألك أن توجه إلى ثقة من قبلك

يوذى عني ما أقول.» [303]

فأمر المعتصم حمدون بن إسماعيل. وكان حمدون في أيام المتوكل في

حبس سليمان بن وهب فحدث بهذا الحديث.

بين هارون الواثق والأفشين

قال هارون: فبعث بي المعتصم إلى الأفشين وقال لي:

- «إنه سيطول^(١) عليك فلا تحتبس.»

قال: فدخلت عليه وطبق الفاكهة بين يديه ولم يمض واحدة فما فوقها.

فقال لي:

- «اجلس.»

فجلست فاستمألتني بالدهقنة. فقلت:

- «لا تطول، فإن أمير المؤمنين قد تقدّم إليّ ألاّ أحتبس عندك، فأوجز.»

فقال لي:

- «قل لأمر المؤمنين يا مولاي، أحسنت إليّ وشرفتنني وأوطأت الرجال

عقبى ثم قبلت في كلاماً لم يتحقق عندك ولم تدبره بعقلك، كيف يكون هذا

وكيف يجوز لي أن أفعل هذا الذي بلغك عني؟ تُخبر بأنّي دسست منكجور

أن يخرج وتقبله، وتُخبر أنّي قلت للقائد الذي وجّهته إلى منكجور: لا

تحاربه واعذر^(٢) به، وإن أحسست بأحد منا فانهزم من بين يديه. أنت رجل

قد عرفت الحرب وحاربت الرجال وسست العساكر، هذا يمكن، رأس

عسكر يقول لأحد أن يفعله؟ ولو كان هذا يمكن ما كان ينبغي أن تقبله من

عدوّ، وقد عرفت سببه. ولكن مثلي ومثلك يا أمير المؤمنين مثل رجل ربّي

عجلاً له حتى أسمنه وكبر وحسنت حاله [304] وكان له أصحاب اشتهوا أن

١. كذا في الأصل: سيطول. في تد (٥٢٤) والطبري (١٣١٥:١١): سيطول (بالضبط، وكذلك في

الموضع الآتي). أطول: أطل: طول.

٢. كذا في الأصل وآ وتد (٥٢٥) والطبري (١٣١٥:١١): اعذر.

يأكلوا من لحمه، فعرضوا له بذبح العجل فلم يجبههم إلى ذلك، فاتفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم :

- «ويحك لم تربي هذا الأسد هذا سبع وقد كبر والسبع إذا كبر يرجع إلى

جنسه.»

فقال لهم :

- «ويحكم هذا عجل ما هو سبع.»

فقالوا له :

- «هذا سبع، سل من شئت عنه.»

وقد كانوا تقدّموا إلى جميع من يعرفونه فقالوا لهم :

إن سألكم عن العجل فقولوا : هذا سبع.

فكلما سأل الرجل إنساناً قال له :

«هذا سبع.»

فأمر بالعجل فذبح. ولكن أنا ذلك العجل، كيف أقدر أن أكون أسداً؟ الله الله في أمري اصطنعتني وشرفتنى وأنت سيدى ومولاي أسأل الله أن يعطف بقلبك على.»

قال حمدون : فقممت وانصرفت وتركت الطبق على حاله لم يمَس منه شيئاً. ثم ما لبثنا إلا قليلاً حتى قيل : إنه مات.

فقال المعتصم :

- «أروه ابنه.»

فأخرجوه فطرحوه بين يدى ابنه، فنتف لحيته وشعره، ثم حُمِل إلى منزل إيتاخ ثم صُلب على باب العامة ليراه الناس ثم طُرح مع خشبته وأُحرق وحُمِل الرماد فطُرح فى دجلة.

ووجد فى داره لمّا أحصى متاعه تمثال إنسان من خشب عليه حلية كثيرة

وجوهر. فمما أخرج من منزله أطواف الخشب [305] التي أعدها، وأصنام وكتب فيها ديانتهم.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين
خروج المبرقع اليماني بفلسطين
وفيهما خرج المبرقع اليماني بفلسطين على السلطان.

ذكر السبب في ذلك

كان سبب خروجه أن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب عنها وفيها إمّا زوجته وإمّا أخته، فمانعته ذلك، فضربها بسوطٍ معه فاتقته بذراعها فأثر فيها. فلما رجع أبو حرب إلى منزله بكّت وشكّت إليه ما فعل بها وأرته الأثر الذي بذراعها من ضربه. فأخذ السيف ومشى إلى الجندی وهو غاراً^(١) فضربه فقتله ثم هرب وألّس وجهه برقاً كي لا يُعرف، فصار إلى جبل من جبال الأردن وطلبه السلطان فلم يعرف له خبراً.

وكان يظهر متبرقاً على الخيل فيراه الرائي فيأتيه ويذكره ويحرّضه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذكر السلطان ويعيبه، فما زال حتى استجاب له قوم من الحرائين وأهل القرى، وكان يزعم أنه أمويّ وقال الذين استجابوا [306] له :

« هذا هو السفيناني. »

فلما كثرت غاشيته وتّبّاعه من هذه الطبقة دعا أهل البيوتات، فاستجاب له جماعة من رؤساء اليمانية وقوم من أهل دمشق، واتصل الخبر بالمعتصم

١. لا تشديد على الزاء لا في الأصل ولا في الطبري (١٣١٩: ١١) وهو من تد (٥٢٦).

وهو عليل علته التي مات فيها، فوجه إليه رجاء بن أيوب الحضاري في نحو ألف رجل من الجند، وكان أبو حرب في نحو مائة ألف، وكره رجاء^(١) مواقعة فمسكر بحذاءه وطاوله حتى إذا كان في وقت عمارة الأرضين تفرق عنه أكثرهم وبقي أبو حرب في نحو ألفين ففاجزه الحرب، وتأمل رجاء عسكر المبرقع فلم يجد فيه من له فروسية غيره. فقال لأصحابه:

- «لا تعجلوا عليه فإنه سيظهر لأصحابه بعض ما عنده.»

فما لبث أن حمل فقال لأصحابه:

- «أفرجوا عنه.»

فأفرجوا، ثم حمل ثانية فقال رجاء:

- «أفرجوا له فإذا أراد الرجوع فحولوا بينه وبين ذلك وخذوه.»

ففعل ذلك وأحاطوا به فأنزلوه عن دابته وأسروه وحمله رجاء إلى المعتصم.

وفاة المعتصم

وفيها كانت وفاة المعتصم.

ولما حضرته الوفاة جعل يقول:

- «ذهبت الحيل ليست بحيلة.» حتى مات.

وذكر عنه أنه قال:

- «لو علمت أن عمري قصير ما فعلت ما فعلت.»

ودفن بسر من رأى. فكانت خلافته ثمانين سنين [307] وثمانية أشهر وهو

ثامن الخلفاء والثامن من ولد العباس، وولد سنة ثمانين ومائة ومات عن

١. في الأصل: رجاء. وفي تد (٥٢٧): رجاء.

ثمانية وأربعين سنة وله ثمانية بنين وبنات.
 وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعاً مُشربَ اللون حُمْرةً حَسَنَ
 العينين.^(١)
 وبويع يوم توفي ابنه هارون الواثق بن محمد المعتصم وكان يكنى أبا
 جعفر.



مركز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

١. انظر الطبري (١١ : ١٣٢٤)، حيث تجد فصلاً عن بعض أخلاق المعتصم وسيره.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة هارون الواثق

ودخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين
ولم يجر فيها على ما بلغنا شيء يثبت في مثل هذا الكتاب.

ودخلت سنة تسع وعشرين ومائتين
حبس الكتاب وإلزامهم أموالاً

وفيهما حبس الواثق الكتاب وألزمهم أموالاً، فأخذ من سليمان بن وهب
وهو كاتب إيتاخ أربعمئة ألف دينار، ومن أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف
دينار بعد أن أمر بضربه كل يوم عشرة أسواط فضرب نحو ألف سوط، وأخذ^(١)
من أحمد بن الخصيب وكتابه ألف ألف دينار، ومن إبراهيم بن رباح وكتابه
مائة ألف دينار، ومن نجاح ستين ألف دينار ومن الحسن بن وهب وأبى
الوزير مائتي ألف دينار، وذلك سوى ما أخذ من العمال بسبب عُمالاتهم،
ونصب محمد بن [308] عبد الملك لابن أبى دؤاد وسائر أصحاب المظالم
فكُشفوا وحُبسوا وأُقيموا للناس فلقوا كل جهد، وجلس إسحاق بن إبراهيم
لهم ينظر في أمرهم ويطالبهم.

١. والعبارة في مط : وأخذ ابن الخصيب [بالضاد المعجمة] وكتابه (بالحذف والتصحيف).

ذكر سبب ذلك

كان سبب ذلك أنَّ الواصل جلس ليلة مع ندمائه فقال :

- «إني لست أشتهي الليلة النبذ، فهلّموا نتحدث.»

فتحدثوا عامة الليل فقال الواصل :

- «من منكم يعلم السبب الذي وثب من أجله جدّي الرشيد على البرامكة

حتى أزال نعمتهم؟»

فقال له بعضهم :

- «أنا والله أحدثك يا أمير المؤمنين.»

وحديثه حديث الجارية وما جرى في أمر ثمنها وإحضار البرامكة قيمة

مائة ألف دينار دراهم^(١) ليستكثرها فلا يشتريها. فلما رآها ضمّها إلى بعض

خدمه وبحث عن الأموال ليجمع بيت مال خاصة^(٢) فوجد البرامكة قد أتلّفوا

كلّ ما في بيوت أمواله وقد ذكرنا نحن هذا الحديث مشروحاً فيما مضى.

فما مرّ على ذلك أسبوع حتّى أوقع بكتّابه واستخرج منهم ومن عمّاله

أموالاً عظيمة.

مركز تحقيق كتاب تاريخ طبرستان سنة ثلاثين ومائتين [309]

وفيهما مات عبد الله بن طاهر وكان إليه يوم ذاك الحرية والشرطة والسواد

وخراسان وأعمالها والريّ وطبرستان وما يتصل بها وكرمان، فولّى الواصل

هذه الأعمال كلّها ابنه طاهر بن عبد الله بن طاهر.

١. انظر الطبري (١١: ١٣٣٣).

٢. كذا في تد أيضاً (٥٢٨).

ودخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

تحرك قوم

وأخذهم البيعة على أحمد بن نصر الخزاعي

وفيهما تحرك قوم في ربح عمرو بن عطاء وأخذوا البيعة على أحمد بن نصر الخزاعي.

ذكر السبب في ذلك

السبب في ذلك أن أحمد بن نصر بن مالك [بن الهيثم]^(١) الخزاعي - ومالك بن الهيثم أحد نقباء بني العباس وقد تقدم ذكره فيما مضى - يغشاه أصحاب الحديث. وكان أحمد بن نصر هذا يباين من قال بخلق القرآن وباينه مثل يحيى بن معين وابنا الدورقي وأبو خيثمة، وله مرتبة كبيرة في أصحاب الحديث، وبسط لسانه فيمن يقول بخلق القرآن، مع غلظة الواثق كانت على كل من يقول ذلك وامتحانه إياهم فيه وغلبة ابن أبي دؤاد عليه. فجعل أحمد بن نصر لا يذكر الواثق إلا بالخنزير فيقول:

- «فعل هذا الخنزير.. وصنع هذا الكافر.»

وفشا ذلك [310] حتى عُوف، وقيل له: قد اتصل أمرك به وحركه المطيفون به ممن ينكر القول بخلق القرآن من أصحاب السلطان ومن عامة بغداد، وحركوه لإنكار القول بخلق القرآن وقصده الناس لرتبته في أصحاب الحديث ولما كان لأبيه وجده في دولة بني العباس من الأثر فكانت له أيضاً رئاسة ببغداد في سنة إحدى ومائتين.

١. ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، فأضفناه من تد (٥٢٨) والطبري (١١: ١٣٤٣).

وبويع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما كثر الدّعار وظهر الفساد والمأمون بخراسان ولم يزل على ذلك ثابتاً إلى أن قدم المأمون بغداد في سنة أربع، فرجوا إذا تحرك استجابة الناس له للأسباب التي ذكرت.

وكان فيمن بايعه قوم من أصحاب إسحاق بن إبراهيم بن مصعب صاحب الشرطة يرون رايه فقرّقوا في قوم مالا وأعطوا كلّ رجل ديناراً ديناراً، وواعدهم أحمد بن نصر ليلة يضربون فيها بالطبل للإجتماع والوثوب بالسلطان، وكان قوم منهم بالجانب الشرقي وقوم بالجانب الغربي، فانتبذ بعض من أخذ الدينار واجتمع عدّة منهم على شربه. فلمّا ثملوا ضربوا بالطبل ليلة الأربعاء قبل الموعد بليلة وكان الموعد ليلة الخميس وهم يحسبونها ليلة الخميس [311] التي اتّعدوا لها، فأكثرُوا ضرب الطبل فلم يجبههم أحد.

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب غائباً عن بغداد وخليفته بها أخوه محمد بن إبراهيم، فوجّه إليهم محمد بن إبراهيم صاحبه فأتاهم فسألهم عن قصّتهم فلم يُظهر له أحد فدّله الجيران على رجل حمّامى فأخذه وتهدّده بالضرب فأمر على أحمد بن نصر وجماعة سمّاهم، فتتبّع القوم من ليلتهم فأخذ بعضهم من الجانب الشرقي وبعضهم من الجانب الغربي وقبّد وجوههم وأصيب في منزل أحدهم علّمان أخضران فيهما حمرة، ثم أخذ خصي لأحمد بن نصر، فتهدّد فأقرّ بما أقرّ به عيسى الحمّامى.

فأخذ أحمد بن نصر وحُمّل إلى محمد بن إبراهيم بن مصعب مع أولاده وجماعة من يغشاه، فحملهم إلى الواثق بسرّ من رأى على بغال بأكاف لا وطاء تحتهم وهم مقيّدون.

فجلس لهم الواثق مجلساً عامّاً وأحضر أحمد بن أبى دؤاد ليتمتحنوا مكشوفاً. فأحضر القوم وحضر معهم أحمد بن نصر فلم يناظرهم الواثق في

الشغب ولا فيما روى عليه من إرادته الخروج عليه ولكنه قال ^(١) :
- « يا أحمد ما تقول في القرآن ؟ »

قال : « كلام الله . »

قال : « أفعلم خلق هو ؟ »

قال : « [هو] ^(٢) كلام الله . »

قال : « فما تقول في ربك ، أترأه يوم القيامة ؟ »

قال : « يا أمير المؤمنين [312] جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه

أنه قال ترون ربكم يوم القيامة لا تضامون في رؤيته . »

وحدثني سفيان بن عيينه بحديث يرفعه أن قلب ابن آدم بين إصبعين من

أصابع الله . فقال له إسحاق بن إبراهيم :

- « ويلك انظر ما تقول . »

قال : « أنت أمرتني بذلك . »

فأشفق إسحاق من كلمته .

قال : « أنا أمرتك بذلك ؟ »

قال : « نعم أمرتني أن أنصح لك ولأمر المؤمنين ومن نصحتي له ألا

يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه . »

فقال الواثق لمن حوله : *عنوم روى*

- « ما تقولون فيه ؟ »

فأكثروا . فقال عبد الرحمن بن إسحاق وكان قاضياً على الجانب الغربي

وهو صديق لأحمد بن نصر :

- « يا أمير المؤمنين هو حلال الدم . »

١. انظر الطبري (١١: ١٣٤٧) .

٢. ما بين المعقوفتين أضفناه من تد (٥٣١) .

وقال آخر :

- «اسقنى دمه يا أمير المؤمنين».

فقال له الواصل :

- «القتل يأتى على ما تريد».

وقال أحمد بن أبى دؤاد :

- «كافر يستتاب، لعل به عاهة أو تغيّر عقل، كأنه كره أن يُقتل بسببه».

فقال الواصل :

- «إذا رأيتمنى قد قمت إليه فلا يقوم معى أحد، فإننى أحسب خطاى

إليه».

ودعا بالصمصامة سيف عمرو بن معديكرب وكان فى الخزانة، فأتى به فمشى إليه فى وسط الدار ودعا بنطع فضير فى وسطه وحبل فشده به رأسه ومثد الحبل [313] فضربه الواصل فوقعت الضربة على حبل عاتقه، ثم ضربه أخرى على رأسه، ثم انتضى سيفا الدمشقى سيفه فضربه فأبان رأسه.

ويقال : إن بُغا ضربه ضربة أخرى وطعنه الواصل بطرف الصمصامة فى بطنه فحمل معترضاً حتى أتى به الحظيرة التى فيها بابك، فصلب فيها وفى رجله قيود وحمل رأسه إلى بغداد فنُصب فى الجانب الشرقى أياماً ثم حوّل إلى الغربى وحُظر على الرأس حظيرة وأقيم عليه الحرس وكتب فى أذنه رقعة :

... «هذا رأس الكافر المشرك الضالّ أحمد بن نصر، قتله الله على يدي عبد الله هارون الإمام الواصل بالله أمير المؤمنين، بعد أن أقام الحجة عليه فى خلق القرآن ونفى التشبيه، وعرض عليه التوبة فأبى إلا المعاندة، فعجل الله به إلى ناره وأليم عقابه».

وتتبع من عرف بصحبة أحمد بن نصر ومن بايعه فوضعوا فى الحبوس ومنعوا من أخذ الصدقة التى يعطاها أهل السجون ومنعوا من الزوّار وثقلوا بالحديد.

الفداء بين المسلمين وصاحب الروم

وفي هذه السنة^(١) تمّ الفداء بين المسلمين وصاحب الروم واجتمع [314] المسلمون والروم على نهر يقال له اللامس على مسيرة يوم من طرسوس. وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور في القرآن، فقالوا جميعاً بخلقه إلا أربعة نفر فأمر الواثق بضرب أعناقهم. وأمر لأهل الثغور بجوائز على ما رآه خاقان، وكان خادم الرشيد نشأ بالثغر وكان ورد رسول ملك الروم في طلب المفاداة وكان جرى بينهم اختلاف في الفداء قالوا:

« لا نأخذ في الفداء عجوزاً ولا شيخاً ولا صبيّاً. ثمّ رضوا عن كلّ نفس بنفس فوجّه الواثق في شراء من يُباع ولم يُتمّ العدة فأخرج الواثق من قصره عجائز روميات وغيرهم حتّى تمّت العدة. »

وأمر الواثق بامتحان الأسارى. فمن قال بخلق القرآن فودى به ومن أبى ترك في أيدي الروم.

وأمر أن يُعطى جميع من فودى وقال بخلق القرآن ديناراً فبلغ عدة من فودى به أربعة آلاف وستمائة إنسان فيهم من أهل الذمة نحو أربعمائة.

ولمّا جمعوا الفداء وقف المسلمون من جانب النهر الشرقي والروم من الجانب الغربي وعُقد جسر على النهر للمسلمين وجسر آخر للروم.

قال: فكنا نرسل الرومى على جسرنا ويرسل الروم المسلم على جسرهم [315] فيصير هذا إلينا وذاك إليهم.

وفي هذه السنة مات أبو عبد الله ابن الاعرابي الراوية وهو ابن ثمانين سنة.

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين
وفيهما كان مسير بغا الكبير إلى بنى نمير^(١)
ذكر السبب في ذلك

كان سبب ذلك أن عماره بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي امتدح
الوائق بقصيدة، فدخل عليه وأنشده إياها، فأمر له بثلاثين ألف درهم وبنزل.
فكلم عماره الوائق في بنى نمير وأخبره بعيثهم وفسادهم في الأرض
وإغارتهم على اليمامة وما قرب منها، فكتب الوائق إلى بغا يأمره بحربهم،
وكان بغا بالمدينة لأن بنى سليم كانوا عاثوا بالحجاز واكثروا الغارات والقتل،
فتوجه صاحب المدينة وجمع لهم الخيل والسودان ومن استجاب لهم من
قريش والأنصار، فواقعتهم بنو سليم فقتلوهم وقتلوا أمير المدينة وأكثر من
كان خرج معه من قريش والأنصار. فأخرج الوائق بالله بغا الكبير إلى المدينة
[316] فأوقع بينى سليم وأسر منهم وقتل، فكان لذلك مقيماً بعد بالمدينة.

فلما أراد بغا الشخص إلىهم من المدينة حمل معه دليلاً ومضى نحو
اليمامة فلقى منهم جماعة بموضع يقال له: الشريف، فحاربوه فقتل بغا منهم
نحواً من ستين رجلاً وأسر نحواً من أربعين. ثم سار وتابع إليهم الرسل
فعرض عليهم الأمان ودعاهم إلى السمع والطاعة وهم في ذلك يمتنعون عليه
ويشتمون رسله ويتفلتون إلى حربه.

فسار بغا حتى ورد بطن نخل ثم دخل نخيلة، فاحتملت بنو ضبة من بنى
نمير فركبت جبالها، فأرسل إليهم فأبوا أن يأتوه، وأرسل إليهم سرية وأتبعهم
بجماعة من معه، فحشدوا لحربه وهم يومئذ نحو من ثلاثة آلاف رجل.

فلقوهم ببطن السر فهزموا مقدّمته وكشفوا ميسرته وقتلوا من أصحابه مائة وثلاثين رجلاً وعقروا من إبل عسكره سبعمائة ومائة دابة، وانتهبوا الأثقال وبعض ما كان مع بغا من الأموال فهجم عليهم وعليه ليلٌ. فجعل بغا يناشدهم ويدعوهم إلى الرجوع إلى طاعة الواثق فشتموه وتوعّدوه. فلَمَّا دنا الصبح أُشير على بغا بأن يوقع بهم قبل أن يضيء الصبح فيروا قلّة عدد من معه ويجترئوا عليه، فأبى بغا. فلَمَّا أضاء الصبح [317] ونظروا إلى عدد من معه حملوا عليهم فهزموهم حتّى بلغت هزيمتهم معسكرهم وأيقنوا بالهلكة.

ذكر اتفاق حسن

وبلغ بغا أن خيلاً لهم بمكان من بلادهم، فوجّه من أصحابه نحواً من مائتي رجل إليها. فبينما هم فيما هم من الإشراف على العطب وقد انهزم بغا إذ خرجت تلك الجماعة منصرفة من تلك الخيل وأقبلت متفرقة في ظهور بنى نمير. فنفخوا في صفّارتهم فالتفتوا ورأوا الخيل وراءهم، فولّوا منهزمين وأسلم فرسانهم رجّالتهم وطاروا على ظهور الخيل. وكان منهم جماعة تشاغلوا بالنهب، فثاب إلى بغا أصحابه فكّر عليهم وقتل منهم منذ زوال الشمس وإلى آخر وقت العصر زهاء ألف وخمسمائة رجل. وأقام بغا حتّى جمعت له رؤوس من قُتل واستراح هو وأصحابه ببطن السرّ ثلاثة أيّام. ثمّ أرسل إليه من هرب من فرسان نمير من الوقعة يطلبون الأمان فأعطاهم الأمان فصاروا إليه فقيّدهم وأشخصهم معه، فشغبوا في الطريق وحاولوا كسر قيودهم والهرب. فأمر باحضارهم واحداً بعد واحدٍ فيضربه ما بين الأربعمئة إلى الخمسمئة، فلم ينطق منهم ناطق بتوجّع ولا تأوّه. ثمّ جمعهم مع من لحق به [318] ممّن طلب الأمان وحملهم إلى

البصرة.

موت الواصل

وفيهما مات الواصل وكان موته بالاستسقاء فعولج بالإقعاد في تنور مسخن فوجد لذلك راحة، فأمر من غد ذلك اليوم بأن يزداد في إسخان ذلك التنور ففعل وقعد فيه أكثر من قعوده في اليوم الذي قبله فحمى عليه، فأخرج منه وصير في محفة، وحضره جماعة من الهاشميين ثم حضر محمد بن عبد الملك الزيّات وأحمد بن أبي دؤاد. فلم يعلموا بموته حتّى ضرب بوجهه المحفة، [فعلموا أنّه قد مات] ^(١)

وكان أبيض مشرباً حُمرة جميلاً ربعة حسن الجسم قائم العين اليسرى فيها نكتة بياض.

فكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وسنّه ستّ وثلاثون سنة.



مركز تحقيقات كاپتور علوم اسلامی

١. ما بين المعقوفتين أضفناه من الطبری (١١: ١٣٦٣). ما في الأصل وتد (٥٣٥): ومات.

خلافة جعفر المتوكل

وفى هذه السنة بويج لجعفر المتوكل بالخلافة وهو جعفر بن محمد بن هارون بن^(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

لما توفى الواثق حضر الدار أحمد بن أبي دؤاد وإيتاخ ووصيف ومحمد بن عبد الملك وأحمد بن خالد أبو الوزير. فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق فأحضروه وهو غلام أمرد قصير. فألبسوه دُرَّاعَة^(٢) سوداء وقلنسوة رُصَافِيَّة^(٣) فإذا هو قصير. فقال لهم وصيف :

- «أما تَتَّقُونَ اللهَ تَوَلَّوْنَ مِثْلَ هَذَا الْخِلَافَةِ وَهُوَ لَا تَجُوزُ مَعَهُ الصَّلَاةُ.»
فتناظروا [319] في من يولونها، فذكر أحمد بن أبي دؤاد جعفر أخا الواثق فأحضره وألبسه الطويلة وعممه وقبّل بين عينيه وقال :

- «السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.»

ثم غُسل الواثق وصُلّي عليه ودُفِن ولقّنه أحمد بن أبي دؤاد : المتوكل على الله، وأمر محمد بن عبد الملك بالكتاب به إلى الناس فوقع بهذا :

١. هارون بن : فى الأصل غموض. فأثبتناه حسب ما فى تد (٥٣٥) والطبرى (١١: ١٣٦٨).

٢. الدُرَّاعَة : جُبَّة مشقوقة المقدم.

٣. فى مط : وصافية، بدل : رصافية. والأصل كالطبرى (نفس الصفحة).

«بسم الله الرحمن الرحيم - أمر أبقاك الله - أمير المؤمنين أعزّه الله، أن يكون الرسم الذى يجرى به ذكره على أعواد منبره وكتبه إلى قضاته وكتابه وعقّاله وأصحاب دواوينه وسائر من تجرى المكاتبه بينه وبينه : من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين. فرأيتك فى العمل بذلك وإعلامى وصول كتابى إليك موقفاً إن شاء الله.»

وأمر للأتراك برزق أربعة أشهر وأمر بأن يُوضع العطاء للجند لثمانية أشهر وأخذت البيعة عليهم وبويع له وله ستّ وعشرون سنة.

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
وفيهما غضب المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات وحبسّه.

ذكر سوء نظر محمد بن عبد الملك فى العاقبة
وتجهّمه للمتوكل حتى أهلكه [320]

كان السبب فى غضبه عليه أنّ الواثق لما استوزر محمد بن عبد الملك فوّض إليه الأمور وكان الواثق قد غضب على أخيه جعفر لبعض الأمور، فوكل به عمر بن فرج الرخّجى ومحمد بن العلاء، فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره. فصار جعفر إلى محمد بن عبد الملك يسأله أن يكلم أخاه الواثق ليرضى عنه. فلما دخل عليه مكث واقفاً بين يديه لا يكلمه، ثمّ أشار إليه أن يقعد فلما فرغ من نظره فى الكتب إلّفت إليه كالمتهدّد له فقال له :

- «ما جاء بك؟»

قال : «جئت لتسأل أمير المؤمنين الرضا عنى.»

فقال لمن حوله :

- «انظروا إلى هذا يُغضب أخاه ويسألني أن أسترضيه له اذهب، فأنتك إذا صلحت رضى عنك.»

فقام جعفر كثيراً حزناً لما لقيه به من قبح اللقاء والتقصير به، فخرج من عنده وأتى عمر بن فرج يسأله أن يختم له صكّه لبعض أرزاقه، فلقيه عمر بن فرج بالتجهّم وأخذ الصك ورمى به، فصار جعفر حين خرج من عند عمر إلى أحمد بن أبي دؤاد، فدخل عليه فقام له أحمد بن أبي دؤاد واستقبله وقبّله والتزمه وقال له :

- «ما جاء بك جعلني الله فداك ؟»

قال : «جئت لتسترضى أمير المؤمنين.»

قال : «أفعل ونعمة عين.»

فكلّم أحمد بن أبي دؤاد الواصل بالله فيه، فوعده ولم يرض عنه. فأعاد أحمد الكلام [321] بعد ذلك وسأله بحق المعتصم إلا رضى عنه، فرضى عنه من ساعته وكساه واعتقد جعفر لأحمد بن أبي دؤاد بذلك يداً ميثاقاً فأحفظاه عنده لئلا يملك.

وإنّ محمد بن عبد الملك حين خرج جعفر من عنده كتب إلى الواصل يذكر : أنّ جعفرأ أتاني فسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه في زى المختشين، له شعر قفاً. فكتب إليه الواصل :

- «أبعث إليه فأحضره ومز من يجرّ شعر قفاه، ثم مر من يأخذ شعره ويضرب به وجهه، واصرفه إلى منزله.»

فحكى عن المتوكل أنّه قال : لئلا أتاني رسوله لبست سواداً جديداً وأتيته رجاء أن يكون قد أتاه الرضى، فلما حصلت بين يديه قال :

- «يا غلام ادع لى حجّاماً.»

فدعى به. فقال :

« خذ من شعره فاجمعه. »

فأخذه على السواد الجديد ولم يأت به بمنديل، فأخذ شعره وضرب وجهه به.

فقال المتوكل :

ما دخلني من الجزع على شيء مثل ما دخلني حيث أخذ شعري على السواد الجديد وقد جئته فيه طامعاً في الرضا عني فأخذ شعري عليه.

فلما بُوع جعفر أمهل وهو يفكر في مكروه يناله به. ثم أمر إيتاخ بأن يأخذه ويعذبه فيبعث إليه إيتاخ فظن أنه يدعى للخليفة، فركب مبادراً. فلما حاذى منزل إيتاخ، قيل له :

« إعدل إلى هاهنا. »

فعدل وأوجس [322] في نفسه خيفة. فلما جاء إلى الموضع الذي كان نزل فيه إيتاخ عدل به عنه فأيقن بالشر ثم أدخل حجرة وأخذ سيفه ودراعه وقلنسوته فدفع إلى غلمان، وقيل لهم :

« انصرفوا. »

فانصرفوا وهم لا يشكون أنه مقيم عند إيتاخ ليشرب.

ووجه المتوكل إلى أصحابه ودوره، فقبض عليهم فأخرج جميع ما كان في منزله من متاع وجوار وغلمان ودواب، فصار ذلك كله في الهاروني، وأمر أبا الوزير بقبض ضياعه وضياع أهل بيته حيث كانت. فأما ما كان بسر من رأى فحمل إلى خزانته واشترى للخليفة جميعه وقيل لمحمد بن عبد الملك :

« وكل ببيع متاعك. »

وأتوه بمن وكله بالبيع عليه ثم قيد، وامتنع من الطعام فلا يذوق شيئاً. وكان شديد الجزع في حبسه كثير البكاء قليل الكلام كثير التفكير. فمكث

أياماً ثم سُهر ومُنِع من النوم وينخس بمسلة، ثم تُرك يوماً وليلة فنام وانتبه فاشتبهى فأكهة وعنباً فأتى به فأكل، ثم أُعيد إلى المساهرة.

وكان محمد قاسى القلب يزعم أن الرحمة خور فى الطبيعة وكان قد اتخذ تنوراً من خشب فيه مسامير حديد قيامٌ يُعذَّب فيه مَنْ يطالبه. فكان هو أول مَنْ عمل ذلك، وعذَّب فيه ابن سنباط المصرى حتّى استخرج منه جميع ما كان عنده ثم [323] ابتلى به فعذَّب فيه حتّى مات.

ودخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

هروب محمد بن البعيث

وفىها هرب محمد بن البعيث بن خُليس، وكان جىء به أسيراً من أذربيجان وحُبس، وكانت له قلعتان تدعى أحدهما شاهاً^(١) والأخرى يَكُدُر. فأما شاهها فهى وسط البحيرة وأما يكدُر فهى خارج البحيرة وهذه البحيرة قدر عشرين فرسخاً من حدّ أرمينية إلى بلاد محمد بن الرواد، وشاهها قلعة حصينة تحيط بها البحيرة ويركب فيها الناس من أطراف المراغة إلى أرمينية وغيرها. وكانت مدينة محمد بن البعيث مرند فهرب إلى مدينته فجمع بها الطعام وفيها عيون ماءٍ فرمّ ما كان وهى^(٢) من سورها، وأتاه من أراد الفتنة من كلّ ناحية من ربيعة وغيرها فصار فى نحو ألفى رجل.

وكان الوالى بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة فقصر فى طلبه، فولّى المتوكل حمدويه بن علىّ أذربيجان ووجهه من سرّ من رأى على البريد.

فلما صار إليها جمع الجند والساكرية ومن استجاب له فصار فى عشرة آلاف. فزحف إلى ابن البعيث فألجأه إلى مدينة مرند وهى مدينة استدارتها

١. شاهها: كذا فى الأصل وتند (٥٣٩) فى كلا الموضعين. فى الطبرى (١١: ١٣٨٠): شاهى.

٢. كذا فى الأصل وتند (٥٤٠). فى الطبرى (١١: ١٣٨١): مائتى ألف فارس.

فرسخان في داخلها بساتين كثيرة ومن خارجها كما تدور شجر إلا في مواضع أبوابها. وقد جمع فيها [324] ابن البعيث آلة الحصار، وفيها عيون ماء.

فلما طال مدته وجّه إليه المتوكل زيرك التركي في مائتي^(١) فارس من الأتراك فلم يصنع شيئاً فوجّه المتوكل عمر بن سليل^(٢) بن كال في جماعة من الشاكرية فلم يغب شيئاً.

فوجّه إليه بغا الشرايبي في أربعة آلاف ما بين تركي وشاكري ومغربي، وقد كان الجند قد زحفوا إلى مدينة مرند وقطعوا ما حولها من الشجر فقطعوا نحواً من مائة ألف شجرة من شجر الغياض وغيره ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً وبنوا بحذاء المدينة ما يستكنّون فيه ونصب عليهم محمد بن البعيث من المجانيق مثل ذلك. وكان من معه من علوج رساتيقة يرمون بالمقاليع، فكان الرجل لا يقدر على الدنو من السور فكانوا يغادونه القتال ويرأوحوه، وكانت الجماعة من أصحاب ابن البعيث يتدلّون بالجبال معهم الرماح فيقاتلون، فإذا حمل عليهم أصحاب السلطان لجأوا إلى الحائط بالمقاليع وكانوا ربّما فتحوا باباً يقال له باب الماء فيخرج منه عدّة يقاتلون ثم يرجعون.

فلما قرب بغا الشرايبي من مرند بعث عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني ومعه أمانات لوجوه أصحاب ابن البعيث ولابن البعيث على أن ينزلوا وينزل على حكم المتوكل، وإلا قاتلهم [325] فإن ظفر بهم لم يستبق منهم أحداً، ومن نزل فله الأمان.

وكان عامّة من مع ابن البعيث من ربيعة من قوم عيسى بن الشيخ، فنزل

١. كذا في الأصل وتد (٥٤٠). في الطبري (١١: ١٣٨١): مائتي ألف فارس.

٢. في تد (٥٤٠): سيسل بن كال.

منهم قوم كثير بالجبال ونزل ختن ابن البعيث، ثم فتحوا باب المدينة فدخل أصحاب حمدويه وزيك وخرج ابن البعيث من منزله هارباً يريد أن يخرج من وجه آخر فلحقه قوم من الجند فأخذوه أسيراً وانتهبوا منزله ومنازل أصحابه وأخذ له أختان وثلاث بنات وخالته والبواقي سرارى ونحو مائتى رجل وهرب الباقيون ووافاهم بغا فمنع من النهب وكتب بغا بالفتح لنفسه. ثم قديم بغا باهن البعيث وأصحابه وهم نحو مائتى رجل. فلما قربوا من سر من رأى حملوا على الجمال ليستشرفهم الناس. فأتى المتوكل محمد بن البعيث فأمر بضرب عنقه فطرح على نطع، وجاء السيافون فلوّحوا فقال المتوكل:

« ما دعاك يا محمد إلى ما صنعت؟ »

قال: « الشقوة وأنت الحبل الممدود بين الله وخلقه وإن لى فيك لظنين أسبقهما إلى قلبى أولاهما بك وهو العفو. »

ثم اندفع بلا فصل:

أبى الناس إلا أنك اليوم قاتلى
وهل أنا إلا جُبلةٌ من خطيئة
فإنك خير السابقين إلى العلى
وإمام الهدى والعفو^(١) فى الله أجمل [326]
وعفوك من نور النبوة يُجبلُ
ولا شك أن خيرَ الفعّالين تفعلُ

مركز تحقيق كاتپوز علوم اسلامی

فالتفت المتوكل فقال لمن عنده:

« إن معه لأدباً. »

فقال بعضهم وبادر:

« بل يفعل أمير المؤمنين خيرهما ويمن عليك. »

فقال المتوكل :

- «ارجع إلى منزلك.»

ويقال إن ابن البعيث لما تكلم بما تكلم به شفع فيه المعتز واستوهبه فوهبه له.

وكان محمد بن البعيث أحد شجعان أذربيجان وله شعر كثير جيد بالعربية والفارسية.^(١)

وحجّ في هذه السنة إيتاخ وكان والي مكة والمدينة والموسم، ودُعي له على المنابر.

ذكر سبب ذلك

كان إيتاخ غلاماً طبّاخاً خزريّاً لسلام الأبرش، فاشتراه منه المعتصم، وكان لإيتاخ بأس ورُجلة، فرفعه المعتصم ومن بعده الواثق ووُلّي الأعمال الكبار، وكان من أراد المعتصم أو الواثق قتلَه حُبس عند إيتاخ.

فلما ولى المتوكل كان إلى إيتاخ الحبس والمغاربة والأتراك والبريد والحجّابة ودار الخلافة. فخرج المتوكل بعد الخلافة متنزّهاً [327] إلى ناحية القاطول فشرب ليلةً فعربد على إيتاخ، فهمّ إيتاخ بقتله. فلما أصبح المتوكل قيل له، فاعتذر إلى إيتاخ والتزمه وقال :

- «أنت أبي وأنت ربّيتني.»

فلما صار المتوكل إلى سرّ من رأى دسّ إليه من يشير عليه بالاستئذان للحجّ ففعل وأذن له وصيّره أمير كلّ بلدة يدخلها وخلع عليه وركب القواد معه، فحين خرج صيّرت الحجّابة إلى وصيف.

١. انظر الطبري (١١: ١٢٨٨).

ودخلت سنة خمسٍ وثلاثين ومائتين
وفيهما كان مقتل إيتاخ
ذكر سبب مقتله

لَمَّا انصرف إيتاخ من مكة راجعاً إلى العراق وجّه المتوكل إليه سعيد بن صالح^(١) الحاجب مع كسوةٍ وأطاف، وأمره أن يلقاه بالكوفة وقد تقدّم المتوكل إلى عامله على الشرطة ببغداد بأمره فيه.

فذكر إبراهيم بن المدبر أنه خرج مع إسحاق بن إبراهيم في تلقى إيتاخ وكان أراد أن يأخذ طريق الفرات إلى الأنبار ثم يخرج إلى سُرّ من رأى. فكتب إليه إسحاق :

« إنَّ أمير المؤمنين قد أمر أن يدخل بغداد وأن يلقاك بنو هاشم ووجوه الناس وأن تقعد لهم في دار خزيمة بن خازم فتأمر لهم بجوائز. »

قال : فخرجنا حتّى إذا كنّا بالياسريّة [328] وقد شحن إسحاق بن إبراهيم الجسرين بالجند والشاكرية، وخرج في خاصّته وطُرح له بالياسرية صُفّة فجلس عليها وأقبل قوم قد رتبهم في الطريق. كلّما صاروا إلى موضع أعلموه، حتّى قالوا :

« قد قرب منك، » كالمؤثر علوم رسي

فركب فاستقبله. فلَمَّا نظر إليه أهوى إسحاق لينزل. فحلف عليه إيتاخ أن لا يفعل. وكان إيتاخ في نحو ثلاثمائة من أصحابه وعليه قباء أبيض متقلداً سيفاً بحمائل، فسارا جميعاً حتّى إذا صار عند الجسر تقدّمه إسحاق عند الجسر وعبر حتّى وقف على باب خزيمة بن خازم. فقال لإيتاخ :

- «تدخل أعز الله الأمير.»

وكان الموكلون بالجسر كلما مرّ بهم غلام من غلمانه قدّموه حتّى بقى فى خاصّة غلمانه، فدخل بين يديه قوم وقد فرشت له دار خزيمة بن خازم، وتأخّر إسحاق وأمر ألا يدخل الدار من غلمانه إلا ثلاثة أو أربعة وأخذت عليه الأبواب وأمر بحراسته من ناحية الشطّ وكسرت كلّ درجة فى قصر خزيمة، فحين دخل أغلق الباب، خلفه فنظر فإذا ليس فيه إلا ثلاثة غلمان. فقال :

- «قد فعلوها.»

ولو لم يؤخذ^(١) ببغداد ما قدروا على أخذه، ولو صار إلى سرّ من رأى فأراد بأصحابه قتل جميع من خالفه أمكنه ذلك.

ثمّ ركب إسحاق حرّاقة وأعدّ [329] لإيتاخ أخرى. ثمّ أرسل إليه أن يصير إلى الأخرى وأمر بأخذ سيفه، فحدّروه إلى الحرّاقة وصيّر قوم معه بالسلاح، وصاعد إسحاق إلى منزله، وأخرج إيتاخ حين بلغ دار إسحاق فأدخل ناحية منها، ثمّ قيّد وثقل بالحديد فى عنقه ورجليه، ثمّ قدّم بابنيه : منصور والمظفر وبكاتبيه : سليمان بن وهب وقُدّامة بن زياد النصرانى ببغداد وكان سليمان على أعمال السلطان وقُدّامة على ضياع إيتاخ خاصّة فحبسوا ببغداد.

وذكر ترك مولى إسحاق قال : وقفت على باب البيت الذى فيه إيتاخ

محبوس فقال :

- «يا ترك»

قلت :

١. فى مط : لم يوجد.

- «ما تريد؟»

قال: «أقرأ على الأمير السلام وقل له قد علمت ما كان يأمرني به المعتصم والوائق في أمرك فكنت أدفع عنك ما أمكنني فلينفعنني ذلك عندك، أمّا أنا فقد مرّ بي شدّة ورخاء فما أبالي ما أكلت وما شربت، وأمّا هذان الغلامان فإنهما عاشا في نعمة ولم يعرفا البؤس فصيرّ لهما لحماً ومرة وشيئاً يأكلان منه.»

قال ترك: فذهبت إلى مجلس إسحاق فوقفت، فقال لي:

- «ما تريد؟ فأرى في وجهك كلاماً.»

قلت: «نعم.»

قال لي:

- «إيتاخ كذا وكذا.»

وكانت وظيفة إيتاخ في كلّ يوم رغيفاً وكوزاً من ماء، ويؤمر لابنيه بخوان [330] عليه سبعة أرغفة وخمسة ألوان^(١) فلم يزل ذلك قائماً حياة إسحاق. ثمّ هلك إيتاخ بالعطش فإِنَّه أُطعم ومُنح الماء حتّى مات وأحضر إسحاق القضاة والفقهاء وعرضه عليهم لا ضرب به ولا أثر.

وأما ابنه فبقيا في الحبس حياة المتوكل. فلمّا أفضى الأمر إلى المنتصر أخرجهما.

مركز تحقيق كاتپوز علوم اسلامی

ما عامل به المتوكل أهل الذمّة

في ملابسهم ومنازلهم

وفي هذه السنة أمر المتوكل بأخذ النصارى وأهل الذمّة بلبس العسلى

١. كذا في الأصل وتد (٥٤٥) وآ: ألوان. في الطبري (١١: ١٣٨٦): عُرف.

والزنانير وركوب السروج بركب الخشب وبتصيير كُرَتَيْن على مؤخر السرج، وبتغيير القلائس لمن لبس قلنسوة، وبتغيير زِيِّ النساء في أزهرن العسلية ليُعرفن، وكذلك مماليكهم، ومنعهم لبس المناطق، وإن دخلوا الحمام كان معهم جلاجل ليُعرفوا، وأمر يهدم بيَعهم المستحدثة وبأخذ العشر من منازلهم. فإن كان الموضع واسعاً صُيِّرَ مسجداً وإن لم يصلح أن يكون مسجداً صُيِّرَ فضاءً. وأمر أن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب مسمورة تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين، ونهى أن يُستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطان التي تجرى فيها أحكامهم على المسلمين، ونهى أن يتعلم أولادهم في كتابيب المسلمين [331] وألا يعلمهم مسلم، ونهى أن يُظهروا في أعيادهم صليباً وأن يشمعوا^(١) في الطريق، وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض لئلا يُشبه قبورهم قبور المسلمين، وكتب إلى العمال في الآفاق بذلك.

عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة

وفي هذه السنة عقد المتوكل البيعة لبنيه^(٢) الثلاثة : لمحمد وسمّاه المنتصر، ولأبي عبد الله واسمه الزبير وسمّاه المعتز، ولإبراهيم وسمّاه المؤيد، بولاية العهد. وذكر ذلك للشعراء وكُتبت بينهم كتب وفُرقت في الأمصار.

مركز تحقيق تكملة تراث علوم اسلامی

ودخلت سنة ست وثلاثين ومائتين

ومن حوادثها هدم قبر الحسين عليه السلام

وفيها توجه الفتح بن خاقان عند المتوكل ووُلّي أعمالاً منها أخبار الخاصة

١. كذا في الأصل : يشمعوا. شمع : لعب ومزح. في تد (٥٤٥) والطبري (١٣٩٠) : يشمعوا. شمعوا : تفرّقوا مرحاً ونشاطاً.

٢. في الأصل : لابنيه. وهو سهو. ما أثبتناه يوافق ما في تد (٥٤٥) وآ.

والعامّة بسرّ من رأى وما يليها.

وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والدور وأن يُبذر ويُمنع الناس من إتيانه.^(١)

وفيها هلك أبو سعيد محمد بن يوسف فجأة، وكان قد ولى أذربيجان فمسكر بكرخ فيروز، وأراد الركوب فلبس أحد خُفّيه ومدّ الآخر ليلبسه فسقط ميتاً، فولى المتوكل ابنه يوسف ما كان يتولاه أبوه من الحرب وولاه مع ذلك خراج الناحية وضياعها، فشخص إلى الناحية فضبطها. [332]

ثمّ دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين

وفيها وثب أهل أرمينية بيوسف بن محمد بن يوسف فيها

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّه لما صار إلى عمله من أرمينية خرج رجل من البطارقة يقال له بقراط بن أشوط وكان يقال له : بطريق البطارقة. فطلب الأمان فأخذه يوسف بن محمد وقيّده وبعث به إلى باب السلطان. فأسلم بقراط وابنه واجتمع على يوسف ابن أخى بقراط بن أشوط وجماعة من بطارقة أرمينية فتحالفوا ونذروا دمه لما حمل بقراط فنهى أصحاب يوسف يوسف عن المقام وعرفوه اجتماع القوم فلم يقبل، وأقام فحاصروه من كلّ وجه.

وسقطت الثلوج فخرج يوسف إلى ظاهر المدينة وكان أصحابه متفرّقين في الأعمال، فقاتلهم فقتلوه وقتلوا من معه. فأما من لم يقاتل فإنّه قالوا لهم : - « ضع ثيابك وانج عرياناً. »

فطرحوا ثيابهم ونجوا عُرّة حُفّاة فمات أكثرهم من البرد وسقطت أصابع قوم منهم ونجوا.

فوجّه المتوكّل بغا الكبير إلى أرمينية طالباً بدم يوسف. فشخص إليها فبدأ بأرزن. وكان موسى بن زرارة قد واطأ قتلة يوسف فقبض بغا على موسى واخوته وحملهم إلى السلطان ثمّ سار فأنّاخ على الخويّثية^(١) وهم جَمّة أهل أرمينية، وقتلة يوسف بن محمد. فحاربهم فظفر بهم وقتل منهم زهاء ثلاثين ألفاً وسبى خلقاً فباعهم. ثمّ سار إلى بلاد الباق فأسر أشوط بن حمزة أبا العباس، ثمّ سار إلى ديبيل ثمّ إلى تفليس.

غضب المتوكّل على أبي دؤاد

وفيها غضب المتوكّل على أحمد بن أبي دؤاد وأمر بالتوكيل بضياعه وحبسه وأولاده واخوته، فحمل أبو الوليد مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهرأ كثيراً، ووصلح بعد على ستّة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم جميعاً يبيع كلّ ضيعة لهم وكان أحمد بن أبي دؤاد قد فُلج فقال أبو العتاهية :

لَوْ كُنْتُ فِي الرَّأْيِ مَنْسُوباً إِلَى رَشْدٍ وَكَانَ عَزْمُكَ عَزْماً فِيهِ تَوْفِيقُ
لَكَانَ فِي الْفَقْهِ شُغْلٌ لَوْ قَسَمْتَ بِهِ عَنْ أَنْ تَقُولَ : كِتَابُ اللَّهِ مَخْلُوقُ
مَاذَا عَلَيْكَ وَأَصْلُ الدِّينِ يَجْمَعُهُمْ مَا كَانَ فِي الْفِرْعَ لَوْلَا الْجَهْلُ وَالْعُوقُ

ثمّ دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

وفيها ظفر بغا الكبير بإسحاق بن إسماعيل مولى بنى أميّة بتفليس فأحرق

١. الخويّثية : كذا في تد (٥٤٧) والطبري (١١: ١٤٠٩) : في الأصل الحوتنية.

مدينة تفليس. وكان [334] إسحاق بن إسماعيل - ويكنى أبا العباس - قد تحصّن بتفليس وهي مدينة أكثر بنائها خشب الصنوبر. فلما قصدها بغا أمر النفاطين فضربوها بالنار وهاجت الريح وأحاطت النار به بقصر إسحاق وجواريه.

ثم أتاه الأتراك والمغاربة فأخذوه أسيراً مع ابنه وأتوا به بغا، فأمر بضرب عنقه صبراً، وصُلب جثته واحترق في المدينة نحو خمسين ألف إنسان. ثم نهض بغا إلى عيسى بن يوسف ابن أخت اصطفانوس فحاربه في كورة السلطان ثم تحصّن في قلعة كتيش^(١)، ففتحها وأخذه وحمله وحمل ابنه وسنباط بن أشوط بطريق أَران، وحمل معه آذر نرسی بن إسحاق.

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين
ولم يجر فيها ما يكتب.

ودخلت سنة أربعين ومائتين
وتلك سبيلها.

ودخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين
إغارة البُجّة وحرب المتوكل إيتاهم
وفيها أغارت البُجّة على حرش^(٢) من أرض مصر، فوجّه المتوكل لحربهم
محمد بن عبد الله القمي.

١. كذا في الأصل: كتيش. في تد (٥٤٨): كبيش. وفي حواشيه عن ابن خلدون: كيش.

٢. كذا في الأصل: حرش. ما في تد (٥٤٨) حوش.

ذكر ما آلت إليه أمورهم

كانت البُجَّة لا تغزو المسلمين ولا يغزوهم المسلمون لهدنة بينهم قديمة [335] وهم جنس من أجناس الحبشة وفي بلادهم معادن ذهب. فهم يقاسمون من يعمل فيها ويؤدون إلى عمّال مصر في كل سنة شيئاً معلوماً. فلما كان في أيام المتوكّل امتنعت البُجَّة عن أداء ذلك الخراج سنين متوالية وهذه المعادن منها ما هو على التخوم فيما بين أرض مصر وبلاد بُجَّة. فقتلوا عدّة من المسلمين ممّن كان يعمل في المعادن ويستخرج الذهب، وسبوا عدّة من ذراريهم ونسائهم. وذكروا أنّ المعادن لهم في بلادهم وأنهم لا يأذنون للمسلمين في دخولها، وأنّ ذلك أوحش المسلمين الذين كانوا يعملون هناك حتّى انصرفوا عنه، فانقطع ما كان يؤخذ للسلطان بحق الخمس الذي كان يُستخرج من المعادن.

فلما بلغ ذلك المتوكّل أحفظه، وشاور في أمر البُجَّة فأُنهي إليه أنّهم قوم أهل بدو وأصحاب إبل وماشية، وأنّ الوصول إلى بلادهم صعب لا يمكن أن تسلك إليهم الجيوش لأنّها مفاوز وصحار، وبين أرض الإسلام وبينها مسيرة شهر في أرض قفر وجبال وعرة لا ماء فيها ولا زرع ولا معقل ولا حصن، وأنّ من يدخلها من أولياء السلطان [336] يحتاج أن يتزوّد لجميع من معه المدة التي يتوهم أنّه يقيمها في بلادهم حتّى يخرج إلى أرض الإسلام. فإنّ تجاوز تلك المدة هلك وجمع من معه وأخذتهم البُجَّة بالأيدى دون المحاربة، وأنّ أرضهم لا تردّ على السلطان شيئاً من خراج ولا غيره.

فأمسك المتوكّل عن التوجيه إليهم وجعل أمرهم يتزايد وحربهم يكثر حتّى خاف أهل الصعيد من أرض مصر على أنفسهم وذراريهم. فولّى المتوكّل محمد بن عبد الله القمي محاربهم وولاه معادن تلك الكور، وتقدّم إليه في

معاربة البجّة وكتب إلى عنيسة بن إسحاق الضبّي العامل على حرب مصر بإعطائه جميع ما يحتاج إليه من الجند والشاكرية بمصر. فأزاح عنيسة علته في ذلك، وخرج إليه من جميع ما اقترحه عليه، وانضم إليه جميع من كان يعمل في المعادن وقوم كثير من المطوّعة، وكانت عدّة من معه نحواً من عشرين ألف إنسان بين فارس وراجل، ووجه إلى القلزم فحمل في البحر سبعة مراكب موقرة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير، وأمر قوماً من أصحابه أن يلججوا بها في البحر حتى يوافوه في سواحل البحر [337] من أرض البجّة.

ولم يزل محمد بن عبد الله القمي يسير في أرض البجّة حتى جاوز المعادن التي يعمل فيها وصار إلى حصونهم وقلاعهم، وخرج إليه ملكهم واسمه: علي بابا، وله ابن يُسمّى بغسى^(١) في جيش كثير وعددٍ أضعاف من كان مع القمي وكانت البجّة على إيلهم ومعهم الحراب وإيلهم فُرّه تشبه المهارى في النجابة. فجعلوا يلتقون أياماً متوالية فيتناوشون ولا يصحّحون القتال.

وجعل ملك البجّة يتطارد للقمي ويطول الأيام طمعاً في نفاذ الأزواد والعلوفة التي معهم فلا يكون لهم قوّة، فتأخذهم البجّة بالأيدي. فلما توهّم عظيم البجّة أن الأزواد قد نفذت أقبلت المراكب السبعة التي حملها القمي حتى خرجت إلى ساحل من سواحل البحر في موضع يُعرف بصنجة فوجه القمي إلى ما هناك من أصحابه يحمون المراكب من البجّة وفرّق ما كان فيها على أصحابه فاتسعوا في الزاد والعلوفة.

فلما رأى ذلك علي بابا رئيس البجّة قصد لمعاربتهم وجمع لهم. فالتقوا

١. كذا في الأصل: بغسى. في تد (٥٥٠): بغشى. وفي الطبري (١١: ١٤٣١): لعيس.

واقْتتلوا قتالاً شديداً وكانت إبلهم زَعِرةٌ تكثر الفزع من كلِّ شَيْءٍ. فلَمَّا رأى ذلك محمَّد بن عبد الله القمِّي جمع أجراس الإبل [338] والخيول، التي في معسكره كُلِّها فجعلها في أعناق الخيل ثمَّ حمل على البُجَّة فنفرت إبلهم واشتدَّ رعبهم فحملتهم على الجبال والأودية فمزَّقتهم كلَّ ممزَّق، واتبعهم القمِّي بأصحابه قتلاً وأسرّاً حتَّى غشاهم الليل ولم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم. فلَمَّا أصبح القمِّي وجدهم قد جمعوا جمعاً من الرِّجالة ثمَّ صاروا إلى موضع آمنوا فيه طلب القمِّي.

فوافاهم القمِّي في الليل في خيله فهرب ملكهم وأخذ تاجه ومتاعه ثمَّ طلب الأمان على أن يُردَّ إلى بلاده ويؤدَّى الخراج للسنين التي عليه. فأعطاه القمِّي ذلك وأدى ما عليه واستخلف على مملكته ابنه بغسى. وانصرف القمِّي بعلى بابا إلى المتوكِّل فوصل إليه في آخر سنة إحدى وأربعين فكانت غيبته دون سنة.

وكسا القمِّي على بابا درّاعة ديباج وعمّامة سوداء وكسا جملة رجالاً مدبّجاً وجلال ديباج ليتميّز عن أصحابه، ووقف بباب العامّة مع قوم من البُجَّة على الإبل بالحراب وفي رؤوس حراهم رؤوس القوم الذين قتلهم القمِّي. فأمر المتوكِّل أن يُقبضوا من القمِّي.

ثمَّ ولَّى المتوكِّل البُجَّة وطريقاً ما بين مصر ومكّة سعداً الخادم [339] الإيتاخى. فولّى سعد محمد بن عبد الله القمِّي، فخرج القمِّي بعلى بابا وهو مقيم على دينه.

ودخلت سنة اثنتين وأربعين

وثلاثة وأربعين [ومائتين]

ولم يجر فيهما ما يُكتب.

ودخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

وفيهما دخل المتوكل دمشق وكان عزم على المقام بها، ووُصف له من فضائلها وطيبها ما شوّقه إليها. فأمر بالبناء فيها ونقل دواوين الملك إليها ثم استوبأ البلد وذلك أن الهواء بها بارد ندي^(١)، والماء ثقیل والريح تهبّ مع العصر، فلا تزال تشتدّ حتى تمضي عامّة الليل، وهي كثيرة البراغيث، وغلت الأسعار وحال^(٢) الثلج بين السابلة والميرة وتحركت الأتراك يطلبون أرزاقهم وأرزاق عيالاتهم.

فرجع المتوكل إلى سرّ من رأى وكان مقامه بدمشق شهرين وأياماً.

ودخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

وفيهما أمر المتوكل ببناء الجعفرى وأقطع قواده وأصحابه فيها وجدّ في بنائها وأنفق عليها ألفى دينار، وكان يسمّيها هو وأصحابه المتوكلية، وفيها كان هلاك [340] نجاح بن سلمة الكاتب.

ذكر سبب هلاكه

كان نجاح إليه ديوان التوقيع والتبّع على المال فكان المال. يتّقونه ويقضون حوائجه ولا يمنعون من شيء يريد. وكان المتوكل ربّما نادمه وكان عبید الله بن خاقان وزير المتوكل والأمور مفوّضة إليه، وكان الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك منقطعین إلى الوزير، وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضیاع وموسى على ديوان الخراج.

١. وضبط ما فى الأصل وآ وتد: نَدِي. فصَحَحْنَا الضبط كما فى الطبرى (١٤٣٦: ١١).

٢. كذا فى الأصل وآ ومط وتد: حال. وفى الطبرى (١٤٣٦: ١١): حلّ.

وكتب نجاح بن سلمة رقعة إلى المتوكل يذكر له، أنه يعرف وجه أربعين ألف ألف درهم يستخرجها من وجوها من خيانات^(١) قوم، فيتسع بها أمير المؤمنين في نفقة البناء. فأدناه المتوكل وشاربه تلك العشيّة وقال :

- «سمّ لي من تستخرج منه الأموال.»

فسمّى الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك وقال :

- «يصحّ من جهة هذين أربعون ألف ألف درهم.»

ثمّ سمّى قوماً آخرين من الكتاب وضمن مالا عظيماً يصحّ بعد ذلك منهم. فوقع ذلك من المتوكل موقعاً عظيماً وأعجبه وقال له :

- «أغدّ علىّ.»

فلما أصبح لم يشكّ في أمره.

وناظر المتوكل عبّيد الله بن يحيى وزيره في ذلك فقال :

- «يا أمير المؤمنين هؤلاء أعيان المملكة وكتابك وعمالك. فإن أوقعت

بهم فمن يقوم بأعمالك وأنا أدبّر [341] ذلك.»

فلما غدا نجاح إلى المتوكل وقد رتب أصحابه وقال : «يا فلان خذ أنت الحسن وأصحابه ويا فلان خذ أنت موسى وأصحابه،» حجبه عبّيد الله وتقدّم في ذلك فلقى، نجاح عبّيد الله فقال له :

- «انصرف يا أبا الفضل حتى تنظر وأنا أشير عليك بأمر لك فيه صلاح.»

فقال : «ما هو؟»

قال : «أصلح بينك وبينهما وتكتب رقعة إلى أمير المؤمنين تذكر فيها أنك كنت شارباً وأنت تكلمت بما يحتاج إلى معاودة النظر فيها، وأنا أصلح أمرك عند المتوكل.»

١. كذا في الأصل : خيانات. في آ : جنابات. في تد (٥٥٣) ومط : جبايات. والعبارة في الطبري

(١١: ١٤٤١) : يذكر أنهما قد خانا وقصّرا..

فلم يزل يخدعه حتى كتب ما قال. ثم دعا عبيد الله الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك وقال لهما :
 - «ابذلا خطأ في نجاح وأصحابه بألفي ألف دينار، وإلا فإنه سيسلمكما إليه ويهلككما.»

فكتبوا له ذلك ودخل عبيد الله على المتوكل وقال :
 - «يا أمير المؤمنين قد رجع نجاح عما قاله البارحة وهذا خطه وهذه رقعة موسى بن الحسن يتقبلان به مما بذلا به خطوطهما فتأخذ ما ضمنا عنه ثم تعطف عليهما فتأخذ قريباً مما ضمن لك عنهما.»
 فسّر المتوكل وطمع فيما قال عبيد الله وقال :
 - «ادفعه إليهما.»

فأمرا بأن تؤخذ قلنسوته، وقبضا على كتابه فاستخرجا من يومهما ذلك مائة وأربعين ألف دينار اعترف بها [342] ابنه، وذلك سوى قيمة ضياعه وقصوره وفرشه ومستغلاته وآلاته. فقبض جميع ذلك وضرب مراراً بالمقارع وعُذّب ثم خُنق أو عُصرت خُصاه فأصبح ميتاً. وطُلب أولاده ووكلأؤه، وأخذ بسببه قوم ببغداد وبسرّ من رأى وبمكة وبناحية السواد فحبسوا وصودروا.^(١)

ثم دخلت سنة ست وأربعين^(٢) ومائتين
 ولم يجر فيها شيء يُكتب.

١. انظر الطبري (١١: ١٣٤٨).

٢. في الطبري (١١: ١٤٥٢) : ثلاثين. وهو سهو.

ودخلت سنة سبع وأربعين ومائتين
وفيهما كان مقتل المتوكل على الله
ذكر السبب في قتله

كان سبب ذلك أنّ المتوكل أمر بقبض ضياع وصيف بإصيهان والجبل
وأقطعها الفتح بن خاقان، فكتب الكتب بذلك وبلغ ذلك وصيفاً.
وكان المتوكل واقف الفتح بن خاقان على أن يفتك بابنه المنتصر لأشياء
كانت تبلغه عنه ويفتك أيضاً بوصيف ويغنا وغيرهما من قواد الأتراك ممن
كان يُتهم فكثرت عتب المتوكل قبل الموعد على ابنه المنتصر. كان يقول له :
«سميتك : المنتصر، فسمّاك الناس لحملك : المنتظر.»

فمرّة كان يشتمه ومرّة يسقيه فوق طاقته ومرّة يصفعه.
فتحدّث بعض من كان [343] في ستارة المتوكل قالت : التفت المتوكل إلى
الفتح وهو ثمل فقال :
«برئت من الله ومن قرابتي من رسول الله إن لم تلطمه.» - يعني
المنتصر.

فقام الفتح فلطمه. ثم قال :

«اصفعه.» -

فأمرّ يده على قفاه.

ثم قال المتوكل لندمائيه :

«اشهدوا جميعاً أنّي قد خلعت المستعجل» - يعني المنتصر.

فقال المنتصر^(١) :

١. كذا في آ ومط وتد (٥٥٥) والطبري (١١: ١٤٥٧) : المنتصر. في الأصل : «الفتح» المغيّر إلى
«المنتصر» في كلمة واحدة، بحيث يُقرأ كلاهما على حدّ ووضوح.

- «يا أمير المؤمنين لو أمرت بضرب عنقي كان أسهل عليّ ممّا تفعله

بي.»

فقال : «أسقوه.»

وأمر بالعشاء فأحضر وذلك في جوف الليل فجعل يأكل هو والفتح وهو سكران يلقم ويُسقى المنتصر وهو يشتمه.

ثم خرج المنتصر وأخذ بيد زُرّافة الحاجب وقال :

- «امض معي.»

قال : «يا سيّدي، إنّ أمير المؤمنين لم يقم بعد.»

فقال : «إنّ أمير المؤمنين قد أخذ منه الشراب، والساعة يخرج بغا والندماء، وقد أحببتُ أن تجعل أمر ولدك إليّ فإنّ أوتامش سألني أن أزوّج ابنه من ابنتك وابنك من ابنته.»

قال له زُرّافة :

- «نحن عبيدك يا سيّدي فمر بأمرك.»

وأخذ المنتصر بيده وانصرف به معه فقال بُنّان المغنّي^(١) :

فما بعد المنتصر حتى سمعنا الضجّة والصراخ وكنت مع المنتصر قد قمت لأشهد الأملاك والشار.

فلما سمع المنتصر الصراخ خرج فاستقبله بغا فقال له المنتصر :

- «ما هذه الضجّة.»

قال : [344]

- «خير يا أمير المؤمنين.»

قال : «ما تقول ويلك ؟»

قال: «أعظم الله أجرك في سيدنا أمير المؤمنين. كان عبداً لله دعاه فأجابه.»

فجلس المنتصر وأمر بباب البيت الذي قُتل فيه المتوكل والمجلس فأغلق وغلقت الأبواب كلها وبعث إلى وصيف يأمره بإحضار المعتز والمؤيد عن رسالة المتوكل.

فذكر عثت أن المتوكل بعد قيام المنتصر استدعى رطلاً وكان بُغا الصغير المعروف بالشرابي قائماً عند الستر وبُغا الكبير يومئذ بسُمَيْسَاط وخليفته موسى ابنه فدخل بُغا الصغير وأمر الندماء بالإنصراف إلى حجرهم. فقال له الفتح:

- «ليس هذا وقت انصرافه.»

فقال بُغا:

- «إن أمير المؤمنين أمرني إذا جاوز السبعة أرطال ألا أترك أحداً في المجلس، وقد جاوز العشرة.»

فكره الفتح قيامهم. فقال له بُغا:

- «إن حُرْم أمير المؤمنين خلف الستارة وقد سكر، فقوموا فاخرجوا.»
فقاموا ولم يبق إلا عثت والفتح وأربعة من خدم الخاصّة وغلق بُغا الصغير الأبواب كلها إلا باب الشطّ ومنه دخل القوم الذين وقفوا^(١) على قتله فلما دخل القوم وسلّوا سيوفهم نظر إليهم عثت فقال المتوكل:

- «قد فرغنا من الحيات والعقارب والأسد وصرنا إلى السيوف.» [345]
وذلك أن المتوكل كان ربّما أرسل هذه الأشياء على ندمائه ليفزعهم ويضحك هو، فلما ذكر عثت السيوف قال:

١. كذا في الأصل: ووقفوا. في آ ومط: وقفوا. في تد (٥٥٧): ووقفوا (بتقديم الفاء). في الطبري (١٤٥٩:١١): عَيَّنُوا لقتله.

«ويلك ما تقول أيّ سيف؟»

فما استتمّ كلامه حتّى دخلوا عليه، فابتدره بقلون فضربه ضربة على كتفيه وأذنه فقدّه، فقام الفتح فى وجهه ووجوه القوم وقال :
- «وراءكم يا كلاب.»

فقال له بُغا :

- «لا^(١) تسكت يا جلفى^(٢).»

فرمى الفتح بنفسه على المتوكل، فاعتوره القوم بسيوفهم فقتلوهما معاً وقطّعوهما حتّى اختلطت لحومهما. وهرب عثث بعد ما أصابته ضربة ونجا الخدم وراء الستارة وتطايروا وكان عبّيد الله بن يحيى فى حجرته لا يعلم بشيء من أمر القوم وهو ينفذ الأمور بالشموع.

وذكر أنّ بعض نساء الأتراك ألقت رقعة بما عزم عليه القوم فوصلت إلى عبّيد الله بن يحيى وشاور الفتح فيها وعرف الخبر أيضاً أبو نوح كاتب الفتح واتفق رأيهم على كتمان المتوكل يومهم ذلك لما كانوا رأوا من سروره فكرهوا أن ينجّصوا يومه، وهان عليهم أمر القوم، وكانوا وثقوا بأنّ ذلك لا يُجسر عليه ولا يتمّ. فبينما عبّيد الله ينفذ الأمور إذ طلع عليه بعض الخدم فقال :

- «يا سيّدى أئت ما [346] جلوسك؟»

قال : «وما ذاك؟»

قال : «الدار سيف واحد.»

فأمر بعض خدمه بالخروج. فخرج ونظر، ثمّ عاد فأخبره أنّ المتوكل والفتح قد قُتلا. فخرج فى من معه من خدمه وخاصّته. فأخبر أنّ الأبواب

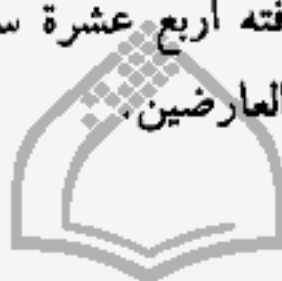
١. فى الأصل وآ ومط والطبرى (١١: ١٤٦٠) : لا تسكت. فى تد (٥٥٦) : ألا تسكت.

٢. كذا فى الأصل وآ ومط : يا خَلْقَى. فى تد (٥٥٦) والطبرى (١١: ١٤٦٠) : يا جلفى.

مغلقة، فأخذ نحو الشطّ فإذا أبوابه أيضاً مغلقة، فأمر بكسر ما كان يلي الشطّ فكُسرت ثلاثة أبواب حتى خرج إلى الشطّ ووجد زورقاً، فقعده فيه ومعه جعفر بن حامد و غلام له. فصار إلى منزل المعتز فسأل عنه فلم يصادفه فقال :
 - «إنا لله وإنا إليه راجعون قتلنى وقتل نفسه.»
 وتلهف عليه.

واجتمع إلى عبيد الله أصحابه غداة غدٍ من الأبناء والعجم والأرمن^(١) والزواquil من الأعراب وغيرهم وقد اختلف فى عدّتهم. فقال بعضهم كانوا عشرة آلاف، وزاد بعضهم ونقص بعض. فقالوا :
 - «إنما كنت تصطنعنا لهذا اليوم فأمر بأمرك وأذن لنا نَمِل على القوم ميّلة فنقتل المنتصر ومَن معه من الأتراك وغيرهم.»
 فأبى وقال :

- «ليس فى هذا حيلة، والرجل فى أيديهم.» - يعنى المعتز.
 وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، وكان أسمر نحيفاً حسن العينين خفيف العارضين.



مركز تحقيقات كاپتور علوم اسلامی

١. فى مط : والأرمن. آ ومط وند (٥٥٧) كالأصل : والأرمن.

خلافة محمد بن جعفر المنتصر

وبويع للمنتصر يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال وهو ابن خمس وعشرين سنة. ^(١) [347]

واستوزر أحمد بن الخصيب وهو الذي قرأ على الناس كتاباً، فخبّر ^(٢) عن أمير المؤمنين المنتصر أن الفتح بن خاقان قتل أباه جعفر المتوكل فقتله به وحضر ^(٣) عبيد الله بن الفتح بن خاقان فبايع وانصرف.

ودخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين
وفيها أغزى المنتصر وصيفاً التركي صائفة أرض الروم
ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنه كان بين أحمد بن الخصيب وبين وصيف شحنة ^(٤)
وتباغض، فأشار على المنتصر بإخراجه غازياً. فقال المنتصر :
« ائذن لمن حضر الدار ؟ »

١. انظر الطبري (١٢: ١٤٧١).

٢. كذا في الأصل ومط : فخبّر. في آ : بغبر. في تد (٥٥٧) : يخبر.

٣. في مط : حصر (بالصاد المهملة).

٤. في مط : شحنا (دون الهمزة).

فأذن لهم، وفيهم وصيف. فأقبل عليه وقال :

- « يا وصيف أتنا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغور، وهذا أمر لا يمكن أن يمسك عنه، فإما شخصت وإما شخصت. »
فقال وصيف :

- « بل أشخصُ يا أمير المؤمنين. »

فقال لأحمد بن الخصيب :

- « انظر ما تحتاج إليه على أبلغ ما يكون فأقمه له. »

قال : « نعم يا أمير المؤمنين. »

قال : « ما معنى نعم، قم الساعة يا وصيف ومُر كاتبك أن يواقفه ^(١) على جميع ما يحتاج إليه حتى تُزيح عِلته. »
فقام أحمد ووصيف حتى خرج فما أفلح ^(٢).

وكتب المنتصر [348] كتاباً إلى محمد بن عبيد الله بن طاهر وكان ببغداد منصرفاً من الحج يُعرفه فيه إغزاه وصيفاً ويعلمه أنه خارج إلى ثغر ملطية للنصف من حزيران ويأمره أن يكاتب عماله في نواحي عمله، ليقراً كتاب أمير المؤمنين على من قبلهم ويحثهم على الجهاد ويستفزهم ويلحقهم به في الوقت المحدود.

ثم كُتب عن المنتصر كتاب إلى وصيف يأمره بالمقام ببلد الثغر أربع سنين يغزو في أوقات إلى أن يأتيه رأى أمير المؤمنين.

خلع المعتز والمؤيد أنفسهما

وفى هذه السنة خلع المعتز والمؤيد أنفسهما وأظهرا ذلك.

١. في الطبري (١٤٨١:١٢) : أن يواقفه.

٢. في الطبري (١٤٨١:١٢) : فما أفلح ولا أنجح.

ذكر سبب خلعهما

لَمَّا اسْتَقَامَت الْأُمُور لِلْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ لِبُغَا :
 - «إِنَّا لَا نَأْمَنُ الْحَدَثَانِ، وَأَنْ يَمُوتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُلَى الْأَمْرَ الْمُعْتَزُّ فَلَا
 يَبْقَى مِنَّا بَاقِيَةٌ. وَالرَّأْيُ أَنْ نَعْمَلَ فِي خَلْعِ هَذَيْنِ الْغَلَامِينَ قَبْلَ أَنْ يَظْفِرَا بِنَا.»
 فَجَدَّ الْأَتْرَاكُ فِي ذَلِكَ وَأَلْحَوْا عَلَى الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ وَقَالُوا :
 - «نَخْلَعُ هَذَيْنِ وَنَبَايِعُ لَابْنِكَ عَبْدَ الْوَهَّابِ.»
 وَكَانَ مَكْرَمًا لِلْمُؤَيَّدِ وَالْمُعْتَزِّ. فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَحْضَرَهُمَا الدَّارَ، وَذَلِكَ
 بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ وِلَايَتِهِ. فَلَمَّا حَصَلَ فِي [349] دَارٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الدَّارِ قَالَ
 الْمُعْتَزُّ لِلْمُؤَيَّدِ :

- «يَا أَخِي لِمَ أَحْضَرْنَا ؟»

قَالَ : «يَا شَقِيًّا لِلْخَلْعِ.»

فَقَالَ : «لَا أَظُنُّهُ يَفْعَلُ بِنَا ذَلِكَ.»

فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرِّسَالُ بِالْخَلْعِ.

فَقَالَ الْمُؤَيَّدُ :

- «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ.»

وَقَالَ الْمُعْتَزُّ كَرِهِيَّتِهِ كَمَا يَتَوَصَّلُونَ بِهِ :

- «مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ. فَإِنْ أُرِدْتُمْ قَتْلِي فَشَأْنُكُمْ.»

فَرَجَعُوا إِلَيْهِ فَأَخْبَرُوهُ. ثُمَّ عَادُوا بِغِلْظَةٍ شَدِيدَةٍ وَأَخَذُوا الْمُعْتَزَّ بِعُنْفٍ

وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتٍ فَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُمُ الْمُؤَيَّدُ بِجَرَأَةٍ وَاسْتِطَالَةٍ :

- «مَا هَذَا يَا كَلَابَ قَدْ ضَرَيْتُمْ عَلَيَّ دِمَائِنَا، تَتَّبُونَ عَلَيَّ مَوَالِيَكُمْ هَذَا

الْوُثُوبُ، اغْرَبُوا قَبْحَكُمْ اللَّهُ، دَعُونِي حَتَّى أَكَلِمَهُ.»

فَكَاعُوا عَنْ جَوَابِهِ، ثُمَّ قَالُوا :

- «إِلَهَ إِنْ أَحْبَبْتَ.» - فَيُظَنُّ أَنَّهُمْ اسْتَأْمَرُوهُ لِأَنَّهُمْ أَقَامُوا سَاعَةً ثُمَّ أَذْنُوا لَهُ .
فَقَامَ إِلَيْهِ .

قال المؤيد : فوجدته يبكي فقلت :

- «يا جاهل، تراهم قد نالوا من أبيك ما نالوا ثم تمتنع^(١) إخلع ويلك.»

فقال : «سبحان الله أمر قد طار في الآفاق ووُثِقَ منه. أخلعه؟»

قلت : «هذا قد قتل أباك وسيقتلك، فاخلعه وعش. فوالله لئن كان في

سابق علم الله أن تلي لتلين.»

قال : «أفعل.»

فخرجت وقلت :

- «قد أجاب.»

فمضوا وعادوا فجزّوني خيراً. ودخل معهم كاتب ومعه دواة وقرطاس.

فجلس ثم أقبل على أبي عبد الله [350] المعترّ، فقال :

- «اكتب بخطك.»

فتلكأ، فقال المؤيد للكاتب :

- «هات قرطاسك، أملل ما شئت.»

فأملّ عليه كتاباً للمنتصر يعلمه فيه ضعفه عن هذا الأمر، وأنه قد علم أنه

لا يحلّ له تقلّده، ويكره أن يأثم المتوكّل بسببه، إذ لم يكن موضعاً له

ويقول : «إني قد خلعت نفسي وأحللت الناس من بيعتي.»

ثم قال المؤيد :

- «اكتب يا أبا عبد الله.»

فكتب وخرج الكاتب.

١. وزاد في الطبري (١٢: ١٤٨٧) : عليهم.

قال المؤيد: ثم دعا بنا، فدخلنا عليه وهو في مجلسه والناس على مراتبهم، فسلمنا فردّ علينا وأمر بالجلوس ثم قال:

- «هذا كتابكما.»

فبدرت وقلت:

- «نعم يا أمير المؤمنين هذا كتابي بمسألتى ورغبتى.»

وقلت للمعتز:

- «تكلم.»

فقال مثل ذلك. فأقبل علينا والأترار وقوف، فقال:

- «أتراني خلعتكما طمعاً في أن أعيش ويكبر ولدى وأصير الخلافة إليه؟ والله ما طمعت في ذلك قطّ وإذا لم يكن لي في ذلك طمع فوالله لأن يلي بنو أبي أحبّ إليّ من أن يليها بنو عمي ولكن هؤلاء - وأوماً إلى سائر الموالى ممن هو قائم وقاعد - ألحوا عليّ في خلعتكما فخفت إن لم أفعل أن يعترضكما بعضهم بحديدة. فما ترياني صانعاً؟ أقتله فوالله ما تفي دماؤهم كلّهم بدم بعضكم فإنّ إجابتهم إلى ما سألوا [351] أسهل عليّ.»

فأكبنا على يده فقبّلاها وضجها إليه، ثم انصرفا.

وكتب بنسخة خلعهما وبما أنشئ عن المنتصر بالله في ذلك كتب إلى العمال في الآفاق تحقيقاً كما يترجم علوم ردي

وفي هذه السنة توفي المنتصر بالله.

ذكر وفاة المنتصر وسرعة الإزالة منه

قد اختلف الناس في وفاته. فقال قوم أصابته الذبحة. وقال آخرون أصابه ورم في معدته وقال آخرون فُصد بمبضع مسموم وأنّ طبيبه لمّا فصده دهش

فلم يُمَيِّز^(١) مبضعه المسموم. ثمَّ اعتلَّ هو فقصده تلميذه به فمات. وقيل
وُجد علّة في رأسه فقطر طبيبه ابن طيفور في أذنه دهناً، فورم رأسه فعولج
فمات.

ولم يزل الناس منذ ولى الخلافة وإلى أن مات يقولون :
إنما مدّة حياته ستة أشهر مدّة شيروية بن كسرى قاتل أبيه. « مستفيضاً
ذلك على السن العامة والخاصّة.

وكان المنتصر استفتى في قتل أبيه الفقهاء من غير أن يُسمّيه، وحكى
أموراً قبيحة لا تُكتب في كتاب^(٢)، فأفتوا بقتله.
فلما قتله رآه في النوم وكأنّه يقول :

- «ويلك يا محمد، قتلتنى وظلمتنى، والله لا تمتعت بالخلافة إلّا أياماً
يسيرة، ثمّ مصيرك إلى النار.»

فانتبه وهو لا [352] يملك عينه ولا جزعه، فكان يُسلّى ويقال له :

- «هذا استشعار وهو حديث النفس.»

فلا يسلو، وما زال منكسراً إلى أن توفى.

ولما اشتدّت علّته خرجت العامّة فسألته عن حاله، فقال :

- «ذهبت والله منى الدنيا والآخرة.»

وتوفى وهو ابن خمس وعشرين سنة وستّة أشهر. فكانت خلافته ستّة
أشهر.

وكان أعين قصيراً جيّد البضعة، وكان مهيباً. وطلبت أمّه أن يُظهر قبره.
فهو أوّل خليفة من بنى العباس عُرف قبره، وكنيته أبو جعفر.
ومن طريف ما اتفق عليه أنّ محمد بن هارون كاتب محمد بن على برد

١. انظر الطبرى (١٢: ١٤٩٦).

٢. انظر الطبرى (١٢: ١٤٩٦)، حيث استقبحت ولم تُذكر تلك الأمور.

الخبّاز^(١)، وخليفته على ديوان ضياع إبراهيم المؤيد أصيب مقتولاً على فراشه، به عدّة ضربات بالسيف. أحضر ولده خادماً أسود كان له، ووصيفاً. فأقرّ الوصيف على الأسود فأدخل إلى المنتصر وأحضر قاضي القضاة وهو يومئذ جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، فسئل الأسود عن قتله فأقرّ ووصف فعله به وسبب قتله إيّاه. فقال له المنتصر:

«ويلك لِمَ قتلته؟»

فقال له الأسود:

«كما قتلت أنت أباك المتوكل.»

فتقدّم بضرب عنقه عند خشبة بابك.

وفي هذه السنة تحرّك يعقوب الصفار من سجستان [353] فصار إلى هراة.



مركز تحقيقات کاپیتول اسلام

١. الكلمتان مهملتان في الأصل، فأعجمناهما حسب ما في ن (٥٦١) وفيها: بن برد الخبّاز. في الطبري (١٤٩٩: ١٢) برد الخبار. وفي حواشيه تصحيقات متناقضة.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة أبي العباس المستعين

وفيها بُويع أحمد بن محمد بن المعتصم.

ذكر السبب في بيعة المستعين

والعدول عن وَلَدِ المتوكل

لَمَّا تَوَفَّى المنتصر اجتمع الموالي وفيهم بغا الكبير وبغا الصغير وأوتامش ومن معهم. فاستحلفوا جميع القواد على أن يرضوا بمن رضى به بغا الكبير وبغا الصغير وأوتامش، وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب. فحلفوا كلهم وتشاوروا بينهم وكرهوا أن يتولَّى الخلافة أحد من ولد المتوكل، لقتلهم المتوكل وخوفهم أن يغتالهم من يتولَّى الخلافة منهم. فأجمع أحمد بن الخصيب ومن حضر من الموالي على أحمد بن محمد بن المعتصم وقالوا:

« لا نُخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم. »

فبايعوه وله ثمان عشرة سنة، ويُكنى أبا العباس، ولُقِّب: المستعين بالله. فاستكتب أحمد بن الخصيب^(١) واستوزر أوتامش.

١. في مط: الخصيب (بالضاد المعجمة).

فلما صار إلى دار العامة في زى الخلافة وقد صف أصحابه صفين وقام منهم مع وجوه أصحابه وحضر الدار ولد المتوكل والعباسيون والطالبيون وأصحاب المراتب، إذا صيحة من ناحية الشارع وجماعة من الفرسان، ذكر أنهم من أصحاب أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر، [354] وفيهم فرسان من الطبرية وأخلاط من الناس والغوغاء والسوقة، قد شهروا السلاح وصاحوا:

- «معتز يا منصور»-

وشدوا فتضعضوا^(١) وانضم بعضهم إلى بعض. ثم حملوا عليهم ونشبت الحرب بينهم، وأقبلت المعتزية والغوغاء يكثرون، فوقع بينهم قتلى، ثم تحاجزوا.

وخرج المستعين - وقد بايعه من حضر الدار من أصحاب المراتب - إلى الهاروني ودخل الغوغاء والمنتبهة دار العامة، فانتهبوا الخزانة التي فيها السلاح والدروع والسيوف الثغرية والتراس الخيزران، ثم جاءهم جماعة من الأتراك فيهم بغا الصغير فأجلوهم من الخزانة وقتلوا منهم عدة وخرج العامة والغوغاء وكان لا يمر بهم أحد من الأتراك يريد باب العامة إلا انتهبوا سلاحه وقتلوا جماعة منهم.

وكان عامة من انتهب أصحاب الناطف والفقاع وأصحاب الحمائم وغوغاء الأسواق.

ثم وضع العطاء في ذلك اليوم الذي بويع فيه وبُعث بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، فبعث إلى الهاشميين والقواد والجند ووضع الأرزاق.

١. في مط: فطعطوا. آ توافق الأصل. ما في تد بالصادين المهملتين.

وورد في هذه السنة نعي طاهر بن عبد الله [355] بخراسان في رجب، فعقد المستعين لابنه أبي عبد الله محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر علي خراسان، وعقد لمحمد بن عبد الله بن طاهر عمه علي العراق وجعل إليه الحرس والشرطة ومعاون السواد برأسه وأفرده به. وفيها مات بغا الكبير فعقد المستعين لابنه علي أعمال أبيه كلها واسمه موسى.

وفيها ابتاع المستعين من المعتز والمؤيد جميع مالهما من الدور والمنازل والقصور والفرش والآلة وغير ذلك من الضياع والعقار وأشهد عليهما القضاة والعدول ووجوه الهاشميين، وترك لأبي عبد الله المعتز قيمة عشرين ألف دينار، ولإبراهيم المؤيد ما قيمته خمسة آلاف دينار وذلك في السنة الواحدة. فكان ما ابتيع من أبي عبد الله بعشرة آلاف ألف^(١) دينار وعشر حبات لؤلؤ، ومن إبراهيم بثلاثة آلاف ألف دينار وثلاث حبات لؤلؤ. وكان الشراء باسم الحسن بن مخلد للمستعين. ووكل بهما وجعل أمرهما إلى بغا الصغير، وكان الأتراك قد أرادوا حين شغب الشاكرية والغوغاء قتلهما، فمنعهم أحمد بن الخصيب وقال: ليس لهما ذنب.

وفيها غضب الموالى علي أحمد بن الخصيب فاستُصفي ماله ومال [356] ولده ونُفي إلى أقرطش، وصيّر المستعين شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمه وخزائنه وخاصّ أموره، وقدمه أوتامش على جميع الناس.

١. كذا في الأصل والطبري (١٥٠٧:١٢): آلاف ألف. وكذلك ما بعده. في تد (٥٦٤ - ٥٦٣): آلاف. وكذلك ما بعده.

ودخلت سنة تسع وأربعين ومائتين
وفيهما شغب الجند والشاكرية
ذكر السبب في شغبهم

كان السبب في ذلك أن جعفر بن دينار كان غزا الصائفة، فاستأذنه عمر بن عبید الله الأقطع في المصير إلى ناحية من الروم ومعه خلق كثير من الروم نحو مائة ألف. فقتل عمر ومن معه من المسلمين وبلغ خبر مقتله على بن يحيى الأرمني وسمع بما جرى على حرم المسلمين من الروم واستكلاهم على الثغور الخزرية بعد عمر فنفر إليهم مع جماعة من أهل ميافارقين، فقتل أيضاً في جماعة من المسلمين.

فلما اتصل خبرهما بأهل مدينة السلام وسر من رأى وسائر مدن الإسلام، فعظم عليهم مقتل هذين وهما نابان من أنياب المسلمين، شديد بأسهما عظيم نكايتهما وغناؤهما في الثغور. فشق على الناس ذلك [357] وعظم في الصدور وانضاف إلى ذلك ما لحقهم من الأتراك وفي قتلهم المتوكل واستيلائهم على أمور المسلمين وقتلهم من أرادوا قتله من الخلفاء واستخلافهم من أحبوا استخلافه من غير رجوع منهم إلى ديانة ولا نظر للمسلمين.

فأجمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير، وانضمت إليها الأبناء والشاكرية. تظهر أنها تطلب الأرزاق. ففتحوا السجون وأخرجوا رفوع^(١) خراسان والصعاليك من أهل الجبال والمحمرة وغيرهم، وقطعوا أحد الجسرين وضربوا الآخر بالنار، وانتهبت الدواوين وقطعت الدفاتر وألقيت في

١. ما في الأصل: رفوع (بالعين المهملة). في تد (٥٦٥) والطبري (١٢: ١٥١٠): رفوع. الرفع: سعة العيش وطيبه.

الماء وانتهب عدّة دور. ثمّ أخرج أهل اليسار من أهل بغداد وسرّ من رأى أموالاً كثيرة من أموالهم. ففوّوا من خفّ للنهوض إلى الثغور لحرب الروم، وأقبل الناس من كلّ ناحية من نواحي الجبل وفارس والأهواز وغيرها ولم يكن من السلطان فيه معونة ولا نكير^(١) على الروم.

ووثب العامّة بسرّ من رأى على أصحاب السجون فأخرجوا من فيها فأركب زرافة ووصيف وأوتامش فوثبت العامّة بهم فهزمتهم وألقى على وصيف [358] قدر مطبوخة فأمر وصيف النفاطين فرموا ما قرب من ذلك الموضع من حوانيت التجار ومنازل الناس بالنار فاحترق ذلك كلّه وقُتل من العامّة خلق وانتهبت دور جماعة منهم.

وفى هذه السنة قتل أوتامش وكاتبه شجاع ذكر السبب فى قتلها

لما أفضت الخلافة إلى المستعين أطلق يد أوتامش وشاهك الخادم فى بيوت الأموال وأباحهما إياها. وفعل ذلك أيضاً بأمّ نفسه. فكانت الأموال التى ترد على السلطان من الآفاق إنما تصير إلى هؤلاء. فأما أوتامش فإنه عمد إلى ما فى بيوت الأموال فاكتسحه. وكان المستعين جعل ابنه العباس فى حجر أوتامش وكان وصيف وبغا من ذلك بمعزل. فأغريا الموالى به ولم يزالا يدبران الأمر عليه حتّى أحكما التدبير. فتذمّرت الأتراك والفراغنة على أوتامش وخرج إليه أهل الدور والكرخ إلى المعسكر، ثمّ زحفوا إليه وهو فى الجوسق مع المستعين، فأراد الهرب فلم يمكنه واستجار بالمستعين فلم يُجره. فأقاموا على ذلك يومى [359]

١. كذا فى الأصل وآ: نكير. فى تد (٦٥٤): نكبر. فى الطبرى (١٢: ١٥١١): تغيير. وفى حواشيه: تغير.

الخميس والجمعة.

فلما كان يوم السبت دخلوا الجوسق فاستخرجوا أوتامش من الموضع الذي توارى فيه فقتل وقتل كاتبه شجاع بن القاسم وانتهبت دورهم فأخذ منها أموال جليلة ومتاع وفرش وآنية.

فلما قُتل أوتامش استوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد، وعُزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج ووليه عيسى بن فرُّخانشاه ثم غضب بغا الصغير على أبي صالح ابن يزداد فهرب أبو صالح إلى بغداد، وصير المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجرائي^(١).

ودخلت سنة خمسين ومائتين

ظهور يحيى بن عمر في الكوفة وقتله فيها

وفيهما ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المكنى بأبي الحسين بالكوفة وقتل فيها^(٢).

ذكر السبب في خروجه

كان السبب في ذلك أن أبا الحسين يحيى بن عمر نالته ضيقة شديدة، ولزمه دين ضاق به ذرعاً. فلقى عمر بن فرج وهو يتولى أمر الطالبين عند مقدمه من خراسان [360] وكلمه في صليته. فأغلظ له عمر في القول. فقذفه يحيى في مجلسه فحبس فلم يزل محبوساً إلى أن كفل به أهله فأطلق. ثم صار إلى سُرٍّ من رأى فلقى وصيفاً في رزقٍ يجري له. فأغلظ له وصيف في

١. كذا في الأصل وآ وتد (٥٦٦) والطبري (١٢: ١٥١٤): الجرجرائي. في مط: الجرجاني.

٢. انظر الطبري (١٢: ١٥١٥).

الرد، وقال :

- «لأى شىء يُجرى على مثلك.»

فانصرف عنه.

فذكر الصوفى الطالبى أنه أتاه فى الليلة التى خرج فى صبيحتها، فبات عنده ولم يعلمه بشىء مما عزم عليه، وأنه عرض عليه الطعام وتبين فيه أنه جائع، فأبى أن يأكل، وقال :

- «إن عشنا أكلنا.»

قال : فتبينت أنه قد عزم على فتك^١. وخرج من عندى فجعل وجهه إلى الكوفة، وجمع جمعاً كثيراً من الأعراب وأهل الكوفة وأتى الفلوجة فصار إلى قرية تُعرف بالعمد. فكتب صاحب الخبر يخبره،

فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عامله على معاون السواد وهو عبد الله بن محمود السرخسى وإلى عامل الكوفة وهو أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان، فأمرهما بالاجتماع على محاربته.

فمضى يحيى بن عمر فى تسعة نفر من الفرسان إلى الكوفة فدخلها وصار إلى بيت مالها، فأخذ ما فيه وبه سبعون ألفاً وألفاً ديناراً، وأظهر أمره بالكوفة [361] وفتح السجون وأخرج عمال السلطان عنها. فلقبه عبد الله بن محمود [وكان] فى عداد^(١) من الشاكريّة، فضربه يحيى على وجهه ضربة أثخنه. فانهزم ابن محمود مع أصحابه وحوى يحيى ما كان مع ابن محمود من الدواب والمال.

ثم خرج يحيى من الكوفة إلى سوادها ولم يبق بالكوفة ولحقه جماعة من الزيدية وأعراب أهل الطفوف والسيب إلى ظهر واسط، وكثر جمعه. ووجه

١. كذا فى الأصل وآ ومط والطبرى (١٢: ١٥١٧) : عداد. فى تد (٥٦٧) : عباد.

محمد بن عبد الله بن طاهر الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب وضم إليه من ذوى البأس والنجدة من قواده جماعة، وشخص الحسين بن إسماعيل فنزل بإزاء يحيى بن عمر لا يقدم عليه.

فمضى يحيى بن عمر فى شرقى السيب والحسين فى غربيه حتى عبر إلى ناحية سورا، وسار حتى قرب من جسر الكوفة، فلقه عبد الرحيم بن الخطّاب وجه الفلس، فقاتله قتالاً شديداً وانهزم وجه الفلس، فصار إلى ناحية شاهى ووافاه الحسين بن إسماعيل فعسكر بها.

ودخل يحيى بن عمر الكوفة واجتمعت إليه الزيدية وكثف أمره واجتمعت إليه جماعة من الناس وأحبّوه وتولّاه العامة من أهل بغداد خاصّة، ولا نعلم أنهم تولّوا من أهل [362] بيته غيره، وتدبّر الناس فى تشييعهم. وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهى واستراح وأراح أصحابه دوابهم واتصلت بهم الميرة والأمداد والأموال.

وأقام يحيى بالكوفة يعدّ العدد ويطلع السيوف ويجمع السلاح. فاجتمع عامة من الزيدية ممّن لا علم لهم بالحرب وأشاروا على يحيى بن عمر بمعالجة الحسين وألحّت عليه عوام أصحابه بمثل ذلك، فزحف إليه من ظهر الكوفة من وراء الخندق ومعه الهيزم العجلى فى فرسان بنى عجل وأناس من بنى أسد ورجالة من أهل الكوفة ليسوا بذوى علم ولا شجاعة ولا تدبير،

فصبّحوا الحسين وأصحابه وأصحاب الحسين مستريحون مستعدّون. فثاروا إليهم وذلك فى الفلس، فرموا ساعة ثمّ حمل عليهم فرسان الحسين، فانهزموا، ووُضع فيهم السيف. فكان أوّل أسير الهيزم بن العلاء بن جمهور العجلى، وانهزم رجالة أهل الكوفة وأكثرهم عراة بغير سلاح ضعفاء القوى خلجان الثياب فداستهم الخيل وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر وقد تقطّر

به البرذون الذي أخذه من عبد الله بن محمود وعليه [363] جوشن تبتى. فوقف عليه ابنان لخالد بن عمران ولم يعرفه أحدهما وظن أنه خراساني لأجل الجوشن فقال له الآخر :

« يا أخى هذا والله أبو الحسين قد انفرج قلبه وهو نازل ما يعرف القصة لانفراج قلبه. »

فأمرا رجلاً من أصحابهما فنزل إليه وأخذ رأسه وادّعى قتله جماعة، وحمل رأسه إلى دار محمد بن عبد الله وقد تغير. فطلبوا من يقور رأسه ويخرج الحدقه والغصمة. فلم يقدروا عليه، وهرب الجزّارون وطلب ممن فى السجن من الخرمية الذبّاحين من يفعل ذلك، فلم يقدم عليه أحد إلا رجل من عمّال السجن الجديد^(١) فإنه جاء فتولّى إخراج دماغه وعينه وقوره وحشى بالصبر والكافور.

ثم أمر بحمل الرأس إلى المستعين وكتب اليه بيده بالفتح ونُصب رأسه بباب العامة بسرّ من رأى. فاجتمع الناس وتذمّروا فحطّ ورُدّ إلى بغداد ليُنصب هناك، فلم يتهياً ذلك. وذكر لمحمد أن الناس قد كثروا واجتمعوا على أخذه فلم ينصبه.

فحكى بعض الطاهريين أنه حضر مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر وهو يهتئ بقتل يحيى وبالفتح وعنده جماعة الهاشميين من [364] العباسيين والطالبيين وغيرهم من الوجوه. فدخل عليه أبو هاشم داود بن الهيثم الجعفرى فسمعهم يهتئون، فقال :

« أيها الأمير، إنك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله، صلى الله عليه، حياً لغزى به. »

١. فى الأصل : الحديد. فأثبتناه كما فى تد (٥٦٦) والطبرى (١٥٢١).

فما ردّ عليه محمد شيئاً فحلّم عنه. فخرج وهو يقول :

يا بَنِي طَاهِرٍ كُلُّوهُ وَبَيِّأْ إِنَّ لَحْمَ النَّبِيِّ غَيْرُ مَرِيٍّ

وكان المستعين قد وجّه كلباتكين التركى مدداً للحسين ومستظهيراً به، فلحق حسيناً بعد أن انهزم القوم وقتل يحيى بن عمر ولحق في طريقه قوماً معهم الأسواق والأطعمة يريدون عسكر يحيى. فوضع فيهم السيف فقتلهم ودخل الكوفة وأراد أن ينهبها ويضع السيف في أهلها، فمنعه من ذلك الحسين وآمن الأسود والأبيض بها وأقام إيماناً حتى آمن الناس ثم انصرف عنها.

خروج الحسن بن زيد

وفي هذه السنة كان خروج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام^(١).

ذكر السبب في خروجه [365]

كان سبب ذلك أن محمد بن طاهر لما جرى على يده ما جرى من قتل يحيى بن عمر ودخول أصحابه الكوفة، أقطعه المستعين من صوافى السلطان بطبرستان قطائع، وكان فيها قطيعة تقرب من ثغرى طبرستان ما يلي الديلم وهما كلار^(٢) وشالوس وكان بحذاءها أرض لأهل تلك الناحية فيها مرافق

١. انظر الطبرى (١٢: ١٥٢٣).

٢. فى الأصل: كلان. وهو تصنيف «كلار» كما فى تد (٥٧١) والطبرى (١٢: ١٥٢٤). وكذلك فى المواضع الآتية.

محتطبهم ومراعى مواشيهم ومسرح سارحتهم ليس لأحدٍ عليها ملك وإنما هي صحراء من موتان الأرض، غير أنها غياض وأشجار وكلاً. وكان وجه محمد بن عبد الله بن طاهر أخاً لكاتبه بشر بن هارون النصراني يقال له: جابر، لحيازة ما أقطع هناك، وعامل طبرستان سليمان بن عبد الله خليفة محمد بن طاهر بن عبد الله ابن أخى محمد بن عبد الله بن طاهر والمستولى على سليمان بن عبد الله والغالب على أمره محمد بن أوس البلخي، وقد فرّق محمد بن أوس ولده في مدن طبرستان وجعلهم ولايتها وهم أحداث سفهاء. فتأذى بهم الرعيّة وأنكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبد الله سيرهم وسوء أثرهم فيهم، ووتر مع ذلك محمد بن أوس الديلم بدخوله إليهم من حدود طبرستان وهم أهل سلم وموادة [366] على اغترار من الديلم، فأغار عليهم وسبى منهم وقتل فكان ذلك ممّا زاد أهل طبرستان عليه حنقاً وغيظاً.

فلما صار النصراني إلى طبرستان لحيازة ما أقطع صاحبه محمد حاز أيضاً ما اتصل به من موات الأرض الذي يرتفق به أهل تلك الناحية، وكان يقرب ثغرين كما ذكرت، وكان بتلك الناحية يومئذٍ رجلان معروفان بالشجاعة والرأى المذكوران قديماً بضبط تلك الناحية ممّن رامها من الديلم، وبإطعام الناس والإحسان إلى من يرضى إليهما يقال له: محمد وجعفر ابنا رستم، فأنكرا ما فعل جابر من حيازة الموات الذي ذكرت وقطع مرافق الناس منه. وكان ابنا رستم مطاعين، فاستنهما من أطاعهما وقصدا جابراً ليمنعاه، فهرب جابر ولحق بسليمان بن عبد الله بن طاهر وأيقن محمد وجعفر ابنا رستم في منعهما جابراً ممّا حاوله بالشر وذلك أنّ عامل طبرستان كلّها سليمان بن عبد الله بن طاهر وهو أخو محمد بن عبد الله وعمّ محمد بن طاهر بن عبد الله وإلى خراسان والريّ والمشرق. فلما أيقنا بالشرّ راسلاً

الديلم وذكّراهم [367] وفاءهما لهم بالعهد الذى بينهم وما ركبهم به محمد بن أوس من الغدر والقتل والسبى وأنهم لا يأمنون عودته ويسألانهم مظاهرتهما عليه وعلى من معه.

فأعلمهم الديلم أنّ ما يلى أرضهم من جميع نواحيها من الأرضين هم عمّال آل طاهر والسلطان الأعظم وأنّ ما سألوا من معاونتهم لا سبيل إليه إلا بزوال الخوف عنهم من أن يؤتوا من قبل ظهورهم إذا هم اشتغلوا بحرب من بين أيديهم من عمّال سليمان بن عبد الله، فأعلماهم أنّهما لا يفتلان عن كفايتهم ذلك حتّى يأمنوا ما خافوه. فأجابهم الديلم إلى ما سألوه وتعاقدوا وأهل كلار وشالوس على حرب من قصدهم. ثمّ أرسل ابنا رستم إلى رجل من الطالبيين المقيمين يومئذ بطبرستان يقال له: محمد بن إبراهيم، يدعونه إلى البيعة له، فأبى وقال لهم:

«أنا لا أجيب إلى ما سألتهم، ولكنى أدلكم على رجل منا هو أقوم بما دعوتمنى إليه.»

فقالوا: «من هو؟»

فأخبرهم أنّه الحسن بن زيد، ودلّهم على منزله بالرى. فوجّه القوم إلى الرى برسالتهم ورسالة العلوىّ محمد بن إبراهيم، يدعونه إلى الشخوص إلى طبرستان [368] فشيخص إليهم الحسن بن زيد وقد صارت كلمة الديلم وأهل كلار وشالوس والرويان على بيعة واحدة فلمّا وافاهم بايعه ابنا رستم وجماعة أهل الثغرين ورؤساء الديلم كجايا والاشلام^(١) ووهسوزان بن جستان.

ثمّ ناهضوا من فى تلك النواحي من عمّال ابن أوس فطردوهم عنها

١. كذا فى الأصل: لجايا والاشلام. فى تد (٥٧٢): كجاياق الاسلام. فى الطبرى (١٢: ١٥٢٨): كجايا ولا شام.

فلحقوا بابن أوس وسليمان بن عبد الله وهما بمدينة سارية، وانضوى إلى الحسن بن زيد مع مَنْ بايعه لَمَّا بلغهم ظهوره كلٌّ من بجبال طبرستان، كلّها إلّا سَكَّانَ جبل فریم، فإنّ ملكهم قارن بن شهریار كان ممتنعاً بجبله وأصحابه، فلم ينقد للحسن بن زيد وقوّاده نحو مدينة آمل وهى أوّل مدينة طبرستان ممّا يلي كلار وسالوس من السفح.

وأقبل ابن أوس من سارية إليها يريد دفعه عنها فالتقى جيشاهما فى بعض نواحي مدينة آمل ونشبت الحرب بينهم وخالف الحسن بن زيد وجماعة معه موضع المعركة إلى ناحية أخرى، فدخلوها واتصل خبرهم بابن أوس وهو مشغول بحرب من هو فى وجهه من رجال الحسن بن [369] زيد. فلم يكن له همّ إلّا النجاء بنفسه واللاحاق بسليمان وسارية.

فلَمَّا دخل الحسن بن زيد آمل كثف جيشه وغلظ أمره وانقضّ إليه كلّ طالب نهبٍ من الصعاليك والحوزيّة وغيرهم. فأقام الحسن بن زيد بآمل أياماً حتّى جبى الخراج واستعدّ.

ثمّ نهض بمن معه نحو سارية مريداً سارية ومن بها من سليمان وابن أوس، فخرجوا بمن معهم والتقى القوم خارج مدينة سارية ونشبت الحرب بينهم، فخالف الوجه الذى التقى فيه الجيشان بعض قوّاد الحسن بن زيد إلى وجه آخر من وجوه سارية فدخلها برجاله، وانتهى الخبر إلى سليمان ومن معه فطاروا على وجوههم ونجوا بأنفسهم وترك سليمان أهله وعياله وثقله وكلّ ما كان له بسارية من مالٍ وأثاث، فلم تكن له عُرْجة دون جرجان، وغلب جند الحسن بن زيد على ما كان له ولغيره.

فأمّا عيال سليمان وأهله وآباؤه فإنّ الحسن أمر لهم بمركبٍ حملهم فيه حتّى ألحقهم بسليمان وهو بجرجان واجتمع للحسن أمره بطبرستان كلّها. ثمّ وجّه الحسن خيلاً مع رجل من أهل بيته يقال له: الحسن بن زيد، إلى

الرىّ فصار إليها وطرد عنها عاملها [370] من قبل الطاهرية واستخلف بها بعض الطالبين وانصرف عنها فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الرىّ إلى حدّ همذان.

فورد الخبر بذلك على المستعين ومدبر أمره وصيف التركى وكاتبه أحمد بن صالح بن شیرزاد. فوجه إسماعيل بن فراشة في جمع كثير إلى همذان وأمره بالمقام بها وضبطها وذلك أنّ ما وراء عمل همذان كان إلى محمد بن طاهر، بن عبد الله بن طاهر وبه عمّاله وإليه إصلاحه.

فلما استقرّ بخليفة الحسن بن زيد القرار بالرىّ واسمه محمد بن جعفر، ظهرت منه أمور كرهها أهل الرىّ. فوجه محمد بن طاهر قائداً من خراسان يقال له: محمد بن ميكال وهو أخو الشاه بن ميكال، في جمع عظيم من الخيل والرجالة إلى الرىّ فالتقى هو ومحمد بن جعفر العلوى. فأسر محمد بن ميكال محمد بن جعفر وفضّ جمعه ودخل الرىّ.

فوجه إليه الحسن بن زيد خيلاً عليها ويجن قائد من قواد أهل الأرز^(١) فخرج إليه محمد بن ميكال فهزمه ويجن والتجأ محمد بن ميكال إلى الرىّ معتصماً، بها فاتبعه ويجن قبل أن يشخص حتى قتله وعادت الرىّ إلى أصحاب الحسن بن زيد. [371]

مركز تحقيق كاتپوزر علوم اسلامی

ودخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين

وفيهما قتل وصيف وبغا الصغير باغر التركى واضطرب الموالى

ذكر السبب في قتله

كان سبب ذلك^(٢) أنّ باغر كان أحد قتلة المتوكّل فزید فی أرزاقه وأقطع

١. في تد (٥٧٤) والطبرى (١٥٣٢: ١٢): اللارز.

٢. انظر الطبرى (١٥٣٥: ١٢).

قطائع. فكان ممّا أقطع ضياع بسواد الكوفة، فتضمن تلك الضياع رجل من دهاقين بازوسما ونهر الملك بألفى دينار. فوقع بين هذا الدهقان وبين رجل بتلك الناحية يقال له ابن مَارِمَة شَرَّ فتناولوه ابن مَارِمَة بمكروه. فحُبِس ابن مَارِمَة وَقِيدَ فَعَمَل حَتَّى تَخْلَص من الحبس وصار إلى شَرٍّ من رأى، فلقى دليل بن يعقوب النصراني وهو يومئذ كاتب بغا الشرايى وصاحب أمره وإليه العسكر يركب إليه القوَّاد والعمَّال، وكان ابن مَارِمَة صديقاً لدليل وكان باغر أحد قوَّاد بُغا فَمَنَعَ دُليل باغر من ظلم أحمد بن مَارِمَة وانتصف له منه فأوغر ذلك بصدر باغر وباين كلَّ واحد من دُليل وباغر صاحبه بذلك السبب.

وكان باغر شجاعاً بطلاً [372] عظيم القدر فى الأتراك يتوقَّاه بُغا وغيره ويخافون شرَّه، فجاء باغر يوم الثلاثاء لأربع بقين من ذى الحِجَّة سنة خمسين ومائتين إلى بُغا وهو فى الحَمَّام وباغر سكران فانتظره حَتَّى خرج من الحَمَّام، ثم دخل إليه فقال له :

- «والله ما لى من قتل دُليل من بُدَّ.»

ثمَّ شتمه. فقال له بُغا :

- «لو أردت قتل ابني فارس ما منعتك منه، فكيف دُليل النصراني، ولكن

أمر الخليفة وأمرى فى يده فتصبر حَتَّى أصيِّر مكانه إنساناً ثمَّ شأنك به.»

ثمَّ وجَّه بُغا إلى دُليل يأمره ألا يركب فاستخفى، وبعث بُغا إلى محمد بن يحيى بن فيروز، وكان ابن فيروز يكتب له قديماً، فجعله مكان دُليل يوهم باغر أنَّه قد عزل دُليلاً فسكن باغر. ثمَّ أصلح بُغا بين باغر ودُليل، وباغر يتهدَّد دُليلاً إذا خلا بأصحابه، ثمَّ تَلَطَّف باغر للمستعين ولزم الخدمة فى الدار وكره المستعين مكانه لجرأته وقتله المتوكِّل. فلمَّا كان نوبة بُغا فى منزله قال المستعين :

- «أى شىء كان إلى إيتاخ من الأعمال؟»

فأخبره وصيف فقال :

- « ينبغي أن تصير هذه الأعمال إلى أبي محمد باغر .»

فقال وصيف :

- « نعم .»

وبلغت القصة دليلاً فركب إلى بُغا وقال له :

- « أنت في بيتك وهم في تدبير عزلك عن جميع أعمالك، وإذا عُزلت فما بقاؤك [373] إلا أن يقتلوك .»

فركب بُغا إلى دار الخليفة في اليوم الذي نوبته في منزله بالعشى فقال لوصيف :

- « أردت أن تحطني عن مرتبتي فتجيء بباجر وتُصيره مكاني، وإنما باغر عبد من عبيدي .»

فقال وصيف :

- « ما أردت ذلك ولا علمت ما أراد الخليفة من ذلك .»

ثم تعاقد وصيف وبُغا على تنحية باغر من الدار وأرجفوا أنه يؤمر ويضم إليه جيش سوى جيشه ويُخلع عليه ويُجلس مجلس بُغا ووصيف وهما سميان الأميرين، وكان قصد المستعين التقرب إليه ليأمن ناحيته فأحسن هو ومن في جنبته^(١) بالشر فجمع إليه الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل مع غيرهم. ثم ناظرهم ووكد البيعة عليهم كما كان وكدها في قتل المتوكل. ثم قال :

- « الزموا الدار حتى نقتل المستعين وبُغا ووصيفاً ونجىء بمن نقعده خليفة ليكون الأمر لنا كما هو لهذين اللذين قد استوليا على الدنيا وبقينا نحن في

١. كذا في الأصل وآ وتد (٥٧٦) : في جنبته . في الطبري (١٢: ١٥٣٧) : في ناحيته .

غير شئ».

فبعث إلى المستعين ووصيف فقال لهما :

- «إني ما طلبت إليكما أن تجعلاني خليفة وإنما فعلتما أنتما ذلك وأصحابكما ثم تريدون أن تقتلوني؟»
فحلفا أنهما ما علما بذلك.

فيقال : إن امرأة مطلقة لباغر بعثت إلى المستعين [374] وبُغا بما عزم عليه باغر وبكر دليل إلى بُغا، ووصيف حاضر منزل بُغا مع كاتبه، فاتفق رأيهم على أخذ باغر وتفسير من الأتراك معه وحبسهم حتى يروا رأيهم. فأحضر باغر فأقبل في عدة.

فلما دخل دار بُغا منع من الوصول إلى وصيف وبُغا وعدل به إلى حمام فحبس فيه ودعى له بقيد فامتنع عليهم. وبلغ ذلك الأتراك ووثبوا على إصطبل السلطان فأخذوا ما فيه من الدواب وانتهبوها وركبوا وحضروا الجوسق بالسلاح. فلما أمسوا بعث بُغا ووصيف إلى باغر بجماعة وشدخوه بالطبرزيات حتى برد وعملوا على أن يرموا برأسه إليهم إن أقاموا على الشغب.

فلما انتهى قتله إلى الأتراك أقاموا على ما هم عليه وأبوا أن ينصرفوا واجتمع رأي المستعين ووصيف وبُغا وشاهك على أن ينحدروا إلى بغداد ففعلوا ذلك وانكسر الأتراك لذلك وأظهروا الندم.

ثم صاروا إلى دار دليل بن يعقوب ودور أهل بيته وانتهبوها ونقضوها ثم منعوا من الإنحذار إلى بغداد من هم بذلك، وأخذوا ملاحاً قد أكرى سفينته فصلبوه على دقل سفينته، [375] فامتنع الملاحون من الإنحذار بعده.

واجتمع من كان من الجند والأتراك بسر من رأى على المعتر فبايعوه

وأقام من كان ببغداد على الوفاء للمستعين. (١)

ذكر الفتنة التي وقعت بين الأتراك

وأهل بغداد وما انتهى إليه

لما انحدر المستعين وبُغا ووصيف وشاهك وأحمد بن صالح بن شيرزاد إلى بغداد نزل المستعين على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره. ثم وافى بغداد القوّاد سوى جعفر بن دينار وسليمان بن يحيى بن معاذ مع جلة الكتاب والعمّال وبنى هاشم. ووافى أيضاً قوّاد الأتراك الذين في ناحية وصيف وبُغا.

وكانت رسل وصيف وبُغا تتردد إلى سرّ من رأى باستدعاء من بها وإصلاح نياتهم وكان كلّ من يرد بغداد يؤمر أن ينزل الجزيرة التي حيال دار محمد بن عبد الله بن طاهر وألا يصيروا إلى الجسر فيُرعبوا العامة، فإذا اجتمعوا وجّه إليهم زواريق حتّى يعبروا فيها.

فلما دخل الأتراك الواردون من سرّ من رأى إلى المستعين رموا بأنفسهم بين يديه وخلعوا مناطقهم من أوساطهم تذلاً وخضوعاً وكلموا المستعين وسألوه الصّفح عنهم فقال لهم :

- «أنتم أهل يَغْي وبَطَر [376] واستقلال للنعم. ألم ترفعوا إلىّ في أولادكم فألحقتم بكم، وهم نحو من ألفي غلام، وفي بناتكم فأمرت باجرائهن مجرى المتزوجات وهنّ نحو من أربعة آلاف صبيّة، سوى المدركين، وأدررت عليكم الأرزاق حتّى سبكت لكم آنية الذهب والفضّة، ومنعت نفسي شهواتها ولذاتها، كلّ ذلك طلباً لرضاكم وصلاحكم وأنتم تزدادون بغياً وفساداً وتهديداً

وإبعاداً.»

فتضرعوا وقالوا:

- «أمير المؤمنين صادق وقد أخطأنا ونحن الآن نسأله العفو.»

فقال المستعين:

- «قد عفوت عنكم.»

فقال له بايكباك^(١):

- «فإن كنت رضيت عنا وصفحنا، فقم معنا إلى سُر من رأى، فإن

الأتراك ينتظرونك.»

فأوماً محمد بن عبد الله إلى محمد بن أبي عون، فلكز في حلق بايكباك

وقال له:

- «هكذا يقال لأمير المؤمنين: قم معنا فاركب؟»

فضحك المستعين وقال:

- «هؤلاء قوم عجم، لا يؤخذون بمعرفة حدود الكلام وأدائه.»

ثم قال لهم المستعين:

- «يصير^(٢) من رأى فأرزاقتهم دائرة عليهم، وأنظر أنا في أمرى

ها هنا.»

فانصرفوا وقد أغضبهم ما كان من محمد بن عبد الله ومضوا إلى سُر من

رأى وحرّضوا الأتراك على مخالفته، واجتمع رأيهم على إتمام البيعة [377]

لأبي عبد الله المعتز فأخرجوه والمؤيد من الحبس فأخذوا من شعرهما،

وكان قد طال، وباعوه وأمر لهم بمال البيعة وكان المستعين خلف بشر من

١. ما في الأصل مهمل، مع احتمال الأخير منه أن يكون لاماً. في تد (٥٧٨): بايكباك. فأثبتناه

حسب ما في الطبري (١٢: ١٥٤٤).

٢. في تد (٥٧٩): يصير. في الطبري (١٢: ١٥٤٥): تصيرون إلى سامراً.

رأى ما كان حُمل من الموصل ومن الشام وهو خمسمائة ألف دينار وفى بيت مال أمّ المستعين قيمة ألفى ألف دينار وفى بيت مال ابن المستعين قيمة ستمائة ألف دينار وكتب نسخة البيعة التى أخذت للمعتز بسر من رأى على النسخة المعروفة.

وأحضر أبو أحمد بن الرشيد محمولاً فى محفة وأمر بالبيعة فامتنع، وقال للمعتز:

- «بل كنت مكرهاً وخفت السيف.»

فقال أبو أحمد:

- «ما علمت أنك أكرهت وقد بايعنا هذا الرجل. أفتريد أن نطلق نسائنا وتخرجنا عن أموالنا ولا ندرى ما يكون أن تركتني على أمرى حتى يجتمع الناس وإلا فهذا السيف.»

فقال المعتز:

- «اتركوه.»

فردّ إلى منزله من غير بيعة.

ولمّا بايع المعتز الأتراك وآلى عمّاله وأصحاب دواوينه، واتصل محمد بن عبد الله خبر البيعة للمعتز وتوجيهه العمال. فأمر بقطع الميرة عن أهل سرّ من رأى وكتب إلى مالك^(١) بن طوق بالمصير إلى بغداد هو ومن معه من [378] أهل بيته وجنده وإلى نجوبة^(٢) بن قيس وهو على الأنبار بالجمع والإحتشاد وإلى سليمان بن عمران الموصلى فى جمع السفن ومنع الميرة أن تنحدر إلى سرّ من رأى ومنع أن يصعد شىء من الميرة من بغداد، وأخذت سفينة فيها أرز وسقط فهرب الملاح وبقيت حتى غرقت.

١. ضبط الأصل: ملك.

٢. كذا فى تد (٥٧٩) والطبرى (١٢: ١٥٥٠): نجوبة. ما فى الأصل: بعونة.

وأمر المستعين محمد بن عبد الله بأن تُحصَّن بغداد فتقدَّم في ذلك فأدير عليها السور من دجلة من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء حتَّى أوردته دجلة، ومن باب قطيعة أم جعفر حتَّى أوردته قصر حميد. ورُتب على كلِّ باب قائداً وجماعة من أصحابه وغير أصحابه، وأمر بحفر الخنادق حول السورين كما يدوران في الجانبين جميعاً ومظلات يأوي إليها الفرسان في الحرِّ والمطر. فبلغت النفقة على السورين والخنادق والمظلات ثلاثمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار،

وجعل على باب الشماسية خمس شذاخات بعرض الطريق فيها العوارض والألواح والمسامير الطوال الظاهرة، وجعل من خارج الباب الثاني باباً معلقاً^(١) بقدر الباب ثخيناً وقد ألبس صفائح الحديد وشدَّ بالحبال كي إن وافى أحد من ذلك الباب أرسل عليه الباب المعلق فقتل من تحته [379] وجعل على الباب الآخر عرَّادة، وعلى الباب الآخر خمسة مجانيق كباراً وفيها واحد كبير سمَّوه: الغضبان، وست عرَّادات يُرمى بها إلى ناحية رقة الشماسية وصيِّر على باب البردان ثمانى عرَّادات في كلِّ ناحية أربع، وأربع شذاخات، وكذلك كلِّ باب من أبواب بغداد في الجانب الشرقي والغربي، ووكلَّ بكلِّ باب قواد برجالهم وجعل لكلِّ باب من أبوابها دهليزاً عليه السقائف يسع مائة فارس ومائة راجل، ولكلِّ منجنيق وعرَّادة رجالاً مرتبين يمدُّون حباله، ورامياً يرمى إذا كان قتال، وفرض فروضاً من قوم من أهل خراسان قدَّموا حجاجاً فسُئلوا المعونة على قتال الأتراك فأعانوا.

وأمر محمد بن عبد الله أن تُفرض من العيارين فروض وأن يجعل عليهم عريف ويُعمل لهم ترأس من البوارى المقيرة وأن تُعمل لهم مخالٍ تملأ

١. في الأصل: معلقاً، في تد (٥٨٠) والطبرى (١٢: ١٥٥١): معلقاً، وهو الصحيح.

حجارة. ففعل ذلك وكان الرجل منهم يقوم خلف البارية فلا يرى منها عُمِلت نساءجات أنفق عليها زيادة على مائة دينار، وكان العريف على أصحاب المقيرة من العيارين رجلاً يقال له: ينتويه.

خليفتان في زمن واحد

وكتب المستعين إلى عمال الخراج بكل بلدة وبكل موضع أن يكون حملهم [380] ما يحملون من الأموال إلى السلطان ببغداد دون غيرها، وكتب إلى الأتراك والجنود الذين بسر من رأى يأمرهم بنقض بيعة المعتز ومراجعة الوفاء ببيعته، ويذكرهم أياديه عندهم وينهاهم عن معصيته ونكث بيعته.

وكتب المعتز إلى محمد بن عبد الله يدعو إلى خلع المستعين ويذكره بما أخذه أبوه المتوكل عليه بعد أخيه المنتصر من العهد وعقد الخلافة.

وأجابه محمد يدعو إلى الرجوع إلى طاعة المستعين. واحتج كل واحد منهما باحتجاجات يطول شرحها واثق محمد بن عبد الله المياه بطسوح الأنبار وبادورياً لقطع طريق الأتراك حين تخوف ورودهم الأنبار.

وكتب كل واحد من المعتز والمستعين إلى موسى بن بغا وهو مقيم بأطراف الشام لأنه كان أخرج إلى حمص لقتال أهلها حين قتلوا عاملهم وعصوا وامتنعوا على السلطان.

وبعث كل واحد منهما بعدة ألوية يعقدها لمن أحب. (١) فانصرف إلى المعتز وصار معه ولم يزل الأتراك الكبار يصيرون مرة من حزب المستعين ومرة من حزب المعتز.

وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد ابن المتوكل على حرب المستعين وابن

١. وزاد في الطبري (١٢: ١٥٥٤): «ويأمره المستعين بالانصراف إلى مدينة السلام ويستخلف على عمله من رأى، فانصرف...»

طاهر وضمّ إليه الجيش وجعل إليه [381] الأمر والنهى وتدير الحرب إلى كلباتكين فعسكر بالقاطول فى خمسة آلاف من الأتراك والفراغنة وألفين من المغاربة فوافوا عكبرى فصلّى أبو أحمد ودعا للمعتزّ وكتب بذلك فتحاً إلى المعتزّ وجعل الأتراك ينتهبون القرى ما بين عكبرى وبغداد وأوانا وهرب الناس منهم وجلّوا عن الغلّات والضياع فخربت وهدمت المنازل وسلب الناس وجرى فى ذلك أمر فظيع قبيح.

ولمّا وافى الحسن بن الأفشين مدينة السلام وكّل بباب الشماسية. ثمّ وافى أبو أحمد فى عسكر الشماسية ووافت طلائع الأتراك إلى قريب من باب الشماسية فوجّه محمد بن عبد الله الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال فيمن معهما.

فلمّا عاين الأتراك الأعلام والرايات قد أقبلت نحوهم انصرفوا إلى معسكرهم وانصرف الحسين والشاه. ثمّ وافى باب الشماسية إثنا عشر فارساً من الأتراك فشتّموا من هناك ورموهم بسهامهم، وكان محمد تقدّم ألاّ يبدأهم بقتال، فلمّا فعلوا ذلك وأكثروا من الشتم والرمى أمر علك^(١) صاحب المنجنيق. فرموا بحجر أصاب فقتل واحد منهم فنزل أصحابه فحملوه وانصرفوا إلى معسكرهم. ثمّ وافى الأتراك باب^(٢) الشماسية فرموا بالسهم [382] وبحجارة المنجنيق والعزادات وكان بينهم قتلى وجرحى.

وحمل محمد بن عبد الله الصّلات لمن أبلى فى الحرب، وأطوقة وأسورة من ذهب، وكان الجرحى فى الفريقين متقاربين فى العدد، وانهزم عامة أهل بغداد وثبت أصحاب البواري وأحضرت الأتراك منجنيقاً فغلبهم عليه الغوغاء وكسروا قائمة من قوائمه وأمر بحمل الآجر من قصر الطين وتلك الناحية إلى

١. كذا فى الأصل : علك. فى الطبرى (١٣: ١٥٥٩) : علك (دون تشديد).

٢. حذف من تد ما يعادل عدة صفحات.

باب الشماسية، وفتح باب الشماسية وأخرج إلى الأجر من لقطه وردّوه إلى هذا الجانب من السور.

ثم وجه محمد بن عبد الله الشاه بن ميكال من باب القطيعة وبنداراً وخالداً وأمددا بالمبيضة من أهل بغداد، فحمل الشاه والمبيضة حملة أزالوا بها الأتراك والمغاربة ومن معهم عن موضعهم وحملت عليهم المبيضة، فأصحروا بهم. وحمل عليهم الطبرية فخالطوهم وخرج عليهم بNDAR وخالداً بن عمران من الكمين وكانوا كمناء من ناحية باب قطربل. فوضعوا في أصحاب أبي أحمد السيف فقتل الأتراك وغيرهم فقتلوهم أبرح قتل ولم يفلت منهم إلا القليل.

وانتهب المبيضة عسكرهم وما كان فيه من المتاع والأنفال والمضارب والخُرثى. فكان من أفلت منهم من السيف [383] ورمى بنفسه في دجلة ليعبر إلى عسكر أبي أحمد أخذه أصحاب السميريات^(١) وكانت السميريات قد شحنت بالمقاتلة فقتلوا وأسروا وجعلت القتلى والرؤوس من الأتراك والمغاربة وغيرهم في الزواريق، فنُصبت بعضها في الجسر وبعضها على باب محمد بن عبد الله.

وأمر محمد لمن أبلى في هذا اليوم بالأسورة. فسور قوم كثير من الجند وغيرهم وطلبت المنهزمة فبلغ بعضهم أوانا وبعضهم إلى عسكر أبي أحمد، وبعضهم نفذ إلى سُر من رأى. وخلع محمد على قواده على كل واحد أربع خلع وخرج المبيضة والعيّارون في طلب ما خلفه المنهزمة.

فوجه محمد في آخر هذا اليوم أخاه عبيد الله بن عبد الله في إثرهم حياطة لأهل بغداد لأنّه لم يأمن رجعتهم عليهم وأشير على محمد بن عبد

١. في الطبري (١٢: ١٥٦٣): الشُّبَّارات.

الله أن يتبعهم بعسكر في اليوم الثاني وفي تلك الليلة ليوغل في آثارهم، فأبى ولم يتبع مولياً ولم يأمر أن يُجهز على جريح، وقبل أمان من استأمن وأمر سعيد بن حميد فكتب كتاباً يذكر هذه الواقعة، فقرأ على أهل بغداد في مساجد جوامعها.

وقدم محمد بن خالد بن يزيد بَلَد^(١) ينتظر من يصير إليه وكان بالجزيرة. فلما كان اضطراب الأتراك ودخول المستعين بغداد [384] لم يمكنه المصير إلى بغداد إلا من طريق الرقة، فصار إليها بمن معه من خاصته. ثم انحدر منها إلى بغداد، فصار إلى محمد بن عبد الله فخلع عليه خمس خلع: ديبقى وملحم وخزّ ووشى وسواد، ثم وجه به في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد، فأخذ على طريق الفرات فحاربه أيوب في نفر يسير فهزمه. فلما انتهى خبر هزيمته إلى محمد بن عبد الله قال:

- «ليس يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبيّ ينصره الله به.»

وكان للأتراك وقعات بباب الشّمسية كثيرة يكون مرّة لهم ومرّة عليهم. وإنما تركنا ذكرها لأنها لم تجر بحيلة ولا مكيدة ولا تدبير صائب، وإنما كانت كالفتن التي تجرى على ما يتفق^(٢).

وكان الغوغاء اجتمعوا بسرّ من رأى بعد هزيمة الأتراك الأولى لما رأوا ضعف المعتزّ، فأنتهبوا سوق أصحاب الحلّ والصيارف، فأخذوا جميع ما وجدوا فيها. فاجتمع التجّار إلى إبراهيم المؤيد أخى المعتزّ فشكوا ذلك وأعلموه أنّهم قد كانوا ضمنوا لهم أموالهم وحفظها عليهم. فقال لهم المؤيد:

- «كان ينبغي لكم أن تحوّلوا متاعكم إلى منازلكم ولم تكن عنده لذلك

نكيرة.»

١. بَلَد: اسم مدينة. انظر الطبري (١٢: ١٥٧٧).

٢. ينّبه مسكويه على منهجه في كتابة التاريخ مرّة أخرى.

وورد من البصرة سفن بحريّة تسمّى البوارج وهى عشرة، فيها [385] نقاتون وفى كلّ واحدة نجّار وخبّاز ومقاتلة. فكانوا يرمون الأتراك وعساكرهم بالنيران فانتقلوا من معسكرهم.

ظفر سليمان بعسكر الحسن بن زيد

وفى هذه السنة ظفر سليمان بن عبد الله بعسكر الحسن بن زيد فتنحى الحسن عن طبرستان ولحق بالديلم. ووردت الكتب على السلطان بالفتح، وكتب نسخة كتاب الفتح على يد محمد بن طاهر. وكان سبب ذلك أنّ أهل آمل لقوا من عسكر الحسن بن زيد عبثاً فأتوا سليمان بن عبد الله مظهرين توبة وإنابة، وتاب إليهم خلق كثير من جيشه فنهض إلى الحسن بن زيد بتعبئة وعدّة فهزمه واستولى على بلاد طبرستان وانقطعت أسباب الفتنة عنه. وظفر محمد بن طاهر أيضاً بالطالبيّ الذى كان بالرى وأخذه أسيراً وكتب بالفتح.

وفرق محمد بن عبد الله فى الكافركوبات واستعمل منها شاكراً فرقه فيهم. فأثروا فى الأتراك أثراً كبيراً وأحضر يتنويه رئيس العيّارين وسُور ووَصِلَ بخمسمائة درهم وقدم من ناحية الرقة مزاحم بن خاقان فتلقيه بنو هاشم وكان قديم معه من الخراسانية والأتراك والمغاربة ألف رجل معهم عتاد الحرب من كل صنف. فدخل بغداد ووصيف عن يمينه وبغا عن شماله ولما وصل خُلع [386] عليه سبع خلع وقُلِّد سيفاً وخُلع على كلّ واحد من ابنه خمس خلع.

ثم كثرت الوقعات أيضاً من أصحاب محمد بن عبد الله وأصحاب أبى أحمد وضرى العيّارون وأصحاب السوارى عليهم، فكانوا ينتصفون منهم فرئى غلام لم يبلغ الحلم معه مخلاة فيها حجارة ومقلع يرمى عنه فلا

يخطئ وجوه الأتراك ووجوه دوابهم واجتمع عليه أربعة من الفرسان الناشبة جعلوا يرمونه فيخطونه وجعل يرميهم فلا يخطئ وتتقطر بهم دوابهم من رميه، فعضوا وحملوا معهم أربعة من رجالة المغاربة بالرماح، فداخله إثنان منهم فرمى بنفسه في الماء ودخلا خلفه فلم يلحقاه وعبر إلى الجانب الشرقي وصيح بهما وكبر الناس فرجع جميعهم ولم يصلوا إليه.

قدوم أبي الساج

وفي هذه السنة قَدِم أبو الساج من طريق مكة في نحو من سبعمائة فارس ومعه ثمانية عشر محملاً فيها ستة وثلاثون أسيراً من أسارى الأعراب في الأغلال فدخل هو وأصحابه بغداد في زى حسنٍ وسلاح ظاهر فخلع عليه خمس خلع وانصرف إلى منزله.

وقَدِم أيضاً بغداد حَبْشون ومعه يوسف بن يعقوب قوصرة مولى الهادي فيمن كان مع موسى بن بغا من الشاكزية وانضمَّ [387] إليه عامة الشاكزية المقيمون بالرقّة وهم ألف وثلاثمائة، فخلع عليه خمس خلع وعلى جماعة من الوجوه وانصرفوا إلى منازلهم.

وخلع على أبي الساج ديوداذ وعلى ابن فراشه، وعسكر أبو الساج في سوق الثلاثاء وأعطى بغالاً من بغال السلطان حمل عليها الرجالة وأمر بالخروج إلى المدائن لضبطها. فحكى أن أبا الساج لما أمره محمد بن عبد الله بالشخص إلى المدائن قال له :

«أيها الأمير عندي مشورة أشير بها.»

قال : «قل يا أبا جعفر فإنك غير متهم.»

قال : «إن كنت تريد أن تجاد هؤلاء القوم فالرأى لك ألا تفارق قواده ولا تفرقهم، واجمعهم حتى تفضّ هذا العسكر الذى بازاءك، فإنك إذا فرغت من

هؤلاء فما أقدرك على من وراءك.»

فقال: «لى تدبير والله الكافى.»

فقال له أبو الساج:

- «السمع والطاعة.»

ومضى لما أمره به.

فلما صار إلى المدائن ثم إلى الصيَّادة ابتدأ فى حفر خندق كسرى وكتب يستمد فوجه إليه خمسمائة رجل. وكان شخوصه فى ثلاثة آلاف فارس وراجل ثم استمد حتى حصل فى عسكره ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل.

ووجه محمد بن عبد الله إلى الأنبار نجوبة بن قيس فى الأعراب وأمره بالمقام بها والفرض [388] لأعراب الناحية، فأثبت نحواً من ألفى رجل وأقام بالأنبار وضبطها فبلغه أن قوماً من الأتراك قصدوه فبتق الماء من الفرات إلى خندق الأنبار وفاض من الصحارى إلى ناحية السيلحين. فصار ما يلى الأنبار بطيحة، وقطع القناطر وكتب يستمد فندب للخروج إليه رشيد بن كاوس أخو الأفسين فى ألف رجل وأمدّه ابن طاهر بثلاثمائة رجل انتخبهم من القادمين من الثغور. فرحل، وأخرج المعتز أبا نصر بن بغا من سر من رأى على طريق الإسحاقى فسار يومه وليلته، وصبح الأنبار ساعة وصل رشيد فنزل رشيد خارج المدينة وكان نجوبة نازلاً المدينة.

فلما وافى أبو نصر عاجل رشيداً وهم غارون على غير تعبئة فوضع فيهم السيف وثار أصحاب رشيد إلى سلاحهم فقاتلوا الأتراك والمغاربة أشد قتال وقتلوا منهم جماعة، ثم انهزم الشاكرية ورشيد على الطريق الذى جاءوا منه وبلغ نجوبة^(١) ما لقى رشيد وأصحابه، فعبر إلى الجانب الغربى وقطع جسر

١. فى الأصل: بحونة: والضبط من الطبرى وتد، كما سبق. ما فى آ مهمل دون أى نقط.

الأنبار وصار رشيد إلى المحوّل وسار نجوبة في الجانب الغربي حتّى وافى بغداد ودخل رشيد في هذه العشية إلى دار ابن طاهر وأعلم نجوبة محمد بن عبد الله أنّه عند [389] مصير الأتراك إلى الأنبار وجّه إلى رشيد يسأله أن يوجّه إليه مائة رجل من الناشبة ليرتبّهم قُدّام أصحابه فأبى ذلك، ثمّ سأل أن يضمّ إليه ناشبة ليصير إلى بنى عمّه فإنّهم مقيمون على الطاعة في الجانب الغربي وضمن أن يتلافى ما كان منه، فضمّ إليه ثلاثمائة رجل من الناشبة والفرسان مع رجالة منهم.

فمضى إلى قصر أبي هبيرة يستعدّ هناك واختار محمد بن عبد الله الحسين بن إسماعيل للأنبار ووجّه معه محمد بن رجاء الحصارى وعبد الله بن نصر بن حمزة ورشيد بن كاوس وجماعة من أهل النجدة وأمر للناس برزق أربعة أشهر ممّن يخرج مع الحسين. فامتنع من قَدَم من الثغور من قبض رزق أربعة أشهر لأنّ أكثرهم كانوا بغير دوابّ وقالوا نحتاج أن نقوّى في أنفسنا ونشتري دوابّ، فوعدهم. ثمّ أرضوا برزق أربعة أشهر كما بدؤوهم.

ثمّ أحضر الحسين مع قوّاده الكبار وهم نحو من عشرين قائداً فخلع عليه وقُدّمت مرتبته إلى الفوج الثانی وكان في الفوج الرابع وصيّ رشيد على المقدّمة ومحمد بن رجاء على الساقة وخرج الحسين إلى معسكره وأمر وصيف وبغا بتشيعه وأخرج لأهل العسكر من المال ستّة وثلاثون ألف دينار [390] وسار الحسين وكان أهل الأنبار حين تنحّى نجوبة ورشيد وصار الأتراك والمغاربة إلى الأنبار ونادوا:

«الأمّان.»

وأمرُوا بفتح حوانيتهم والتسوّق فيها، إطمأنّوا إلى ذلك منهم وسكنوا وطعموا في أن يفوا لهم، فأقاموا بذلك يومهم وليلتهم حتّى أصبحوا ووافقت الأنبار سفن من الرقّة فيها دقيق وأطواف فيها زيت، فأخذوا جميعه وانتهبوا

ما وجدوا وأخذوا الإبل والبغال والحمير ووجهوا بذلك مع من يؤذيه إلى منازلهم بشر من رأى مع رؤوس من قُتل من أصحاب رشيد ومن أسروا، وكان الأسارى مائة وعشرين رجلاً والرؤوس سبعين رأساً، وسار الحسين وانضم إليه نجوبة وكان بقصر ابن هبيرة وسأل لأصحابه مالا، فحمل إلى عسكر الحسين ثلاثة آلاف دينار لأصحاب بجونه^(١) وحمل إلى الحسين مال وأطواق وأسورة لمن أهلك وأمد بالرجال فجاءه أبو السنا محمد بن عبدوس والجحاف بن سودة في ألف فارس وراجل وجند انتخبوا من قيادات^(٢) شتى ونزل الحسين بعسكره إلى قريب من ديمّا^(٣).

ذكر رأى أشير به عليه صواب

فأشار عليه رشيد والقواد أن ينزل عسكره بذلك الموضع لسعته وحصانته وأن يسير [391] في قواده في خيل جريدة. فإن كان الأمر له كان قادراً أن ينقل عسكره، وإن كان عليه انحاز إلى عسكره ثم راجع عدوه.

فلم يقبل الرأى وحملهم على المسير من موضعهم ومن الموضعين فرسخان. فلما بلغوا الموضع الذى أراد الحسين النزول فيه أمر الناس بالنزول وكانت جواسيس الأتراك فى عسكر الحسين فصاروا إليهم فأعلموهم رحيل الحسين، وضيّق معسكره الذى نزل به، فوافوهم والناس يحطّون أثقالهم. فثار أهل العسكر فكانت بينهم قتلى، ثم حمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم كشفاً قبيحاً وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم خلق. وكان

١. نهاية ما حذف من تد (٥٨٢).

٢. فى تد (٥٨٣ الصفحة الأخيرة) : بنادات.

٣. الى هنا تنتهى تد، وهى القطعة التى نشرها دى خويه من أجزاء تجارب الأمم مشفوعة بقسم من كتاب العيون والحدائق (بريل ٧١ - ١٨٦٩).

الأتراك قد كمنوا قوماً فخرج الكمين على بقية العسكر فلم تكن لهم همّة إلا الهرب ولا ملجأ إلا الفرات. ففرق خلق وقتل جماعة. فأما الفرسان فضربوا دوابهم لا يلوون على شيء والقواد ينادونهم يسألونهم الرجعة فلم يرجع أحد. وأبلى محمد بن رجاء ورشيد ونجوبة بلاء حسناً ولم يكن لمن انهزم معقل دون الياسرية على باب بغداد فلم يملك القواد أمور أصحابهم فأشفقوا حينئذٍ على أنفسهم فاثنتوا راجعين وراءهم يحمونهم من أدبارهم أن يُتبعوا وحوى الأتراك عسكر الحسين. [392]

ولقى رجل من التجار في جماعة ممن ذهبت أموالهم في عسكر الحسين. فقال له :

« الحمد لله الذي يبيض وجهك أصدت في إثني عشر يوماً ورجعت في يوم واحد. »
فتغافل عنه.

وأمر ابن طاهر الشاه بن ميكال في صبيحة الليلة التي وافى فيها الحسين أن يتلقاه ويمنعه من دخول بغداد، فلقيه في الطريق فردّه إلى بستان الحروى فأقام يومه. فلما كان الليل صار إلى دار ابن طاهر فوَبَّخه ابن طاهر وأمره بالرجوع إلى الياسرية، ثم أمر بإخراج مالٍ لإعطاء شهر واحد لأهل هذا العسكر، فحُمِلَت تسعة آلاف دينار وصار كتاب ديوان العطاء وديوان العرض إلى الياسرية لعرض الجند وإعطاءهم.

ونُودى ببغداد فيمن يدخلها من الجند الذين في عسكر الحسين أن يلحقوا بالحسين في عسكره وأجلّوا ثلاثة أيام فمن وُجد منهم ببغداد بعد ثلاثة ضرب ثلاثمائة سوطٍ وقرض اسمه من الديوان فخرج الناس.

وأمر خالد بن عمران في الليلة التي قدم فيها الحسين أن يُعسكر بأصحابه بالمحوّل ورحل الحسين وكتب إلى خالد بن عمران أن يرحل متقدّماً أمامه

فامتنع خالد من ذلك وذكر أنه لا يبرح حتى يأتيه قائد في جند كثيف فيقيم مكانه لأنه يتخوف أن [393] يأتيه الأتراك من خلفه من عسكرهم. وصار إلى الحسين رجل فأخبره أن الأتراك قد دلّوا على عدّة مواضع من الفرات تخاض إلى عسكره. فأمر بضرب الرجل مائتي سوّطٍ ووكل بمواضع المخاوض رجلاً من قوّاده يقال له الحسن بن عليّ بن يحيى الأرمني في مائة فارس ومائة راجل، فطلع أول القوم فخرج إليهم وقد أتاه منهم أربعة عشر علماً، فقاتل أصحابه ساعة ووكل بالقنطرة أبا السنا وأمر أن يمنع من انهزم من العبور فأبى الأتراك المخاضة فرأوا الموكل بها فتركوه واقفاً وصاروا إلى مخاضة أخرى من خلف المتوكل فصبر الحسين بن عليّ وقاتل وقيل للحسين بن إسماعيل، فقصد نحوه فلم يصل إليه حتى انهزم وانهزم خالد بن عمران ومنعهم أبو السنا من العبور على القنطرة، فرجع الرّجال والخراسانية فرموا بأنفسهم في الفرات ففرق من لم يكن يحسن السباحة وعبر من كان يحسنها فنجا عريان، وخرج إلى جزيرة لا يصل منها إلى الشاطئ لما عليه من الأتراك.

فذكر عن بعض جند الحسين أنه قال : بعث الحسين بن عليّ الأرمني إلى الحسين بن إسماعيل :

« إن الأتراك قد وافوا المخاضة. »

فأتاه الرسول فقال الحاجب :

« الأمير نائم. »

فرجع الرسول [394] فأعلمه فردّ رسولاً ثانياً. فقال له الحاجب :

« الأمير في المخرج. »

فرجع فأخبره فردّ رسولاً ثالثاً فقال :

« قد خرج من المخرج ونام. »

وجاءت الصبيحة وعبر الأتراك فقعد الحسين فى زورق وانحدر واستأمن قوم من الخراسانية رموا ثيابهم وسلاحهم وقعدوا على الشاطئ عراة وشدة أصحاب أعلام الأتراك حتى ضربوا أعلامهم على مضرب الحسين واقتطعوا السوق ولحق الأتراك أصحاب الحسين فوضعوا فيهم السيف فقتلوا وأسروا نحواً من مائتين وغرق خلق كثير ووافى الحسين والمنهزمة نصف الليل ووافى فلهم وبقيتهم بالنهار وفيهم جرحى كثير وفقد جماعة من القواد.

وورد كتاب أبى الساج بوقعة كانت له مع الأتراك ورئيسهم بايكباك فهزم الأتراك وقتل بايكباك وغرق منهم خلق كثير فحمل إليه محمد بن عبد الله بن طاهر عشرة آلاف دينار صلة ومعونة وخمسة أبواب خلعية وسيف.

وفى هذه السنة تقبت الأتراك السور الذى عليه أصحاب ابن طاهر من ناحية بغواريا^(١) فى موضعين ودخلوها وقتلهم أصحاب ابن طاهر فهزمهم حتى وافوا باب الأنبار وعليه إبراهيم بن محمد بن مصعب وابن أبى خالد وغيره وهم لا يعلمون بما وراءهم ويقاتلون من بين أيديهم [395] قتالاً شديداً. ثم إنهم علموا بهم فانهزموا لا يلوون على شيء ف ضرب الأتراك باب الأنبار بالنار فاحترق وأحرقوا ما كان هناك من المجانيق والعزادات ودخلوا بغداد حتى صاروا إلى باب الحديد من الشارع إلى موضع الدواليب فأحرقوا كل شيء قرب من ذلك الموضع من أمامهم ووراءهم ونصبوا أعلامهم وانهزم الناس.

فركب محمد بن طاهر فى السلاح ووافاه القواد فوجههم إلى باب الأنبار وباب بغواريا وجميع الأبواب التى فى الجانب الغربى وشحنها بالرجال، وركب بغا ووصيف والشاه بن ميكال وتوجهوا إلى هذه الأبواب. فقتل من

الأتراك خلق كثير ووجه يرؤوسهم إلى ابن طاهر وكاثرهم الناس حتى أخرجوهم من بغداد بعد أن قتل منهم خلق كثير. فلما انصرفوا وكل بُغا بالباب من يحفظه ووجه في حمل الآجر والجص وأمر بسده.

وفيها وافى بغداد بالفردك بن ابرنكجيل^(١) الأسروشنى فأمر له محمد بن عبد الله بفرض وضّم إليه رجالاً من الشاكرية وأمر أن يعسكر بالكناسة ويجمع مع المظفر بن سيسل^(٢) بالياسرية في ضبط تلك الناحية ويكون أمرهما واحداً فاختلفا وكتب كل واحد [396] منهما يشكو الآخر ويستعفى من المقام بالكناسة فأفرد بالموضع بالفردك وأعفى المظفر.

مقتل بالفردك

وفي آخر ليلة بقيت من شهر رمضان من هذه السنة قتل بالفردك.

ذكر السبب في ذلك

كان سبب قتله أن أبا نصر ابن بغا لما غلب على الأنبار وهزم جيوش ابن طاهر من تلك الناحية فأجلاهم [عنها] بثّ خيله ورجاله في أطراف بغداد وصار إلى قصر ابن هبيرة وبها نجويه بن قيس من قبل ابن طاهر، فهرب منه من غير قتال. ثم صار أبو نصر إلى نهر صرصر واتصل بابن طاهر خبره وخبر وقعة كانت بين أبي الساج والأتراك بجرجرايا وخذلان من معه إياه ندب بالفردك إلى اللحاق بأبي الساج والمصير إليه بمن معه، فسار في أصحابه لليلتين بقيتا من شهر رمضان فسار يومه وصبح المدائن فوافاها مع موافاة الأتراك وبالمدائن أصحاب ابن طاهر، فقاتلهم الأتراك فانهزموا ولحق

١. في الأصل غموض وما في الطبري أغمض. انظر الطبري (١٦٢٣:١٢).

٢. انظر الطبري (١٦٢١:١٢).

مَن فيها من القوَاد بأبي الساج وقاتل قتالاً شديداً. فلَمَّا رأى انهزام مَن هناك مضى متوجّهاً نحو أبي الساج فأدرك فقتل وقيل إنه غرق.

انهزام الترك في وقعة بغداد

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة لأهل بغداد هزموا فيها الأتراك وانتهبوا فيها عسكرهم.

وكان سبب ذلك أن أبواب بغداد كلّها فتحت من الجانبين ونصبت المجانيق والعزادات في الأبواب كلّها والسيارات^(١) في دجلة وخرج منها الجند كلهم وخرج ابن طاهر وبغا ووصيف وتراحف الفريقان واشتدّت الحرب إلى باب القطيعة، ثمّ عبروا إلى باب الشماسية وقعد ابن طاهر في قبة ضربت عليه وأقبلت الرماة من بغداد بالناوكية في الزواريق، فربّما انتظم السهم الواحد عدّة منهم فقتلهم فهزم الأتراك وتبعهم أهل بغداد حتّى صاروا إلى عسكرهم، فانتهبوا سوقهم وهرب الأتراك على وجوههم لا يلوون على شيءٍ وحملت الرؤوس حتّى كثرت. فجعل وصيف وبغا يقولان:

- «كلّما جرى برأس ذهب والله الموالى واتّبعهم أهل بغداد إلى الروذبار.»
ووقف أبو أحمد ابن المتوكّل يرّد الموالى ويخبرهم أنّهم إن لم يكرّوا لم يبق لهم بقيّة وأنّ القوم يتبعونهم إلى شرٍّ مَن رأى. فتراجعوا وثاب بعضهم وأقبلت العامّة تحزّ رؤوس من قتل وجعل محمد بن عبد الله يطوّق كلّ من جاء برأس ويصله حتّى كثر ذلك وبدت الكراهة [398] في وجوه مَن كان مع بغا ووصيف من الأتراك والموالى.

١. في الطبري (١٦٢٦: ١٢): الشيارات.

للأتراك يقدمها علم أحمر^(١)

وأقبلت أعلام للحسن بن الأفشين مع الأعلام التي قد استلبه غلام لشاهك
فنسى أن ينكسه، فلما رأى الناس العلم الأحمر ومن خلفه توهّموا أن
الأتراك قد رجعوا عليهم فانهزموا وأراد بعض من وقف أن يقتل غلام شاهك،
ففهمه ونكس العلم والناس قد ازدحموا منهزمين وتراجع الأتراك إلى
معسكرهم ولم يعلموا بهزيمة أهل بغداد، فحملوا عليهم ووضعت الحرب
أوزارها فلم تكن بعد ذلك وقعة.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن ابن طاهر كان يكتب المعتبر في الصلح، فلما
كانت هذه الواقعة أنكرت فكتب أنه لا يعود بعدها.
ثم أغلقت أبواب بغداد فاشتدّ عليهم الحصار فصاحوا على أبواب ابن
طاهر:

«الجوع، الجوع».

وكان الناس يجتمعون في الجزيرة التي تلقاء دار ابن طاهر ويشتمونه.
فراسل ابن طاهر المعتبر في الصلح واضطرب أمر أهل بغداد فوافى من سرّ
من رأى حمّاد بن إسحاق بن حمّاد [399] ووجه مكانه رهينة عنه أبو سعيد
الأنصاري، فلقى حمّاد ومحمد بن طاهر فخلا به ولم يذكر ما جرى بينهما.
ثم انصرف حمّاد إلى عسكر أبي أحمد ورجع أبو سعيد إلى بغداد وأمر ابن
طاهر بإطلاق جميع من في الحبوس ممّن كان حُبس بسبب ما كان بينه

١. في الأصل وأ يدل ما بين المعقوفتين: «التي للحسن بن الأفشين» (بالتكرار)، مع أن العبارة
ناقصة. فحذفنا المكرّر واكملنا العبارة بما في الطبري (١٦٢٧:١٢).

وبين أبي أحمد من الحروب ومعاونته إياه فأطلقوا.

وفي غد هذا اليوم اجتمع قوم من رجالة الجند وكثير من العامة. أمّا الجند فطلبوا أرزاقهم وأمّا العامة فشكت سوء الحال التي هم بها من الضيق وغلاء السعر وشدة الحصار وقالوا:

«إمّا خرجت فقاتلت وإمّا تركتنا نمضى فى البلاد.»

فوعدهم الخروج أو فتح الباب للصلح ورفق بهم ومناهم، ثم اجتمع الجند والناس من العوام مرة أخرى، وكان ابن طاهر قد شحن الجزيرة بالخيول وكذلك باب داره والجسر، فحصر الجزيرة بشر كثير فطردوا من كان ابن طاهر رتبهم فيها.

ثم صاروا إلى الجسر فطردوا من كان هناك من أصحاب ابن طاهر وصاروا إلى الحبس فمانعهم أبو مالك الموكّل بالمحبس الشرقي فشجّوه وجرّجوا دابّتين لأصحابه فدخل داره وخلّاهم فانتهبوا ما فى مجلسه. [400] ثم عبر إليهم محمد بن أبى عون فضمن للجند رزق أربعة أشهر فانصرفوا. ووجّه أبو أحمد خمس سفائن من دقيق وحنطة وشعير وقت إلى ابن طاهر فوصلت إليه، ثم علم الناس بما عليه ابن طاهر من خلعه المستعين وبيعته للمعتز ووجّه ابن طاهر قوّاده إلى أبى أحمد حتى بايعوه للمعتز فخلع على كلّ واحد منهم أربع خلع، وظلّت العامة أن الصلح جرى بأنّ الخليفة المستعين وإنّ المعتز ولى عهده بعده.

فلما كان بعد ذلك خرج رشيد بن كاوس مع قائدين آخرين ووجّهوا إلى الأتراك بأنّه على المصير إليهم ليكون معهم فوافاه من الأتراك زهاء ألف فارس فخرج إليهم على أنّ الصلح قد وقع فسلم عليهم وعانق من عرف منهم وأخذوا بلجام دابّته ومضوا به وبابنه فى إثره. فلما كان من الغد صار رشيد إلى باب الشّمسية وقال حين كلم الناس:

- «إنَّ أمير المؤمنين وأبا أحمد يقرءان عليكم السلام ويقولان لكم: من دخل في طاعتنا قرَّبناه ووصلناه ومَن أبى ذلك فهو أعلم.»

فشتمه العامة ثمَّ طاف على جميع الأبواب الشرقية بمثل ذلك وهو يُشتم [401] في كلِّ بابٍ [ويُشتم] ^(١) المعتزَّ. فلَمَّا فعل رشيد ذلك علمت العامة ما عليه ابن طاهر، فمضت إلى الجزيرة التي بحيال دار ابن طاهر فصاحوا به وشتموه أقبح شتم، ثمَّ صاروا إلى بابه ففعلوا مثل ذلك. فخرج إليهم راغب الخادم فحضَّهم على ما فعلوا بالمستعين ثمَّ مضى إلى الحظيرة التي فيها الجيش فحضَّهم، فصاروا إلى باب ابن طاهر فكشفوا من عليه وردَّوهم فلم يبرحوا وقاتلوهم حتَّى صاروا إلى دهليزه وأرادوا حرق الباب الداخل فلم يجدوا ناراً وقد كانوا بالجزيرة الليل كلَّه يشتمونه ويتناولونه بالقبيح.

فذكر عن ابن شجاع البلخي قال: كنت عند الأمير و يحدثني ويسمع ما يُقذف به من كلِّ إنسان حتَّى ذكروا اسم أمِّه. فضحك ثمَّ قال:

- «يا با عبد الله والله ما أدري كيف عرفوا اسم أمِّي. ولقد كان كثير من جوارى أبي العباس عبد الله بن طاهر لا يعرفون اسمها»
فقلت له:

- «أيها الأمير ما رأيت أوسع من حلمك.»

فقال لي مركز تحقيق كالمؤرخ علوم إسلامي

- «ما رأيت أوفق من الصبر عليهم، ولا بدَّ من ذلك.»

فلَمَّا أصبحوا وافوا الباب وصاحوا وصار ابن طاهر إلى المستعين يسأله أن يطلع عليهم ويسكنهم ويعلمهم ما هو عليه.

- «فأشرف عليهم من أعلى الباب [402] وعليه البُرْدَة والطويلة وابن طاهر

إلى جانبه. فحلف لهم بالله : ما أتهمه وإني لفي عافية، ما علىّ منه باس وأنت لم يخلع.»

ووعدهم أن يخرج في غدٍ وهو يوم الجمعة فيصلي بهم ويظهر لهم. فانصرف عامتهم بعد قتلى وقعت.

فلما كان يوم الجمعة بكر الناس بالصياح يطلبون المستعين وانتهبوا دوابّ عليّ بن جهشيار وجميع ما كان في منزله وهرب ولم يزل الناس وقوفاً إلى أن ارتفع النهار، فوافى وصيف وبُغا وأولادهما وقوادهما ومواليهما وأخوال المستعين، فصاروا مع الناس جميعاً إلى الباب فدخل وصيف وبُغا في خاصّتهما ودخل أخوال المستعين معهم إلى الدهليز فوقفوا على دوابّهم وأعلم ابن طاهر بمكان الأخوال فأذن لهم فأبوا وقالوا :

- « ليس هذا يوم نزولٍ عن ظهور دوابنا إلا بعد أن نعرف نحن والعامّة حقيقة أمرنا. »

فلم تزل الرسل تختلف إليهم وهم يأبون. فخرج إليهم محمد بن عبد الله بنفسه وسألهم النزول والدخول إلى المستعين فأعلموه أنّ العامّة قد ضجّت ممّا يبلغها وصحّ عندها ما أنت عليه من خلع المستعين والبيعة للمعتز وإرادتك [403] التهويل ليصير الأمر إليه وإدخال الأتراك والمغاربة بغداد فيحكموا فيهم بحكمتهم واستراب بك أهل بغداد واتهموك على خليفتهم وأموالهم وأولادهم وأنفسهم وسألوا إخراج الخليفة إليهم ليروه ويكذبوا ما بلغهم فيه. (١)

فلما تبين محمد بن عبد الله ذلك الأمر ونظر إلى كثرة اجتماع الناس وضجّتهم سأل المستعين الخروج إليهم فخرج إلى دار العامّة التي كان يدخلها

جميع الناس فنُصب له فيها كرسيّ وأُدخل إليه جماعة من الناس فنظروا إليه. ثمَّ خرجوا إلى من وراءهم فأعلموهم صحَّته فلم يقنعوا بذلك وعرف ابن طاهر كثرة الناس وأنَّهم لا يسكنون فأمر بإغلاق باب الحديد الخارج فأغلق وصار هو وأخواله ومحمد بن موسى المنجَّم وغيرهم إلى الدرجة التي تفضي إلى سطوح دار العامَّة وخزائن السلاح. ثمَّ نُصبت لهم سلالم على سطوح المسجد الذي يجلس فيه محمد بن عبد الله فأشرف المستعين على الناس وعليه سواد وفوق السواد بُردة النبي صَلَّى الله عليه ومعه القضيب وتكلَّم الناس وكلمهم وناشدهم وسألهم بحقِّ صاحب هذه البردة إلَّا انصرفوا، فإنَّه في أمان وسلامة [404] ولا بأس عليه من محمد بن عبد الله.

فسألوه الركوب معهم والخروج من دار محمد بن عبد الله، فإنَّهم لا يأمنونه عليه. فأعلمهم أنَّه على النقلة منها إلى دار عمته أم حبيب بنت الرشيد بعد أن يصلح له ما ينبغي، وبعد أن تُحوَّل أمواله وخزائنه وسلاحه وفُرشه وجميع ما له في دار محمد. فانصرف الناس وسكن أهل بغداد.

ولمَّا فعل أهل بغداد ما فعلوا من اجتماعهم على ابن طاهر مرَّة بعد مرَّة وإسماعهم إيَّاه المكروه وتقدَّم إلى أصحاب المعاون ببغداد بتسخير ما قدروا عليه من الإبل والبغال والحمير لينتقل عنهم وأشيع أنَّه يقصد المدائن، فاجتمع إلى بابِه مشايخ الحريَّة والأرباض يعتذرون إليه ويسألونه الصَّفح ويذكرون أنَّ ذلك كان من فعل الغوغاء والسفهاء لسوء الحال التي كانوا عليها من الضَّرِّ. فردَّ عليهم ردًّا جميلاً وأثنى عليهم وصفح عمَّا كان منهم وتقدَّم إليهم بالتقدَّم إلى شبابهم وسفهاءهم والأخذ على أيديهم، وأجابهم إلى ترك النقلة وكتب إلى أصحاب المعاون بترك التسخير.

وانتقل المستعين من دار محمد بن عبد الله وصار إلى دار رزق الخادم في الرصافة فوصل إليها مساءً فأمر [405] للفرسان من الجند حين صار إليها

بعشرة دنائير لكلّ فارسٍ وللراجل بخمسة دنائير لكلّ واحدٍ، وركب بركوب المستعين ابن طاهر وبيده الحربة يسير بها بين يديه والقواد خلفه، وأقام مع المستعين ليلة ثمّ انصرف، ولمّا انتقل المستعين اجتمع الناس والقواد وبنو هاشم للمصير إلى ابن طاهر والتسليم عليه وأن يسيروا معه إذا ركب إلى الرصافة. فصاروا إليه وحضر الضحى الأكبر من ذلك اليوم، فركب ابن طاهر وجميع قواده في تعبئة وحوله ناشبة رجالة. فلما خرج من داره وقف الناس فعاتبهم ثمّ حلف لهم أنّه ما أضمر لأمر المؤمنين أعزّه الله ولا لولدٍ له ولا لأحدٍ من الناس سوءاً وأنّه ما يريد إلّا إصلاح أحوالهم وما تدوم به النعمة عليهم وأنّهم قد توهّموا عليه ما لم يعرفه حتّى أبكى عيون الناس فدعوا له. ثمّ ركب وعبر الجسر فصار إلى المستعين.

وذكر أنّ المستعين كان كارهاً للنقطة عن دار محمد بن عبد الله ولكنته انتقل من أجل أنّ الناس ركبوا الزواريق بالنقاطين ليضربوا روشن ابن طاهر بالنار لما صُعّب عليه فتح الباب وكان يسمع دائماً شتم الناس له وتناولهم عرضه بالقبيح. [406]

ثمّ إنّ قوماً وقفوا بباب الشماسية من قبل أبي أحمد فطلبوا ابن طاهر ليكلّموه. فكتب صالح إلى وصيف يُعلمه خبر القوم ويسأله أن يُعلم المستعين ذلك ليأمر فيه بما يرى، فردّ المستعين الأمر فيه إليه وقال:

«إنّ التدبير في جميع أموره مردود إليه.»

فتقدّم فيه محمد بما رأى.

ولم يزل بعد ذلك أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وعبد الله بن يحيى يقتلون في الذروة والغارب ويشيرون على محمد بالصلح. فذكر قوم أنّهم سألو سعيّد بن حميد بعد ذلك بدهرٍ وقالوا:

«ما ينبغي أن يكون محمد إلّا مداهناً وأنّه كان انطوى على غلٍّ في أوّل

أمره.»

فقال: «وددت أنه كان كذلك، لا والله ما هو إلا أن هزم أصحابه من المدائن والأنبار حتى توالى الهزائم عليه.»
فأجاب القوم بعد أن كان قد جادهم.

وحكى أحمد بن يحيى النحوى وكان يؤدب ولد ابن طاهر: أن محمد بن عبد الله لم يزل جاداً فى نصره المستعين حتى أحفظه عبد الله بن يحيى بن خاقان، فقال له:

- «أطال الله بقاءك، إن هذا الذى تنصره بجذك وجهدك من أشد الناس نفاقاً وأخبثهم ديناً. والله لقد أمر وصيفاً وبُغاً بقتلك فاستعظما [407] ذلك ولم يفعلاه فإن شككت فى ذلك فسل تُخبر، ومن ظاهر نفاقه أنه كان بسر من رأى لا يجهر فى صلاته ب: بسم الله الرحمان الرحيم، فلما صار إليك جهر بها مراعاةً لك، ويترك نصره وليك وتربيتك وصهرك.»
ونحو ذلك من الكلام.

فقال محمد بن عبد الله:

- «هذا ما يصلح لدين ولا لدين.»

فكان أول ما صدّ محمداً عن الجدّ فى أمر المستعين. ثم ظاهر عبد الله بن يحيى على ذلك أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد حتى صرفوه عن رأيه فى نصره المستعين.

وركب محمد بن عبد الله يوماً إلى المستعين وحضر عدة من الفقهاء والقضاة. فقال للمستعين:

- «قد كنت فارقتنى على أن تُنفذ أمرى فى كل ما أعزم عليه، ولك عندي بخطك رقعة بذلك.»

فقال المستعين:

- «أحضِر الرقعة.»

فأحضَرها فإذا فيها ذكر الصلح وليس فيها ذكر الخلع. فقال:

- «نعم أنفذ الصلح.»

فقام ابن الجبلى فقال:

- «يا أمير المؤمنين إنّه يسألك أن تخلع قميصاً قمصَكَ والله عزّ وجلّ.»

وتكلّم قوم وتكلّم علىّ بن يحيى المنجّم فأغلظ لمحمد بن عبد الله فاحتمله ثمّ ضرب لمحمد بن عبد الله بباب الشّعاسية مضرب كبير أحمر وخرج مع مائتى فارس ومائتى راجل إلى المضرب، وجاءه أبو أحمد فخرج إليه ودخل معه المضرب [408] ووقف الجند الذين مع كلّ واحدٍ منهما ناحية. فتناظر ابن طاهر وأبوه أحمد طويلاً ثمّ خرجا من المضرب وانصرف ابن طاهر إلى داره فى زلالٍ. ثمّ ركب من داره ومضى إلى المستعين يخبره بما دار بينه وبين أبى أحمد، فأقام عنده إلى العصر ثمّ انصرف.

فحكى أنّه فارقه علىّ أن يعطى خمسين ألف دينار ويقطع غلّة ثلاثين ألف دينار فى السنة علىّ أن يكون مقامه ببغداد حتّى يحمل له مال يعطى الجند وعلىّ أن يؤلّى بُغا مَكّة والمدينة والحجاز ووصيف الجبل، ويكون ثلث ما يجىء من المال لمحمد بن عبد الله وجند بغداد والثلثان للموالى والأتراك. ثمّ ركب ابن طاهر فى ذى الحجة من هذه السنة ليسأله فى الخلع، فناظره فامتنع عليه، وظنّ المستعين أنّ بُغا ووصيفاً معه فكاشفاه. فقال المستعين:

- «هذه عنقى والسيف [والنطع]»^(١).

فلما رأى امتناعه انصرف عنه.

وبعث المستعين إلى ابن طاهر بعلی بن يحيى وقوم من ثقاته وقال لهم :
 - «قولوا : اتق الله إنما جئتك لتدفع عني فإن لم تدفع عني فكف عني.»
 فرد عليه :

- «أما أنا فأقعد في بيتي ولكن لا بد لك من خلعتها طائعا أو مكرها.»
 وذكر عن علي بن يحيى [409] أنه قال :
 - «قل له إن خلعتها فلا بأس عليها فوالله لقد تمزقت تمزقا لا تُرَقع أبداً
 وما تركت فيها فضلا.»

إجابة المستعين إلى الخلع

فلما رأى المستعين ضعف أمره ولم يجد ناصراً أجاب إلى الخلع على
 شريطة أشياء سألها. ولم يقنع المستعين إلا بخروج ابن كردية إلى المعتز وهو
 من ولد المنصور وجماعة معه من ثقاته، وكان في شروطه أن ينزل مدينة
 الرسول عليه السلام وأن يكون مضطرباً من مكة إلى المدينة ومن مدينة إلى
 مكة. فأجابه إلى ذلك. وكان سبب استجابة المستعين إلى الخلع أن وصيفاً
 وبُغا وابن طاهر أشاروا عليه بذلك فأغلظ لهم، فقال له وصيف :
 - «أنت أمرتنا بقتل باغر فصرنا إلى ما نحن فيه وأنت عرضتنا لقتل
 أوتامش وقلت إن محمداً ليس بناصح فاقتلوه.»
 فقال محمد :

- «وقد قلت إن الأمر لا يصلح إلا بالإستراحة من هذين.»
 فلما اجتمعت كلمتهم أذعن بالخلع.

ولما كان يوم السبت لعشر بقين من ذي الحجة، ركب محمد بن عبد الله
 إلى الرصافة وجميع القضاة والفقهاء، فأدخلهم إلى المستعين فوجاً فوجاً
 وأشهدهم عليه أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبد الله، ثم أدخل البوابين

والخدم وأخذ منه جوهر الخلافة [410] وأقام عنده حتى مضى هُوَيْ^(١) من الليل وأرجف الناس ضروب الأراجيف. ثم بعث ابن طاهر إلى قواده فجاء كل قائد ومعه عشرة من وجوه أصحابه فأدخلهم إليه ومناهم وقال :
 - «إنما فعلت ما فعلت طلب صلاحكم وسلامتكم وحقن الدماء.»
 ثم أخرج قوماً ثقات إلى المعتز، فمضوا إليه بالكتاب الذي فيه شروط المستعين ومحمد، فوقع فيه المعتز بخطه وأمضى كل ما سألاه وشهدوا عليه بإقراره لهما بذلك كله، وخلع المعتز على الرسل^(٢) ولم ينظر لهم في حاجة ولا أطلق لهم جائزة ولم يأمر للجنود بشيء.
 وحمل إلى المستعين أمه وإبناه وعياله، بعد ما فتش عياله، فأخذ منهم ما كان معهم.



١. هُوَيْ من الليل : هزيع أو قسم منه .
 ٢. والمبارة في الطبري (١٦٤٣:١٢) : وخلع المعتز على الرسل وقتلدهم سيوفاً وانصرفوا بغير جائزة .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة المعتز

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين
وفيها خلع المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم نفسه من الخلافة وبايع
المعتز محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم فدعى للمعتز على منبري
بغداد^(١) ومسجدي جانبها الشرقي والغربي، وأخذت البيعة على من كان بها
من الجند.

فذكر أن ابن طاهر دخل على المستعين، ومعه سعيد بن حميد، حين كتب
شروط الأمان [411] فقال له:
- «يا أمير المؤمنين قد كتب سعيد بن حميد كتاب الشرط ووكدّه غاية
التوكيد فيقرأه عليك وتسمعه.»

فقال له المستعين: كافي بغير علوم ردي
- «لا عليك إلا توكدّه يا با العباس، فما القوم بأعلم بالله منك، وقد
وكدت على نفسك قبلهم، فكان ما قد علمت.»
فما ردّ عليه محمد شيئاً.

ولما بايع المستعين المعتز نُقل من الرضافة إلى قصر الحسن ووُكِّل به

١. في الأصل: بغداد (بإعجام الأخير).

وأخذ منه البردة والخاتم والقضيب ووَجَّه بها مع عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وكتب معه كتاباً من محمد، نسخته :

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله متمم النعم والهادي إلى شكره وصلى الله على محمد عبده ورسوله الذي جمع له من الفضل ما فرقه في الرسل قبله، وجعل تراثه راجعاً إلى مَنْ خَصَّه بخلافته وسلم تسليمًا. كتابي إلى أمير المؤمنين، وقد تمَّ الله له أمره وتسلمت تراث رسول الله صلى الله عليه ممَّن كان عنده وأنفذته إلى أمير المؤمنين مع عُبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبدته.»

ومُنِع المستعين الخروج إلى مكة فاختر البصرة فنزلها. واستوزر المعتز أحمد بن إسرائيل وخلع عليه ووضع على رأسه تاجاً، وشخص أبو أحمد إلى سُرَّ مَنْ رأى [412] من معسكره وشيَّعه محمد بن عبد الله، وخلع على محمد بن عبد الله خمس خلع وسيفاً ورجع من الروذبار. ولَمَّا وصل أبو أحمد إلى سُرَّ مَنْ رأى خلع عليه ستَّ خلع وسيف وتُوِّج بتاج وقلنسوة مجوهرة ووُشَّح بوشاحي ذهب مجوهر وقُلِّد سيفاً آخر مرضعاً بالجواهر وأجلس على كرسيٍّ وخلع على القواد الذين كانوا معه. وكتب المعتز إلى محمد بن عبد الله أن يُسقط وصيف ويُنْغا وَمَنْ برسمهما من الدواوين. وتكلَّم أبو أحمد بن المتوكل في قتلتهما وخاطب محمد بن أبي عون في ذلك فوعده بقتلهما، فكتب وصيف ويُنْغا بالخبر فركبا إلى ابن طاهر وقالوا :

- «قد بلغنا أيها الأمير ما ضمنه ابن أبي عون من قتلنا والقوم قد غدروا، ووالله لو أرادوا قتلنا ما قدروا عليه.»

فحلف محمد لهما أنه ما علم بشيء من ذلك. وتكلم بغا بكلام شديد ووصيف يكفه. ثم نهضا وأخذوا في الاستعداد وشرى السلاح وتفرقة الأموال. وكان وصيف وجه أخته فأخرجت من قصر أخيها وصيف ألف ألف دينار كانت مدفونة فيه. فدفعتها إلى المؤيد فكلم المؤيد المعتز في الرضا عن وصيف. فكتب بالرضا عنه.

وتكلم أبو أحمد [413] في الرضا عن بغا. ثم اجتمع الأتراك على المعتز فسألوه الأمر بإحضارهما، وقالوا:

«هما كبيرانا ورئيسانا.»

فكتب إليهما بذلك، فلما صار إلى سر من رأى اجتمع الموالي، وسألوا ردهما إلى مراتبهما، فأجيبوا إلى ذلك وبعث إليهما فخلع عليهما خلع المرتبة ورُتبا في مرتبتهما التي كانت قبل مصيرهما إلى بغداد وأمر برده ضياعهما. وفي هذه السنة شغب الجند على محمد بن عبد الله بن طاهر، وطالبوا بأرزاقهم وعظم الخطب في ذلك حتى خرجوا إلى باب حرب وباب الشماسية ومعهم الأعلام والطبول وضربوا المضارب والخيم، وبنوا بيوتاً من بوارى وقصب، وجمع ابن طاهر أصحابه فبيتهم في داره.

فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا وعزموا على المصير إلى المدينة ليمضوا إلى المسجد الجامع فيمنعوه من الدعاء للمعتز. فأعلمهم جعفر أنه لا يقدر على الخروج إلى الصلاة، فانصرفوا عنه وصاروا إلى الشارع النافذ إلى دار الرقيق ثم قصدوا الجسر.

فوجه إليهم محمد بن عبد الله بن طاهر جماعة من القواد والجند ليناظروهم ويدفعوهم دفعاً رقيقاً. فحملوا عليهم وجرحوا منهم جماعة وجرحوا أبا السنا [414] وكبروا وصاروا إلى دار ابن طاهر فقتلوا، وقتل من الفريقين جماعة.

وصار جماعة من الغوغاء إلى مجلس الشرطة، فكسروا بيت الرفوع وانتهبوا ما فيه، وكان هناك أصناف من المتاع، كبيرٌ جليل^(١)، وأحرق محمد بن طاهر الجسرين لما رأى الجند يعبرون وقد ظهرُوا على أصحابه وضرب عِدَّة من الحوانيت بالنار للتجَّار فيها متاع كثير لهم، فحالت النار بين الفريقين، وانصرف القوم إلى مضاربهم بباب حَرْبٍ والشَّمَّاسية. وانضمَّ إلى ابن طاهر جماعة وعاد إليه قوم من المشغَّبة وعبَّأهم تعبئة الحروب خوفاً من كثرة الجند، فلم تكن لهم عودة، وتلطَّف القوَّاد في التضريب بينهم، حتَّى تفرَّقوا وصاروا إلى منازلهم.

خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد بعده.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنَّ عامل أرمينية وأذربيجان، وهو العلاء بن أحمد، بعث إلى إبراهيم بن المتوكل المؤيد بخمسة آلاف دينار ليصلح بها أمره. فبعث ابن فرخان شاه إليها [415] فأخذها، فأغرى المؤيد الأتراك بعبسى بن فرخان شاه، فشكا ذلك إلى المعتز وعرفه الحال.

فبعث المعتز إلى أخويه المؤيد وأبى أحمد فحبسهما في الجوسق، وقيد المؤيد وصيره في حجرة ضيقة وأدَّر العطاء للأتراك والمغاربة وحبس كنجور صاحب^(٢) المؤيد، وتوفى إبراهيم المؤيد.

١. كذا في الأصل: كبيرٌ جليل. في آ: كثيرٌ جليل. وليست العبارة موجودة في الطبري (١١: ١٦٦٥).

٢. في الطبري (١٢: ١٦٦٨): حاجب.

ذكر سبب وفاة المؤيد

ذكر أن امرأة من نساء الأتراك^(١) جاءت إلى محمد بن راشد المغربي، فأخبرته أن الأتراك يريدون إخراج المؤيد من الحبس فركب محمد بن راشد إلى المعتز، فأعلمه ذلك، فدعا بموسى بن بعا وسأله فأنكر وقال :
 - « يا أمير المؤمنين إنما أرادوا أن يُخرجوا أبا أحمد بن المتوكل لأنسهم كان به في الحرب التي كانت، فأما المؤيد فلا. »

فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب، دعا بالقضاة والفقهاء والوجوه فأخرج إليهم إبراهيم المؤيد ميتاً لا أثر به ولا جرح. فذكر أنه أدرج في لحاف سمور، ثم أمسك طرفاه حتى مات. وقيل : إنه أجلس على الثلج ونضدت حجارة الثلج عليه، فجمد برداً.

وفي سؤال منها قتل المستعين

ذكر السبب في قتله [416]

اختلف في قتله^(٢) فقال قوم : كوتب محمد بن عبد الله بتسليم المستعين إلى منصور بن حمزة وهو على واسط، ثم وجه أحمد بن طولون التركي في جيش فوافي به القاطول. وقيل بل كان أحمد بن طولون موثقاً بالمستعين، فوجه سعيد بن صالح في حمله فصار إليه سعيد فحمله. فيقال : إنه قتله سعيد بالقاطول. ويقال : بل حمله سعيد إلى منزله بسر من رأى فعذبه حتى مات. ويقال : بل غرقه، ويقال : بل قتله. وأتى المعتز برأسه وهو يلعب بالشطرنج فقيل :

١. انظر الطبري (١٢: ١٦٦٩).

٢. انظر الطبري (١٢: ١٦٧٠).

- «هذا رأس المخلوع.»

فقال : «ضعوه هناك.»

ثم فرغ من لعبه فدعا به فنظر إليه ثم أمر بدفنه وأمر لسعيد بخمسة آلاف درهم وولاه معونة البصرة.

وفي هذه السنة كانت بين المغاربة والأتراك ملحمة

ذكر السبب في ذلك

كانت الأتراك وثبت على عيسى بن فرخان شاه فتناولوه بالضرب وأخذوا دوابه. فاجتمعت المغاربة وتكلمت ورئيسهم محمد بن راشد ونصر بن سعيد. فقالوا :

- «في كل يوم تقتلون خليفة وتخلعون خليفة وتقتلون وزيراً وتثبون بآخر.»^(١) [417]

فغلبوا الأتراك على الجوسق وأخرجوهم منه. ثم وثبوا على بيت المال، وأخذوا دواب الأتراك وأرسلوا إلى من بالكرخ والدور منهم. فالتقوا مع المغاربة وتقاتلوا، فقتل من المغاربة رجل واحد وأخذت المغاربة قاتله وأعانت العامة المغاربة. فأصلح جعفر بن عبد الواحد بين الفريقين فاصطلحوا على أن يكون في كل موضع يكون فيه واحد من قبل أحد الفريقين يكون معه آخر من الفريق الآخر. فمكثوا على ذلك مدة مديدة^(٢) ثم اجتمع الأتراك إلى بايكباك فقالوا :

- «نطلب هذين الرأسين، فإن ظفرنا بهما فليس ينطق أحد.»

يعنون محمد بن راشد ونصر بن سعيد. فبلغ أمر الأتراك هذين، فصارا

١. في آ : وتثبون آخر.

٢. في الأصل : مُدَيِّدَةٌ ! وهو إمّا سهو من الكاتب، أو يحذف الموصوف : «مدة». في آ : مديدة.

إلى محمد بن عزّون فغمز بهما إلى بايكباك رجل، وقيل: بل كان ابن عزّون هو الذي دسّ إلى الأتراك من دّلهم عليها فقتلوهما. وبلغ ذلك المعتزّ من فعل ابن عزّون، فهمّ بقتله، ثمّ كلّم فيه فنفاه إلى بغداد ثمّ خاف فخرج إلى ضيعة له بالكوفة لها حصن. فوافاه فيها الأعراب فقتلوه.

وذكر أنّ أرزاق الأتراك والمغاربة والساكرية قدّرت في هذه السنة، فكان مبلغ [418] ما يحتاجون إليه في السنة مائتي ألف ألف دينار وذلك خراج المملكة لسنتين.

ودخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين

وفيها عقد المعتزّ في اليوم الرابع من رجب لموسى بن بُغا الكبير على الجبل لحرب عبد العزيز بن أبي دلف، ومع موسى يومئذٍ من الأتراك ومن يجري مجراهم ألفان وأربعمائة وثلاثة وثلاثون رجلاً، منهم مع مفلح ألف ومائة وثلاثون رجلاً. فأوقع مفلح - وهو على مقدّمة موسى بن بُغا - بعبد العزيز بن أبي دلف لثمان بقين من رجب من هذه السنة، وعبد العزيز في زهاء عشرين ألفاً. وكانت الواقعة بينهما خارج همدان، فهزمه مفلح ثلاث فراسخ يقتلون ويأسرون. ثمّ رجع مفلح موفوراً بمن معه وكتب بالفتح. فلمّا كان في شهر رمضان عبأ مفلح خيله وتوجّه نحو الكرج^(١)، ووجّه عبد العزيز عسكرياً في أربعة آلاف. وكمن مفلح كمينين، فقاتلهم مفلح وخرج الكمينان فانهزم أصحاب عبد العزيز ووُضع فيهم السيف. وأقبل عبد العزيز

١. كرج: قرية في ناحية روزراور بالقرب من همدان من نواحي الجبال بين همدان ونهاوند. وهذه كرج أبي دلف، لأنّه مضرها واستوطنها. كرج دلان: من قرى الزيّ. كرج، وأهلها يستونها «كزّه»: وهذه في رستاق يقال له «فاتق» عزّب عن «هفته». فيض من إحدى كورتى اصفهان (مرصد الإطلاع - بتصرف).

فى جيش ليعين أصحابه، فانهزم بانهمزاهم [419] وترك الكرج ومضى إلى قلعة له فى جبل الكرج يقال لها: الزر^(١)، ونزل مفلح الكرج وأخذ جماعة من آل أبى دلف ونساء من نساءهم. فذكر أنه وجه سبعين حملاً من الرؤوس إلى سُر من رأى، وأعلاماً كثيرة.

وفى هذه السنة قُتل وصيف التركى ذكر الخبر عن ذلك

كان الأتراك والفراغنة شغبوا. وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر. فخرج إليهم بُغا ووصيف وسيما الشاربى فى نحو مائة إنسان، فكلمهم وصيف وقال:

- «ما تريدون.»

قالوا: «أرزاقنا.»

فقال: «خذوا تراباً، وهل عندنا مال؟»

فقال لهم بُغا:

- «نعم نسأل أمير المؤمنين ذلك، ثم ينصرف عنكم من ليس منكم، وتتناظر فى دار اشناس.»

فدخلوا إلى اشناس، ومضى سيما منصرفاً إلى سُر من رأى وتبعه بُغا لاستثمار الخليفة فى إعطائهم، وصار وصيف فى أيديهم. فضرب ضربتين بالسيف واحتمله نوشرى وهو أحد قواده إلى منزله، ثم أبطأ عليهم. فظنوا أنه فى التعبئة عليهم وقصدهم. فاستخرجوه من منزل نوشرى وضربوه بالطبرزينات حتى كسروا عضديه. ثم ضربوا عنقه [420] ونصبوا رأسه على محراك تتور، وقصدت العامة بسر من رأى لانتهاك منازل وصيف وولده،

١. فى الطبرى (١٢: ١٦٨٧): دز.

فرجع بنو وصيف فمنعوا منازلهم.
 وجعل المعتز ما كان إليه، إلى بُغا الشرابي.
 وفي هذه السنة مات محمد بن عبد الله بن طاهر، ليلة كسوف القمر،
 وذلك لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة، غرق القمر كله، ومات محمد مع
 انتهاء غرقه. وكانت علته من قروح ذبحته في حلقه.

انهزام الكوكبي

وفيها لقي موسى بن بُغا بقزوين الكوكبي الطالبی على فرسخ من قزوين،
 فهزمه، ولحق الكوكبي بالديلم.

ذكر الخبر عن ذلك

كان أصحاب الكوكبي من الديلم أقاموا تراسهم في وجوههم. فلما نظر
 موسى ورأى سهام أصحابه لا تصل إليها أمر بما معه من النفط، فصب في
 الأرض على حشيش كان هناك. ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم. فلما فعلوا
 ذلك ظن الكوكبي وأصحابه أنهم قد انهزموا فتبعوهم، فلما علم موسى أنهم
 قد توسطوا النفط أمر بالنار فأشعلت فأحذقت النار فيه، وخرجت من تحت
 أقدامهم، فجعلت تحرقهم وهرب [421] الباكون، فصارت هزيمة، ودخل
 موسى قزوين.

ودخلت سنة أربع وخمسين ومائتين

وفيها كان مقتل بُغا الشرابي.

ذكر مقتل بُغا الشرايى

كان بُغا يحضّر المعتزّ على المصير إلى بغداد والمعتزّ يأبى ذلك. ثمّ إن بُغا اشتغل مع صالح بن وصيف فى خاصّته لُعرس جمعة بنت بُغا وكان صالح بن وصيف تزوّجها. فركب المعتزّ ليلاً ومعه أحمد بن إسرائيل إلى كرخ سرّ من رأى يريد بايكباك ومن كان على رأيه فى الانحراف عن بُغا مستخفياً منه. فلما وافى المعتزّ بمن معه الكرخ اجتمع مع بايكباك أهل الكرخ والدور، ثمّ أقبلوا مع المعتزّ إلى الجوسق^(١) سرّ من رأى، وبلغ ذلك بُغا فخرج فى غلمانهم وهم زهاء خمسمائة ومثلهم من ولّده وأصحابه وقوّاده. فصار إلى نهر نيزك ثمّ تتقلّ إلى مواضع، ثمّ صار إلى السنّ ومعه من العين تسع عشرة بدرّة ومائة بدرّة دراهم أخذها من بيت ماله وبيوت أموال السلطان، فأنفق منها يسيراً إلى أن قُتل.

ولما بلغه أنّ المعتزّ قد صار إلى الكرخ مع أحمد بن إسرائيل، خرج فى خاصّته [422] إلى تلّ عُكْبَر^(٢)، ثمّ مضى إلى السنّ فشكا أصحابه بعضهم إلى بعض ما هم فيه من العسف، وأنهم لم يُخرجوا معهم مضارب ولا ما يتدنّرون به من البرد وأنهم فى شتاء. وكان بُغا فى مضربٍ له صغير على دجلة فكان يكون فيه، فأثاء أساتكين فقال: «رى»

- «أصلح الله الأمير، قد تكلم أهل العسكر وخاضوا فى كذا وأنا رسولهم إليك.»

فقال: «كلّهم يقولون مثل قولك؟»

قال: «نعم وإن شئت فابعت إليهم حتّى يقولوا مثل قولى.»

١. الجوسق: فارسى معرّب. أصله بالفارسيّة: كوشك، أى القصر.

٢. كذا فى الأصل وآ ومط: عُكْبَر. فى الطبرى (١٢: ١٦٩٥): عُكْبَرَاء.

قال : «دعنى حتى أنظر ويخرج إليكم أمرى بالغداة.»

فلما جئته الليل دعا بزورق فركبه مع خادمين معه وحمل معه شيئاً من المال ولم يحمل معه سلاحاً ولا سكيناً ولا عموداً، ولا يعلم أهل عسكره بذلك من أمره، والمعتز فى غيبة بُغا لا ينام إلا فى ثيابه وعليه السلاح ولا يشرب نبيذاً وجميع جواريه على رجل. فصار بُغا إلى الجسر فى الثلث الأول. فلما قُرب الزورق من الجسر بعث الموكلون به من ينظر من فى الزورق. ثم صاحوا بالغلام فرجع إليهم وخرج بُغا فى البستان الخاقانى، فلحقه عدّة منهم، فوقف لهم وقال :

- «أنا بُغا.»

ولحقه وليد المغربى فقال له :

- «ما لك جعلت فداك؟» [423]

قال : «إما أن تذهب بى إلى منزل صالح بن وصيف وإما أن تصيروا معى حتى أحسن إليكم.»

فوكّل به وليد المغربى، ثم مرّ يركض إلى الجوسق فاستأذن على المعتز، فأذن له فقال :

- «يا سيدى هذا بُغا قد أخذته وقد وكلت به.»

قال : «ويلك جئتني برأسه.»

فرجع الوليد إليه فقال للموكلين :

- «تنحوا عنى حتى أبلغه الرسالة.»

وضربه ضربة على جبهته ثم على يده فقطعها. ثم ضربه حتى صرعه وذبحه وحمل رأسه فى بركة^(١) قبائه، وأتى به المعتز، فوهب له عشرة آلاف

١. كذا فى الأصل وآ والطبرى (١٢: ١٦٩٤) : بركة. فى مط : تركة.

دينار، وخلع عليه.

ونُصب رأس بُغا بَشْرَ من رأى ثم ببغداد، ووثبت العامة على جسده فأحرقوه بالنار.

وكان عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر قد جعل مكان محمد بن عبد الله بن طاهر بوصيته، فقتل بنيه وكانوا صاروا إليها هُرَاباً مع قوم يثقون بهم. فأثارهم وحبس قوماً في المطبق وقوماً في قصر الذهب، وكان سبب انحذار بُغا إلى سُرٍّ من رأى مستتراً أنه أشير عليه أن يصير إلى دار صالح بن وصيف، فإذا قرب العيد دخل أهل العسكر وخرج هو وأصحابه فوثبوا بالمعتر.

وفى هذه السنة وافى الأهواز دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي بتوجيه والده [424] عبد العزيز إياه، فجبى منها ومن جنديسابور وتُسَرَّ مائتي ألف دينار وانصرف.

ودخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

وفيها دخل مُفلح طبرستان وواقع الحسن بن زيد الطالبي، فهزم مفلح الحسن فلحق بالديلم في طلب الحسن بن زيد.

وقعة بين يعقوب بن الليث وطوق بن المغلس

وفيها كانت بين يعقوب بن الليث وطوق بن المغلس وقعة خارج كرمان أسرف فيها يعقوب طوقاً.^(١)

١. انظر الطبري (١٢: ١٦٩٨).

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن عليّ بن الحسين بن قريش بن شبل كتب إلى السلطان يخطب كرمان، وكان قبل من عمّال آل طاهر، ثم كتب إلى السلطان يذكر ضعف آل طاهر وقلة ضبطهم ما إليهم من البلاد، وأن يعقوب بن الليث قد غلبهم على سجستان، وتباطأ على السلطان بتوجيه خراج فارس.

فكتب السلطان إليه بولايته كرمان وكتب أيضاً إلى يعقوب بولايتها يلتمس بذلك إغراء كل واحد منهما بصاحبه لتسقط مؤونة الهالك منهما عنه ويتفرد بمؤونة الآخر، إذ كان كل واحد منهما عنده حرباً له وفي غير طاعته. [425] فلما فعل ذلك بهما زحف يعقوب من سجستان يريد كرمان ووجه عليّ بن الحسين طوق بن المغلس وقد بلغه خبر يعقوب وفصوله من سجستان. فصار من كرمان على مرحلة وبقي في معسكره ذلك شهراً أو أكثر يتجسس أخبار طوق ويسأل عن أمره كل من مرّ به خارجاً من كرمان إلى ناحيته، ولا يدع أحداً يجوز بعسكره من ناحيته إلى كرمان. فلا يزحف طوق إليه ولا هو إلى طوق.

ثم أظهر يعقوب الارتحال عن عسكره إلى ناحية سجستان فارتحل عنه مرحلة وبلغ طوقاً ارتحاله. فظن أنه قد بدا له في حربه وترك عليه كرمان وعلى عليّ بن الحسين، فوضع آلة الحرب وقصّر وقعد للشرب ودعا بالملاهي ويعقوب في كل ذلك لا يفغل عن البحث عن أخباره. فاتصل به وضع طوق آلة الحرب واقباله على الشرب واللهو لارتحاله، فكثر راجعاً وطوى المرحلتين إليه في يوم واحد فلم يشعر طوق وهو في لهوه وشربه في آخر يومه إلا بغبرة قد ارتفعت من خارج المدينة التي هو فيها من كرمان. فقال لأهل القرية :

- « ما هذه الغيرة. »

فقيل : « هذه غيرة مواشى أهل القرية منصرفة إلى أهلها. »

ثم لم يكن إلا كلاً ولا^(١) حتى [426] وافاه يعقوب فى أصحابه فأحاط به وبأصحابه. فذهب أصحاب طوق لما أحيط بهم يريدون المدافعة عن أنفسهم. فقال يعقوب لأصحابه :

- « أفرجوا عن القوم. »

فأفرجوا لهم فمروا هارين على وجوههم وخلوا كل شىء لهم، وأسر يعقوب طوقاً. وكان على بن الحسين وجه طوقاً وحمله صناديق فى بعضها أطوقه وأسورة وفى بعضها أموال وفى بعضها قيود وأغلال ليطوق ويجوز ويسور من أبلى وأحسن وليقيد من أسر وأخذ من أصحاب يعقوب.

فلما أسر يعقوب طوقاً ورؤساء جيشه أمر بحياسة كل من كان مع طوق وأصحابه من المال والأثاث والكراع والسلاح، فحيز ذلك كله وجمع إليه. فلما أتى بالصناديق أمر بفتح بعضها فإذا فيه قيود وأغلال فقال لطوق :

- « يا طوق ما هذه القيود والأغلال ؟ »

قال : « حملنيها على بن الحسين على رسم العساكر لأقيد بها الأسرى وأغلهم. »

فقال يعقوب : « يا فلان اجعل أكبرها وأثقلها فى رجل طوق وعنقه، والباقية فى أرجل أصحابه وأعناقهم. »

ولم يزل يفتح الباقية من الصناديق حتى فُتحت صناديق الأطواق والأسورة فقال :

- « يا طوق ما هذه ؟ »

١. كذا فى الأصل وآ ومط والطبرى (١٢: ١٧٠٠) : إلا كلاً ولا.

قال : « حَمَلْنِيهَا عَلَيَّ [427] لِأَطَوَّقَ وَأَسُورَ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالْإِحْسَانِ. »
فقال : « يَا فُلَانُ خُذْ هَذِهِ الْأَطَوَاقَ وَالْأَسُورَةَ فَطَوِّقْ فُلَانًا وَسُورَهُ، وَفُلَانًا
وَفُلَانًا. » حَتَّى فَرَّقَ تِلْكَ الْأَطَوَاقَ كُلَّهَا ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ذِرَاعِ طَوَّقٍ وَعَلَيْهَا عَصَابَةٌ
فقال :

- « يَا طَوَّقُ مَا هَذَا؟ »

قال : « أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، كُنْتُ وَجَدْتُ حَرَارَةً فَفَصَدْتُ. »
فَدَعَا يَعْقُوبَ بَعْضُ مَنْ مَعَهُ فَأَمَرَ بِمَدِّ خُفِّهِ، فَتَنَائَثَرَ مِنْ خُفِّهِ كِسْرُ خَبْزٍ
يَابِسَةٍ فَقَالَ :

- « يَا طَوَّقُ هَذَا خُفِّي لَمْ أَتَزَعِهِ مِنْ رِجْلِي مِنْذُ شَهْرٍ وَكَسَرَ خَبْزِي فِي
خُفِّي، مَا وَطَأْتُ فِرَاشِي وَلَا تَوَدَعْتُ وَأَنْتَ جَالِسٌ فِي الشَّرْبِ وَالْمَلَاهِي.
أَفَبِهَذَا التَّدْبِيرُ أَرَدْتَ حَرْبِي وَقِتَالِي. »
ثُمَّ دَخَلَ يَعْقُوبُ كَرْمَانَ فَحَازَهَا وَصَارَتْ مِنْ عَمَلِهِ مَعَ سَجِسْتَانَ.

دخول يعقوب بن الليث فارس
وفيها دخل يعقوب بن الليث فارس فملكها وأسر علي بن الحسين بن
قريش.

مركز تحقيق كاتپوز علوم اسلامی

ذكر الخبر عن ذلك

ورد على علي بن الحسين خبر وقعة يعقوب بن الليث بصاحبه طوق بن
المغلّس ودخول يعقوب كرمَانَ واستيلائه عليها ورجع أهل الفلّ. فأيقن
بإقبال يعقوب إلى فارس وعليّ يومئذٍ بشيراز من أرض فارس. فضمّ إليه
جيشه والفلّ وغيرهم [428] وأعطاهم السلاح ثمّ برز من شيراز فصار إلى
الكرّ خارج شيراز بين آخر طُرُقِهِ عَرْضًا مَعًا يَلِي أَرْضَ شِيرَازَ وَبَيْنَ عَرْضِ

جبل بها من الفضاء، قدر ممر رجل أو دابة، لا يمكن أن يمر فيه أكثر من واحد من ضيقه. فأقام في ذلك الموضع وضرب عسكره على شاطئ الكُرّ ممّا يلي شيراز، وأخرج معه السوقة والتجار من مدينة شيراز إلى معسكره وقال:

- «إن جاء يعقوب لم يجد موضعاً يجوز فيه الفلاة إلينا لأنّه لا طريق له إلا ذلك الفضاء الذى بين الجبل والكُرّ وإنما هو ممر رجل إذا قام عليه رجل واحد منع من يريد أن يجوزه وإذا لم يقدر أن يجوز إلينا بقى فى البرّ بحيث لا طعام له ولا لأصحابه ولا علف لدوابهم.»

فأقبل يعقوب حتّى قرب من الكُرّ، فأمر أصحابه بالنزول أول يوم على نحو ميل من الكُرّ ممّا يلي كرمان. ثمّ أقبل هو وحده بيده رمح عُشارى، ما معه إلا رجل واحد. فنظر إلى الكُرّ والجبل والطريق، وتأمل عسكر على بن الحسين، فجعل أصحاب على يشتمونه ويقولون:

- «لنردنك إلى تشعيب^(١) القماقم والمراجل يا صفّار.»

وهو ساكت لا يرّد عليهم شيئاً. فلما تأمل كلّ ما أراد [429] ورءاه انصرف راجعاً إلى أصحابه. فلما كان من الغد عند الظهر أقبل بعسكره ورجاله حتّى صار إلى شاطئ الكُرّ ممّا يلي برّ كرمان فأمر أصحابه فنزلوا عن دوابهم وخطّوا أثقالهم.

ثمّ فتح صندوقاً كان معه والناس ينظرون إليه فأخرجوا منه كلباً ذئبياً، ثمّ ركبوا دوابهم أعراء وأخذوا رماحهم بأيديهم. قال: وقبل ذلك ما قد عبأ على بن الحسين أصحابه وأقاموا صفوفاً على الممرّ الذى بين الجبل والكُرّ، وهم يرون أنّه لا سبيل ليعقوب ولا طريق له يمكنه أن يحوزه غيره، ثمّ جاءوا

١. فى الطبرى (١٢: ١٧٠٣): إلى شعب المراجل. التشعيب والشعب: الإصلاح.

بالكلب فرموا به فى الكُرّ وأصحاب على ينظرون إليه ويضحكون منه ومنهم. فلما رموا بالكلب فيه جعل الكلب يسبح فى الماء إلى جانب عسكر على بن الحسين، واقتحم أصحاب يعقوب دوابهم خلف الكلب، وبأيديهم رماحهم يسرون فى أثر الكلب. فلما رأى على بن الحسين أن يعقوب قد قطع عامّة الكُرّ إليه انتقض عليه تدبيره وتحير فى أمره. ولم يلبث أصحاب يعقوب إلاّ أيسر ذلك حتّى خرجوا من الكُرّ من وراء أصحاب على بن الحسين. فلم يكن بأسرع من أن خرج أوائلهم منه حتّى هرب أصحاب على يطلبون [430] الهرب إلى مدينة شيراز. لأنّهم كانوا إذا خرج أصحاب يعقوب من الكُرّ بين جيش يعقوب وبين الكُرّ، فلا يجدون ملجأ. فلما أن هزموا تقطّر بعلّى دابّته فسقط إلى الأرض، ولحقه بعض السجزية، فرفع عليه سيفه ليضربه فصاح عليه غلام لعلّى :

«الأمير، الأمير.»

فنزل إليه السجزيّ فوضع عمامته فى عنقه، ثمّ جرّه إلى يعقوب. فلما أتى به أمر بتقييده وأمر بما كان فى عسكر على من آلة الحرب من السلاح والكرّاع وغير ذلك، فجمع إليه. ثمّ أقام بموضعه حتّى أمسى وهجم عليه الليل.

ثمّ رحل من موضعه ودخل مدينة شيراز ليلاً وأصحابه يضربون بالطبول، فلم يتحرّك أحد. فلما أصبح أنهب أصحابه دار على بن الحسين ودور أصحابه، ثمّ نظر إلى ما اجتمع فى بيت المال من مال الخراج والضياع، فاحتمله ووضع الخراج فجباه.

ثمّ شخص متوجّهاً إلى سجستان وحمل معه على بن الحسين بن قريش ومن أسر معه من قواده.

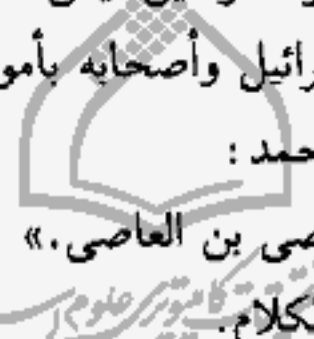
ووجّه يعقوب بن الليث إلى المعتزّ بدوابّ وبُرّاة ومِسْكٍ وثياب هدية.

وفيهما ورد سليمان بن عبد الله بن طاهر [431] سُرَّ مَنْ رَأَى مِنْ خِرَاسَانَ
وَدَخَلَ عَلَى الْمُعْتَزِّ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَانصَرَفَ، ثُمَّ وَلَّاهُ شَرْطَةَ بَغْدَادَ وَالسَّوَادَ.
وفيهما أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل والحسن بن مَخلَد وأبا نوح
عيسى بن إبراهيم، وهرب أحمد بن صالح بن شیرزاد إلى بغداد، فاستخفى
عند كاتب له يقال له: ابن واضح، فقيدهم وطالبهم بالأموال.

ذكر السبب في ذلك

كان هؤلاء الكتّاب اجتمعوا على شراب لهم يوم الأربعاء. فلَمَّا كَانَ مِنَ
الغد ركب أحمد بن إسرائيل في جمع عظيم إلى دار السلطان التي يقعد فيها،
وركب ابن مَخلَد إلى دار قُبَيْحَةَ^(١) أُمَّ الْمُعْتَزِّ وهو كاتبها. وحضر أبو نوح
الدار والمعتزّ نائم. فانتبه قريباً من نصف النهار وأذن لهم. فحمل صالح بن
وصيف على أحمد بن إسرائيل في الكلام فقال للمعتزّ:
- «يا أمير المؤمنين ليس للأتراك عطاء ولا في بيت المال مال، وقد
ذهب ابن إسرائيل وأصحابه بأموال الدنيا.»
فقال له أحمد:

- «يا عاصي بن العاصي.»

وتراجعا الكلام.  ^١ *توضيح: في نسخة أخرى: «يا عاصي بن العاصي.»*

وكان الأتراك قد شغبوا قبل ذلك وطلبوا أرزاقهم. فقال أبو نوح لصالح
عند مراجعته أحمد بن إسرائيل وقول أحمد: يا عاصي بن العاصي:
- «هذا الشغب أيضاً تدبيرك على الخليفة.»
فغشى على صالح وسقط [432] إلى الأرض ممّا داخله من الغيظ

والغضب، حتّى رشّوا على وجهه الماء وأفاق، وجرى بينهم كلام كثير وبلغ ذلك أصحابه وهم على الباب. فصاحوا صيحة واحدة واختلطوا سيوفهم ودخلوا على المعتزّ مصلتين فلما رأى ذلك المعتزّ دخل وتركهم فأخذ صالح ابن وصيف بن إسرائيل وابن مخلد وأبا نوح عيسى فقيدهم وثقلهم بالحديد وحملهم إلى داره.

فقال المعتزّ لصالح قبل أن يحملهم:

- «هَبْ لِي أَحْمَد، فَإِنَّهُ كَاتِبِي وَهُوَ رَبَّانِي.»

فلم يفعل ذلك صالح ثمّ ضرب ابن إسرائيل حتّى كسرت أسنانه وبُطِح ابن مخلد فضُرب مائة مِرْعَة. وكان عيسى بن إبراهيم محتجماً فلم يزل يُصَفَع حتّى جرت الدماء من محاجمه وأخذت خطوطهم بـمَالٍ جَلِيلٍ قُسْطُ^(١) عليهم.

وبعث المعتزّ إلى أبي عبد الله بن محمد بن يزداد المروزي فحُمِلَ ليستوزره.

وبعثت قبيصة أمّ المعتزّ إلى صالح بن وصيف في ابن إسرائيل:

- «إِنَّمَا حَمَلْتَهُ إِلَى الْمُعْتَزِّ وَإِنَّمَا رَكِبْتُ إِلَيْكَ فِيهِ.»

ثمّ قدم جعفر بن محمود ومال إليه الأتراك، ولم يكن للمعتزّ فيه أرب قولِي الأمر والنهي. ختمت كاتبة علوم إسلامي

خلع المعتزّ وموته

ولثلاث بقين من رجب خُلع المعتزّ وليلتين خلّتا من شعبان أظهر موته. (٢) [433]

١. كذا في الأصل والطبري (١٧٠٧:٢): قُسْط. في مط: فسقط عليهم.

٢. وزاد في الأصل وآ: «وكان السبب في خلعه» فحذفناه. لأنّ العنوان الأنسب يأتي بعده. وما

ذكر سبب خلعه

لَمَّا جَرَى فِي أَمْرِ الْكِتَابِ وَأَمْرِ الْأَتْرَاكِ مَا جَرَى، لَمْ يَرْتَفِعْ مِنْ حَصَّتِهِمْ مَا ظَنَّهُ الْأَتْرَاكِ وَتَقَاعَدَ بِهِمُ الْكِتَابُ فَصَارُوا إِلَى الْمُعْتَرِّ يَطْلُبُونَ أَرْزَاقَهُمْ. وَقَالَ الْأَتْرَاكِ :

- «وَقَفْنَا أَرْزَاقَنَا حَتَّى نَقْتُلَ لَكَ صَالِحَ بْنِ وَصِيفٍ وَنُنْتَظِمَ أَمْرَكَ.»
فَأَرْسَلَ الْمُعْتَرِّ إِلَى أُمِّهِ يَطْلُبُ مِنْهَا مَالاً يُرْضَى بِهِ الْأَتْرَاكِ فَقَالَتْ :
- «مَا عِنْدِي مَالٌ.»

فَلَمَّا نَظَرَ الْأَتْرَاكِ إِلَى امْتِنَاعِ الْكِتَابِ مِنْ أَنْ يَعْطُوهُمْ شَيْئاً وَلَمْ يَجِدُوا فِي بَيْوتِ الْمَالِ شَيْئاً وَالْمُعْتَرِّ وَأُمَّهُ قَدْ امْتَنَعَا مِنْ أَنْ يَسْمَحَا لَهُمْ بِشَيْءٍ، صَارَتْ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً وَكَلِمَةُ الْفَرَاغَةِ وَالْمَغَارِبَةِ مَعَهُمْ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى خَلْعِ الْمُعْتَرِّ. فَصَارُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَرْعَهُ إِلَّا صِيَاحَ الْقَوْمِ، وَإِذَا صَالِحُ بْنُ وَصِيفٍ وَبَايَكْبَاكِ وَمُحَمَّدُ بْنُ بُغَا أَبُو نَصْرٍ قَدْ دَخَلُوا فِي السِّلَاحِ، فَجَلَسُوا عَلَى بَابِ الْمَنْزِلِ الَّذِي يَنْزِلُهُ الْمُعْتَرِّ. ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ :

- «أَخْرِجْ إِلَيْنَا.»

فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ :

- «إِنِّي أَخَذْتُ أَمْسِي دَوَاءً وَقَدْ أَخْلَفْنِي اثْنِي^(١) عَشَرَ مَجْلِساً، وَمَا أَقْدَرُ عَلَى الْكَلَامِ مِنَ الضَّعْفِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْهُ، فَلْيَدْخُلْ إِلَيَّ بَعْضُكُمْ وَلِيَعْلَمْنِي.»
وَهُوَ يَرَى أَنَّ أَمْرَهُ وَاقِفٌ عَلَى حَالِهِ.

فَدَخَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ وَالْدُورِ [434] مِنْ خُلَفَاءِ الْقَوَادِ، فَجَزَّوْا

→

حذفناه غير موجود في مط.

١. في الأصل : اثنا عشر.

برجله إلى باب الحجرة. قال: وأحسب أنهم تناولوه بالضرب. فإنه خرج وقميصه مخرق في مواضع وآثار الدم على منكبه. فأقاموه في الشمس في الدار في وقت شدة الحر. فجعل يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي قد أقيم فيه. ثم قام بعضهم إليه وجعل يلطمه وهو يتقى بيده. وقالوا له:

- «اخلعها».

وكان الأتراك قبل مكاشفته التمسوا منه خمسين ألف دينار ليقتلوا صالح بن وصيف ويستقيم أمره. فطلب من أمه قبيحة هذا المقدار، فتنحت عليه به ومنعته وقالت:

- «ليس عندي مال».

ثم وجد لها من المال الصامت من العين والجوهر ثلاثة آلاف دينار سوى الآلات وسنذكر بعض ذلك في المستأنف. وكانت قبيحة حظية المتوكل، وسميت قبيحة لحسنها على طريق الضد. ويقال: إنه لم ير مثلها حسناً. ثم إن الأتراك أحضروا ابن أبي الشوارب مع جماعة من أصحابه. فقال له صالح:

- «اكتب عليه كتاب الخلع» - يعني المعتز.

فقال: «لا أحسنه».

وكان معه رجل إصبهاني فقال:

- «أنا أكتب ويتخلص الرجل».

فكتب وشهدوا عليه.

فقال ابن أبي الشوارب:

- «إنهم شهدوا [435] على أن له ولأخيه ولابنه وأمّه الأمان».

فقال صالح بكفه :

- «أى نعم.»

ووكّلوا به وبأَمّه نساء، وكانت أمّه قد اتخذت فى الدار سرباً تنفذ إلى حيث تأمن وتخرج منه، فدخلت السرب وفرت هى وأخت المعتز. ثمّ عذّب المعتز بعد الخلع، فلم يوجد له شىء. فمَنعه المَعذّب الطعام والشراب ثلاثة أيّام فطلب حسوة من ماء البئر فمَنعوه. ثمّ جصّصوا له سرداباً بالجصّ الثخين^(١) وأدخلوه فيه وأطبقوا عليه بابه، فأصبح ميّتاً. فكانت خلافته أربع سنين وستّة أشهر وأربعة عشر يوماً وكان عمره كلّهُ أربعاً وعشرين سنة. وكان أبيض، أسود الشعر كثيفه، حسن الوجه والعينين، ضيق الجبين، أحمر الوجنتين، حسن الجسم طويلاً.



مركز تحقيقات کاپتور علوم اسلامی

١. كذا فى الأصل وآ ومط والطبرى (١٢: ١٧١١) : الثخين (بالثاء المثناة).

خلافة المهتدى بالله ابن الواثق

وفى يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب ببيع محمد بن الواثق وسُمي المهتدى بالله، وكنيته أبو عبد الله. ولم يقبل بيعة أحدٍ حتى أتى بالمعتز فخلع نفسه وبايع محمد بن الواثق. وكانت نسخة الرقعة بخلع المعتز نفسه :
«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما شهد عليه الشهود المسمون فى هذا الكتاب، شهدوا جميعاً : أنّ أبا عبد الله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقرّ عندهم [436] وأشهدهم على نفسه فى صحّة من عقله وبدنه وجواز من أمره طائعاً غير مكره، وأنّه نظر فيما كان تقلّده من الخلافة والقيام بأمر المسلمين، فرأى أنّه لا يصلح لذلك ولا يكمل له، وأنّه عاجز عن القيام بما يجب عليه فيها، ضعيف عنه. فأخرج نفسه من الخلافة وبرأ منها وخلع نفسه وبرأ^(١) كلّ من كانت له فى عنقه بيعة من جميع أوليائه وسائر الناس ممّا كان له فى رقابهم من البيعة والعقود والمواثيق والأيمان بالطلاق والعناق والصدقة وسائر الأيمان، وحلّ لهم من جميع ذلك، وجعلهم فى سعة منه فى الدنيا والآخرة بعد أن تبين له أنّ الصلاح له وللمسلمين فى خروجه عن الخلافة والتبرؤ منها. وأشهد على نفسه بجميع ما فى هذا الكتاب جميع الشهود من

حضر بعد أن قرأ عليه حرفاً حرفاً، فأقرّ بفهمه ومعرفة ما فيه طائعاً غير مكره. وذلك يوم الإثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين.»

فوقع المعترّ في ذلك. أقرّ أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطّه.

وكتب محمد بن الواثق المهتدي بالله إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام، أنّ الناس [437] قد بايعوه. وكان هناك أبو أحمد بن المتوكل، فبعث سليمان إليه فأحضره داره، وسمع من ببغداد من الجند والغوغاء بالخبر، فاجتمعوا إلى باب سليمان وضجّوا فخطبوا أنّه لم يرد علينا خير نثق به، فانصرفوا إلى يوم الجمعة وخطبوا للمعترّ. فلما كان يوم السبت اجتمعوا وهجموا على دار سليمان في داره وسألوه أن يُريهم أبا أحمد بن المتوكل فأظهره لهم. ثمّ وعدهم أن يصير إلى محبّتهم إن تأخّر عنهم ما يحبّونه فأكدوا عليه في حفظه وانصرفوا عنه.

ثمّ قديم بارجوخ ومعه ثلاثون ألف دينار لإعطاء الجند. فضجّ الناس ورجع بارجوخ ووقعت الفتنة والعصية ببغداد، وقصد دار سليمان وكان قد شحنها بمن يحفظها. فحاربهم أهل بغداد في شارع دجلة وعلى الجسر، فقتل خلق وغرق خلق. ثمّ وجه إلى بغداد مال رضوا به، وبايع الناس واستقامت الأمور وسكنت الفتنة.

وفي شهر رمضان من هذه السنة ظهرت قبيحة ودلّت على الأموال التي لها والذخائر والجواهر.

ذكر سبب ظهور قبيحة [438]

كانت قبيحة قدّرت الفتك بصالح بن وصيف وواطأت على ذلك النفر من

الكبار الذين أوقع بهم صالح. فلما حصلوا في يد صالح وعذبوا، علمت أنهم لا يطوون عن صالح شيئاً من الخبر بسبب ما نالهم به من العذاب. فأيقنت بالهلاك وكانت قد أطلعت الكتاب على ما تبذله في قتل أولئك الأتراك فعملت في التخلص.

فبادرت إلى صالح بن وصيف ووسّطت بينها وبينه العطارة وكانت تثق بها وكان لها مال ببغداد. فكتبت في حمله فاستخرج وحمل قدر خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار ووقعوا على خزائن لها ببغداد، فحُمل إلى السلطان منها متاع عظيم. ولم تزل خزائنها وأموالها متصلة والبيع منها دائماً وحوالة الجند عليها ببغداد وسرّ من رأى عدّة شهور. ثم وقف صالح على خزانة قبيحة فأرسل إلى رجل جوهرى قال الرجل: فدخلت إليه فقال:

«إنّ لقبيحة^(١) خزانة في موضع يرشدك إليها هذا. فامض ومعك أحمد

بن خاقان وصر إلىّ معه.»

قال: فمضينا إلى الصفوف بحضرة المسجد الجامع وجاء بنا ذلك الرجل إلى دار صغيرة معمورة نظيفة فدخلناها وفتشنا كل موضع [439] فيها فلم نجد شيئاً. وجعل ذلك يغلظ على أحمد بن خاقان ويتهذد الرجل ويتوعده ويشتمه. فأخذ الرجل فأساً وجعل ينقر به الحيطان يطلب موضعاً قد صير فيه المال. فلم يزل كذلك حتى وقع الفأس على موضع من الحائط استدلّ بصوته على أنّ فيه شيئاً. فهدمه وإذا من ورائه باب ففتحناه ودخلنا فأدانا إلى سرب، وصرنا إلى دار تحت الدار التي دخلناها على بنائها وقسمتها. فوجدنا من المال على رفوف في أسفاط ألف ألف دينار. فأخذ أحمد ومن كان معه قدر ثلاثمائة ألف دينار.

١. انظر الطبري (١٢: ١٧١٥).

ووجدنا ثلاثة أسفاط : سفاطاً فيه مقدار مَكَّوك زمرداً لم أر للمتوكل ولا لغيره مثله، وسفاطاً دونه فيه نصف ملوك حباً كباراً ما ظننت والله أن مثله يكون، وسفاطاً دونه فيه مقدار كيلجة ياقوتاً أحمر لم أر مثله ولا ظننت أن مثله يوجد في الدنيا. فقومت الجميع على البيع ألفي ألف دينار، فحملناه كله إلى صالح. فلما رآه جعل لا يصدق ولا يوقن حتى أحصى بحضرته ووقف عليه. فقال عند ذلك :

- «فعل الله بها وصنع، عرّضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار وعندها مثل هذا في خزانة واحدة من خزائنها». [440]

ولم تزل قبيحة مقيمة إلى أن حضر وقت الحج، فسُيرت إلى مكة مع أصحاب المهتدي بالله. فحكى من سمعها في طريقها وهي تقول اتدعو الله على صالح بن وصيف بصوت :

- «اللهم أخزِ صالح بن وصيف كما هتك سترى وقتل ولدى وبدد شملى وأخذ مالى وغرّبنى عن بلدى وركب الفاحشة منى». ولما انصرف الناس عن الموسم احتُبست بمكة. وفي هذه السنة قُتل أحمد بن إسرائيل وأبو نوح.

مركز تحقيق تكملة توير علو ذكر السبب في قتلها

إنّ صالح بن وصيف لما استصفى أموالهما وأموال الحسن بن مخلد عذبهم وقرب كوانين الفحم المشعلة منهم في شدة الحرّ ومنعهم كل راحة، ولم يعارضه المهتدي، وكان عبد الله بن محمد بن يزداذ يقول لصالح :

- «اقتلهم فإنهم إن أفلتوا لم تؤمن بوائقهم في الأعقاب فضلاً عما وترهم».

فحكى الحسن بن مخلد قال : كان داود بن أبي العباس الطوسي يُحضرنا

عند صالح بجميل فيقول :

- «وما هؤلاء - أعزك الله - حتى يبلغ منك الغضب بسببهم هذا المبلغ، فنظنته يرفقه^(١) علينا حتى يقول، على أنى والله أعلم [441] أنهم إن تخلصوا انتشر منهم شر كثير وفساد فى الإسلام عظيم، فينصرف والله وقد أفتى بقتلنا وأشار عليه بإهلاكنا فيزداد علينا برأيه وكلامه غيظاً.»

ثم وُكِّل بأحمد بن إسرائيل وأبى نوح، عيسى أحمد بن محمد بن حمّاد دنقش فأسرف فى تعذيبهما ثم أقام أحمد بن إسرائيل يُضرب وابن دنقش يقول :

- «أوجع.»

فكان كل جلاّد يضربه سوطين يتنحى، حتى وقوه خمسمائة سوط. ثم أقاموا أبا نوح فضربوه كذلك أيضاً ضرب التلف. ثم حملا على بغلين من بغال السقائين على بطونهما منكسة رؤوسهما ظاهرة ظهورهما للناس، فتلفا فى الطريق.

وأما الحسن بن مخلد فتخلص بخصلتين إحداهما أنه صدقه عن جميع ما سأله عنه والآخر أن المهتدي كلمه فيه وقال :

- «لأهله حرمة وأنا أحبّ صلاح شأنه.»

فنجوا من بينهم

انصراف مفلح من طبرستان

وفيهما انصرف مفلح من طبرستان بعد أن كان دخلها، وأخرج الحسن بن زيد.

١. كذا فى آ والطبرى (١٧٢٤:١٢) : يرفقه. فى الأصل ومط : يرفقه.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن قبيحة كتبت إلى موسى بن بغا - لما رأت من الأتراك اضطراباً [442] وأنكرت أمرهم - تسأله القدوم إلى ما قبلها وأملت بوروده فرجاً لها ولابنها. فعزم موسى على الإنصراف إليها وكتب إلى مفلح وهو بطبرستان يأمره بالإنصراف إليه وهو بالرى. فورد عليه كتاب موسى وقد توجه نحو أرض الديلم في طلب الحسن بن زيد.

فلما ورد عليه الكتاب انصرف راجعاً. فعظم ذلك على رؤساء طبرستان ومن كان هارباً قبل قدوم مفلح، وكانوا قد رجوا^(١) بقدمه الرجوع إلى منازلهم وأموالهم. وذلك أن مفلحاً كان يعدهم اتباع الحسن بن زيد حتى يظفر به أو يخترم^(٢) دونه، فلما رأى الناس انصرافه من غير عسكر للحسن بن زيد ولا أحد من الديلم، سألوه عن السبب الذي صرفه وجعلوا يكلمونه وهو كالمسبوت^(٣) لا يجيبهم فلما أكثروا عليه قال لهم:

- «ورد على كتاب موسى بعزيمة منه أن لا أضع كتابه من يدي حتى أقبل إليه، وأنا مغموماً بأمركم، ولكن لا سبيل إلى مخالفة الأمير.» ولم يتهياً لموسى الشخص من الرى إلى سُر من رأى حتى وافاه الكتاب بهلاك المعتز وقيام المهدي بعده بالأمر. ففتاه ذلك عما عزم عليه من الشخص، لفوت ما كان قدّر إدراكه من أمر المعتز. [443]

ثم إن الموالى الذين في عسكر موسى بلغهم ما استخرج صالح بن وصيف من أموال الكتاب وأسباب المعتز والمتوكل، فحسدوا المقيمين بسُر من رأى.

١. في مط: رجعوا.

٢. يخترم: كذا في آ ومط والطبرى (١٢: ١٧٣٧) والثاني مهمل في الأصل.

٣. سبت الرجل: أخذه الشبث.

فدعوا موسى إلى الإنصراف بهم إلى سُرٍّ مَنْ رأى. فأمر موسى أن يُستخرج من أهل الري خراج سنة ست وخمسين ومائتين. فأصبح الخراج في شهر رمضان فجُبي في يوم واحد خمسمائة ألف درهم فاجتمع أهل الري وقالوا: «أصلح الله الأمير ما سبب انصرافك عن هذا الثغر؟»

فقال: «إِنَّ الجند والموالي أبوا أن يقيموا، وإذا انصرفوا فما أَقلَّ غنائى عنكم.»

فقالوا: «أصلح الله الأمير. إِنَّ الموالى يرجعون لما يقدرون هناك من كثرة العطاء وأنت وأصحابك ها هنا فى أكثر وأوسع ممَّا فيه أولئك هناك. فإن رأيت أن تقيم وتسدَّ هذا الثغر وتحاسب فى أهله الأجر والثواب وتلزمنا من خراجنا فى خاصِّ أموالنا لمن معك ما ترى أننا نحتمله فعلت.» فلم يجبههم إلى ما سألوا.

فقالوا: «أصلح الله الأمير فإذا كان الأمير على تركنا و^(١) الإنصراف عنا، فما معنى أخذنا بالخراج لسنة لم نبتدأ بعمارته بعد، وأكثر غلَّة سنة خمس وخمسين التى قد استوفى الأمير خراجها منا فى الصحراء لا يمكننا [444] الوصول إليها، إن خرج الأمير عنا.» فلم يلتفت إلى كلامهم وخرج.

واتصل خبر انصرافه بالمهتدى، فكتب إليه فى ذلك كتباً كثيرة فلم يؤثّر شيئاً، فلَمَّا نظر^(٢) المهتدى أن موسى يسير ويخلُّ بموضعه وأنَّ كتبه إليه لا تعنى شيئاً، وجَّه إليه رسولين من بنى هاشم وحملهما رسائل إلى موسى ووجوه قوَّاده وإلى سائر عسكره يصدِّهم فيها عن الحركة ويصدِّقهم عن الحال بالحضرة وعن ضيق الأموال بها وما يحاذِر من ذهاب ما يخلِّفونه

١. كذا فى آ والطبرى (١٢: ١٧٣٩): والإنصراف. فى الأصل: من الإنصراف.

٢. إلى هنا تنتهى مخطوطة آ (آستان قدس).

وراءهم وغلبة الطالبين وأتباعه من الديلم عليه. فشخص الهاشميان مع جماعة من الوجوه والموالي وأقبل موسى يسير وصالح بن وصيف يُعظّم ذلك على المهتدى وينسبه إلى العصيان والخلاف.

وكان المهتدى قد هجر الشرب وكسر آلات الشراب، وكان ينسك ويجلس على اللبود ويجلس للمظالم ويشغل بالصوم والصلاة ودرس القرآن. فذكر أن كتاب صاحب البريد بهمذان ورد عليه بفصول^(١) موسى عنها. فرفع المهتدى يده إلى السماء وقال بعد حمد الله والثناء عليه :

- «اللهم إني أبرأ إليك من فعل موسى بن بُغا وإخلاله بالثغر وإباحته العدو وقد [445] أعذرت إليه فيما بيني وبينه اللهم تولّ^(٢) مَنْ كاد المسلمين. وانصر جيوش المسلمين حيث كانوا. اللهم إني شاخص نفسي إلى حيث نُكِب فيه المسلمون ناصراً لهم ودافعاً عنهم، فاجزني اللهم بنيتي إذ فقدتُ صالح الأعوان وعدمتُ الناصرين.»

ثم تحدّرت دموعه يبكي.

فذكر عمّن حضر مجلس المهتدى، أنّه رأى سليمان بن وهب في ذلك اليوم يقول :

- «يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أكتب إلى موسى بما أسمع منك؟» فقال : «نعم أكتب بما تسمع مني وإن أمكنك أن تنقشه في الصخر فافعل.»

ولمّا تلقاه الهاشميان والرسل لم يغنيا، وضجّ الموالي وكادوا يشبون بالرسل وردّ موسى في جواب الرسالة يعتذر بما عاين الرسل الموجهون إليه، وأنّه ليس يرضى القوم إلّا بورود باب أمير المؤمنين، وإن رام التخلف عنهم لم

١. في مط : بفضل.

٢. كذا في الأصل ومط : تولّ من كاد. في الطبري (١٢: ١٧٤) : تولّ كيد من كاد.

يأمنهم على نفسه.

وأوفد موسى مع الرسل وفداً من عسكره.

وكان كنجور نفى أيام المعتز إلى فارس ثم لحق بأبي ذلف وأثر بالأهواز
آثاراً قبيحة. فلما أقبل موسى انضم إليه فبلغ ذلك صالحاً فكتب عن المهدي
في حمل كنجور مقيداً، فأبى ذلك الموالي. ووجه المهدي أخاه إبراهيم لأمه
في كنجور يعلمه أن [446] الموالي لا يقارون كنجور ويأمره بتقييده وحمله
إلى بغداد. فكان جوابهم أن قالوا:

«إذا دخلنا سر من رأى امثلنا رأى أمير المؤمنين في كنجور وغيره.»

وفي سؤال من هذه السنة ظهر في فرات البصرة رجل علوي فجمع زنج
البصرة الذين [كانوا]^(١) يكسحون السباح ثم عبر إلى دجلة.

ذكر خبر العلوي صاحب الزنج

ومبدأ أمره وسبب خروجه

هذا الرجل مولده قرية من قرى الري يقال لها ورزنيين وقد شك قوم في
نسبه^(٢) وسمعت من لا أرتاب بخبره أنه صحيح النسب. وهو علي بن محمد
بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب عليهم السلام.

واتصل بقوم من حاشية المنتصر وغيرهم من كتاب السلطان فكان
يمدحهم ويستميحهم بشعره. ثم شخص إلى البحرين ودعا قوماً إلى طاعته،
فاتبعه جماعة من أهلها ووقعت بسببه عصبية قُتل فيها جماعة. فانتقل إلى
الأحساء. فحدث مثل ذلك بها فانتقل إلى البادية وادّعى النبوة ومعجزات

١. ما بين المعقوفتين هو من الطبري (١٧٤٢: ١٢).

٢. في الأصل: نفسه. في مط: نسبه. كما يؤيد الطبري (١٧٤٢: ١٢).

ذكرها عن نفسه. أحدها أنه زعم أن سحابة أظلمته [447] بالبادية، فبرقت ورعدت، فاتصل صوت الرعد بسمعه قال: فخطبت فقليل:
- «اقصد البصرة.»

فقلت لأصحابي وهم مطيفون بي:

- «أمرتُ بكذا. وكان سبب خروجي إلى البصرة.»

فتبعه قوم بالبصرة منهم علي بن أبان المهلبى وأخوه محمد بن الخليل وغيرهم وعامل البصرة يومئذ محمد بن رجاء الحضارى من قبل السلطان ووافق [ذلك]^(١) فتنة البلالية والسعدية. فطمع فى أحد الفريقين ووافى برنجل قصرأ فعرف بقصر القرشى. وأظهر أنه وكيل لولد الوائق فى بيع السبّاخ، وأقام أياماً.

فذكر عن ربحان وهو أحد غلمان الشورجيين^(٢) وهو أول من صحبه أنه قال: كنت موثقاً بغلمان مولاي، أنقل الدقيق إليهم من البصرة وأفرقه فيهم. فحملت إليهم يوماً الرسم فمررت به وهو مقيم ببرنجل فى قصر القرشى. فأخذنى أصحابه فصاروا بي إليه، وأمرونى بالتسليم عليه بالإمرة. ففعلت فسألنى عن الموضع الذى جئت منه، فقلت:

- «من البصرة.»

قال: «هل تمتعت لنا بالبصرة خيراً؟»

فقلت: «لا.»

قال: «فما خبر البلالية والسعدية؟»

قلت: «لا أعرف خبرهم.»

١. ما بين المعقوفين هو من الطبرى (١٢: ١٧٤٥).

٢. كذا فى الأصل ومط: الشورجين. فى الطبرى (١٢: ١٧٤٧): الشورجين. [نسبة إلى الشورج الآتى ذكره]

فسألني عن أخبار الشورجيين وما يُجرى لكلّ غلام منهم من الدقيق والتمر، وعَمَّن يعمل في الشورج [448] من الأحرار والعبيد، فأعلمته ذلك. فدعاني إلى ما هو عليه فأجبته. فقال لي :

«احتل فيمن قدرت عليه من الغلمان فأقبل بهم إليّ.»

ووعدني أن يقودني على من آتية به منهم وأن يُحسن إليّ، واستحلفني ألا أعلم أحداً بموضعه وأن أرجع إليه، فخلّى سبيلي فأتيت بالدقيق الذي معي إلى الموضع الذي كنت قصدته، وأقمت فيه يومى، ثم رجعت إليه من غدٍ فوافيته وقد قدّم عليه غلمان كان وجههم إلى البصرة في حوائج له وفيما حُمِلَ له حريرة ليأخذها لواء^(١) فأمر أن يُكتب عليها بحمرة وخضرة : «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.» إلى آخر الآية.^(٢) وكتب اسمه واسم أبيه وعلّقها في رأس مُردئ^(٣) وخرج في السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان.

فلما صار في مؤخر القصر الذي كان فيه لقيه غلمان رجل من الشورجيين متوجهين إلى أعمالهم. فأمر بأخذهم فأخذوا وكتف وكيّلهم وأخذه معهم، وكانوا خمسين غلاماً، وكان أهل البصرة في ذلك الزمان يشترون الزنوج ويخرجونهم إلى السباح فيكسحونها حتّى يصلوا إلى التربة الطيّبة فيعمرونها، وكسوح الزنوج [449] بالبصرة معروفة تُشاهد فيها تلال كالجبال وكان في أنهار البصرة منهم عشرات ألوف يُعذبون بهذه الخدمة، وتجرى عليهم أقواتهم من الدقيق والتمر.

ثم إنّ هذا الرجل العلويّ سار من موضعه الذي ذكرنا، فصار إلى الموضع

١. في مط : وفيما حمل إليه ليأخذها لواء. (بحذف «حريرة»)

٢. س ٩ التوبة : ١١١.

٣. المردئ : خشبة تُدفع بها السفينة.

الذى يعمل فيه البستاني، فأخذ منه خمسمائة غلام وأخذ وكيلهم فكتفه، ثم إلى موضع السيرافى فأخذ منه خمسمائة غلام، ولم يزل يومه يفعل ذلك حتى اجتمع له خلق من غلمان الشورجيين، ثم جمعهم وقام فيهم خطيباً. فمناهم ووعدهم أن يقودهم ويملكهم الأموال. وحلف لهم بالآيمان الغلاظ ألا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع ممكناً من الإحسان إلا أتى إليهم. ثم دعا مواليتهم فقال:

- «أردت أن أضرب أعناقكم لإساءتكم إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وفعلتم بهم ما حرّم الله عليكم وحملتموهم ما لا يطيقون فكلّمني أصحابي فيكم فرأيت إطلاقكم.»

فقالوا: «إن هؤلاء الغلمان أباق وهم يهربون منك، فلا يبقون عليك ولا علينا. فخذ منا مالاً وأطلقهم لنا.»

فأمر غلمانه فأحضروا شطباً، ثم بطح كلّ قوم مولاهم، فضرب كلّ رجل خمسمائة شطب، وأحلفهم بطلاق [450] نسايتهم ألا يعلموا أحداً بموضعه ولا بعدد أصحابه. فأطلقهم.

ثم سار حتى عبر دجيلاً وصار إلى نهر ميمون في سفن سماء وجدها، وأقام بجمع السودان إلى يوم الفطر. فلما أصبح نادى في أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا وركّز المردى الذى عليه لواءه وصلى وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال، وأن الله قد استنقذهم من ذلك وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمور، ثم حلف لهم على ذلك.

فلما فرغ من صلاته وخطبته أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لم يفهم من عجمهم لتطيب بذلك أنفسهم ففعلوا ذلك ودخل القصر.

ثم إن الحميرى قصد جماعة من أصحابه فأخرجوهم إلى الصحراء.

فلحقهم صاحب الزنج فيمن معه فأوقع بالحميري وأصحابه فانهزموا، واستأمن إليه رجل من رؤساء الزنج يكتئ بأبي صالح في ثلاثمائة من الزنج، فمناهم ووعدهم خيراً.

وكان ابن أبي عون قد قُلت الأبلّة وكور دجلة، وانتهى إليه أن عقيلاً والحميري مع خليفة ابن أبي عون قد أقبلوا نحوه ونزلوا نهر طين، فأمر أصحابه بالمصير [451] إلى الزريقية فوصلوا إليها مع صلاة الظهر فصلّوا بها ثم استعدّوا للقتال وليس في عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف ونهض راجعاً نحو المحمدية فوافاها، وتلاحق إليه أصحابه وكان جعل عليّ بن أبان في آخر أصحابه وأمره أن يتعرّف خبر من يأتيه من ورائه. فأتاه وقال له :

- «كنا نرى من ورائنا بارقة ونسمع حسّاً لقوم يتبعوننا فلسنا ندرى أرجعوا عنا أم هم قاصدون إلينا.»

فلم يستتمّ كلامه حتّى لحق القوم وتنادى الزنج :
- «السلاح.»

فبيدر مُفَرَّج النوبي وريحان وفتح الحجام - وكان فتح يأكل - فلما نهض تناول طبقاً كان بين يديه، وتقدّم أصحابه فلقية رجل فحمل عليه وحذفه^(١) بالطبق الذي كان في يده، وذهب ليكبّ عليه فرمى الرجل بسلاحه وولّى وانهزم أصحابه، وكانوا أربعة آلاف، رجل فذهبوا على وجوههم وقُتل من قُتل منهم ومات بعضهم عطشاً وأتى منهم بأسرى فأمر بضرب أعناقهم وحملت الرؤوس على بغال كان أخذها من الشورجيين كانت تنقل الشورج، ومضى حتّى وافى القادسيّة وقت المغرب. فخرج رجل من موالى الهاشميين فقتل رجلاً من السودان وأتاه الخبر [452] فقال له أصحابه :

١. حذفه بالمصا أو الحجر : ضربه ورماء.

- «أيذن لنا في انتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا.»

فقال: «لا سبيل إلى ذلك دون أن نعرف ما عند القوم، وهل كان ذلك عن رأيهم، ونسألهم أن يدفعوه إلينا، فإن فعلوا وإلا ساغ لنا قتالهم.» وأعجلهم المسير حتى مضى إلى نهر ميمون إلى المسجد الذي كان فيه، في بدايته، وأمر بالرؤوس التي حُمِلت معه فنُصبت، وأمر بالأذان أبا صالح النوبى، فأذن وسلّم عليه بالإمرة فقام وصلى بأصحابه العشاء الآخرة وبات بها.

ثم مضى إلى الكرخ فطواها. ثم عبر دُجَيْلاً بِجُبَيْ^(١) في مخاضة دَلّ عليها ولم يدخل القرية وأقام خارجاً منها وأرسل إلى مَنْ فيها فأتاه رؤساؤهم ورؤساء الكرخ فأمرهم بإقامة الأتراك له ولأصحابه فأقيم لهم ما أراد وبات ليلته.

فلما أصبح أهدى له رجل من أهل جُبَيْ فرساً كُميّاً فلم يجد له سرجاً ولا لجاماً. فركبه بحبل وشنقه^(٢) بليف وسار حتى انتهى إلى العباس فأخذ منه دليلاً إلى السيب وهرب أهل القرية فدخلها ونزل دار جعفر بن سليمان وهي في السوق وتفرّق أصحابه في القرية، فأتوه برجل فسأله عن وكلاء الهاشميين فأخبره أنهم في الأجمة فوجّه وأحضر رئيسهم [453] فسألهم وإيّاه عن المال فقال: «لا مال عندي.»

فأمر بضرب عنقه. فلما خاف القتل أقرّ بمال دفنه. فوجّه معه قوماً، فأتاه بمائتى وخمسين ديناراً وبألف درهم^(٣). فهذا أول مال صار إليه. ثمّ سأله

١. جُبَيْ : قرية. انظر الطبرى (١٧٥٣:١٢).

٢. شنقه : جذبه بزمامه وهو راكبه ورفع رأسه. فى الطبرى (١٧٥٣:١٢) : سنقه.

٣. فى الطبرى (١٧٥٤:١٢) : دينار.

عن دواب وكلاء الهاشميين فدلّه على ثلاثة براذين فدفعها إلى رؤساء أصحابه. ووجدوا داراً لبعض بني هاشم فيها سلاح فانتهبوه وصار في أيدي الزنج سيوف وآلات وزقايات وتراس وبات ليلته.

فلما أصبح أتاه الخبر أنّ رُميساً والحميري وعقيلاً قد وافوا السيّب فوجّه يحيى بن محمد في خمسمائة رجل فيهم سليمان وريحان وصالح النوبي الصغير فلقوا القوم فهزموهم وأخذوا سميرية وسلاحاً وهرب من كان هناك ورجع يحيى بن محمد فأخبره الخبر فأقام يومه ثم سار يزيد المذار. فلما صار ببامداد^(١) وهو نهر جاوزه حتّى أصحر فرأى بستاناً وتلاً فقصد التلّ فقعده عليه وأثبت^(٢) أصحابه في الصحراء وجعل لنفسه طليعة فاتاه الطليعة أو أرسل إليه يخبره أنّ رُميساً بشاطئ دجلة يطلب رجلاً يؤدّي عنه رسالة. فوجّه إليه عليّ بن أبان ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع، فلما أتوه قال: - «اقرأوا [454] على صاحبكم السلام وقولوا له: أنت آمن على نفسك حيث سلكت من الأرض. أردّد هؤلاء العبيد على مواليتهم وآخذ لك عن كلّ رأس خمسة دنانير.»

فأتوه فأعلموه ما قال لهم رُميس فغضب وآلى ليرجعن فليقرن بطن امرأة رُميس وليحرقن داره وليخوضن الدماء هناك. فذهبوا إليه فأجابوه فانصرف عنه.

ثم تعرّض له رُميس والحميري وصاحب ابن أبي عون مراراً في كلّ ذلك يهزمهم ويقتل أصحابهم ويأسر منهم ويغنم وكان يجمع الرؤوس ويأمر بالاحتفاظ بها، حتّى إذا رجع إلى موضعه من نهر ميمون نصبها هنالك. ثمّ إنّه صار إلى القرية التي قُتل فيها رجل من أصحابه فأمر من يصير إليها

١. ما في الأصل مهمل. فأعجمناه كما في الطبري (١٧٥٥: ١٢).

٢. في مط والطبري (١٧٥٥: ١٢): وأثبت.

فيسأل أهلها أن يسلموا إليه القاتل في ممّره كان بهم. فرجع إليه فأخبره أنهم زعموا أنه لا طاقة لهم بذلك الرجل لولائه من الهاشميين ومنعهم له، فصاح بالغلّمان وأمرهم بانتهاب القرية فانتهب منها مالاً عظيماً عيناً وورقاً وجوهرأ وحلياً وأواني ذهباً وفضّة وسبى يومئذ غلماناً ونسوة، وذلك أول شيء سبى. وأتى بمولى الهاشميين القاتل فضرب عنقه [455] وأخذ أصحابه شراباً وجدوه وبلغه ذلك فحرّم النبيذ عليهم وقال لهم:

- «أنتم تلاقون الجيوش فدعوا شرب النبيذ.»

فأجابوه إلى ذلك.

وواقع من غد هذا اليوم أصحاب رُميس وأصحاب عقيل على الشطّ والدُّنبلا^(١) في السفن يرمون بالنشاب فحمل عليهم الزنج فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهبّت ريح من غربى دجيل فحملت السفن إلى الشطّ فوثب إليها السودان فقتلوا من فيها وهرب رُميس فنزل سفينة فأنهبها أصحابه وأحرقها.

وقعته مع بعض الأتراك

وكثُر بعد ذلك عيثه وعظمت شوكته وسبى وأفسد وعظمت نكايته. فمن عظيم ما كان له من الوقائع مع السلطان وقعة كانت مع بعض الأتراك يكنى أبا هلال في سوق الرّبان أو ذلك أنّ هذا التركى وافاهم في هذه السوق ومعه أربعة آلاف رجل أو يزيدون وفي مقدّمته قوم عليهم ثياب مُشهرة وأعلام وطبول. فحمل عليهم السودان حملة صادقة وانتهى بعض السودان إلى صاحب علم القوم فضربه بخشبتين كانتا في يده فصرعه وانهزم القوم وتلاحق السودان فقتلوا من أصحاب [456] ابن هلال ألف وخمسمائة ونجا

١. في الطبرى (١٢: ١٧٦٣): الديبلا. في مط: الربدلا. وهو تصحيف.

أبو هلال على دابة عربي^(١) وحالت ظلمة الليل بينهم. فلما أصبح أمر بتتبعهم ففعلوا وجاءوا بأسرى ورووس، فقتل الأسرى كلهم. وكانت له وقعة أخرى بعد هذه الوقعة شبيهة بهذه ظفر فيها بأصحاب السلطان وكانت له وقعات عظام تركنا ذكرها لأننا لم نجد فيها غير إقدام الزنج بجهلهم وطمعهم وسوء ثبات^(٢) الجند لهم وأنهم تهيبوهم فكانوا كالجزارين يقعون في الغنم فيقتلون كيف شاءوا ومثل هذه الحروب لا يستفاد منها تجربة، فلذلك أعرضت عن ذكرها إلى أن أضعف أهل البصرة فلم يبق فيهم من يخرج إليه وقتل أصحاب السلطان فتهيبه الناس.

أشدّ يوم لقيه صاحب الزنج

فحكى صاحب الزنج أنه لم يلق يوماً أشدّ من يوم الشذاة وهو يوم استشدّ له أهل البصرة فلم يبق فيها سعدى ولا بلالى ولا أحد من أصحاب السلطان ولا غيرهم إلا جمعوا له. وكان هناك رجل يُعرف بحمّاد الساجي وكان من غزاة البحر في الشذوات وله علم بالحروب فيها، فجمع في شذاءاته المطوعة ورُماة الأهداف ولم يبق بالبصرة من يحمل [457] السلاح إلا خرج. إمّا في الشذاءات وإمّا على الظهر، وانضمّ إليه النظارة ومن لا سلاح معه ولم يشكوا في اصطلام صاحب الزنج وأصحابه، فدخلت الشذاءات والسفن التي معها النهر المعروف بأَمّ حبيب، ومرّت الرّجالة والنظارة على شاطئ النهر وقد سدّوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفاً وكثرة. فقال بعد ذلك صاحب الزنج:

«إني لما رأيت ذلك الجمع عانيت أمراً هائلاً وراعني ذلك وملأ صدري

١. في الطبري (١٧٦٦: ١٢): غزى.

٢. كذا في مط: ثبات.

رهبة وجزعاً وفزعت إلى الدعاء وليس منا أحدٌ إلّا وقد خُيِّل إليه مصرعه فجعل مصلح يعجبني من كثرة الجمع وأنا أومئى إليه بالسكوت وعيَّنت أصحابي وجعلت لهم كمينين وقلت لمن لقي القوم :

- «اجتثوا لهم واستتروا بتراسكم ولا يثورن أحد منكم حتى يوافيكم القوم ويومئوا إليكم بأسيا فهم فحينئذٍ ثوروا.»

وأمرت نساء الزنج بجمع الآجر وإمداد الرجال به. ففعلوا^(١) ذلك. فلما رأوا أصحابي وخرج الكمينان من جنبتي النهر ومن وراء السفن فصاحوا بهم. رأيت سُميريّة قد انقلبت. وتبعها آخر. وانهزم من كان على الشط.

فقتلت طائفة وهربت طائفة وغرقت طائفة ومن هرب طمعاً في النجاة أدركه السيف والفُرق [458] فأبهر ذلك الجمع ولم ينبج منهم إلّا الشريد وكثر المفقودون من البصرة وهذا يوم الشذا الذي عظّمته الناس وذكروا كثرة من قتل فيه. فكان فيهم من ولد جعفر بن سليمان عدّة في خلق لا يُحصى عددهم. وأمر الخبيث بجمع الرؤوس وذهب إليه أولياؤه فعرضها عليهم فأخذوا ما عرفوا منها وعبأ ما بقى عنده في سفينة وأخرجها من النهر وأطلقها مع الماء فوافت البصرة فوقفت في مشرعة تُعرف بمشرعة القيّار. فجعل الناس يأخذون ما عرفوا.

وقوى الخبيث بعد هذا اليوم وضعف طالبوه بل لم يبق له طالب. فقال له أصحابه :

- «إنّا قتلنا مقاتلة البصرة ولم يبق فيها إلّا من لا حراك به فأذن لنا في تقحّمها.»

فزبرهم وهجن آراءهم وقال :

١. كذا في الأصل ومط : ففعلوا.

- «بل ابعدوا عنهم فقد أربعناهم وأحفظناهم، والرأى أن تدعوا حربهم حتى يكونوا هم الذين يطلبونكم.»
ثم انصرف بأصحابه إلى سبخة أى قُرّة، وهى بين نهرين وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ وهذه السبخة بين النخل والقرى والعمارات فكان أصحابه يغيرون يميناً وشمالاً ويسوقون مواشى الأكرة وينتهبون أموالهم.

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين [459]

موافاة موسى بن بَغَا سُرَّ من رأى

وفىها وافى موسى بن بَغَا سُرَّ من رأى واستخفى صالح بن وصيف لمقدمه وعبأ موسى أصحابه ميمنة وميسرة وقلباً فى السلاح حتى صار إلى باب الجسر ممّا يلى الجوسق. وكان المهدي ذلك اليوم جالساً للمظالم فأعلم بمكانه فأمسك عن الإذن لهم ساعة ثم أذن لهم. فدخلوا فجرى كلام نحو ما جرى يوم قدم الوفد. فلما طال الكلام تراطن الترك فيما بينهم وقالوا بالتركية :

- «هذه المطاولة إنما هى حيلة حتى يكبسنا صالح.»

فخافوا ذلك فأقاموه من مجلسه وحملوه على دابة من دواب الشاكرية وانتهبوا ما كان فى الجوسق من دواب الخاصة ومضوا به إلى دار ياجور. ثم أخذوا هناك عليه العهود والمواثيق ألا يمايل صلحاً عليه ولا يضرهم إلا مثل ما يظهره، وجدّدوا البيعة ووجهوا إلى صالح أن يحضرهم للمناظرة فوعدهم أن يصير إليهم وقال لهم بعض رؤساء الفراغة :

- «ما الذى تطلبون من صالح بن وصيف؟»

فقال موسى :

- «دماء الكتّاب وأموالهم ودم المعتز وأمواله.»

فاستتر صالح بن وصيف فمضى ياجور فأتى بالحسن بن مَخلد من
الموضع الذى كان فيه محبوساً من دار صالح بن وصيف، ورَدَّ المهتدى
[460] إلى الجوسق ودفع عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن بن مَخلد
وولى سليمان بن عبد الله بن طاهر بغداد وأظهر النداء على صالح.
وفى هذه السنة لثمان بقين من صفر قُتل صالح بن وصيف.

ذكر السبب فى ظهور صالح

وقتل الموالى وموسى إِيَّاه

كان سبب ذلك أن امرأة جاءت بكتابٍ فدفعته إلى كافور الخادم الموكل
بالحرَم وقالت^(١) :

- «فيه نصيحة و منزلى فى موضع كذا من مكان كذا، فإن أردتمونى
فاطلبونى هناك.»

فأوصل الكتاب إلى المهتدى وأمر بطلب المرأة فى الموضع الذى وصفت
فلم يُعرف لها خبر ولم يُوقف لها على أثر. فدعا المهتدى بسليمان بن وهب
بحضرة جماعة فيهم موسى بن بغا ومفلح وياجور وبايكباك وغيرهم وقال
له :

- «تعرف هذا الخط؟»

قال : «نعم هذا خط صالح يذكر فيه أنه مستخفٍ بسرٍّ من رأى وأنه إنما
استتر طلباً للسلامة وإبقاءً على الموالى وخوفاً من اتصال الفتن لحربٍ إن
حدثت بينهم.»

ثم ذكر ما صار إليه من الأموال للكتاب وغيرهم وقال :

- «إِنَّ علم ذلك عند الحسن بن مخلد وهو [461] أحدهم.»
ثم ذكر ما وصل إليه وتولى تفريقه، وذكر ما صار إليه من أموال قبيحة
وَأَنَّ علم ذلك عند أبي صالح بن يزداذ. ثم ذكر أشياء في هذا المعنى بعضها
اعتذاراته وبعضها احتجاجاته.

فلَمَّا فرغ سليمان من قراءة الكتاب وصله المهتدى بقولٍ يَحْتَفِ فيه على
الألفة والصلح ويُكْرِه إليهم الفرقة والتفاني والتباغض. فدعاهم هذا الكلام منه
إلى تهمة وأنه يعلم بمكان صالح. فكان بينهم في هذا كلام كثير ومناظرات
طويلة.

ثم أصبحوا من الغد كلهم في دار موسى في داخل الجوسق يتراطنون
بالتركية فسمع بعضهم يقول:
- «أجمع القوم على خلع المهتدى.»

كلام المهتدى للمجمعين على خلعه

واتصل الخبر بالمهتدى فخرج إلى مجلسه متقلداً سيفاً وقد لبس ثياباً
نظافاً وتطيّب ثم أمر بإدخالهم إليه فأبوا ذلك ملياً ثم دخلوا عليه فقال لهم:
- «إِنَّه قد بلغني ما أنتم عليه ولست كمن تقدمني مثل أحمد بن محمد
المستعين ولا مثل ابن قبيحة والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط وقد
وصيت وهذا سيفي فوالله لأضربن به ما أستمسك قائمه في يدي. وبحكم
إمّا دين إمّا حياء كم يكون الخلاف على الخلفاء [462] والإقدام والجرأة
على الله سواء عندكم من أبقى عليكم وأراد صلاحكم ومن إذا بلغه مثل هذا
عنكم دعا بأرطال الشراب فشربها سروراً بمكروهم وحباً لبواركم. خبروني
عنكم، هل تعلمون أنه وصل إلي من دنياكم شيء أمّا إنك لتعلم يا بايكباك
أنّ بعض المتصلين بك أيسر من جماعة أخوتي وولدي. وانظروا هل ترون

فى منزل أحد منهم فرشاً أو وصائف أو خدماً أو جوارى أو لهم ضياع أو مستغلات؟ سوءة لكم، ثم تقولون أنى أعلم علم صالح، وهل صالح إلا رجل من الموالى كواحد منكم، فكيف أكون معه إذا ساء رأيكم فيه؟ إن أثرتم الصلح كان ذلك ما أهوى لجميعكم وإن أبيتم إلا ما أنتم عليه فشأنكم. اطلبوا صالحاً وابلغوا شفاء أنفسكم منه فأما أنا فما أعلم علمه.»

قالوا: «فاحلف لنا على ذلك.»

قال: «أنا أبذل لكم يمينى ولكن أواخرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والعدول وأصحاب المراتب فى غدٍ إذا صليت الجمعة.»

فكانتهم لانوا قليلاً ووجه فى إحضار الهاشميين فحضروا فى عشيتهم فلم يذكر لهم شيئاً وأمروا بالمصير إلى الدار لصلاة الجمعة فانصرفوا وغدا الناس فلم يحدثوا شيئاً [463] وصلى المهتدى وسكن الناس وانصرفوا هادئين.

وحكى بعضهم ممن سمع كلام المهتدى مع موسى والجماعة أن المهتدى قال:

- «إن كان صالح قد أخذ من مال قبيحة والكتاب شيئاً فقد أخذ مثل ذلك بايكباك ومحمد بن بغا، فقد كانا حاضرين وهم شركاء فى جميع ما جرى.»

فأحفظ ذلك أبا نصر محمد بن بغا وبايكباك وقد كان القوم من لدن قدم موسى بن بغا مضمزين هذا المعنى من الغل وإنما منعهم من المطالبة قلّة الأموال وخوف الإضطراب. فلما ورد عليهم مال فارس ومال الأهواز تحرّكوا وكان ورود ذلك لثلاث بقين من المحرم ومبلغه سبعة عشر ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم. وانتشر الخبر فى العامة أنهم على خلع المهتدى والفتك به وأنهم أرادوه على ذلك وأرهفوه. فكتبت رقاع وألقيت فى المسجد الجامع والطرقات فذكر بعض من قرأ رقعة منها أنه كان فيها:

- «بسم الله الرحمن الرحيم، يا معشر المسلمين، ادعوا الله لخليفتكم العدل الرضا المضاوى لعمر بن الخطاب أن ينصره على أعدائه ويكفيه مؤونة ظالمه ويتمّ النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه، فإن الموالى قد أخذوه [464] بأن يخلع وهو يعذب والمدبر لذلك أحمد بن محمد بن ثوبة والحسن بن مخلد. رحم الله من أخلص إليه ودعا.»

ثم تحرّك الموالى ووجهوا إلى المهدي :
 - «إننا نحتاج أن نلقى إلى أمير المؤمنين شيئاً.»
 وسألوا أمير المؤمنين أن يوجه إليهم أحد إخوته فوجه إليهم أخاه عبد الله أبا القاسم ومحمد بن ياس المعروف بالكرخي فمضيا إليهم فسألاهم عن شأنهم فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمر المؤمنين، وأنه بلغهم أن موسى بن بغا وبايكباك وجماعة من قوادهم يريدونه على الخلع وأنهم يبذلون دماءهم دون ذلك، وأنهم قرأوا رقاعاً في المساجد بذلك وشكوا مع ذلك سوء حالهم وتأخر أرزاقهم وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم التي قد أجحفت بالخراج وغيره وما صار لكبرائهم من معاون والزيادات على الرسوم القديمة مع الدخلاء فيهم الذين استغرقوا أكثر أموال الخراج وكثر كلامهم. فقال أبو القاسم :
 - «اكتبوا بذلك كتاباً إلى أمير المؤمنين أتولى إيصاله لكم.»

فكتبوه فأوصله إلى المهدي وكتب جوابه بخطه وختمه بخاتمه وغدا به أبو القاسم وقد اجتمعوا فقال :

- «يقول لكم أمير المؤمنين : هذا كتابي إليكم بخطي وخاتمي [465]

فاسمعوه وتدبروه.»

فقرأوه وإذا فيه :

- «بسم الله الرحمن الرحيم، أرشدنا الله وإياكم وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً. فهمت كتابكم وسرّني ما ذكرتم من طاعتكم وما أنتم عليه، فأحسن الله جزاءكم وتولّى حياطتكم. فأما ما ذكرتم من خلّتكم وحاجتكم فعزّز عليّ ذلك فيكم، ووددت لو أنّ صلاحكم قد تهياً بالآلأ أطلعهم ولا أطلعهم ولدى وأهلى إلآ القوت الذى لا شبع دونه ولا ألبس أحداً من ولدى إلآ ما ستر العورة ولا والله حاطكم الله، ما صار إلآ منذ تقلّدت أمركم، لنفسى وأهلى وولدى ومتقدّمى غلمانى وحشمى إلآ خمسة عشر ألف دينار، وأنتم تقفون على ما ورد ويرد وكلّ ذلك مصروف إليكم غير مذكور عنكم.

- «وأما ما ذكرتم ممّا بلغكم وقرأتم به الرقاع التى ألقيت فى المساجد والطرق وما بذلتم من أنفسكم فأنتم أهل ذلك، وأين تبعدون ممّا ذكرتم؛ وإنما نحن نفس واحدة فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأماناتكم خيراً، وليس الأمر كما بلغكم فعلى هذا فليكن عملكم.

- «وأما ما ذكرتم من الإقطاعات والمعاون وغيرها، فأنا أنظر فى ذلك وأصير منه [466] إلى محبّتكم إن شاء الله، والسلام عليكم.»
فلمّا قرأوا الكتاب كثر الكلام وقالوا أشياء. فقال لهم أبو القاسم:
- «اكتبوا بذلك كتاباً ثانياً.» فكتبوا وقالوا:

- «إنّ الذى تسألون أن تُردّ الأمور إلى أمير المؤمنين، وآلأ يعترض عليه معترض وأن تردّ رسومهم إلى ما كانت عليه وهو أن يكون على كلّ سبعة منهم عريف وعلى كلّ خمسين خليفة

وعلى كل مائة قائداً وأن تسقط النساء والزيادات والمعاون وألا يدخل مولى في قبالة ولا غيرها وأن يوضع لهم العطاء في كل شهرين على ما لم يزل وأن تبطل الإقطاعات وأن يكون أمير المؤمنين يزيد من يشاء ويرفع من يشاء.»

وذكروا أنهم صاثرون إلى باب أمير المؤمنين، فمن خالف أمير المؤمنين في شيء أخذوا رأسه وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا موسى بن بغا وياجور وغيرهما، ودعوا الله لأمر المؤمنين. ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم فأوصله وتحرك الموالي واضطرب القواد جداً وقعد المهدي للمظالم فسبق أبو القاسم فقرأ المهدي الكتاب قراءة ظاهرة وخلا بموسى ثم وقع في كل باب بما أحبوا. فقال أبو القاسم لموسى ومحمد ابني بغا وبايكباك : [467]

- «وجّهوا معي إليهم رسولاً تعتذرون إليهم ممّا بلغهم عنكم.»

فوجه كل واحد منهم رجلاً وصار أبو القاسم [إليهم] وهم في زهاء أربعة آلاف رجل وثلاثة آلاف راجل فأقرأهم من أمير المؤمنين السلام ودفع إليهم الكتاب فقرأوه وكتبوا كتاباً آخر يلتمسون أن ينفذ إليهم خمس توقيعات: توقيع بحط الزيادات وتوقيع برّد الإقطاعات وتوقيع بإخراج الموالي البرانيين من الخاصّة وتوقيع برّد الرسوم إلى ما كانت عليه وتوقيع برّد التلاجي ثم يصير أمير المؤمنين الجيش إلى أحد أخوته أو غيرهم ممّن يرى ليسفر بينه وبينهم ولا يكون رجلاً من الموالي وأن يؤمر أن يحاسب صالح بن وصيف وموسى بن بغا على ما عندهما من الأموال ويعجل لهم عطاء شهرين ويدّر ذلك عليهم في كل شهر.

وكتبوا كتاباً آخر إلى موسى بن بغا ومحمد بن بغا وبايكباك ومفلح

وياجور وغيرهم من القواد يقولون إنهم قد كتبوا بما كتبوا وإن أمير المؤمنين لا يمنعهم ما سألوا إن لم يعترضوا عليه وإنهم إن فعلوا ذلك وخالفوه لم يصبروا عليهم وإن أمير المؤمنين إن شاكرته شوكة وأخذ من رأسه شعرة [468] أخذوا رؤوسهم جميعاً وإنه ليس يقنعهم إلا أن يظهر صالح بن وصيف حتى يجمع بينه وبين موسى فينظر أين مواضع الأموال، فإن صالحاً وعدهم أن يعطيهم رزق ستة أشهر.

ثم دفعوا الكتاب إلى رسول موسى ووجهوا مع أبي القاسم عدة منهم ليوصل كتاب أمير المؤمنين وليسمعوا كلامه. فانصرفوا إلى المهتدي فأمر بإنشاء التوقيعات الخمس وأنفذها في درج كتاب بخطه إليهم.

وكتب القواد أيضاً جواب كتابهم وأنفذوه إليهم باجابتهم إلى ما سألوه. وكُتب أمان لصالح بن وصيف فيه: إن موسى وبايكباك سألوا أمير المؤمنين ذلك وأكد ذلك غاية التأكيد وحمل إليهم.

وقال لهم أبو القاسم:

- «علام اجتماعكم وقد أجبتكم إلى كل ما سألتم؟»

فانصرف القوم وتفرق القواد.

فلما كان يوم السبت ركب ولد وصيف وأصحابهم وتنادى الناس: السلاح، واجتمعوا وعسكروا وركب أبو القاسم يريد دار المهتدي فمر بهم فتعلقوا به وقالوا:

- «قل لأmir المؤمنين إنا نريد صالحاً.»

فمضى فأدّى ذلك فقال موسى:

- «أراهم يطلبون صالحاً متى كأني أخفيته أو هو عندي [469] إن كان

عندهم له خبر فينبغي أن يظهره.»

وصحّ عندهم أن القوم قد تواطأوا وأن الناس يتحلّبون إليهم، فتهايجوا من

دار أمير المؤمنين فركبوا في السلاح واتصل [الخبر] بالأترار فانصرفوا ركضاً وعدواً لا يلوى فارس على راجل ولا كبير على صغير حتى لحقوا بمنازلهم وزحف [موسى وأصحابه جميعاً]^(١) فلم يبق بسر من رأى قائد يركب إلى دار أمير المؤمنين إلا ركب معه وكان تقدير الجيش الذين ركبوا مع موسى في هذا اليوم أربعة آلاف فارس في السلاح والقسي الموترة والدروع والجواشن والرماح والطبرزينات يريدون محاربة من يريد صالحاً وكان أكثرهم هواة مع صالح. فمضوا إلى الجوسق ونادوا بأن من لم يظهر من قواد صالح وأهله وأصحابه ويحضر دار أمير المؤمنين أسقط اسمه وخرب منزله وفعل به وصنع.

ثم جد هؤلاء في طلب صالح فهجم بسببه على جماعة ممن كان متصلاً به قبل ذلك، إلى أن عثر به غلام من موالى وصيف. فحكى الغلام قال: دخلت داراً في زقاق أطلب ماء لأشربه، فسمعت قائلاً يقول بالفارسية: - «أيتها الأمير تنح فقد جاء غلام يطلب ماء.»

فلما سمعت ذلك جمعت ثلاثة أنفس وهجمت [470] عليه فإذا صالح بيده مرآة ومشط وهو يسرح لحيته. فلما رآني بادر فدخل بيتاً فخفت أن يكون قصد لأخذ سيف أو سلاح فتلوّمت ثم نظرت إلى البيت فإذا هو قد لجأ إلى زاوية فدخلت إليه فاستخرجته فلم يزدني على التضرع شيئاً، فقلت له:

- «ليس إلى تركك سبيل ولكني أمرتك على أبواب إخوتك وقوادك وصنائعك فإن اعترض عليّ منهم إثنان أطلقتك في أيديهم.»

قال: فأخرجته فما لقيت أحداً إلا من أعان على مكروهه. وحمل إلى دار

موسى فأتاه القواد ليذهبوا به إلى الجوسق وهو على بغل باكاف. فلما صاروا به إلى حدّ المنارة ضربه رجل من أصحاب مفلح ضربة من ورائه. على عاتقه كاد يقذه ثم احتزّوا رأسه فوافوا به المهتدى وهو فى بركة قباء رجلٍ من غلمان مفلح يقطر دماً وقد قام لصلاة المغرب فلم يره فلما قضى صلاته وجاءه برأسه لم يزد هم على أن قال :

- « واروه. »

وأخذ فى تسبيحه.

فلما كان من الغد طيف به على قناة وتودى عليه :

- « هذا جزاء من قتل مولاه وأمر بقتل مولاه. »

ونصب بباب العامة، فعل ذلك [471] به ثلاثة أيام.

وفى رجب من هذه السنة خلع المهتدى وقتل

ذكر سبب خلعه وقتاله الأتراك

وظفرهم به وقتلهم إيّاه

كان ظهر مساور الشارى بناحية الموصل فكثرت اتباعه وعيته وهزم عدّة جيوش للسلطان. فندب له موسى بن بغا فوضع موسى العطاء لأصحابه وكان على مناجزة الشارى وقصده طريق خراسان.

فقال بعضهم :

سبب ذلك أنّ المهتدى استمال بايكباك وهو مقيم مع موسى فى وجه مساور الشارى وكتب إليه أن يضمّ العسكر الذى مع موسى إلى نفسه وأن يكون هو الأمير، وأراد منه أن يفتك بموسى ومفلح ويقيدهما ويحملهما إليه. فمضى بايكباك بالكتاب إلى موسى وقال :

- « إني لست أفرح بهذا وإنما هذا تدبير علينا جميعاً وإذا فعل بك شيء

اليوم فُعل بى غداً مثله.»

فاجتمعوا على خلعه والفتك به. فتوجّه موسى نحو طريق خراسان وقال له بايكباك :

« اذهب إليه وأظهر له الطاعة.»

ودبراً فى ذلك تدبيراً بلغ المهتدى، وظنّ أنّ بايكباك أتاه فى الفتك به. فلما دخل إليه أمر بحبسه وأخذ سلاحه. [472]
وقال بعضهم :

كان السبب فى ذلك إنّ المهتدى تكلم فى موسى ومحمد ابنى بُغا وقال للموالى :

« قد احتجبتنا الأموال.»

فتخوّفه أبو نصر وهرب. ثمّ كتب إليه المهتدى وآمنه فرجع وظهر وقعد له المهتدى فوصل إليه هو ومن جاء معه. فسلم فقال له المهتدى :

« ما تقول فيما يقول الموالى ؟»

قال : « وما يقولون ؟»

قال : « إنهم يقولون إنكم احتجزتم الأموال واستبددتم بالأعمال فما تنظرون فى شيء من مصالحهم.»

قال : « يا أمير المؤمنين وما أنا والأموال ولست كاتب ديوان ولا جرى على يدي عمل.»

فقال : « وأين الأموال هل هى إلّا عندك وعند أخيك وكتّابكم.»

ودنا الموالى وأخذوا بيد محمد وقالوا :

« هذا عدوّ أمير المؤمنين. لا ينبغي أن تقوم بين يديه بسيف.»

فأخذوا سيفه. فوثب غلام لأبى نصر كان حاضراً يقال له: تيتك^(١)، فسل سيفه وخطا ليمنعهم من أبى نصر، فكانت خطوته تلى الخليفة فسبقه عبد الله بن تكين فضرب رأسه بالسيف فما بقى أحد إلا سل سيفه. وقام المهتدى فدخل بيتاً كان يقربه.

وأخذ محمد بن بغا فأدخل حجرة وحبس أصحابه وأجمعوا على أن يكتبوا إلى موسى بن بغا بالإنصراف وتسليم العسكر إلى من فيه من القواد [473] وأن يكتبوا إلى القواد بتسليم العسكر إليهما ويكتبوا إلى الصغار بمثل ما سأل أصحابهم بسرّ من رأى وما أجيئوا إليه، وأن ينظروا فإن سارع موسى ومفلح إلى ما أمروا به من الإقبال إلى الباب فى غلمانهم وتسليم العسكر إلى من أمر بتسليمه إليه وإلا شدّوهما وثاقاً وحملوهما إلى الباب فى غلمانهم، ووجهوا بهذه الكتب واجتمع فى الدار منهم قوم فأجرى على كل واحد منهم درهمان وأخذت عليه بيعة جديدة بالنصرة والثبات.

وأصبح الموالى يلتمسون أن يعزل عنهم أمراؤهم وأن يلى عليهم بعض أخوة أمير المؤمنين وأن تؤخذ أمراؤهم وكتائبهم بالخروج ممّا اختانوه من مال السلطان، وذكروا أن مبلغه خمسون ألف ألف درهم. فأجابهم إلى ذلك ومضى يومهم على هذا.

ثم أصبحوا يطالبون بما وعدوا به فقليل لهم: إن هذا الذى تريدونه أمر صعب وإخراج الأمر عن أيدي هؤلاء ليس بسهل فكيف إذا جُمع إلى ذلك أخذ أموالهم فانظروا فى أموركم فإن كنتم تظنون أنكم تصبرون على هذا الأمر حتّى بلغ منه غايته أجابكم أمير المؤمنين وإن تكن الأخرى فإن أمير المؤمنين [474] يحسن لكم النظر.

١. فى مط: فقال له نفتك. بدل يقال له: تيتك. فى الطبرى (١٨٢٦:١٢): ثيتل.

فأبوا إلا ما سألوا أولاً. فأخذت عليهم البيعة وأقبلت الرسل تختلف بين
العسكريين والذي يريد موسى بن بغا أن يؤلى ناحية ينصرف إليها والذي يريد
القوم من موسى أن يقبل في غلمانه لينظرهم. فلما كان من الغد أخذ موسى
ومفلح طريق خراسان ومضى بايكباك - في هذه الرواية - ومن معه من القواد
حتى دخلوا الدار. فأخذت سيوفهم ومناطقهم، وأقبل المهتدى على بايكباك
يعدّد ذنوبه من الاسلام وأبطأ خبره على أصحابه فقال لهم حاجبه أحمد بن
خاقان :

- «اطلبوا صاحبكم قبل أن يحدث به حدث.»

فجاشت الترك وأحاطوا بالدار، فاستشار المهتدى صالح بن علي بن
يعقوب بن أبي جعفر المنصور فقال :

- «يا أمير المؤمنين، هو حديث أبي مسلم مع المنصور، فلو فعلت ما
فعل لسكتوا.»

فأمر المهتدى بضرب عنقه ورُمى برأسه إليهم. ففعل ذلك فتناجزوا^(١)
وجاشوا وشدّ واحد منهم على من رمى بالرأس إليهم فقتله.

ووجه المهتدى إلى الأسروشنية والمغاربة والفراغنة والأترك الذين بايعوه
على الدرهمين فجاءوه وكثر القتلى فيقال : [475] إنه قتل من الأترك نحو
من أربعة آلاف

ثم اجتمع الأترك كلّهم وصار أمرهم واحداً فكانوا نحو عشرة آلاف وكان
مع ما اجتمع من الأترك إلى المهتدى نحو خمسة عشر ألفاً.

فخرج المهتدى والمصحف في عنقه، وعبأ الناس وقاتل ودعا الناس إلى
أن ينصروا خليفتهم. فلما التحم الشرّ مال الأترك الذين مع المهتدى إلى

أصحابهم الذين مع أخى بايكباك وبقي المهتدى فى أصحابه لا أترك معه. فحمل طغبا^(١) أخو بايكباك حملة ثائر موتور فنقض جمعهم وهزمهم وأكثر فيهم القتل وولوا منهزمين. ومضى المهتدى يركض منهزماً فى الأسواق والسيف فى يده مشهور وهو ينادى :

« يا معشر الناس انصروا خليفتمكم. »

حتى صار إلى دار أبى صالح محمد بن يزداذ وفيها أحمد بن جميل صاحب المعونة فدخلها ووضع سلاحه ولبس البياض ليعلو الدار وينزل إلى أخرى ويهرب.

وجاء أحمد بن خاقان فى ثلاثين فارساً يسأل عنه حتى وقف على خبره فى دار ابن جميل فبادرهم ليصعد فرمى بسهم^(٢) وبُعج^(٢)، ولم يجد المهتدى لنفسه حيلة فاستسلم فأخذه أحمد بن خاقان على دابة وأردف خلفه سائساً حتى صار به إلى داره.

وانتهب الجوسق فلم يبق فيه شيء. وأخرجوا [476] أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان وكان محبوساً فى الجوسق وكتبوا إلى موسى بن بُغا وسألوه الإنصراف إليهم وجمعوا الهاشميين والخاصة حتى بايعوا أحمد بن المتوكل ابن فتيان وسَمّوه : المعتمد على الله.

وأرادوا المهتدى على الخلع قبل ذلك فأبى ولم يجبههم فخلعوا أصابع يديه ورجليه ثم أمروا من وطى على خصيته حتى قتله ولما أيقن المهتدى بالقتل قال :

أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعِيرِ وَالنَّزْوَانِ

١. فى مط : طغيا. فى الطبرى (١٢: ١٨١٦) : طغوتيا.

٢. بعج البطن : شقه.

وكانت خلافته كلها أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً، وعمره ثمان وثلاثين سنة، وكان رطب الجبهة أجلى^(١)، جهم الوجه، أشهل العينين عظيم البطن عريض المنكبين طويل اللحية قصيراً.



مركز تحقيقات كتابی و پژوهش‌های اسلامی

١. الأجلح : من انحسر شعره عن جانبي رأسه.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة المعتمد على الله

موافاة جُعلان البصرة لحرب صاحب الزنج

وفى هذه السنة وافى جُعلان البصرة لحرب صاحب الزنج. فزحف بعسكره حتّى صار بينه وبين صاحب الزنج فرسخ، فخندق على نفسه وأصحابه ووجّه إلى الزينبي وبنى هاشم وكان يواعدهم للقاءه فإذا التقوا لم يكن بينهم إلّا الرمي بالنشاب والحجارة لضيق الموضع بما فيه من النخل والدغل، ولم يكن للخیل [477] مجال. فبقوا كذلك ستّة أشهر.

فلما رأى صاحب الزنج ذلك هتّأ من أصحابه جماعة يأخذون على جعلان مسالك الخندق ويبيّته فى خندقه فقتل جماعة من رجاله وريع الباؤون روعاً^(١) شديداً فترك جعلان عسكره وانصرف إلى البصرة وظهر عجز السلطان.

وازداد أمر صاحب الزنج عظم شأنٍ، فأخذ أربعة وعشرين مركباً بحريّة كانت اجتمعت تريد البصرة. وكانت هذه المراكب تنتظر أن ينفصل أمر السلطان مع صاحب الزنج. فلما انهزم السلطان رأوا أن تُشدّ المراكب بعضها إلى بعض حتّى تصير كالجزيرة ويتّصل أولها بآخرها ثمّ يسيروا بها فى

١. كذا فى الأصل والطبرى (١٢: ١٨٣٥): روعاً. فى مط: ريعاً.

دجلة. فندب صاحب الزنج أصحابه وحرّضهم عليها وقال :
- « هذه غنيمة لم تروا مثلها. »

فانتدب لها الزنج فلم يلبث أن جرّوها وقتلوا مقاتلتها وسبوا ما فيها من الرقيق وغنموا منها أموالاً عظيماً لا تُحصى ولا يُعرف قدرها. فأنهب ذلك أصحابه ثلاثة أيام ثم أمر بما بقى فحيز له.

ثم دخل صاحب الزنج الأبلّة بعد حرب قتل فيها خلقاً وأغرقها وكانت مبنية بناءً متكاتفاً بالساج فأسرعت فيه النار ونشأت ريح عاصف فأطارت الشرر إلى شاطئ عثمان [478] واحترق وقتل خلق كثير بالأبلّة وغرق خلق وكان ما احترق من الأمتعة أكثر ممّا انتهب. ولما جرى ذلك على الأبلّة جزع أهل عبّادان فاستسلموا لصاحب الزنج وسلّموا إليه بلدهم وحصنهم. وفيها ملك أصحابه الأهواز.

ذكر دخول الزنج الأهواز

لما فتح الأبلّة وعبّادان وأخذ مماليكهم وفرّق فيهم السلاح طمع في الأهواز. فاستتهض أصحابه نحو جُبّى فلم يثبت له أهلها فدخلها وانتهب وقتل ووافى الأهواز وبها سعيد بن تكسين وإليه حربها وإبراهيم بن المدبّر وإليه الخراج والضياح فانحاز سعيد بن تكسين^(١) في من معه من الجند وثبت إبراهيم فيمن معه من غلمانه فدخل الزنج المدينة وأسروا إبراهيم بن المدبّر بعد أن ضرب ضربة على وجهه وحووا كلّ ما ملك. فلما ملك الأهواز رُعب أهل البصرة رعباً شديداً، فانتقل كثير من أهلها [عنها] وكثرت الأراجيف من عوامّها.

١. كذا في الأصل : تكسين. في مط : تكسير. في الطبري (١٢: ١٨٣٨) : يكسين.

وفى رجب من هذه السنة وافى البصرة سعيد بن صالح الحاجب من قبل السلطان لحرب صاحب الزنج.

وفىها ظهر بالكوفة على بن زيد الطالبى فوجه إليه [479] الشاه بن ميكال فى عسكر كثيف فهزمه أصحابه ونجا الشاه.

وفىها وثب محمد بن واصل بن إبراهيم التميمى وهو من أهل فارس ورجل من أكرادها يقال له : أحمد بن الليث، بعامل فارس وهو الحارث بن سيما الشاربانى^(١) فحارباه وقتلاه وغلب محمد بن واصل على فارس.

وفىها غلب الحسن بن زيد على الرى وشخص موسى بن بُغا إلى الرى لحربه وشيعة المعتمد.

وفىها كانت بين باجور وابن لعيسى بن شيخ وقعة على باب دمشق. وكان خرج باجور مرتاداً لنفسه معسكراً وابن عيسى بن شيخ وقائد لعيسى فى عسكر لهما بالقرب من دمشق. فاتصل بهما خبر باجور وأنه فى عددٍ يسير، فزحفا إليه ولا يعلم باجور بهما حتى لقياه فقتل القائد الذى مع ابن عيسى وهزم وقتل خلق من أصحابه وكان فى عشرين ألفاً باجور فى نحو من مائتين إلى ثلاثمائة.

مركز تحقيق ودراسة
ودخلت سنة سبع وخمسين ومائتين

وفىها صار يعقوب بن الليث إلى فارس

فبعث إليه المعتمد طغياً وإسماعيل بن إسحاق وأبا سعيد الأنصارى. وكتب إليه أبو أحمد بن المتوكل بولاية بلخ وطخارستان إلى ما يلى [480] ذلك من كرمان وسجستان والسند وجعل له مال فى كل سنة من هذه الأعمال فقبل

١. كذا فى الأصل : الشاربانى. فى مط : الساربانى.

ذلك وانصرف.

وعقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على الكوفة وطريق مكة ثم، عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز وفارس فولّى خلفاءه وأمر أن يعقد ليارجوخ^(١) على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين فولّى منصور بن جعفر بن دينار البصرة وكور دجلة.

واستحثّ سعيد الحاجب في المصير إلى دجلة والإنابة على صاحب الزنج ففعل ذلك ومضى إلى نهر معقل وكان هناك جيش لصاحب الزنج بالنهر المعروف بالمرغاب وهو معترض في نهر معقل فأوقع بهم وهزمهم واستنقذ ما في أيديهم من النساء وأصاب سعيداً جراحات منها جراحة في فيه. ثم سار سعيد إلى الموضع المعروف بعسكر أبي جعفر واستعدّ للقاء صاحب الزنج بالفرات فقصدهم وهزمهم واستأمن إليه عمران وهو زوج جدّة ابن صاحب الزنج وتفرّق ذلك الجمع.

فحكى من حضر ذلك الموضع قال: لقد لقيت المرأة من سگان الفرات تجد الزنجي مستراً بتلك الأدغال [481] فتخرجه وتحمله إلى عسكر سعيد ما به عنها امتناع.

ثم أوقع الخبيث وقعات متوالية. ثم إن الخبيث وجّه إلى يحيى بن محمد البحراني صاحبه وهو مقيم بنهر معقل جيشاً وأمره بتوجيه سليمان بن جامع وابن الليث الإصبهاني ليلاً مع عسكر قويّ حتّى يُوقعا بسعيد وقت طلوع الفجر، ففعل ذلك فصادفا منهم غرة وغفلة فأوقعا بهم وقتلا منهم مقتلة عظيمة. وأحرق الزنج عسكر سعيد فضعف سعيد ومن معه ودخل أمرهم خلل لهذا الليث وقد كانت أرزاقهم احتبست عنهم من جهة منصور بن جعفر

١. ما في الأصل ومط مهمل. والإعجام من الطبري (١٢: ١٨٤٢).

بن الخياط وهو يومئذ بالأهواز، إليه حربها وله يد في الخراج. فلما اضطرب أمر سعيد وضعف أمر بالإنصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش إلى منصور بن جعفر. وذلك أن سعيداً ترك بعد ما اتفق عليه من البيات حرب صاحب الزنج وكان بغراً^(١) يحمي البصرة ومنصور يجمع السفن التي تحمل المير، ثم يذرقتها إلى البصرة فضاق بالزنج الميرة. ثم عبأ منصور أصحابه وقصد صاحب الزنج في عسكره وصعد قصرأ على دجلة فأحرقه وما حوله ودخل [482] عسكر الخبيث من ذلك الوجه ووافاه الزنج وكمّنوا له كميناً فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة وألجئ الباقيون إلى الماء فغرقوا وحملت الرؤوس إلى يحيى بن محمد البحراني بنهر معقل فأمر بنصبها هناك. ثم أوقع الخبيث شاهين وإبراهيم بن سيما بالأهواز فقتل شاهين وهزم إبراهيم.

وكاتب علي بن أبان بالمصير إلى البصرة لحرب أهلها.

ذكر الخبر عن دخول الزنج البصرة

لما ضعف منصور لم يعد لقتال الزنج واقتصر على بذقة السفن لوصول المير إلى البصرة، فامتدح أهل البصرة فوجّه الخبيث علي بن أبان فشغل منصوراً عن بذقة السفن وعاد أهل البصرة إلى الضيق، وألح أصحاب الخبيث عليها بالحرب وأحسّ الخبيث بضعف القوم وإضرار الحصار بهم وتخريبه ما حولها من القرى.

وكان نظر في النجوم ولا يفارقه الأضطراب وكتب النجوم، فوقف على

١. كذا في الأصل : بغراً. في مط : نعر الحمى بدل «بغراً يحمي» في الطبري (١٢: ١٨٤٤) : بغراج.

كسوف القمر فقال لأصحابه :

ادّعاء له

- «إني قد ابتهلت إلى الله في الدعاء على أهل البصرة [483] وتعجيل خرابها فخطبتُ وقيل لي : إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة. فأولتُ انكسار الرغيف انكساف القمر في نصفه.»

فكان هذا حديث عسكره كل يوم. فكثر على الأسماع. وندب قوماً للخروج إلى الأعراب، ففرضوا قوماً بينهم. وأتاه خلق عظيم فوجههم الخبيث إلى ناحية منها وأمرهم بتطرق البصرة والإيقاع بهم من تلك الجهة. فلما ابتدأ القمر بالكسوف انهض عليّ بن أبان في عسكر ضخّم وطائفة من العرب إلى البصرة ممّا يلي بني سعد وكتب إلى محمد بن يحيى البحراني في إتيانها ممّا يلي نهر عدىّ وضّمّ إليه سائر العرب فواقع بغرا عليّ بن أبان يومين ومال الناس نحوه فدخل عليّ بن أبان من ناحيته ودخل يحيى من ناحيته وتفرّق الجند وانحاز بغرا بمن معه، فلم يكن في وجهه أحد. ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلبى فاستأمنه لأهل البصرة فآمنهم ونادى منادى إبراهيم بن يحيى : علوم ردي

- «من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم.»

فحضر أهل البصرة حتّى ملؤوا الرحاب. فلما رأى اجتماعهم أمر بأخذ أفواه السكك والطرق لئلا يتفرّقوا، ثمّ غدر بهم ووضع فيهم السيوف [484] فقتلوا بأجمعهم ولم يفلت إلّا الشاذّ. فيقال إنّ أصوات الناس الذين قتلوا

ارتفعت بالتشهاد لما أخذهم السيف فسمعهم من بالطفاوة.^(١)
 فلما فرغ من قتلهم أتى علي بن أبان المسجد الجامع فأحرقه وراح إلى
 الكلاء فأحرقه من الحبل إلى الجسر وأخذت النار في كل شيء مرت به من
 إنسان وبهيمة ومتاع وآلة. ثم ألحوا على من وجدوا بعد ذلك غدوا وعشيا
 ليسوقونهم إلى يحيى بن محمد البحراني وهو يومئذ بسيحان^(٢). فمن كان ذا
 مال قرّره حتى يستخرج ماله ثم يقتله ومن كان فقيراً عاجله بالقتل.
 ثم نادى محمد بن يحيى بالأمان فلم يظهر له أحد.
 فكتب الخبيث إلى محمد، أن: «استخلف على البصرة شبلاً فيأنهم
 يسكنون إليه ليظهر الناس، فإذا آمنوا وظهروا أخذوا بالدلالة على ما دفنوا
 وأخفوا من أموالهم.»
 ففعل ذلك حتى استنظف أهل البصرة وقتلهم وهرب الباقون على وجوههم
 فصرف الخبيث جيشه حينئذ عن البصرة.

ادعاء آخر له

فحكى قوم عن الخبيث أنه، لما انتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه بالبصرة
 وكثرة ما سفك من الدماء وخرّب وأفسد هاله ذلك - وكان أمراً فظيماً هائلاً -
 ادّعى أنه [485] دعا عليهم فرأى خيلاً^(٣) بين السماء والأرض وقد خفضوا
 أيديهم اليسرى ورفعوا أيديهم اليمنى. قال: فعلت أن الملائكة تتولى إخراجها
 دون أصحابي، ولو كان أصحابي يتولون ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم
 المفراط.

١. انظر الطبري (١٢: ١٨٥٥).

٢. كذا في مط والطبري (١٢: ١٨٥٥). ما في الأصل مهمل.

٣. والرواية تختلف في الطبري (١٢: ١٨٥٦).

وعقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على ديار مضر وقنسرين والعواصم وخلع عليه وعلى مفلح وشخصاً إلى البصرة لقتال الخبيث.
وظفر الخبيث بمنصور بن جعفر بعد قتال عظيم وبعد ما جاهد منصور جهاداً شديداً فقتله وعامة من معه.

ذكر مقتل مفلح

ولما شخص أبو أحمد ومفلح لحرب الخبيث تجهّز الجيش وعُدّة لم ير مثله وحكى المشايخ من أهل بغداد الذين شاهدوا الجيوش أنّه ما رأوا ولا سمعوا بمثل ذلك الجيش كثرة وقوّة وآلة وسلاحاً. وتبعهم خلق عظيم من متسوّقة بغداد وكان أصحاب الخبيث متفرّقين في النواحي قد استأكلوها. فليس مع الخبيث يومئذٍ إلا القليل من أصحابه فهو على ذلك حتّى وافاه أبو أحمد في جيشه، وهرب من كان من أصحابه بنهر معقل فلحقوا به [486] مرعوبين، فدعا الخبيث رئيسين من رؤساء عسكره من هرب من نهر معقل، فقال لهما:

« ما الذي دعاكما إلى الإخلال بموضعكما؟ »

فقالا:

« رأينا شيئاً لم نر مثله. »

ووصفا عظم ذلك الجيش وعدّتهم وكثرتهم. فوجّه الخبيث من يأتيه بخبر الجيش وخبر من يقوده. فرجعت رسله بتعظيم الأمر وتفخيمه ولم يقدروا أن يقفوا على خبر من يقوده. فزاد ذلك في جزعه وبادر بالرسل إلى عليّ بن أبان يستدعيه ومن معه من الجيش وورد العسكر مع أبي أحمد فأنّاه بإزائه واستدعى الخبيث دواة وقرطاساً ليكتب عليّ بن أبان ويستعجله.

فإنّه في ذلك إذ أتاه المكتنى بأبي دلف وهو من قوّاد السودان يخبره أنّ

القوم قد سعدوا وانهزم عنهم الزنج فليس فى وجوههم من يردّهم فصاح به وانتهره وقال :

- «اغرب عني، فقد دخلك الجزع وانخلع قلبك فلست تدري ما تقول.»
وقد كان أمر جعفر السجّان بالنداء فى الزنج وتحريكهم للخروج إلى موضع الحرب، فأتاه السجّان فأخبره أنّه ندب الزنج فخرجوا وظفروا بسميرتين^(١). فأمره بالرجوع لتحريك الرّجال. فرجع ولم يلبث إلّا يسيراً حتّى أصيب [487] مفلح بسهم غرب لا يعرف الرامى، ووقعت الهزيمة وكثر الزنج وقوا على محاربتهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ووافى الخبيث زنجّه بالرؤوس قابضين عليها بأسنانهم حتّى ألقوها بين يديه. فكثرت الرؤوس يومئذ حتّى ملأت كلّ شيء. وأتى الخبيث بأسير من أبناء الفراغنة،^(٢) فسأله عن الجيش فأعلمه بمكان أبى أحمد الموفّق. ومفلح فارتاع لذكر الموفّق وكان إذا راعه أمر كذب به، فقال :

- «كذبت، ليس غير مفلح ولو كان فى الجيش من ذكر هذا الأسير لكان صوته أبعد ولما كان مفلح إلّا تابعا له، وأنا لست أسمع إلّا باسم مفلح.»
ولم يلبث مفلح أن مات.

ووافى علىّ بن أبان فى أصحابه وقد استغنى عنه.
وهرب أبو أحمد الموفّق إلى الأبلّة، فأخذ يجمع من فرقت الهزيمة ويجدد الإستعداد. ثمّ مضى إلى نهر أبى الأسد وكان الخبيث لا يدري كيف قُتل مفلح. فلمّا بلغه أنّه أصيب بسهم ولم ير أحداً ينتحله ادّعى أنّه هو كان الرامى له فسمعه. من يقول :

- «سقط بين يدى سهم فأمرت خادمي راحاً أن يرفعه إليّ، فرميت به

١. فى مط : بتسمرتين. وهو تصحيف وخطأ.

٢. انظر الطبرى (١٢: ١٨٦٤).

فأصبحت مفلحاً وكانت الهزيمة.»

قال محمد بن الحسن :

- «وكذب، فأنتى كنت حاضراً وما زال عن فرسه [488] حتى أتاه خبر الهزيمة وأتى بالرؤوس.»

أسر يحيى بن محمد وقتله

وادعاء صاحب الزنج فى نبوته

وفىها أسير يحيى بن محمد البحرانى قائد الزنج. وذلك أنه وافى نهر العباس فلقبه بفوهة النهر ثلاثمائة وسبعون فارساً من أصحاب العامل بالأهواز فاستقلهم وكان هو فى جمع عظيم فترك الاستعداد لهم، فرشقوهم حتى أكثروا فيهم الجراح.

وكان بلغ أبا أحمد خبره فأنفذ طاشتمر^(١) التركى فى جيش، فلما أشرفوا عليهم ألقى الزنج نفوسهم فى الماء وبقي يحيى فى بضعة عشر رجلاً، فنهض يحيى عند ذلك فأخذ درقته وسيفه واحترم بمنديل وتلقى القوم بمن معه، فرشقهم أصحاب طاشتمر بالسهم فجرح البحرانى بثلاثة أسهم. ولما رآه أصحابه جريحاً تفرقوا عنه ولم يعرف. فرجع حتى دخل سفينة وعبر به إلى ناحية أصحابه. فلما رآه الزنج مثقلاً بالجراحات ضعفت قلوبهم فتركوا القتال وهربوا وقتل منهم خلق كثير وحاز أصحاب السلطان الغنائم التى كانت فى السفن.

ومشى يحيى البحرانى وهو مثخن حتى ألقى نفسه فى موضع ويات ليلته ومعه عباد المتطبب، فنهض عباد لما أصبح وجعل يمشى متشوّفاً لأن يرى

١. طاشتمر: هناك خلط فى رسم هذا الاسم بين كونه «طاشتم» وكونه «طاشتمر» ويرجع ذلك إلى كتابة الميم، أو التخفيف فى التعريب فى مط: طاشتم، وفى الطبرى (١٢: ١٨٦٨): طاشتمر.

إنساناً، فرأى بعض أصحاب السلطان [489] فأشار فأخبرهم بمكان يحيى وأتاه بهم حتى سلّمه إليهم.

وانتهى خبره إلى صاحب الزنج فاشتدّ جزعه عليه وعظم عليه توجّعه. ثمّ حُمِلَ يحيى البحرانيّ إلى أبي أحمد الموفق فحمّله إلى سرّ من رأى إلى المعتمد. فأمر المعتمد ببناء دكة بالحِير في مجرى الحلبة، ثمّ رُفِعَ للناس حتى أبصروه، ثمّ ضُرب مائتي سوط بشمارها^(١)، ثمّ قُطعت يداه ورجلاه، ثمّ حُبط بالسيوف، ثمّ ذُبِحَ وأُحرق. ولمّا بلغ خبره صاحب الزنج قال: - «كان عظم عليّ ما أصابه واشتدّ اهتمامي به، فخطبت وقيل لي: قتله خير لك، إنّه كان شرهاً.»

ثمّ حكى عنه حكايات في غنائم خان فيها فاطّل عليها، فوهبها له. وكان أصحابه يحكون عنه أنّه كان يقول: - «عُرِضت على النبوة فأبيتها.»

فَقِيلَ لَهُ :

- «ولم ؟»

قال : «لأنّ لها عبناً خفت ألاّ أطيّقها.»

مَرْثِيَةٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ انْحَازَ أَبُو أَحْمَدَ الْمَوْفَّقِ

مِنْ قَرَبِ الزَّنْجِ إِلَى وَاسِطِ

ذَكَرَ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ

كَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَوْفَّقَ لَمَّا صَارَ إِلَى نَهْرِ أَبِي الْأَسَدِ كَثُرَتِ الْعُلَلُ

١. ثمرة السوط : عقدة في طرفه، تشبيهاً بالتمر في الهيئة والتدلى. ومنه : «أمر الجلاد أن يذق ثمرة سوطه» أي لتلين، تخفيفاً على الذي يُضرب.

فى أصحابه و فشا فيهم الموت. فلم يزل مقيماً حتى أبل^(١) من نجا من الموت.

ثم انصرف إلى باذاورد^(٢) [490] فعسكر به وأمر بتجديد الآلات وإعطاء من معه الأرزاق، وأصلح الشدائد والمعاير وشحنها بالقواد، ونهض يريد عسكر الخبيث وأنفذ قوماً إلى نهر أبى الخصيب، فمال أكثر الناس حين وقعت الحرب إلى نهر أبى الخصيب. وتأمل الزنج قلّة مع من هو فى جانب أبى أحمد الموفق، فأكتبوا عليه وكثر القتل فى الجانبين.

ثم صار أبو أحمد الموفق إلى شذاءة وتوسط الحرب وحرّض أصحابه فكثرت عليه الزنج وعلم أنّه لا طاقة له بهم، وانقطع عنه جماعة حجز الزنج بينه وبينهم واقتطعوه عنهم. فقاتلوا قتالاً شديداً، ثم قتلهم الزنج بأسرهم وانصرف القوم إلى باذاورد وحملت الرؤوس إلى صاحب الزنج ف وقعت نار فى طرف من أطراف عسكره وذلك فى عصفوف الرياح، فاحترق العسكر، ورحل أبو أحمد الموفق إلى واسط. فلما صاروا إلى واسط تفرّق عنه من بقى معه وتشبّت ذلك الجمع العظيم.

ودخلت سنة تسع وخمسين ومائتين [491]

إنصرف أبى أحمد واستخلف أحمد المولّد

لحرب صاحب الزنج

وفىها انصرف أبو أحمد بن المتوكّل من واسط إلى سُرّ من رأى واستخلف على حرب الخبيث أحمد المولّد.

وكان خفى على صاحب الزنج أمر الحريق الذى كان فى أصحاب أبى

١. أبل من مرضه : برئ وصحّ.

٢. فى مط : باذاورد. فى المراصد، باذورد : اسم مدينة كانت قرب واسط، بينها وبين البصرة.

أحمد فلم يعرف خبره إلا بعد ثلاثة أيام فوجه على بن أبان وضم إليه أكثر الجيش الذي كان مع يحيى بن محمد إلى الأهواز وبها رجل يُعرف باصفجور^(١) يتولى حربها ومعه نيزك في جماعة من القواد.

فلما التقى العسكران لم يثبت القوم للزنج، إنما استشعروه من الرعب فانهزم اصفجور وقُتل نيزك وأسر خلق من القواد فيهم الحسن بن هرثمة، وقُتل من الجند عدد كثير وحُمِلت الرؤوس إلى صاحب الزنج.

وكتب على بن أبان بالفتح وحمل أعلاماً كثيرة وأسرى ودخل على بن أبان الأهواز وأقام فيها يعيث ويحيى إلى أن ندب السلطان موسى بن بُغا لحرب الخبيث. فلما شخص موسى شيعه المعتمد وأخرج عبد الرحمن بن صالح إلى الأهواز وأشخص إسحاق بن كنداجيق إلى البصرة وإبراهيم بن سيما إلى باذاورد، كلهم من قبل موسى لحرب صاحب الزنج.

فأما عبد الرحمن بن مفلح فإنه وافى قنطرة ارمق وأقام عشرة أيام [492] ثم واقع المهلبى فهزمه المهلبى فانصرف واستعد ثم عاد لمحاربته فأوقع به وقتل من الزنج قتلاً ذريعاً وانهزم على بن أبان بمن معه من الزنج إلى بيان. وكان إبراهيم بن سيما بالباذاورد فقصدته وكان المهلبى قد سار يريد الموضع المعروف بالأوكر^(٢) فواقعه إبراهيم فهزمه وانتهى خبر هزيمته إلى عبد الرحمن فوجه إليه طاشتمز في جمع من الموالى فلم يصل إلى المهلبى لأنه كان سلك طريق الآجام والأدغال والقصب فأضرمه عليهم ناراً فخرجوا منه هاربين وأسر معهم قوماً.

وصار المهلبى إلى نهر السدره وكتب إلى صاحبه يستمده ويسأله التوجيه إليه بالشذاءات، فوجه إليه ثلاث عشرة شذاة فيها جمع كثير من المقاتلة.

١. في الطبرى (١٢: ١٨٧٥): اصفجون.

٢. كذا في الأصل: بالأوكر. في مط: بالانكر. في الطبرى (١٢: ١٨٧٨): بالذكر.

فسار المهلبى حتى وافى عبد الرحمن فلم يكن بينهما قتال وتواقف الجيشان يومهما.

فلما كان الليل انتخب المهلبى جماعة يثق بهم وبجلدهم وصبرهم وترك عسكره بمكانه ليخفى أمره ومضى حتى صار من وراء عبد الرحمن ثم بيته فقتل وانتهب وهرب عبد الرحمن على وجهه حتى وافى الدولاب. ثم أعد رجالاً وولى عليهم طاشتمر [493] فوافوه وأوقعوا به وهزموه إلى نهر المدرة. ثم صار إليه طاشتمر بنهر المدرة فأوقع به وانهزم على الخبيث مغلولاً قد أخذت شذاءاته وغنم عسكره.

وكان عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سيما يتناوبان المصير إلى الخبيث وإسحاق بن كنداجيق يومئذ بالبصرة مقيم، وأقاموا كذلك بضعة عشر شهراً إلى أن صرف موسى بن بغا عن حرب الخبيث وولى مسرور البلخي. وفيها دخل يعقوب بن الليث نيسابور.

ذكر دخول يعقوب نيسابور

ذكر أن يعقوب بن الليث صار إلى هراة. ثم قصد نيسابور، فلما قرب منها وجه إليه محمد بن طاهر بن محمد يستأذنه في تلقيه فلم يأذن له، فبعث بعمومته وأهل بيته يتلقونه. ثم دخل نيسابور فنزل طرفاً من أطرافها يعرف بداود اباد فركب إليه محمد بن طاهر فدخل إليه في مضربه فسأله ثم أقبل على توبيخه وتفريطه في عمله وقال :

« مثلك لا يكمل لتدبير خراسان. »

وأمر بالتوكيل به وصرفه وحبسه. وولى عزيزاً نيسابور وقبض على أهل بيت طاهر. وورد الخبر بذلك على السلطان.

ووردت [494] رسل يعقوب على المعتمد فجلس له جعفر المعتمد وأبو

أحمد الموفق وحضر القواد وأذن لرسول يعقوب. فذكر رسول يعقوب ما لا يزال يتناهى إلى يعقوب من حال أهل خراسان فى الشراة والخارجين عليهم حتى غلبوا عليها وضعف محمد بن طاهر عن ضبطها ومكاتبة أهل خراسان يعقوب ومسألتهم إياه أن يقدم عليهم واستعانتهم به وأنه صار إليها فتلقاه أهلها على عشرة فراسخ وسلموها إليه وأحضر رأساً على قناة فيه رقعة مكتوب فيها :

- «هذا رأس عدو الله الخارجى بهراة ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة قتله يعقوب بن الليث.»

فتكلم أبو أحمد وعبيد الله بن يحيى وقالوا لرسول يعقوب :
- «إن أمير المؤمنين لا يقار يعقوب على ما فعل وهو يأمره بالإنصراف إلى العمل الذى ولّاه إياه فليرجع، فإنه إن فعل كان من الأولياء وإلا لم يكن إلا ما للمخالفين.»
وصرف رسله وخلع عليهم.

ودخلت سنة ستين ومائتين

وفىها قتل صاحب الزنج صاحب الكوفة على بن زيد العلوى.
وفىها واقع [495] يعقوب بن الليث الحسن بن زيد بطبرستان فهزمه، وكان ليعقوب بها ظفر ومحنة.

محاربة يعقوب بن الليث الحسن بن زيد بطبرستان

ذكر السبب فى ذلك

وكان السبب فى ذلك أنه كان بسجستان رجل يعرف بعبد الله رئيس ينافس يعقوب، فقهره يعقوب فهرب منه إلى محمد بن طاهر بنيسابور. فلما

ملك يعقوب نيسابور هرب عبد الله فلحق بالحسن بن زيد وشخص يعقوب في طلبه.

فلما صار إلى قرب سارية لقيه الحسن بن زيد وكان يعقوب بعث إليه أن يوجه إليه بعبد الله السجزي حتى ينصرف عنه فإنه إنما قصد طبرستان لأجله لا لحربه. فأبى الحسن تسليمه إليه.

فلما التقى عسكراهما لم يكن إلا كلا ولا، حتى انهزم الحسن إلى أرض الديلم ودخل يعقوب سارية ثم مضى منها إلى آمل، فجبى أهلها خراج سنة، ثم شخص في طلب الحسن بن زيد. فلما صار في بعض جبال طبرستان تتابعت عليه الأمطار نحواً من أربعين يوماً فلم يتخلص منه إلا بمشقة شديدة ولم يمكنه النزول إلا على ظهور الرجال^(١) وهلك ما معه من الظهر.

ثم رام الدخول خلف الحسن بن زيد [496] [إلى الشرز^(٢)] فأخبر بعض من شاهده أنه كان يقدم عسكره وأمرهم بالوقوف ليتأمل الطريق فلما رآه عاد إلى أصحابه وأمرهم بالإنصراف وقال:

«إن لم تكن إليه طريق غير هذا فلا طريق إليه.»

وكان نساء تلك الناحية قلن لرجالهن: دعوه يدخل فإنه إن دخل كفيناكم وعلينا أخذه وأخذ من معه.»

فانصرف وقد ذهب معظم خيله وإبله وأثقاله ورجاله، وكتب إلى السلطان بفتح طبرستان وهزيمة الحسن بن زيد.

وسار يعقوب إلى الري وبها الصلابي من قبل موسى بن بغا.

١. والمباراة في الطبري (١٢: ١٨٨٤): صعد جبلاً، لما رام النزول عنه لم يمكنه ذلك إلا محمولاً على ظهور الرجال.

٢. كذا في الطبري (١٢: ١٨٨٤). وفي المراسد، الشرز [بالراء المهملة]: جبل في بلاد الديلم.

ذكر السبب في مسيره

كان سبب مسيره إلى الرى أن عبد الله السجزي صار بعد هزيمة الحسن بن زيد إلى الرى مستجيراً بالصلابي. فلما صار يعقوب إلى جوار الرى كتب إلى الصلابي يخبره بين تسليم عبد الله السجزي إليه حتى ينصرف عنه ويرتحل إلى عمله وبين أن يأذن بحربه. فاختر الصلابي تسليم عبد الله فسلمه إليه فقتله يعقوب وانصرف عن الصلابي.

ودخلت سنة إحدى وستين ومائتين [497]

وفيهما جمع السلطان^(١) حاج خراسان والرى وطبرستان وجرجان في صفر وقرئ عليهم كتاب يعلمون فيه أن السلطان ما ولى يعقوب بن الليث خراسان وأنه عاصي وبأمرهم بلعنه، وذلك لدخوله خراسان وأسر محمد بن طاهر وآل طاهر.

وفيهما كانت وقعة بين محمد بن واصل وبين عبد الرحمن وطاشتمر برامهرمز فقتل ابن واصل طاشتمر وأسر ابن مفلح.

مركز تحقيق تكملة مركز السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أن ابن واصل قتل بفارس الحارث بن سيما عامل السلطان وتغلب عليهم وضم إلى موسى بن بغا فارس والأهواز والبصرة واليمامة إلى ما كان إليه من عمل المشرق. فوجه موسى عبد الرحمن بن مفلح إلى الأهواز وولاه إياها وفارس وضم إليه طاشتمر، فاتصل بابن واصل

١. وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر. انظر الطبري (١٢: ١٨٨٧).

ذلك وكان مقيماً بالأهواز على حرب الخارجى بناحية البصرة، فلما بلغه أن ابن مفلح قد توجه إلى فارس زحف إليه ابن واصل والتقى براهيمز وانضم أبو داود الصعلوك إلى ابن واصل معيناً له [498] فظفر ابن واصل بابن مفلح فأسره وقتل واصطلم^(١) عسكره وبعث السلطان إسماعيل بن إسحاق إلى ابن واصل فى إطلاق ابن مفلح فلم يجبه إلى ذلك، ثم لم يزل ابن مفلح فى يده حتى قتله.

ولما فرغ ابن واصل من ابن مفلح أقبل مظهراً أنه يريد واسطاً لحرب موسى حتى انتهى إلى الأهواز وبها إبراهيم بن سيما فى جمع كثير، فلما رأى موسى بن بغا شدة الأمر وكثرة المتغلبين على نواحى المشرق وأن لا قوام له بهم ولا طاقة، سأل حينئذ أن يعفى عن أعمال المشرق، فأعفى عنها وضُم ذلك إلى أبى أحمد، وانصرف موسى بن بغا إلى باب السلطان وصرف عماله عن المشرق.

وولى أبو الساج الأهواز وحرب صاحب الزنج، فقدم أبو الساج صهره عبد الرحمن فقتل، وانحاز أبو الساج إلى عسكر مكرم ودخل الزنج الأهواز فسبوا أهلها وقتلوا وانتهبوا.

ثم صرف أبو الساج وولى إبراهيم بن سيما.

وفىها ولى نصر بن أحمد ما وراء نهر بلخ وكتب إليه بولاية ذلك.

وفىها زحف يعقوب بن الليث إلى فارس وابن واصل بالأهواز فانصرف منها إلى فارس [499] والتقى هو ويعقوب فهزمه يعقوب وحصر قلعة ابن واصل بخزيمة^(٢) فأخذها وحصل ما فيها - فبلغت قيمة ما أخذه يعقوب منها أربعين ألف درهم - وأسر مرداساً خال ابن واصل وأوقع بالأكراد الذين

١. فى مط : واصحكم، بدل : واصطلم.

٢. خزيمة : ناحية من نواحى فارس قرب إصطخر (مرصد الاطلاع).

مالثوا^(١) ابن واصل.

وفيهما جلس المعتمد في دار العامة فولّى ابنه جعفرًا العهد وسمّاه المفوّض إلى الله وولّاه المغرب وضمّ إليه موسى بن بُغا وولّاه أفريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان وحلوان ومهرجاناتقذق. وولّى أخاه أبا أحمد العهد من بعد جعفر وولّاه المشرق وضمّ إليه مسرور البلخي وولّاه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكّة والمدينة واليمن وكسكر وكور دجلة والأهواز وفارس وقم واصبهان والكرج والدينور والريّ وزنجان وقزوين وخراسان وجرجان وطبرستان وكرمان وسجستان والسند.

ثمّ دخلت سنة اثنتين وستّين ومائتين

وفيهما وافى يعقوب بن الليث رامهرمز

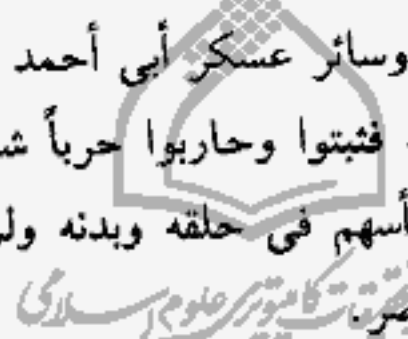
فوجّه السلطان إليه إسماعيل بن إسحاق [500] وبغراج وأخرج من كان محبوساً من أسباب يعقوب لأنّه لمّا حبس يعقوب محمد بن طاهر، حبس السلطان صاحبه وصيفاً ومن كان قبله من أسبابه، فأطلق عنهم عند موافاة يعقوب رامهرمز، ثمّ قدّم إسماعيل بن إسحاق من عند يعقوب برسالته. فجلس أبو أحمد ببغداد ودعا بجماعة من التجار وأعلمهم أنّ أمير المؤمنين أمر بتولية يعقوب بن الليث خراسان وطبرستان وجرجان والريّ وفارس والشرطة ببغداد، وذلك بمحضّر صاحب يعقوب.

ثمّ انصرف الرسل الذين وُجّهوا إلى يعقوب إلى السلطان فأعلموه أنّه يقول: لا يرضيه ما كتب إليه دون أن يصير إلى الباب السلطانيّ. وارتحل يعقوب من عسكر مُكرّم، فصار إليه أبو الساج فقبله وأكرمه ووصله، ولمّا

١. كذا في الأصل بالضبط. في مط: مالوا لابن واصل.

رجع الرسول بجواب يعقوب عسكر المعتمد بخارج سُرَّ مَنْ رأى واستخلف ابنه جعفرًا ثم وافى بغداد فاشتقَّها^(١) وجازها إلى الزعفرانية فنزلها، وقَدَّم أخاه أبا أحمد الموفق وسار يعقوب بجيشه حتَّى صار من واسط على فراسخ فصادف هناك بثقاً بثقه مسرور [501] البلخى من أجله حتَّى لا يجوزَه. فأقام عليه حتَّى سَدَّه وعبره وصار إلى باذيين ووافى واسطاً.

وسار محمد بن كثير من قبل مسرور البلخى فنزل بإزائه بالنعمانية وسار المعتمد حتَّى صار إلى سيب بنى كوما وأقام المعتمد حتَّى اجتمعت إليه عساكره. وزحف يعقوب من واسط إلى دير العاقول ثمَّ زحف إلى عسكر السلطان. فأقام المعتمد ومعه عبید الله بن يحيى وأنهض أخاه لحرب يعقوب، فجعل يعقوب يعبئ أصحابه وجعل أبو أحمد موسى بن بُغا على ميمنته ومسرور البلخى على ميسرته وصار هو فى نخب الرجال فى القلب.

فالتقى العسكران بين سيب بنى كوما ودير العاقول. فشَدَّتْ ميسرة يعقوب على ميمنة أبى أحمد فهزمتها وقتلت جماعة منها من القوَّاد بينهم إبراهيم بن سيما وغيره، وسائر عسكر أبى أحمد ثابتٌ. ثمَّ ثابَّتْ المنهزمة فحملوا على عسكر يعقوب فثبتوا وحاربوا حرباً شديدة، فقتل منهم جماعة وأصاب يعقوب ثلاثة أسهم فى حلقه وبدنه ولم تزل الحرب قائمة بين الفريقين إلى آخر وقت العصر. 

ثمَّ ظهر فى كثير من أصحاب يعقوب كراهة قتال السلطان لَمَّا رآوه بإزائهم. [502] ثمَّ حمل جميع أصحاب أبى أحمد على يعقوب ومَنْ ثبت معه فانهزم أصحاب يعقوب وثبت يعقوب فى حامية أصحابه، حتَّى مضوا وفارقوا موضع الحرب وغنم عسكر السلطان عسكر يعقوب. فيقال: إنَّه أخذ

١. فى مط: واستقَّها. فى الأصل: واشتقَّها. فى الطبرى (١٢: ١٨٩٢): واشتقَّها.

من عسكره من الدوابّ والبغال أكثر من عشرة آلاف رأس ومن العين والورق ما يكلّ عن حمّله ومن جُرب^(١) المسك أمر عظيم. وتخلّص محمد بن طاهر وكان مثقلاً بالحديد، خلّصه الذي كان موثقاً به، وكتب كتاب الفتح إلى بغداد وقرئ على الناس، ورجع المعتمد إلى المدائن ومضى أبو أحمد الموفق وقبض على ما لأبي الساج من المنازل والضياع فأقطعها مسرور البلخي، وقدم محمد بن طاهر بن عبد الله بغداد وقد رُدَّ إليه العمل وخلع عليه على مرتبته، فنزل دار عبد الله بن طاهر فلم يعزل أحداً ولم يولّ، وأمر له بخمسمائة ألف درهم.

وفيها وجّه صاحب الزنج جيوشه إلى البطيحة

ودست ميسان

ذكر الخبر عن طمعه في ذلك

لما انصرف موسى بن نغا عن أعمال المشرق وصار النظر لأبي أحمد الموفق وضّم أبو أحمد [503] كور دجلة إلى مسرور البلخي وتشاغلوا بحرب يعقوب، خلت كور دجلة من عمّال السلطان وعساكره سوى المدائن. فوجّه صاحب الزنج أحمد بن مهدي من أهل جُبّي في سميريّات فيها رجال رماة إلى نهر المرأة^(٢)، فجعل الجُبّاني يوقع بالقرى. فكتب إلى صاحبه:

- «إنّ البطيحة خالية من رجال السلطان، لانصراف مسرور وأصحابه إلى محاربة يعقوب بن الليث.»

فأمر صاحب الزنج رجلاً من باهلة يقال له عُمر بن عمار - كان عالماً

١. في مط: حرق المسك. والطبري (١٢: ١٨٩٤) كالاصل: جُرب.

٢. نهر المرأة: نهر بالبصرة، حفره أردشير الأصغر، والمرأة اسمها: طماهيح (مراسد الإطلاع).

بطرق البطيحة ومسالكها - إلى أن يسير مع الجبائي حتى يستقر بالحوانيت.
 وكاتب سليمان بن جامع أن يسير إلى الحوانيت فसार الجبائي في طريق
 الماذيان فتلّقه رُميس فواقعه الجبائي فهزمه وأخذ أربعاً وعشرين سميرية
 وثيفاً وثلاثين صاخة^(١) وأفلت رميس ووافق خروجه منهزماً مع أصحابه
 خروج سليمان بن جامع من النهر العتيق. فتلّقه فأوقع به فيمن أفلت معه
 وانحاز رميس إلى بثر مساور ولحق بسليمان من مذكوري البلالية وأنجاهم
 جماعة في نحو من مائة وخمسين سميرية فاستخبرهم الخبر فقالوا:

- «ليس بينك وبين واسط أحد من عمّال السلطان وولاته.»

فاغترّ سليمان بذلك وسار حتى [504] انتهى إلى الجازرة^(٢) فتلّقه رجل
 يقال له أبو معاذ القرشي، فواقعه فانهزم سليمان عنه وقتل أبو معاذ جماعة
 وأسر جماعة فيهم قائد من قواد الزنج يقال له: رباح، وانصرف سليمان إلى
 موضعه الذي كان معسكراً به فأتاه رجلان من البلالية فقالا:

- «ليس بواسط أحد يدافع عنها غير أبي معاذ في الشذاءات التي لقيتك.»

فاستعدّ سليمان وكتب إلى الخبيث مع البلالية الذين استأمنوا إليه واحتبس
 الإثنين اللذين أخبراه عن واسط بما أخبراه، وسار قاصداً لنهر أبان فاعترض
 له أبو معاذ في طريقه ونشبت الحرب بينهما وعصفت الريح فاضطربت شذاة
 أبي معاذ وقوى عليه سليمان وأصحابه فأدبر عنهم.

ثم مضى سليمان فافتتح نهر أبان فأحرق وانتهب وسبى النساء والصبيان
 ثم وجّه رجلاً يعرف له خبر واسط، فأخبره أن مسروراً قد توجه إليه وأنه
 بواسط. فتحمل سليمان من موضعه وطلب موضعاً يقرب عليه قصد صاحبه

١. كذا في الأصل: صاخة. في الطبري (١٩٠١:١٢): صلغة.

٢. في الأصل الجازرة في الطبري (١٩٠١:١٢): الجازرة.

منه متى لحقه الطلب. فأشير عليه بطيها^(١) فتحصن فيها وجمع إليه كل من ظهر منه مكاشفة للسلطان ويثق به من أهل الطفوف وغيرهم وكاتب صاحبه [505] بذلك وبما دبره، فكتب إليه يصوب رأيه.

ثم إنه وجه الجبائي في عسكر فبلغه أن أغرتمش وخشيشاً قد أقبلا فجزع منهما وأخذ في الاستعداد للقائهما. ورجع إليه الجبائي منهزماً وصعد سليمان سطحاً فأشرف منه فرأى الجيش فنزل مسرعاً وعبر النهر وأمر السودان أن يستتروا حتى لا يظهر منهم أحد ويتواروا بالأدغال وتدعوا القوم حتى يتوغلوا ولا يتحرك واحد إلى أن يسمعو أصوات طبوله فإذا سمعوها خرجوا. وقصد أغرتمش لجيشه وشغلهم قائد من قواد الزنج عن دخول العسكر يقال له: أبو الندى، وشد سليمان من وراء القوم وضرب الزنج بطبولهم وألقوا أنفسهم في الماء للعبور إليهم فانهزم أصحاب أغرتمش، وخرج إليهم من كان بطميشا من السودان فوضعوا فيهم سيوفهم وانهزم خشيش على أشهب كان تحته يريد الرجوع إلى عسكره. فتلقاه السودان فصرعوه وأخذته سيوفهم فقتل وحمل رأسه إلى سليمان.

وقد كان خشيش حين أسرعوا إليه قال لهم:

«أنا خشيش فلا تقتلونى واذهبوا بى إلى صاحبكم.»

فلم يسمعوا قوله، وانهزم أغرتمش وظفر الزنج بعسكره [506] وشذائاته ودوابه وأسلابه وكتب إليه صاحبه بالفتح وحمل إليه رأس خشيش وخاتمه، فأمر فطيف به في عسكره ونصب ثم حمله إلى على بن أبان وهو يومئذ مقيم بنواحي الأهواز، وأمر بنصبه هناك.

١. فى الأصل: بطيها. وفى الموضع الآتى: بطيها. فى الطبرى (١٩٠٥:١٢) طهيشا. (فى كلا الموضعين) فى مط. طميشا (فى كلا الموضعين).

وفيهما كانت وقعة بين أحمد بن ليثوية

صاحب مسرور وبين علي بن أبان

فهزم الزوج وقتل منهم مقتلة عظيمة وذلك أن مسروراً وجّه أحمد بن ليثوية إلى ناحية الأهواز وكان علي بن أبان بتستر فقصده ابن ليثوية فزحف علي بن أبان إليه وهو يبشر أصحابه ويعدّهم الظفر ويحكي ذلك لهم عن الخبيث. فلما وافى الباهليون - وهي قرية تُعرف بذلك^(١) - تلقّاه ابن ليثوية في جماعة كثيفة من خيل السلطان واستأمن إليه جماعة من العرب فانهزم علي بن أبان ثم كثر عليهم مع جمعيّة من رجّالته فاشتدّ القتال وترجّل علي بن أبان فباشر القتال بنفسه راجلاً وبين يديه غلام يقال له فتح، وبصر بعلي بن أبان قوم فعرفوه وأنذروا الناس به، فانصرف هارباً حتّى لجأ إلى المسرقان، فألقى نفسه فيه وتلاه فتح ففرق فتح ولحق علي بن أبان نصر الرومي فتخلّصه [507] من الماء وكان أصاب ساقه سهم، فانصرف مفلولاً من أنجاد السودان وأبطالهم عدد كثير.

ودخلت سنة ثلاث وستين ومائتين

مركز تحقيق ظفر يعقوب بن الليث بمحمد بن واصل

وفيهما ظفر يعقوب بن الليث بمحمد بن واصل أخذه ابن عزيز بن السري فجاء به إلى يعقوب أسيراً.

وملك يعقوب فارس وسار إلى الأهواز، فلما صار إلى النوبندجان انصرف أحمد بن ليثوية عن تستر وارتحل عن بلدان الأهواز كلّ من كان بها من قبل

١. أي الباهليون اسم قرية. انظر الطبري (١٢: ١٩١١).

السلطان.

ثم أقام عليّ بن أبان بنهر السدرة إلى أن دخل صاحب يعقوب الأهواز واسمه الخضر. فجعل يغير عليه وأغار صاحب يعقوب عليه ولم يزل كذلك الأمر مدة.

ثم تجاسر عليه أعنى عليّ بن أبان على الخضر فسار إليه وأوقع به وقتل من أصحاب يعقوب خلقاً وهرب الخضر إلى عسكر مكرم، فلما استباح عليّ عسكره والأهواز رجع إلى نهر السدرة وكتب إلى بهبوذ يأمره بأصحاب الصقار أن يوقع بهم وهم بالدورق. فمضى بهبوذ إلى الدورق وأوقع بأولئك. فكان عليّ يتوقع بعد ذلك مسير يعقوب إليه فلم يسر.

وأمد الخضر بأخيه الفضل وأمرهما [508] بالكفّ عن قتال أصحاب الخبيث والإقتصار على المقام بالأهواز. فأبى ذلك عليّ دون نقل طعام هناك، فتجافى له الصقار عن ذلك الطعام وتجافى عليّ للصقار عن علف كان بالأهواز. فنقل عليّ الطعام وترك العلف وتكافّ الفريقان: أصحاب عليّ وأصحاب الصقار.

ودخلت سنة أربع وستين ومائتين

وفيها مات غييد الله بن يحيى بن خاقان من صدمة خادم له وصلى عليه أبو أحمد ومشى في جنازته واستوزر من الغد الحسن بن مخلد، ثم قدم موسى بن بُغا فهرب الحسن بن مخلد واستوزر مكانه سليمان^(١) بن وهب. وفيها توجه جيش من قبل الصقار إلى الصيمرة ونفذوا إليها وأخذوا صيغون وحملوه أسيراً.

١. في الأصل: لسليمان بن وهب. وما أثبتناه يؤيده الطبري (١٢: ١٩١٥).

وفيها مات موسى بن بُغا ببغداد وحُمِلَ إلى سُرٍّ من رأى فُدُنَ بها.

محادبة محمد المولّد وسليمان بن الجامع

وفيها ولي محمد المولّد واسطاً فحاربه سليمان بن جامع وهو قريب من تلك الناحية، فهزّمه وأخرجه من واسط ودخلها.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّ عليّ بن أبان لما هزم بأعزّتمش وجُعلان، أشار عليه أحمد بن مهدي [509] الجبّائي بتطرق عسكر البخاريّ وهو على خمسة فراسخ من عسكر تكين فلمّا وافى ذلك الموضع قال له الجبّائي: «الرأى أن نقيم هاهنا وأمضى أنا في السميريات فاحتر القوم وأتعبهم فيأتوك لغيب فتنال حاجتك.»

فأقام سليمان وعبّاً خيله وربّجّاته بموضعه ومضى الجبّائي فقاتلهم ساعة وأعدّ تكين حيلة وتطارّد له الجبّائي وطال على عليّ بن أبان انتظار الجبّائي. فأقبل يقفوا إثر الجبّائي. فأنفذ الجبّائي غلاماً له إلى سليمان بن جامع أنّ أصحاب تكين واردون عليك بخيلهم.

فتلقّاهم الرسول فرّده إلى معسكره وجعل عليّ كميناً ممّا يلي الصحراء في ميسرة تكين وقال:

«إذا جاوزتكم خيل تكين فاخرجوا من ورائهم.»

فلمّا علم الجبّائي أنّ سليمان قد أحكم أمره رفع صوته وقال لأصحابه ليسمع أصحاب تكين:

«غررتموني وأهلكتموني، وقد كنت أمرتكم ألا تدخلوا هذا المدخل،

فأبيت إلا أن تلقوني وأنفسكم في هذه الورطة التي لا نرى أنا تنجو منها.»

فطمع أصحاب تكين لما سمعوا كلامه وجدّوا في طلبه وجعلوا ينادونه :
- «بلبل في قفص».

وسار الجبائي سيراً حثيثاً واتبعوه بجدّ يرشقونه [510] حتّى جاوز الكمين وقارب عسكر سليمان، وهو أيضاً كامن وراء الجدر في خيله ورجله. فزحف سليمان وخرج الكمين من وراء الخيل وعطف الجبائي فأتاهم الروع من الوجوه كلّها فانهزموا. وركبهم الزنج يقتلونهم ويأسرونهم ويسلبونهم حتّى قطعوا ثلاثة فراسخ.

ثمّ وقف سليمان وقال للجبائي :

- «نرجع فقد غنمنا وسلمنا والسلامة أفضل من كلّ شيء».

فقال الجبائي :

- «كلّا قد نفذت حيلتنا فيهم ونخبّت قلوبهم. والرأى أن نكبسهم في ليلتهم هذه فلمعلنا أن نفضّ جمعهم ونجتاحهم».

فاتبع سليمان رأى الجبائي وصار إلى عسكر تكين فقاتلهم تكين قتالاً شديداً حتّى انكشف عنه سليمان. ثمّ وقف سليمان وعبأ أصحابه ثانية ووجّه شبلاً في خيل ورجالة إلى الصحراء وأمر الجبائي فصار في السميريات في بطن النهر وسار هو فيمن معه من أصحابه حتّى وافى تكين، فلم يثبت له أحد وانكسفوا فتركوا في عسكرهم. فغنم ما فيه وأحرق الباقي وانصرف وكان استأذن صاحبه في الإلسام به فألقى في منصرفه ورود الإذن له، فاستخلف الجبائي وحمل الأعلام التي أصابها من عسكر تكين والشذات [511] التي كان أخذها من خُشيش وأصحابه اغرتمش ومن كان معهم إلى عسكر الخبيث.

ثمّ كانت لعلّى بن أبان والجبائي وغيرهما من أصحاب الخبيث وقعات منكرات وأمور هائلة ما كتبتها لخلوّها ممّا بنيت عليه كتابي هذا إلى أن

دخل أصحابه واسطاً.

وفيهما خرج سليمان بن وهب والحسن بن وهب
إلى سُرّ من رأى

فلما وصل إليها حبسه المعتمد وقيّده وأنهب داره ودور بنيّه واستوزر
الحسن بن مخلد. وكان أبو أحمد الموفق حسنَ الرأى فى آل وهب فشخص
من بغداد ومعه عبيد الله بن سليمان بن وهب. فلما قرب الموفق من سُرّ من
رأى، تحوّل المعتمد إلى العسكر الغربى فعسكر به واختلف الرسل بينهما.
فلما كان بعد أيام صار المعتمد إلى حَرَاقَة فى دجلة وصار إليه أخوه الموفق
فى زَلال، فخلع على الموفق وعلى مسرور البلخى وكيفلغ وأحمد بن موسى
بن بُغا.

ثمّ عبر أهل عسكر أبى أحمد إلى عسكر المعتمد يوم التروية من ذى
الحجّة فأطلق سليمان بن وهب ورجع المعتمد إلى الجوسق وهرب الحسن
بن مخلد وأحمد بن صالح بن شيرزاد وكتب فى قبض أموالهما وأسبائهما
ومن يتصل بهما وهرب القوّاد [512] المقيمون كانوا بسُرّ من رأى إلى
تكريت. ثمّ شخص إلى الموصل ووضعوا أيديهم فى الجباية.
وكان عبيد الله بن سليمان كاتب الموفق فأصلح بين سليمان بن وهب
والحسن بن مخلد.

ودخلت سنة خمس وستين ومائتين

وفيهما كانت بين أحمد بن ليثويه وسليمان بن جامع قائد الزنج وقعة
بناحية جُنُبلاء فقتل من أصحاب سليمان سبعة وأربعون قائداً وخلق من
الجند لا يحصى عددهم، واستباح عسكره وأحرق سفنه ومضى مفلولاً حتّى

وافى طميشاً^(١).

وفيهما لحق محمد المولّد يعقوب بن الليث فصار إليه وقبض السلطان على أمواله وضياعه.

وفيهما قبض الموفق على سليمان بن وهب وابنه عبيد الله وأمر بقبض ضياعهما وأسبابهما وصولهما على تسعمائة ألف دينار.

واستكتب الموفق صاعد بن مخلد واستوزر إسماعيل بن بلبل.

وفيهما مات يعقوب بن الليث بالأهواز وخلفه أخوه عمرو بن الليث وكتب عمرو إلى السلطان بأنه سامع مطيع.

وفيهما لحق العباس بن أحمد بن طولون مع من تبعه ببرقة مخالفاً لأبيه أحمد وكان [513] أبوه استخلفه على عمله بمصر لما توجه إلى الشام. فلما انصرف أحمد عن الشام راجعاً إلى مصر حمل العباس ما فى بيت المال بمصر وما كان لأبيه هناك من مال وأثاث وغير ذلك ومضى إلى برقة. فوجه إليه أبوه جيشاً فظفروا به ووجهوه إلى أبيه فحبسه عنده وقتل بسببه وما كان منه جماعة كانوا شايعوا ابنه على ذلك.

وفيهما دخل الزنج جبل والنعمانية فأحرقوا وسبوا وصاروا إلى جرجرايا ودخل أهل السواد بغداد.

وفيهما ولّى أبو أحمد، عمرو بن الليث خراسان وفارس واصبهان وسجستان وكرمان والسند وأشهد له بذلك ووجه إليه العهد والخلع.

وفيهما صار مسرور البلخي إلى النيل وكان هناك عبد الله بن ليثويه وكان يظهر الخلاف على السلطان. فلما قصده مسرور ومن معه تلقّوه وترجّلوا له وانقادوا له بالسمع والطاعة وعبد الله بن ليثويه قد نزع سيفه ومنطقته وعلّقهما

١. فى الأصل طميشا. وما أثبتناه من مط.

فى عنقه وهو يعتذر ويحلف أنه كان محمولاً على ما فعل. فقبل منه وخلع عليه وعلى عدة من قواده.

ودخلت سنة ست وستين ومائتين [514]

وفىها ولى عمرو بن الليث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خلافته على الشرطة ببغداد وسر من رأى وخلع أبو أحمد عليه. فلما صار عبيد الله إلى منزله خلع عليه فيه خلعة عمرو بن الليث. وبعث إليه عمرو مع خلعتة عموداً من ذهب.

وفىها غلب اساتكين على الرى وأخرج العامل كان عليها. ثم صار هو وابنه اذكوتكين إلى قزوين وعليها ايزون أخو كيغلغ. فصالحاه وأخذوا قزوين ثم عادا إلى الرى.^(١)

وفىها مات أبو الساج وكان منصرفاً من الأهواز عن عسكر عمرو بن الليث إلى بغداد.

وفىها ولى عمرو بن الليث، أحمد بن عبد العزيز بن دلف اصبهان وولى محمد بن أبى الساج الحرمين وطريق مكة.

وفىها وجه مسرور إلى الأهواز أغرتمش ومطر بن جامع وأبا لحرب على بن أبان صاحب الزنج. فكانت بينهم وقعات بنهر السدرة ثم ظفر على تكمين كمنه^(٢) وأكب الزنج على أصحاب السلطان فهزمهم وأسر مطر بن جامع وأتى به على بن أبان فاستبقاه مطر فقال له على:

«لو كنت أبقيت على صاحبنا جعفرويه بتستر لأبقينا عليك.»

وكان جعفرويه محبوساً بتستر فلما صار إليها مطر أخرجه وقتله فقام

١. انظر الطبرى (١٢: ١٩٣٦).

٢. كذا فى الأصل ومط.

على [515] بيده [السيف]^(١) إلى مطر ف ضرب عنقه وأفلت أغرتمش وأبنا
 ووجه على بن أبان بالرؤوس إلى الخبيث.
 وفيها كانت بين الأكراد وبين على بن أبان وقعة، فغلبه الأكراد وقتلوا من
 الزنج مقتلة عظيمة.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنه كان بين محمد بن عبيد الله بن أزازمرد الكردي
 وبين على بن أبان شحنة، ثم تلاقيا على صالح وكان على يرصده بشرًا،
 وقد عرف محمد بن عبيد الله ذلك فكان يروم النجاة منه. فكتب ابن
 الخبيث المعروف بأنكلاي وسأله مسألة أبيه ضم ناحيته إليه فأذن له الخبيث
 فاستعد له على وسار إليه وأوقع برامهرمز ومحمد بن عبيد الله يومئذ مقيم
 بها. فلم يكن بمحمد فيه امتناع. فهرب فاستباح على رامهرمز وكتب محمد
 إلى على يطلب المسالمة على مالٍ يحمله إليه، فكتب على إلى الخبيث
 بذلك، فكتب إليه بقبول ذلك وحمل المال، فحمله وأمسك على عن محمد
 وأعماله.

ثم كتب إليه يسأله أن يعينه على جماعة من الأكراد بموضع يقال له :
 الداريان على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم. فكتب على إلى الخبيث
 يستأذنه في النهوض إلى ذلك فكتب إليه [516] أن :

- «وجه الخليل بن أبان أخاك وبهبوذ وأقم أنت لا تنفذ جيشك حتى
 تتوثق من محمد بن عبيد الله برهائن تكون في يدك تأمن بهم من غدره، فقد
 وترته وهو غير مأمون.»

١. ما بين المعقوفتين أضفناه بوحى السياق.

فكتب عليّ إلى محمد بذلك وسأله الرهائن، فأعطاه محمد الأيمان والعهود، ودافعه عن الرهائن.

ذكر عجلة وحرص كانا سبب ترك الحزم

فدعا عليّاً الحرس على الغنائم التي أطمعه فيها محمد إلى أن أنقذ الجيش قبل تحصيل الرهائن. فساروا ومعهم رجال محمد حتّى وافوا الموضع المقصود، فخرج إليهم أهله فنشبت الحرب وظهر الزنج على الأكراد. ثمّ خذلهم أصحاب محمد بن عبيد الله وصدقهم الأكراد فانهزموا، وكان محمد أعدّ لهم قوماً فعارضوهم وهم منهزمون، فأوقعوا بهم وسلبوهم وقتلوهم، فرجعوا بأسوء حال فكتب المهلبى إلى الخبيث بما ركب محمد، فكتب إليه يعنّفه ويقول :

- «خالفتنى وتركت الحزم وتبعت هواك، فذاك الذى أردى جيشك.»

وكتب الخبيث إلى محمد أنّه :

- «لم يخف عليّ تدبيرك على جيش عليّ بن أبان ولن تعدم المكافأة على ما كان منك.»

فارتاع محمد ممّا ورد عليه وكتب إليه بالتضرّع [517] والخضوع وكتب :

- «إني ارتجعت جميع ما ذهب من عسكر الخليل بن أبان وأتوعد^(١) من

فعل ذلك وأقصده بكلّ مكروه.»

فأظهر الخبيث غضباً وكتب إليه يتهدّده، فأعاد محمد الكتاب بالاستكانة

وكتب إلى بهوذ يضمن له مالاً ولغيره ممّن يقرب من الخبيث فلم يزالوا به

حتّى سلّوا سخيّمته^(٢) على محمد وأظهر الخبيث الرضا عن محمد وقال :

١. فى مط : توعد.

٢. يقال : سلّت سخيّمته باللفظ والترضى، أى أفرجت ضغيّته من صدره.

- «لست أقبل ما يقول أو يخطب لى على منابر أعماله.»
 فأجابه محمد إلى ما أراد. ثم راوعه وقصد على مَثُوث^(١) فلم يطقها
 لحصانتها فاتخذ لها سلاليم وآلات الحروب. وكان مسرور عرف قصد على
 مَثُوث، فلما صار إليها وافاه قبيل المغرب وهو مقيم عليها. فلما عاين
 أصحاب على أوائل خيل مسرور انهزموا وتركوا عسكرهم وجمع الآلات
 التي أعدوها وقتل منهم جمع كثير وانصرف على مذعوراً مفلولاً ولم يلبث
 حتى تنابعت الأخبار بإقبال أبي أحمد الموفق إلى سوق الخميس وطميشا^(٢)
 وفتح أبي أحمد إياها.

ثم ورد عليه كتاب يحفزه حفزاً شديداً بالمصير إليه فى عسكره.

ودخلت سنة سبع وستين ومائتين [518] وفيها غلب أبو العباس
 ابن الموفق على عامة ما كان سليمان صاحب الزنج

غلب عليه من قرى دجلة

ذكر الخبر عن ذلك

إنّ الزنج لما دخلوا واسطاً - وكان منهم ما ذكرنا - واتصل الخبر بأبى
 أحمد استعظمه، فخفّ للنهوض ابنه أبو العباس. فلما استجمع أمره ركب أبو
 أحمد يعرض أصحابه ووقف على عدّتهم فكان جميع الفرسان والرّجال
 عشرة آلاف رجل فى أحسن زى وأجمل هيئة وأكمل عدّة ومعهم الشّذات
 والسميريّات والمعابر للرّجال. فهض أبو العباس وانصرف أبو أحمد من
 تشييعه وأقام أبو العباس بالفرك حتى تكامل أصحابه وأقام أيضاً بالمدائن، ثمّ
 رحل إلى دير العاقول. فورد عليه كتاب نصير أبى حمزة صاحب الشّذات

١. كذا فى الأصل ومط والطبرى (١٣: ١٩٤٦).

٢. فى الأصل: طهيا، والمثبت من مط.

والسميريات وكان أمضاه على مقدّمته يعلمه أنّ سليمان بن جامع قد وافى في خيله ورجاله وشذائاته والجبائى يقدّمه حتّى نزل الجزيرة التى بحضرة بردودا، فرحل أبو العباس حتّى وافى جرجرايا ثمّ فم الصّلع ثمّ ركب الظهر حتّى وافى الصّلع ووجّه طلائعه لتعرف الخبر، فأخبروه بموافاة القوم وجمعهم وأنّ أول [519] جيشهم بالصّلع وآخرهم ببستان موسى بن بُغا أسفل واسط. فلمّا عرف ذلك عدل عن سنن الطريق وسار معترضاً ولقى أصحابه أوائل القوم فتطاردوا لهم وأمعن الزنج فى طلبهم فجعل الناس يقولون :

«اطلبوا أميراً للحرب فإنّ أميركم مشغول بالصيد.»

فلمّا قربوا من أبى العباس بالصّلع خرج عليهم فيمن معه من الخيل والرجل وأمر فنودى :

«نُصير، إلى أين تتأخّر عن هؤلاء الكلاب ؟ ارجع إليهم.»

فرجع نصير وركب أبو العباس فى سميرية وحمل الناس من كلّ جهة فانهزم الزنج وأصحاب أبى العباس يقتلونهم إلى أن وافى بهم قرية عبد الله وهى على ستّة فراسخ من الموضع الذى لقوهم. وأخذوا عدّة شذاءات وسميريات واستأمن قوم وغرق قوم.

فكان ذلك أول فتح فتح على أبى العباس. وأشار على أبى العباس قواده ونصحاؤه أن يجعل معسكره بالموضع الذى كان انتهى إليه، اشفاقاً عليه من مقاربة القوم. فأبى وقال :

«فأين التيقّظ.»

فتزل واسطاً.

ولمّا انهزم سليمان بن جامع وأصحابه توافوا بنهر الأمير. وكان القوم حين لقوا أبا العباس أجالوا الرأى بينهم فقالوا :

- «هذا فتى حدث لم تطل ممارسته للحروب [520] فالرأى أن نرديه بحدنا كله، فإنه س يرتاع ويكون سبباً لانصرافه عنا أو أسره.»

ففعّلوا ذلك وحشدوا فكاد يتمّ لهم ما دبّروه، ثمّ كانت الدبرة عليهم. ودخل أبو العباس واسطاً من غد يوم الواقعة فى أحسن زى واستأمن إليه قوم ثمّ انحدر إلى العُمر وهو على فرسخ من واسط فقَدّم فيه عسكره وكان الناس أشاروا عليه أن يعسكر فوق واسط فأبى ونزل العمر ثمّ أخذ فى بناء الشذاءات وآلات الماء وجعل يراوح القوم القتال ويغاديههم. ثمّ إن سليمان استعدّ له مرة أخرى وحشد فلقههم أبو العباس فهزمهم وقتل وأسّر. ثمّ أتاه مخبر فأخبره أنّ الزنج قد اجتمعوا واستعدّوا لكبس عسكره من ثلاثة أوجه، وأنّهم قالوا فيما بينهم :

«إنّه حدث غرٌّ قد خاطر وغرّر بنفسه فاتفق له ولا يتمّ له ذلك أبداً.»

فلما علم بتدبيرهم حذر وكانوا كمنوا له عشرة آلاف فى موضعين وأطمعوه فى أنفسهم فمنع^(١) أبو العباس من اتباعهم. فلما علموا أنّ كيدهم لم ينفذ اجتمعوا له وكاثروه فهزمهم وأفلت سليمان راجلاً ومضى جيشهم لا يلوى أحد على أحد. ورجع أبو العباس إلى مكانه بالعمر ثمّ إنّ الجبّائى كان يجيئه فى الطلائع فى كلّ ثلاثة أيام.

مركز تحقيق تكملة علوم راسدى

ذكر حيلة للجبّائى ما تمّت له

أمر الجبّائى بحفر آبار وصيّر فيها سفايد^(٢) حديد وغشّاها بالبوارى وواراها بالتراب وأخفى مواضعها وجعلها على سنن مسير الخيل ليتهور فيها المجتازون وكان يوافى متعرّضاً ويهيج الناس. فجاء يوماً فطلبته الخيل فتقطّرت

١. ما فى الأصل مطموس، وما أثبتناه من مط.

٢. السفود: حديدة يُشوى عليها اللحم.

فرس قائد في بئر منها فوقف أصحاب أبي العباس على حيلته فحذروا ذلك السميت ولم يمتحن غير ذلك القائد الواحد.

ثم عاودوا التعرض للحرب في كل يوم إلى أن استجراً عليهم جند أبي العباس فكان أبو العباس يقصدهم ويقتل ويأسر ويستنقذ نساء المسلمين وصبيانهم ويردهم إلى أهلهم إذ عرض لأبي العباس كركي يطير، فرماه بسهم فشكّه فسقط بين أيدي الزنج ورأوا موقع السهم منه، فعلموا أنه سهم أبي العباس، فاستشعروا الرعب منه فكانوا إذا رأوا علامته انهزموا.

ثم عزم أبو أحمد الموفق على المصير إلى الجيش ومباشرة الأمر بنفسه فعزم [522] أبو العباس على قصد نهر سوق الخميس قبل موافاة أبيه.

فقال له نصير:

«إن ذلك النهر ضيق فأقم أنت وأذن لي في المسير إليه.»

فأبى أن يدعه حتى يعاينه^(١) فقليل له: إن كنت لابد فاعلاً فلا تكثر عدد من يحمل معك في الشدائد.

فاستعد أبو العباس وسار نصير بين يديه واستأذنه رجل من قواده يقال له موسى دالحوا^(٢) أن يكون بين يديه فأذن له وسار حتى انتهى إلى فوهة النهر المؤدى إلى مدينة سليمان بن موسى الشعراني وغاب عنه نصير حتى خفى خبره وخرج عليه في ذلك الموضع خلق فتحدث من كان معه قال: لما حالوا بيننا وبين الانتهاء إلى السور - وكان بيننا وبينه مقدار فرسخين - حاربناهم فاشتدت الحرب وخفى أمر نصير علينا والزنج يهتفون بنا:

«أخذنا نصيراً وأنتم في قبضتنا.»

فاغتم أبو العباس لذلك ورحل منه فاستأذنه محمد بن شعيب أن يأتيه

١. كذا في الأصل والطبري (١٣: ١٩٥٨): يعاينه. في مط: يعاينه.

٢. في مط: والخوا. في الطبري (١٣: ١٩٥٨): دالجويه.

بخبير نُصير فأذن له فمضى فى سميرية بعشرين جذاًفاً، فإذا هو بنُصير وقد قرب من سكرٍ كانوا سكروه، فأضرمه بالنار وهو يحارب حرباً شديدة وقد رُزق الظفر. فرجع وأخبر أبا العباس وبشره بسلامة نُصير ومن [523] معه وأنه ظافر غانم فسرَّ به سروراً شديداً.

وكان الزنج قد علقوا بشذاعة، فركب أبو العباس فى سميرية حتى وافى تلك الشذاعة وعلى أبى العباس كبر^(١) تحته درع فانتزع الشذاعة وخلَّصها. قال محمد: فنزعنا من كبر أبى العباس خمساً وعشرين نشابة ومن لبابيد الملاحين مثل ذلك وأقل وأكثر.

وظفر أبو العباس بالزنج وهزمهم وعاد إلى معسكره بالعُمر إلى أن وافى الموفق.

خروج الموفق لحرب صاحب الزنج

وخرج الموفق من مدينة السلام قاصداً حرب صاحب الزنج وذلك حين بلغه أن صاحب الزنج كتب إلى صاحبه على بن أبان المهلبى يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جامع ليجتمعا على حرب أبى العباس بن أبى أحمد.

فأعد أبو أحمد الشذاعات وآلات الماء وسار فى فرسانه ورجاله وغلمانه إلى أن نزل على فرسخ من واسط فأقام هناك يوماً وليلة، فتلقاه أبو العباس ابنه فى جريدة خيل فيها قواده ووجوه جنده فسأله أبوه عن خبر أصحابه فأثنى عليهم ووصف نصحتهم وبلائهم، فخلع عليه وعليهم.

وانصرف أبو العباس إلى معسكره ورحل أبو أحمد من غد ذلك اليوم فى

١. كذا فى الأصل ومط ولم نجده فى الطبرى.

الماء وتلقاه أبو العباس وجميع الجند في هيئة الحرب [524] ثم سار أمامه إلى أن نزل أبو أحمد ثم سار أبو أحمد وولى ابنه أبا العباس مقدمته ووضع العطاء فأعطى الجيش. ثم سار على تعبئة وأمامه أبو العباس فأتاه بأسرى. وذلك أنه وافى عسكرياً للشعراني قبل مجيء أبيه فأوقع به وقتل منه مقتلة عظيمة، فأمر الموفق بضرب أعناق الأسارى. ثم رحل أبو أحمد يريد مدينة صاحب الزنج التي سماها المنيرة من سوق الخميس بمن معه من الجيش وآلة الماء.

فلما رأى سليمان ومن معه من الزنج مسير الخيل والرجالة على حافتي النهر قد ملؤوا الأرض ومسير الشذات والسميريات في الماء انهزموا، وعلا أصحاب أبي العباس السور ووضعوا فيهم السيوف ودخلوا المدينة وقتلوا خلقاً وأسروا خلقاً وحووا ما في المدينة وهرب الشعراني واتبعوهم حتى وقعوا في البطائح وغرق منهم خلق ولجأ الباقيون إلى الآجام، واستنقذ من المسلمات خمسة آلاف امرأة سوى الزنجيات، فأمر أبو أحمد بحفظهن ليدفعن إلى أوليائهن.

وبات أبو أحمد بإزائها فلما أصبح أمر بأخذ جميع ما فيها وهدم سورها وطم خندقها واحرق آلاتها وسفنها، وبلغ خبر الواقعة صاحب الزنج فعظمت [525] مصيبتها واشتد جزعه وكتب إلى سليمان بن جامع يحذره مثل ما نزل بالشعراني ويأمره بالتيقظ.

وتعرف أبو أحمد خبر الشعراني فقليل : إنه بالحوانيت^(١)، فأنفذ إليه جيشاً فألقوا هناك قواده ولم يصادفوه فقتلوا قواده وانتهبوا هناك غلات كثيرة. وتعرف أبو العباس خبر سليمان بن جامع فأعلم بمكانه من مدينته التي

١. الحوانيت : قرية. انظر الطبري (١٣: ١٩٦٥).

سمّاها: المعمورة، فى الموضع الذى يُعرف بطميشا^(١) فرحل إليها أبو أحمد بعد أن أصلح سفن الجسور واستكثر من الضياع والآلات التى يسدّ بها الأنهار والطرق للخيّل وتوطئة الأرض لسلوكها.

دفن الجبّائى وادّعاء آخر لصاحب الزنج

وفى هذه السنة دخل أبو أحمد طميشا وأخرج منها سليمان بن جامع وقتل بها أحمد بن مهدى الجبّائى وذلك بعد حروب كثيرة. ولمّا حُمِلَ الجبّائى إلى الخبيث اشتدّ جزعه عليه وصار إليه حتّى ولى غسله وتكفينه والصلاة عليه والوقوف على قبره حتّى دُفِنَ ثمّ أقبل على أصحابه وقال :

« قد علمت بوفاته وقت قبض روحه قبل وصول خبره إلىّ، بما سمعت من زَجَلِ الملائكة بالدعاء والترحم عليه. »

ثمّ إنّ أبا أحمد أمر أهل عسكره بالتحارس ليلتهم وصحّ سور [526] المدينة بكتائب يتلو بعضها بعضاً ورتّب غلمانه وأصحابه فى المواضع التى يخشى خروج الزنج منها ورتّب الفرسان فى المواضع التى يخاف خروج الكمّاء منها وقَدّم ابنه وتبعه بنفسه وحضّ الغلمان على الحرب وجسّروهم على الإقدام. مركز تحقيق تاريخ العلوم الإسلامية

وقد كان حصّن الزنج السور بخمسة خنادق وجعلوا أمام كلّ خندق سوراً ووكلوا بها رجالهم فما أغنى جميع ذلك شيئاً عند الجَدِّ، فهدمت الأسوار وطُمّت الخنادق وهجم على الزنج وكلّ ذلك بالمصاولة من غير حيلة، سوى أنّ الموفّق كان إذا أتى بالواحد منهم عفا عنه وخلع عليه وأقامه حيث يراه

١. هنا فى الأصل : طميشا. مثل الطبرى (١٣: ١٩٦٦). ونحن وحدنا الضبط كما فى مط : طميشا.

أصحابه حتى استمالهم وكثر في أصحابه منهم وكان يفوقهم على أصحابه ويأمر بالإحسان إليهم حتى فتح المدينة وهدم أسوارها وحوى ما فيها.

ذهاب الموفق إلى الأهواز للايقاع بالمهلبى

ثم رحل نحو الأهواز بعد أن أحكم ما أراد إحكامه ليوقع بالمهلبى واستخلف على عسكره بواسط ابنه هارون وشخص في خف من رجاله وتقدم إلى ابنه هارون في أن يُحدر الجيش الذى خلفه في السفن إذا كاتبه بذلك وسار حتى أتى وادى السوس وقد عقد له عليه جسر فعبره ووافى [527] السوس وكاتب مسروراً في المبادرة إليه فقدم عليه في جيشه فخلع عليه وعلى قواده وأقام ثلاثاً.

وصلت خيل الخبيث وانتقض عليه تدبيره فحملة فرط الهلع على أن كاتب المهلبى وهو يومئذ بالأهواز في ثلاثين ألفاً بترك ما قبله كله والإقبال إليه. فترك ما كان جمعه من المير والأموال والأثاث وصار إليه، واستخلف محمد بن يحيى بن سعيد الكرنبائى، فوجل من المقام وخرج يتبع المهلبى وكان يُجبى والأهواز يومئذ من أصناف الحبوب والتمر والمواشى شىء عظيم. فخرجوا عن ذلك كله جُبناً وإدباراً فحوى جميعه الموفق. فصار قوة على الخبيث ولو أراد جمع ذلك في ذلك الوقت ما قدر على شىء منه.

وكتب أيضاً الخبيث إلى بهوذ وإليه يومئذ عمل الفندم والباسيان وما يتصل بهما من القرى التى بين الأهواز وفارس يأمره بالقدوم عليه. فترك بهوذ أيضاً ما كان قبله من التمر والطعام وكان شيئاً عظيماً فحوى جميعه أبو أحمد وقوى به على الخبيث.

وتخلف عن المهلبى قوم من الفرسان والرجالة وكتبوا إلى أبى أحمد يسألونه الأمان لما انتهى إليهم [528] عفوه عن من ظفر به بطميشا فبذله لهم

وأحسن إليهم.

وأمر الموفق بجباية الأهواز من جميع كورها. ووجه إلى محمد بن عبيد الله الكردي من يونسه وعفا عنه وتقدم إليه في جمع الأموال وتعجيلها نحوه والمسير إليه، وتأخرت الميرة عن أبي أحمد بالأهواز وغلظ الأمر فسأل عن السبب فوجد الجند قد قطعوا قنطرة قديمة كانت بين سوق الأهواز ورامهرمز يقال لها: قنطرة أرمق،^(١) فامتنع التجار من حمل الميرة لأجل ذلك.

فركب إليها أبو أحمد وهي على فرسخين من سوق الأهواز فجمع من كان في العسكر من السودان وأمرهم بنقل الصخر وبذل لهم الأموال فلم يرم^(٢) حتى أصلحت القنطرة في يوم واحد ورددت كما كانت، فسلکها الناس ووافقت الميرة والقوافل فعاش أهل العسكر وحسنت أحوالهم.

وأمر أبو أحمد بجمع السفن لعقد جسر على دجيل فجمعت من جميع كور الأهواز الآلات.

فلما تمّ عقده وتراجعت نفوس الناس والدوابّ باتصال المير والأعلاف سار وقدم أبا العباس إلى الموضع المعروف بنهر المبارك من فرات البصرة وكتب إلى ابنه هارون بأن يُحذّر إليه جميع [529] الجيش إلى نهر المبارك لتجتمع العساكر هناك.

ونزل أبو أحمد بقورج العباس ثمّ نزل الجعفرية وهذه قرية ليس فيها ماء إلا ماء الآبار التي كان أبو أحمد تقدّم بحفرها في عسكره فحُفرت له وكان أعدّها بها بئراً، فوافهاها والأمور مصلحة مُعدّة، ثمّ رحل حتى ورد نهر المبارك، واستأمن قوم إلى أبي أحمد طمعاً فيما بلغهم من إحسانه إلى المستأمنه فأبلغوه أنّ صاحب الزنج قد جمع آلات الماء وفيها خلق من السودان

١. في الطبري (١٣: ١٩٧٧): أربك.

٢. في مط: ولم يرم.

ليقصدا نصيراً وهو بنهر المرأة ويسلكوا موضعاً يخرجهم من ورائه. فأنفذ إلى نصير وأخبره بذلك فبادر نصير إلى شق بئر، فلقى هناك القوم فزرق الظفر بعد مجاهدة عظيمة، فقتل وأسر وأخذ ثلاثين سميرية. وانصرف أصحاب أبي أحمد ظافرين إلى واسط واستأمن إلى نصير زهاء ألفي رجل، فكتب بالخبر إلى أبي أحمد فأمره بقبولهم وإجراء الأرزاق عليهم وتفريقهم على أصحابه ومناهضة العدو بهم. ثم كتب إليه بموافاته إلى نهر المبارك ففعل.

كتاب أبي أحمد إلى صاحب الزنج

للأمان والتوبة مما ركب وادّعى

وكتب أبو أحمد إلى الخبيث كتاباً يدعو به إلى الدخول في الأمان والنزوع عما هو عليه^(١) من ادعاء النبوة وسبى المسلمات [530] والمسلمين والفساد في الأرض، فإن التوبة مبذولة له. وأطال الكتاب في هذا المعنى. فلما وصل إلى الخبيث رمى بالكتاب من يده ولم يجبه بشيء، وأقام على إصراره فعرض أبو أحمد شذائعه وجمع آلات الماء ورتب قواده ومواليه وتخير الرماة منهم فرتبهم في الشذات وسار إلى مدينة الخبيث المسماة: المختارة، في نهر أبي الخصب فأشرف عليها وتأملها فرأى من حصانتها وأسوارها وخنادقها ووعورة الطرق المؤدية إليها من كل وجه وكثرة من أعدائها من الرماة بالقسي النواكية والمجانيق والعزادات وسائر الآلات ما لم ير مثله. فاستغلظ أمره واستعدّ الوصول إليه. ولما عاين الزنج أبا أحمد ارتفعت ضجتهم بما ارتجت له الأرض وتقدم

١. انظر الطبري (١٣: ١٩٨١).

إلى بعض الشذات أن تقرب من السور من قصر الخبيث فتتبعته سهاهم وأحجار منجنيقاتهم وغير ذلك من عزاداتهم ومقاليعهم حتى ما كان يقع طرف ناظر من الشذات إلا على سهم أو حجر فأمر أبو أحمد برد تلك الشذات ومعالجة من أصابه جرح أو وهن.

واستأمن في تلك الحال سميريتان فيها مقاتلة السودان ومعهما آلات الماء فأمر أبو أحمد [531] للمقاتلين بخلع ديباج ومناطق محلاة ووصلهما، وأمر للملاحين بخلع حرير حمر وثياب بيض وخضر وأمر لهم بصلات وأمر بإدنائهم من الموضع الذي يراه منه نظراؤهم. فكان هذا من انجع المكائد التي كادهم بها، وذلك أنهم لما رأوا ذلك حسدوهم على ما صاروا إليه من الإحسان مع الدعة والأمن فتنافسوا فيه وابتدروا إليه وحرصوا على المسارعة إليه.

فصار إلى أبي أحمد في يومه ذلك عدة سميريات فأمر لأصحابها بمثل ما أمر لمن تقدمهم. فتتابع القوم إلى الأمان رغبة ورهبة ثم استأمن أصحاب الشذات. وجاءه السودان والبيضان فكان يصلهم ويكتب أسماءهم ويضمهم إلى ابنه أبي العباس.

ثم تقدم أبو أحمد إلى موضع يقرب من القصر يعرف بخطي^(١) بعد ما أصلح الطرق إليه وعقد القناطر على أنهارها - وعسكر أبي أحمد في ذلك الوقت زهاء خمسين ألفاً وعسكر الخبيث زهاء ثلاثمائة ألف، ممن يقاتل أو يدافع من بين ضارب بسيف وطاعن برمح ورام عن قوس وقاذف بحجر عن منجنيق أو عزادة أو مقلاع - وأضعفهم الرماة باليد وهم النظارة الذين يكثرون السواد^(٢) والمعينون بالنعير والصياح [532] فأمر أبو أحمد فنودي :

١. كذا في الأصل : بخطي. وما في مط مهمل. في الطبري (١٣: ١٩٨٣) : جَطِي.

٢. كذا في الأصل ومط : السواد.

« إِنَّ الأمان مبسوط للناس أسودهم وأحمرهم إلا الخبيث. »
وأمر بسهام فلُفَّت عليها رقاع مكتوب فيها من الأمان مثل الذى نودى به.
فأقبل إليه المستأمنة تترى.

حصانة مواضع صاحب الزنج ومطاولة أبى أحمد

ورأى أبو أحمد من حال الخبيث وحصانة موضعه وكثرة عدته ما لا يد له
من المطاولة والمحاصرة. فاستعد لذلك وفرق أصحابه حول الخبيث ووكل
بكل ركن قواداً وقواهم بالرجال والآلات وأنفذ إلى عماله فى النواحي فى
حمل الأموال والمير وسائر الأمتعة، وبنى مدينة سقاها: الموققية، وعمل
فيها بيت مال وأمر بحمل الأموال إليه من جميع البلدان. وبنى دور الضرب
فضرب فيها دنانير ودراهم وجلب إليها الذهب والفضة، وأرسل إلى سيراف
من يأتيه بالآلات الماء ويبنى فيها السفن والشذاءات ويجلب متاع البحر وكان
قد انقطع جلب البحر منذ أكثر من عشر سنين لإخافة الخبيث السبل.

وكتب بإثبات كل من يصلح للجندية إلى عماله فى الأمصار، ورغب فى
ذلك والمدينة الموققية تُبنى والكتب تنفذ بما يعمرها والتجار يجهزون^(١) إليها
والأسواق تكثر وأقبلت إليها مراكب البحر.

وبنى أبو أحمد المسجد الجامع [533] فصارت مدينة كبيرة وحملت إليها
الأموال وأدر العطاء فى أوقاته ورغب الناس فى حلولها والمصير إليها من
كل أوط، والخبيث يرصد غرة يصيب فيها فرصته من أبى أحمد فلا يجد
لتيقظ الناس وتحارسهم ولحفظ الموكلين بالمواضع المخوفة مواضعهم.
وكان أبو العباس لا يغفل ليلاً ولا نهاراً وإذا أمكنه قصد ناحية أوقع بها

وبمن رُتّب فيها من الزنج وإن أتاه مستأمن قبله وأحسن إليه والخبيث يُنفذ أصحابه ويبثّ رجاله في اقتطاع ما يرد المدينة من السفن وغيرها. فربّما أصاب من ذلك حاجته فيعوّض أبو أحمد التجار ويشحن المواضع التي يقصد منها بالرجال. وندب لحفظ الطرق أبا العباس فكان يوقع بأصحاب الخبيث ويحمل رؤوسهم إلى الموقّية ويرتّب الرجال في الماء والبرّ حتّى ضاق الأمر بالخبيث، فعزم على كبس الموقّ.

فاستأمن بعض قوّاد الزنج وأخبر الموقّ بذلك فأعدّ له قوماً، فلحقا أتاه البيان كان مستعداً، فظهر على الزنج وأصابه مثل ذلك مرّات في كلّ مرّة يجيئه من ينذره [534] فيستعدّ لهم حتّى ظفر يوماً برجال بيتوه وأسر وقتل من السودان نحواً من خمسة آلاف ونصب الرؤوس على سور الموقّية. فأشاع الخبيث في أصحابه أنّ ذلك زور وأنّ تلك رؤوس المستأمنة. فأمر الموقّ برمي تلك الرؤوس إليهم بالمنجنقات والعرادات التي كانت منصوبة في السفن معمولة لأوقات الحرب فتبيّن لأصحابه كذبه، وصار سبباً لضعف نيّاتهم.

ثمّ زحف الموقّ بنفسه إلى المدينة المختارة

مركز تحقيق كاتبيتري ذكر السبب في خروجه

كان السبب في خروجه أنّ قوّاد الخبيث كاتبوا أبا أحمد الموقّ يعلمونه أنّهم على الخروج إليه في الأمان وأنّهم ليس يجدون السبيل إلى ذلك وأنّه لو قدّم قوماً إلى الحرب لخرجوا ووجدوا بهم سبيلاً إلى مفارقة الخبيث.^(١) فأنهض الموقّ أبا العباس في آلات الماء والشذاءات وانتخب له الرجال

الشجعان وأهل النجدة والبأس وقدمه. ثم سار بنفسه مع نصير [535] ورشيق وزيرك واستقبلهم أصحاب الخبيث في أكثر من معداتهم وآلاتهم وخرج ابن الخبيث أنكلاني^(١) ومعه علي بن أبان وسليمان بن جامع مع السفن التي فيها المجانيق والعزادات والقسي الناوكية.

فلما التقى الجمعان أمر الموفق أصحابه بالحملة والدنو من الركن الذي فيه الجمع الأكثر وبينه وبينهم نهر يُعرف بنهر الأتراك وهو نهر عريض غزير الماء. فلما انتهوا إليه أحجموا، فصيح بهم وحرضوا على العبور فعبروا سباحةً والزنج يرمونهم بما استطاعوا من المجانيق والعزادات والمقاليع والسهام وحجارة الأيدي فصبروا على جميع ذلك حتى عبروا النهر وانتهوا إلى السور، ولم يكن لحقهم من الفعلة ما كان أعداً لهدمه. فتولى الغلمان تشييت السور بما كان معهم من السلاح وتسموه وحصرهم بعض السلايم بعد أن قتل فيهم مقتلة عظيمة ونصب هناك علم وأسلم الزنج سورهم وأحرق ما كان عليه من منجنيق وعزادة وآلة حرب واستلحقوا الفعلة حتى وسعوا المدخل في عدة مواضع وملكوا السور [536] الأول بعد مدافعات هلك فيها من الفريقين خلق ولا يعدم كل يوم مستأمنة يحسن إليهم فيتنصّحون ويأتون بالأخبار والتدابير التي يدبرها الخبيث فينتقض عليه أمره.

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

ودخلت سنة ثمان وستين ومائتين

استئمان جعفر السجّان وهروب ريحان إلى أبي أحمد

وفيها استأمن جعفر السجّان وهرب ريحان بن صالح المغربي من عسكر الخبيث إلى أبي أحمد. فأمر لهما بجوائز وصلات وأقيمت لهما الأنزال وحُملا

١. كذا في الأصل ومط : أنكلاني.

حتى ظهروا لأصحاب الخبيث وعليهم الخلع فاستأمن ذلك اليوم خلق كثير.
ثم وقعت وقعات كثيرة بعد ذلك بعضها للزنج وبعضها للموفق، إلى أن منع
من ميرة السمك الذي كان يأتيه من البطيخة ومنع العرب من حمل الميرة من
جهة البادية وقتل منهم خلق وسلبوا ما كان معهم ومن ظفر به ممن يسفر أو
يعين عليه أخذ وعوقب وعذب ثم قُتل حتى ضاق على الزنج الأمر وانقطعت
عنهم كل مادة وضعفوا جداً. فكان الأسير أو المستأمن إذا سُئل عن الخبر
تعجب ويزعم بعضهم أن عهدهم به سنتين وأقل وأكثر. فولى الموفق أن يتابع
الإيقاع بهم ليزيدهم ضرراً وجهداً.

وأمر الموفق [537] بعرض الزنج لما كثروا وصاروا أكثر من جُنْدِهِ فمن
كان لا يستصلح للقتال مثل الشيخ الضعيف والمجروح والزمن ومن أشبه
هؤلاء أن يُوهب لهم شيء ويردّوا إلى عسكر الزنج فلما عادوا وصفوا خصب
عسكر الموفق واحسانه إلى المستأمنة فخرج أيضاً بهذا السبب خلق في
الأمان.

ثم إنَّ يهود أخال بحيلة حتى ظفر بخيل للموفق فقتلهم وأخذ شذاءات
كثيرة ونقل ميرة كبيرة.

مركز تحقيق تكملة تاريخ علوي ذكر خيلته هذه

احتال بأن أخذ شذاءات كثيرة فنصب عليها أعلاماً كأعلام الموفق وحمل
فيها فوجاً في زى قومه ورجاله. ثم اجتهد في أن وقع إلى مُعترضٍ يؤدى
إلى نهر اليهودى. ثم سلك نهر نافذ حتى خرج إلى نهر الأبلّة فانتهى إلى
الشذاءات والسميريّات المرتبة لحفظ النهر وهم غارون، فأوقع بهم وقتل قتلاً
ذريعاً وأسر الباقون وجمع شيئاً كبيراً من الميرة وأتى أصحابه في معترضات
وأنهار غامضة.

ثم إنه طمع في المعاودة.

ذكر طمعه هذا

فأمره لصاحبه أن يسلك [538] في مواضع غامضة إلى أن يوافي القنديل والبرشان.^(١) ففعل ذلك فوق على سميرية فيها طعام فقصدها يهبوذ فحاربه أهلها فأصابته طعنه في بطنه هلك منها. فعظمت فجيرة الخبيث وأحضر الموفق الغلام فوصله وطوّقه وزاد في أرزاقه، وأمر لمن كان معه في سميرية بجوائز وصلات.

ودخلت سنة تسع وستين ومائتين

ولما قتل يهبوذ طمع صاحبه في كنوزه وأمواله وكان قد صحّ عنده موضع مائتي ألف دينار وجواهر وضياعات ذهب لها قدر. فطلب أمواله وذخائره وحبس أوليائه وأصحابه وضربهم بالسياط وأباد دوراً له وهدم أبنية من أبنيته طمعاً في شيء يجده من دفائنه. فكان ذلك أحد ما أفسد قلوب أتباعه ودعاهم إلى الهرب^(٢) منه والزهد في صحبته.

فأمر أبو أحمد بالتداء في أصحاب يهبوذ بالأمان فسارعوا إليه ووصلهم. ورأى أبو أحمد أن هدم السور الذي يفضى إلى الخبيث قد امتنع عليه فأزمع أن يباشره بنفسه ليكون ذلك أدعى إلى جدّ أصحابه. فباشر الحرب حتى وصل إلى السور [539] وأحرق قناطر كانت تحول بين أصحابه وبين السور ويعتصم بها الزنج، واستظهر ذلك اليوم.

فبينما هو في جدّه وتشميره وقد ولج أصحابه السور وهدموا المسجد

١. كذا في الأصل ومط: القنديل والبرشان. في الطبري (١٣: ٢٠٢٣).

٢. كذا في الأصل ومط: الهرب. في الطبري (١٣: ٢٠٢٩): الحَرَب.

الجامع الذى بناه الخبيث ووصلوا إلى دواوينه وخزائنه وظهرت تباشير الفتح، إذ أتاه سهم غلامٍ رومى كان مع الخبيث يقال له: قرطاس، فأصاب صدر الموفق فستر ذلك عن أصحابه وانصرف إلى موضعه من الموقية وعولج تلك الليلة.

فلما كان من الغد غادى الحرب على ما به ليشد من قلوب أوليائه ولئلا يدخلهم وهن. فزاد ما حمله نفسه من الحركة فى قوة الجراحة فعظم أمرها حتى خيف عليه واضطرب العسكر والجند والرعية وخافوا قوة الخبيث عليهم. فأشار الأطباء وأهل الشفقة بأن يرجع إلى مدينة السلام، فأبى وأشفق أن ينتظم أمر الخبيث بعد ما وهن، وبلغ الغاية. ولم يبق فى أمره إلا اليسير فأقام على صعوبة علته وغلظ الحادثة فى سلطانه إلى أن عوفى فظهر لخاصته وقد كان أطال الإحتجاب عنهم والخبيث فى تلك الأيام يعد أصحابه العِدات ويمنيهم الأمانى الكاذبة.

فلما استقل الموفق وتماثل وقوى على [540] النهوض للحرب جعل^(١) يحلف على منبره أن ذلك باطل لا أصل به وأن الذى ظهر لهم فى الشدة مثال ممّوه. وكان أعاد بناء ما خرب من مدينته ودواوينه ودوره. فركب الموفق وعاود الموضع بالحرب ووصل إلى تلك المواضع فهدمها ثانية ووصل أصحابه إلى قصر من قصوره فانتهبوا ما كان فيه وأخربوه وأحرقوه واستنقذوا عدداً من النساء المسلمات اللواتى كان سباهن وأخذوا خيلاً له، ولم يبق إلا الوصول إلى قصره.

فصعب مرام ذلك على الموفق وكثر المحامون عليه، ووافقت الحرب ودامت حتى وصل إلى الفريقين من القتل والجراح أمر عظيم، وحتى لقد عُدّ

الجرحى فى بعض الأيام فوجدوا زهاء ألفى جريح فى أصحاب الموفق وذلك لتقارب الفريقين فى وقت القتال، ومنع الخنادق كل واحد من الفريقين من الدنو من صاحبه، وكانت الشذاءات إذا قربت من قصره رموا من سوره ومن أعلى القصر بحجارة المنجنيقات وغيرها وبالنشاب، وأذيب الرصاص وأفرغ عليهم، حتى أعد الموفق للشذاءات أغطية طلاها بعقاقير تمنعها من الإحتراق وأحكمها وحمل فيها شجعان أصحابه وفتاكهم، وأمر ابنه أبا العباس بقصد دار على شاطئ [541] دجلة من نهر أبى الخصيب كانت بإزاء دار الخبيث ليشغل من فيها عن منعه من دار الخبيث، وأمر أصحاب الشذاءات المطلية بما وصفنا أن يلصقوا شذاءاتهم بحائط القصر. فحاربهم الفسقة أشد حرب بالنيران وغيرها وصبر لهم من فيها حتى أزالوهم عن الرواشن وأحرقها غلمان الموفق وسلم من كان فيها من الحجارة والرصاص المذاب، وتمكنوا من دار الخبيث وأحرقوا البيوت التى كانت تشرع إلى دجلة من قصر الفاسق واتصلت النار بالستائر فقيوت وأعجلت الخبيث ومن معه عن التوقف على شىء من أمواله وذخائره وخرج هارباً على وجهه واستنقذ جماعة من النساء اللواتى استرقهن.

وانصرف الموفق وأبو العباس وقت المغرب بأجمل ظفر وغرق نصير فى هذا اليوم. مركز تحقيق كاپتور علوم اسلامی

ذكر الخبر عن ذلك وسببه

وكان سبب غرقه أنه كان دخل فى أول المد نهر أبى الخصيب فحمل الماء شذاءته فألقها بالقنطرة ودخلت خلفه عدة شذاءات فيها غلمان الموفق ممن لم [542] يكن أمر بالدخول. فحملهم الماء فألقاهم على شذاة

نُصير فُصُكَّت بعضها ببعض حتَّى لم يكن للاشتيامين^(١) والجذافين فيها عمل، ورأى الزنج ذلك فأحاطوا بها من جانبي النهر فألقى الجذافون أنفسهم في الماء ذعراً ودخل الزنج الشذاءات فقتلوا المقاتلة وغرق بعضهم وحاربهم نُصير في شذاءته حتَّى خالف الأسر فقذف نفسه في الماء فغرق. وأصاب الموفق علة فاشتغل بها عن الخبيث فأعاد القنطرة التي لجج فيها نُصير وأحكم ما كان هدم من قصره، وأفاق الموفق من علة فعاود الحرب وخرج الخبيث بنفسه للقتال مع ابنه انكلائي وعلى بن أبان وسليمان بن جامع واشتبكت الحرب وقاتلوا أشد قتال رُئي، وقطعت القنطرة وأُحرقت واستعلى عند ذلك أصحاب الموفق ونشط غلمانهم فوسَّعوا المسلك وظفروا بدوره وقصوره فأحرقوها. وانتقل الخبيث من غربى نهر أبى الخصيب إلى شرقيه وجمع عياله وولده حوله وضعف أمره ضعفاً شديداً.

تفاقم الجوع وأكل بعضهم بعضاً

وتهيب الناس جلب الميرة إليهم. فبلغ الرطل من الخبز عشرة دراهم فأكلوا أصناف الحبوب ثم لم يزل يتفاقم الأمر بهم [543] إلى أن أكلوا لحوم الناس فكان الزنج يتبعون الناس فإذا خلا أحدهم بامرأة أو صبي وثب عليه فأكله. ثم قوى ذلك فصار بعضهم يأكل بعضاً، ثم أكلوا لحوم أولادهم، ثم كانوا ينبشون الموتى فيبيعون أكفانهم ويأكلون لحومهم.

فقصدتهم الموفق وأحرق الشرقي من جانب النهر كما أحرق الغربي وقصده من ثلاثة أوجه. فطرحوا فيها النيران فاحترق الناس من أصحاب الخبيث مع منازلهم وأسواقهم وهرب من أطاق ذلك فأخذته السيوف وهرب الخبيث

١. كذا في الأصل والطبري (١٣: ٤٧٠-٢): للاشتيامين. في مط: للاشتيامين (بالسين المهملة).

وحاز أصحاب الموفق جميع ما كان فى نهر أبى الخصيب من الشذات والمراكب البحرية والسفن الصغار والحراقات والزلاّات وغيرها.^(١) وصار بعد ذلك رؤوساء أصحاب الخبيث إذا وكلهم بحراسة موضع أسلموه واستأمنوا حتى استأمن الشعراني وشبل وكانا من قدماء أصحابه وذوى البصائر فى طاعته، وأمرهما الموفق لمحاربة الخبيث لما علم أنّه لا وجه لهما عنده وضّم إليهما قوماً فكانا يأتياه من الوجوه التى يأمنها حتى كثر القتل فى أصحابه وذعره أمرهما ومنع ذلك أصحابه النوم ودخلهم له وحشة [544].

هزيمة الزنج وهروب صاحبهم

عظيمة ثمّ جمع الموفق السفن وفيها عشرة آلاف من الملاحين وعرض الجند وحرّضهم حتى شحذ نياتهم وهجم على مدينة الخبيث واستقبله الخبيث فى جميع أصحابه فاشتدّ القتال وحامى الخبيث عن ديارهم وعيالاتهم فمنح الله الموفق النصر، وهزم الزنج وقتلهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها وأسروا منهم جمعاً كبيراً وأتى الموفق بالأسرى ف ضرب أعناقهم. وقصد دار الخبيث فدافع عنها ثمّ لم يغنه ذلك شيئاً فأسلمها فانتهب ما كان فيها من الأموال والأثاث وأخذوا حرمة وأولاده فبلغ عدّتهم أكثر من مائة امرأة وصبي، وتخلّص الخبيث ومضى هارباً نحو دار المهلبى لا يلقى على أهل ولا مال وأحرقت داره، وأتى الموفق بنسائه وأولاده، فوكل بهم وأمر بالإحسان إليهم فحملوا إلى الموقية.

وفى ذى الحجة من هذه السنة وافى صاعد بن مخلد كاتب الموفق

حضرتة منصرفاً إليه من سُرٍّ من رأى ووافى معه بجيش كثيف بلغ عدد الفرسان والرجالة فيها عشرة آلاف. فأمر الموفق بإزاحة عليلهم فى أرزاقهم وأمرهم بتجديد أسلحتهم والتأهب لحرب الزنج، فهم فى ذلك إذ ورد [545] عليه كتاب لؤلؤ صاحب ابن طولون^(١) وكان فارق صاحبه يسأله فيه الإذن له فى القدوم عليه ليشهد حرب الفاسق فأجابه وأذن له وأخر ما كان عزم عليه من مناجزة الخبيث انتظاراً للؤلؤ وكان لؤلؤ بالرقّة فى جمع عظيم من نخبة أصحاب ابن طولون.

فشخص لؤلؤ حتّى ورد مدينة السلام، ثمّ وافى عسكر أبى أحمد فجلس له أبو أحمد وحضر ابنه أبو العباس وصاعد بن مخلد والقوّاد على مراتبهم وأدخل عليه لؤلؤ فى أحسن زىّ فأمره أبو أحمد أن ينزل معسكراً كان أعدّ له بإزاء نهر أبى الخصيب، فنزله فى أصحابه، وتقدّم إليه فى مباكرة دار الموفق ومعه قوّاده وأصحابه للسلام. فغدا مع أصحابه فى السواد فوصل وسلّم وقربه وأدناه ووعدّه وأصحابه الإحسان، وأمر أن يُخلع عليه وعلى خمسين ومائة قائد من قوّاده وحمله على خيل كثيرة بالسروج واللجم المحلّاة بالذهب والفضّة وحُمِل بين يديه من أصناف الكُسى والأموال فى البدر ما يحمله مائة غلام، وأمر لقوّاده من الصلات والكسوة على قدر محل كلّ إنسان منهم، وأقطع خياعاً جليلاً وصرفه إلى معسكره وأعدّت له ولأصحابه الأنزال [546] والعلوفات وأمره برفع جرائد لأصحابه ليعطوا رسومهم عند رفع الجرائد. ثمّ تقدّم إلى لؤلؤ فى التأهب للعبور إلى غريبى دجلة لمحاربة الخبيث.

وكان الخبيث لمّا غلب على نهر أبى الخصيب أحدث سيكراً فى النهر من

جانيه وجعل في وسط السِكر باباً ضيقاً ليتحدّ فيه جرية الماء فيمنع الشذات من دخوله في الجزر ويتعذّر خروجها في المدّ.

فرأى أبو أحمد الموفق أنّ الحرب لا تتم إلا بقلع هذا السِكر، فحاول ذلك فرام أمراً صعباً بمحاربة الزنج عليه فهم يزيدون فيه كلّ يوم وهو متوسط دورهم، فالمؤونة تسهل عليهم وتغلظ على من حاوله. فرأى الموفق أن يحارب بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ ليضروا بمحاربة الزنج ولينظر إلى مقدار غنائهم وشدة بأسهم. فأمر لؤلؤاً بأن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السِكر وأمر بإحضار الفعلة لقلعه. ففعل.

فرأى الموفق من نجدة لؤلؤ وإقدامه وشجاعة أصحابه وصبرهم على ألم الجراح وثبات العدة اليسيرة في وجوه الجمع الكثير من الزنج ما سرّه، وكره أن يبذلهم فيكون الحرّة بهم ثمّ الظفر ألا خير لهم فيذهبوا باسم الفتح. [547] فأمر لؤلؤاً أن يصرف أصحابه وأظهر إشفاقاً عليهم وضناً بهم، ووصلهم وردّهم إلى معسكرهم.

ثمّ ألحّ الموفق على السِكر فهو يخرب وهم يبنون والمستأمنة يكثرّون إلى آخر هذه السنة.

وفي هذه السنة أدخل عيال صاحب الزنج وولده بغداد. وفيها سُمّي صاعداً ذا الوزارتين.

المعتمد يريد اللحاق بمصر

وفيها شخص المعتمد يريد اللحاق بمصر، وذلك قبل انحدار صاعد إلى الموفق. وقديم قائدان لابن طولون من الرقة في ذلك. فلما صار المعتمد إلى عمل إسحاق بن كنداجيق، وهو العامل على الموصل والجزيرة، وثب عليه ابن كنداجيق وعلى جميع من معه، فقيّدهم وأخذ جميع ما صاحبهم من مال

ورقيق.

وكان كُتِبَ إليه في القبض على المعتمد ومن معه وأُقطع ضياع فارس بن بُغا ومن صحب المعتمد من القوَّاد. فاحتال ابن كنداجيق وأظهر أنه معهم، وفي طاعة المعتمد إذ كان الخليفة ولا يجوز له الخلاف عليه وسار معهم فلمَّا نزل موضعاً بينه وبين عمل ابن طولون منزلان ارتحل التُّبَّاع ومَن شخص مع المعتمد إلَّا القوَّاد وأشخص ابن كنداجيق فقال لهم ابن كنداجيق : - «إني أحبُّ أن أخلو بكم وأشير عليكم بما في نفسي.»

وقال لهم :

- «قد قربتم من ابن طولون [548] والمقيم بالرقَّة من قوَّاده وأنتم إذا صرتم إلى ابن طولون فالأمر أمره وأنتم من تحت يده. أفترضون بذلك وقد علمتم أنه اليوم كواحد منكم؟»

وأطال مناظرتهم حتَّى تعالى النهار فقال لهم ابن كنداجيق :

- «قوموا بنا، فإنَّ الشمس قد ارتفعت حتَّى تنمَّ حديثنا في غير هذا الموضع ونكرم مجلس أمير المؤمنين عن ارتفاع الصوت.»

وكان المعتمد في مضربه ومضرب ابن كنداجيق وسائر المضارب قد سارت فأدخلهم إلى مضرب نفسه. وكان قد تقدَّم قبل ذلك إلى فراشيه وغلماناه وحاشيته في ذلك اليوم ألاَّ يرحوا. فلمَّا صاروا إلى مضربه دخل جلدُ غلماناه وأصحابه على القوَّاد ومعهم القيود فقيّدوهم.

فلمَّا فرغ منهم مضى إلى المعتمد فعذله على شخصه عن دار مُلكه ومُلك آبائه وفراقه أخاه على الحال التي هو فيها من حرب من يحاول قتله وقتل أهل بيته وإزالة مُلكهم، ثمَّ حمّله ومن معه مُقيدين إلى سُرٍّ من رأى.

تسمية كُنداجيق بذي السيفين

وفيها خلع على ابن كنداجيق وقُلِّد سيفين بحمائل أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وسُمِّي ذا السيفين وخلع عليه أيضاً بعد ذلك بيومين قباء ديباج ووشاحان وتَوَّج بتاج وقُلِّد سيفاً، [549] كل ذلك مرصع بالجوهر. وشيَّعه هارون بن الموفق وصاعد بن مخلد والقواد إلى منزله وتغذَّوا عنده.

ودخلت سنة سبعين ومائتين

مقتل صاحب الزنج

واسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني

وفيها قُتل الخبيث وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني واستريح من أسباب الفاسق، وذلك بعد حروب كبيرة ومنازلات شديدة ومباشرة للحرب منه ومن الموفق بأنفسهما، ومخاطرات منهما عظيمة لم يكن في جميعها ما يستفاد منه تجربة سوى احتمال المكاره في الحروب والصبر على شدائدها وأخطارها.

وحُمِل رأس هذا الخائن إلى بين يدي الموفق في صفر من هذه السنة وهو يحارب مع أهل الشدة والبأس من أصحابه، فقتل وهو يجاهد على حاله غير مستسلم ولا معطٍ بيده، وكان قد بُذِل له الأمان مراراً فأباه وأقام على حاله صابراً حتى أسلمه رجاله وخانه ثقاته وذاب ذوباً^(١) حتى هلك ومضى مقتولاً.

١. كذا في الأصل : ذاب ذوباً. في مط : دأب دُؤوباً.

ثم تتابع مجيء الزنج^(١) الذين كانوا أقاموا مع الخبيث إلى آخر أمره وصبروا معه حتى وافى ذلك اليوم الذى قُتل فيه ألف من الأبطال. فرأى الموفق أن يبذل لهم الأمان لما رأى من كثرتهم وشجاعتهم [550] ولئلا يبقى منهم بقية يخاف معرفتهم ويجتمعون على رئيس يُعظم خطبه بهم. ثم وافى من الزنج فى غد هذا اليوم خمسة آلاف زنجى وانقطع منهم نحو ألفى زنجى إلى البر فماتوا عطشاً، وظفر الأعراب بقوم منهم فاسترقوهم. فأما من قُتل وغرق وأسر فى الواقعة فخلق لا يُوقف على عددهم. وانتهى إلى الموفق خبر المهلبى وانكلاى ومقامهما بحيث أقاما فيه مع من تبعهما من جلة قوادهم ورجالهم فبث أبطال أصحابه فى طلبهم فلما علموا ألا ملجأ لهم أعطوا بأيديهم فظفر بهم الموفق فلم يشذ منهم أحد وأمر الموفق بحبس المهلبى وانكلاى والإستيئاق منهما.

استئمان دَرْمُويَه

وفىها استأمن دَرْمُويَه^(٢)، الزنجى وكان أحد الأنجاد الأبطال وكان الخبيث قبل هلاكه بمدة طويلة وجهه إلى أواخر نهر الفَهْرَج وهى من البصرة فى غربى دجلة. فلما هلك الخبيث أقام دَرْمُويَه هناك فى موضع وعر كثير الدغل والآجام متصل بالبطيحة فكان يقطع الطريق بمن معه فى زواريق خفاف اتخذوها، فإذا طلبهم الشذاءات ولجوا فى الأنهار الضيقة واعتصموا بالأدغال وإذا تعذر

١. انظر الطبرى (١٣: ٢٠٩٤).

٢. كذا ضبط فى الأصل: دَرْمُويَه على غرار لَيْثُويَه، كما سبق. وهو ضبط حسب الأصل الفارسى لهذه اللاحقة (أويَه)، التى نجدتها أيضاً فى لقب المصنف: مُشْكُويَه (= مسكويه) حسب ضبطه الفارسى.

عليهم مسلك [551] نهر لضيقه خرجوا من سفنهم وحملوها على ظهورهم ولجؤوا إلى هذه المواضع الممتعة، وفي خلال ذلك يغيرون على ما قرب منهم من القرى ويسلبون من ظفروا به. فكان ذلك دأب درمويه قبل هلاك الخبيث وبعده.

وقد كان ابتداء شرار الناس وفساقهم يصيرون إليه للمقام معه على مثل ما هو عليه، وكان الموفق عزم على المقام عليه حتى وافاه رسوله يطلب الأمان لنفسه وأصحابه، فرأى الموفق أن يؤمنه ليقطع مادة الشر الذي كان فيه الناس من الخبيث وأتباعه.

ولما ورد عليه الأمان وافى قطعة حسنة كثيرة العدد لم يصبهم بؤس الحصار وضره لما كان يصل إليهم من أموال الناس. فذكر أن درمويه لما أوّمن وأحسن إليه وإلى أصحابه أظهر كل ما فى يده وأيديهم من أموال الناس وأمتعتهم وردّ كل شىء إلى أهله ردّاً ظاهراً مكشوفاً، فظهرت أمانته، فاستدعاه الموفق وقربه وخلع عليه وعلى وجوه أصحابه ووصلهم وضمهم إلى ابنه أبى العباس.

وأقام الموفق بعد ذلك بالموفقية حتى أنس الناس وعادوا أوطانهم ووثقوا بالراحة [552] من أسباب الخبيث.

وولى البصرة والأهله وكور دجلة من حمد مذهبه ووقف على حسن سيرته وولى قضاء البصرة والأهله وكور دجلة محمد بن حمّاد.

ثم قدّم ابنه أبا العباس إلى بغداد ومعه رأس الخبيث فطيف به. وكان خروج صاحب الزنج سنة خمس وخمسين ومائتين وقتل سنة سبعين ومائتين.^(١)

وفيه مات أحمد بن طولون والحسن بن زيد العلوي.

ودخلت سنة إحدى وسبعين ومائتين وقعة الطواحين

وفيه كانت بين أبي العباس ابن الموفق وبين خُمارويه^(١) بن أحمد بن طولون وقعة بالطواحين فهزم أبو العباس خُمارويه فركب حمارويه^(٢) حماراً وهرب إلى مصر. ووقع أصحاب أبي العباس في النهب ونزل أبو العباس مضرب خُمارويه وهو لا يرى أنه بقي له طالب، فخرج كمين خُمارويه كان كمنه وأصحاب أبي العباس قد وضعوا السلاح ونزلوا. فشد كمين خُمارويه عليهم فانهزموا وتفرق القوم، ومضى أبو العباس إلى طرسوس منهزماً وذهب كل ما في العسكرين: عسكر أبي العباس وعسكر خُمارويه من السلاح والكراع والأثاث والأموال، وانتهب الجميع.

ودخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين [553]

وفيه أخرج أهل طرسوس أبا العباس ابن الموفق من طرسوس لخلاف وقع بين يازمار^(٣) وبينه فخرج يريد بغداد فقدمها. وفيها قدم صاعد بن مخلد من فارس ودخل واسطاً. فأمر الموفق جميع أصحابه من القواد أن يستقبلوه، فترجلوا له وقبلوا يده وكمته.

١. كذا في الأصل والطبري (٢١٠٦: ١٣): خمارويه. في مط: حمارويه (بالحاء المهملة في كل المواضع) وأثبت الإسم في الأصل بالشكلين العربي والفارسي: خُمارويه، خُمارويه، فاحتفظنا هنا بكليهما للاعتبار.

٢. الحاء مهملة في الأصل، هنا. ولعل الحق مع مط في ضبط هذا الإسم.

٣. في الطبري (٢١٠٨: ١٣): يا زمان.

ثم قبض عليه الموفق وعلى أسبابه كلهم ببغداد وسر من رأى فسى يوم واحد، فاستكتب الموفق إسماعيل بن بلبل.

ودخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين

قدوم لؤلؤ من مصر

وفيها قيّد أبو العباس لؤلؤاً القادم عليه^(١) من مصر ووجد له أربعمئة ألف دينار. فذكر لؤلؤ أنه لا يعرف لنفسه ذنباً إلا كثرة ماله وأثائه. وفيها كانت بين أبي الساج وبين إسحاق بن كنداجيق وقعة فانهزم إسحاق. ثم واقعه وقعة أخرى فانهزم إسحاق أيضاً.

ودخلت سنة أربع وسبعين ومائتين

ولم يحدث فيها حادثة تُكتب.

ودخلت سنة خمس وسبعين ومائتين

حبس الموفق ابنه

وفيها حبس الموفق ابنه أبا العباس فشغب أصحابه وحملوا السلاح وركب غلمانهم واضطربت بغداد فركب أبو أحمد الموفق حتى بلغ باب الرصافة وقال لأصحاب أبي العباس [554] وغلمانهم :

- « ما شأنكم، أترونكم أشفق على ابني مني؟ هو ولدي واحتجت إلى

تقويمه. »

فانصرف الناس وهدأت بغداد.

١. وزاد في الطبري (٢١١٢: ١٣) : بالأمان من عند ابن طولون، واستصفى ماله.

ودخلت سنة ست وسبعين ومائتين شخص أبو أحمد

وفيه شخص أبو أحمد من بغداد إلى الجبل وكان سبب ذلك أن المادرائي كاتب اذكوتكين أخبره أن له هناك مالا عظيماً، وأنه إن شخص صار ذلك إليه، فشخص أبو أحمد، فلم يجد من ذلك شيئاً.

فشخص من هناك إلى الكرج ثم إلى إصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز فتنحى، له أحمد بن عبد العزيز عن البلد بجيشه وعياله وترك له داره بفرشها وآلتها لينزلها إذا قديم. وكان مع الموفق محمد بن أبي الساج، وذلك أنه قديم عليه هارباً من ابن طولون قبل شخص الموفق عن بغداد بعد أن كانت بينه وبين ابن طولون وقعات كثيرة ضعف ابن أبي الساج في آخرها عن مقاومته. لقلّة من كان معه وكثرة من مع ابن طولون، فلاحق بأبي أحمد فخلع عليه أبو أحمد وأخرجه معه إلى الجبل.

انفراج تلّ عن سبعة أقبر

وفيه ورد الخبر^(١) بانفراج تلّ بنهر الصلّة يُعرف بتلّ بنى شقيق عن سبعة أقبر، فيها أبدان صحيحة وعليها أكفان جُدّد، لها أهداب تفوح منها رائحة المسك، أحدهم شاب له جمّة وجبهته [555] وأذناه وخداه وأنفه وشفته ورقبته وأشعار عينه صحيحة وعلى شفّتيه بلل كأنه شرب الماء فأخرج الثقات لينظروا إلى ذلك فأخبروا أنهم شاهدوا ذلك وإنّ بعضهم جذب شعر بعضهم فوجده قوى الأصل قريباً من شعر الحى.

وكان هذا التلّ انفرج عن شبه حوض من حجرٍ فى لون المسنّ عليه كتاب لا يدري ما هو. فأحضر أصحاب الأديان فلم يعرف أحد منهم الخطّ.

ودخلت سنة سبع وسبعين ومائتين
ولم يجر فيها ما يُكتب.

ودخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين
وفيهما انحدر وصيف خادم ابن أبى الساج
إلى واسط بأمر أبى الصقر
ذكر السبب فى ذلك

كان سبب ذلك أن أبا الصقر أتلّف ما فى بيوت أموال أبى أحمد، حتّى لم يبق فيها شيء، بالهبات والصّلات العظام التى كان يجيز بها القوّاد، والخلع التى يخلعها عليهم. فاستدعى وصيفاً هذا ليكون عدّة له إن طالبه أبو أحمد، وكان اصطنع وصيفاً وأجازه بجوائز كثيرة [556] وأدّر على أصحابه أرزاقهم. ولما نفذ ما فى بيوت الأموال طالب أرباب الضياع بخراج سنة مبهمّة عن أرضهم، وجبس بذلك جماعة وكان الذى يتولّى له ذلك المعروف بالزغل^(١). فعسف الناس وقديم الموفق قبل أن يستنظف^(٢) أداء ذلك، فشغل عنه بقدومه.

انصرف أبى أحمد من الجبل إلى العراق

وانصرف أبو أحمد من الجبل إلى العراق، فاشتدّ به وجع النقرس حتّى لم يقدر على الركوب. فاتّخذ له سرير عليه قبة، فكان يقعد فيه ويجلس معه

١. كذا فى الأصل ومط: الرغل. فى الطبرى (٢١١٩: ١٣): الزغل (بالزاء المعجمة).

٢. كذا فى الأصل ومط. فى الطبرى (٢١١٩: ١٣): يستوظف.

خادم يبرّد رجله بالأشياء الباردة وبالثلج. ثم صار به داء الفيل وكان يحمل سريريه أربعون رجلاً يتناوب عشرون عشرون. فإذا اشتدّ به الألم أمرهم أن يضعوه. فقال يوماً للذين يحملونه وقد سمع منهم ما يدلّ على ضجرٍ:

- «قد ضجرتم بحملي وبودّى^(١) إني كواحدٍ منكم أحمل على رأسي وأتى

في عافية.»

وقال يوماً^(٢):

- «أطبق دفتری على مائة ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالاً مني.»

ولمّا ورد النهروان تلقاه الناس فركب الماء في النهروان ثمّ في نهر ديالٍ ثمّ في دجلة، ودخل داره لليلتين خلتا من صفر، فأرجف الناس بموته. وكان تقدّم في حفظ أبي العباس فغلّقت عليه أبواب دون أبواب. وانصرف أبو الصقر إلى منزله واعتزت أبا أحمد غشية [557] فازداد إرجاف الناس بموته. فحمل المعتمد ولده فجىء بهم إلى داره ولم يصر أبو الصقر إلى الموفق. فلمّا رأى غلمان أبي أحمد المائلون إلى أبي العباس والرؤساء من غلمان أبي العباس ما نزل بأبي أحمد، كسروا أقفال الأبواب المغلقة على أبي العباس. فذكر الغلام الذي كان مع أبي العباس في الحجرة أنّ أبا العباس لمّا سمع صوت الأقفال تُكسر قال:

- «إنا لله، ما يريد هؤلاء إلاّ نفسي.»

فأخذ سيفاً كان عنده وقعد مستوفزاً، فلمّا فُتح الباب كان أوّل من دخل إليه وصيف موشكير وهو غلامه. فلمّا رآه رمى بالسيف من يده وعلم أنّهم لم يقصدوه إلاّ بخير، فأخرجوه حتّى أقعدوه عند أبيه، وكان أبوه بعقب علته.

١. كذا في الأصل: أحمل. في مط: أحمد. والعبارة في الطبري (١٣: ٢١٣٠): أحمل على رأسي وأكل (غ. وآكل) وأتى في عافية.

٢. زاد في الطبري (١٣: ٢١٣٠): في مرضه هذا.

فلما فتح عينه بعد إفاقته رآه فقربه وأدناه.

ووافى المعتمد وقد كان وُجَّه إليه، فحضر ومعه ابنه جعفر المفوض إلى الله ولى العهد وعبد العزيز ومحمد وإسحاق بنوه فنزل على أبي الصقر.

ثم بلغ أبا الصقر أن أبا أحمد لم يمت. فوجه إسماعيل بن إسحاق يتعرف له الخبر، وجمع أبو الصقر القواد والجند وشحن داره وما حولها بالرجال والسلاح. فرجع إسماعيل فأعلم أبا الصقر أن أبا أحمد حي. فأول من مضى إليه من القواد محمد بن أبي الساج. [558]

ثم جعل الناس يتسللون منهم من يعبر إلى باب أبي أحمد ومنهم من يرجع إلى منزله ومنهم من يخرج إلى بغداد.

فلما صحَّ عند أبي الصقر حياة أبي أحمد انحدر هو وابناه إلى دار أبي أحمد فما ذاكره أبو أحمد. شيئاً مما جرى ولا سأله عنه. وأقام هناك فانتَهبت دار أبي الصقر وكل ما حوته حتى خرج حُرْمه حفاة بغير أزر وانتَهبت دور كتَّابه وأسبابه وكُسرت أبواب السجون فأخرج من كان في المطبق وانتَهبت مجلسا الجسر. ثم خلع أبو أحمد على ابنه أبي العباس وعلى أبي الصقر وركبا جميعاً والخلع عليهما من سوق الثلاثاء إلى باب الطاق ومضى أبو الصقر مع أبي العباس إلى دار صاعد. ثم انصرف إلى منزله فلم يجد فيه شيئاً يجلس عليه حتى أتوه من دار الشاه بحصير فجلس عليه. وولى أبو العباس غلامه بدرأ الشرطة على الجانب الشرقي وعيسى النوشري الجانب الغربي.

وفاة أبي أحمد الموفق

وفيها توفى أبو أحمد الموفق ودُفن في الرصافة وجلس أبو العباس للتعزية وبايع الغلمان والقواد لأبي العباس بولاية العهد بعد المفوض ولُقِّب

بالمعتضد بالله، وأخرج العطاء للجند وخطب يوم الجمعة للمعتمد ثم للمفوض ثم للمعتضد.

وقُبض على أبي الصقر وأسبابه [559] وطلب بنو الفرات وكان إليهم ديوان السواد فاختلفوا.

وخلع على عبد الله^(١) بن سليمان بن وهب ووُلى الوزارة. وبعث بمحمد بن أبي الساج إلى واسط ليردّ غلامه وصيفاً إلى بغداد. فأبى وصيف ومضى إلى الأهواز فعات بالسوس وأنهب الطيّب.^(٢)

ابتداء امر القرامطة

وفيها وردت الاخبار بحركة قوم يُعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة. وكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان سواد الكوفة. فأظهر الزهد والتقشف وكان يسفّ الخوص ويأكل من كسبه ويكثر الصلاة، فأقام على ذلك مدة، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا وأعلمه أنّ الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كلّ يوم وليلة، حتّى فشا ذلك عنه.

ثم أعلمهم أنّه يدعو إلى إمام من أهل بيت رسول الله، صلى الله عليه، فلم يزل على ذلك، يقعد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما يُعلق قلوبهم.

وكان يقعد إلى بقال في القرية بموضع يقال له: النهرين، وكان بالقرب من البقال نخل اشتراه قوم من التجّار واتخذوا حظيرة فجمعوا فيها ما صرموا من النخل. وجاء التجّار إلى البقال فسألوه أن يطلب لهم رجلاً يحفظ ما صرموا من النخل فأوما لهم إلى هذا الرجل وقال:

١. في مط: على ابن عبد الله بن سليمان. في الطبري (١٣: ٢١٢٣): خلع على عبيد الله بن سليمان.

٢. كذا في الطبري أيضاً. (١٣: ٢١٢٣).

- «إن أجابكم إلى حفظه فإنه بحيث تحبون.» [560]

فناظروه في ذلك فأجابهم إلى حفظه بدراهم معلومة، وكان يحفظ لهم ويصلي أكثر نهاره ويصوم ويأخذ عند إفطاره من البقال رطل تمر فيقطر عليه ويجمع نوى ذلك التمر، فلما حمل التجار تمرهم صاروا إلى البقال فحاسبوا أجيرهم هذا على أجرته فدفعوها إليه فحاسب الأخير البقال على ما أخذه من التمر وخط من ذلك ثمن النوى، ورآه أولياء التجار فوثبوا عليه وضربوه وقالوا:

- «ألم ترض أن أكلت تمرنا حتى بعت النوى؟»
فقال لهم البقال:

- «لا تفعلوا فإنه ما مَسَّ تمركم.»

وقصَّ عليهم قصته، فندموا على ضربهم إيّاه، وسألوه أن يجعلهم في حل، ففعل وازداد بذلك نبلاً عندهم لما وقفوا عليه من زهده. ثم مرض فمكث مطروحاً على الطريق، وكان في القرية رجل يحمل على ثور له أحمر العينين، فكان أهل القرية يسمونه كرميته^(١)، وهو بالنبطية أي حارّ العينين^(٢) فكلم البقال كرميته هذا أن يحمل العليل إلى منزله ويوصي أهله بالإشراف عليه، ففعل وأقام عنده حتى برأ فكان يأوى إلى منزله.

ودعا أهل القرية ووصف لهم مذهبه، فأجابه أهل تلك الناحية. وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً ويزعم أن ذلك [561] للإمام فلما كثر أصحابه اتخذ منهم إثني عشر نقيباً وأمرهم أن يدعوا الناس إلى دينهم وقال لهم:

- «أنتم كحواري عيسى بن مريم.»

١. كذا في الأصل ومط: كرميته. في الطبري: (٢١٢٥:١٣) كرميته.

٢. في الطبري (٢١٢٥:١٣): أحمر العينين. وفي حواشيه: حارّ العينين.

فاشغل أكرة تلك الناحية بالصلوات الخمسين التي وظفها عليهم.
 وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع فوقف على تقصير أكرته في العمارة.
 فسأل عن سبب ذلك فأخبر بخبر هذا الرجل وأنه قد شغلهم بالصلاة فشغلهم
 عن أعمالهم. فوجه إليه وجيء به فسأله عن أمره فأخبره. فحلف أنه يقتله
 وأمر به فحبس في بيت وأقفل عليه الباب ووضع المفتاح تحت وسادته.
 وتشاغل بالشرب. وسمع بعض من في داره من الجوارى يمينه^(١) فرقت له،
 فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب وأخرجته
 وردت المفتاح إلى موضعه. فلما أصبح الهيصم طلب الرجل فلم يجده وشاع
 الخبر ففتن به أهل تلك الناحية وقالوا:

- «رُفع».

ثم ظهر في موضع آخر، فقصده قوم من أصحابه، فسألوه عن قصته
 فكتهم وقال:

- «ليس يمكن أحداً من البشر أن يبدأني بسوء».

فعظم في عيونهم.

ثم خاف على نفسه فخرج إلى الشام فلم يُعرف له خبر. وسُمي باسم
 الرجل الذي كان في منزله: كرمينه ثم عُرِبَ وخُفِّفَ [562] فقليل قرمط. ثم
 كثر مذهبه بسواد الكوفة.

ووقف أحمد بن محمد الطائي وكان إليه النظر في سواد الكوفة على
 أمرهم فوظف على كل رجل منهم في كل سنة ديناراً فكان يجيء ذلك
 فيجتمع له منه مال جليل.

ثم قديم الكوفة قوم من الكوفة، فرفعوا إلى السلطان أمر القرامطة وأنهم قد

١. كذا في الأصل: يمينه. في مط: منه. وفي الطبري (٢١٢٦: ١٣): بقصته. وفي حواشيه عن
 العيون: أنينه. ولعل هذا هو الصحيح.

أحدثوا ديناً غير الإسلام، وأنهم يرون السيف في أمة محمد إلا من تابعهم على دينهم، وأن الطائي يخفي أمرهم عن السلطان فلم يلتفت إليهم.

مذهبهم كما جاء في كتاب لهم

ثم جاءوا بكتاب فيه مذهبهم ونسخته :

- «بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الفرّج بن عثمان : إنه داعية إلى المسيح، وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهديّ وهو أحمد بن محمد الحنفية وهو جبرائيل. وحكى أن المسيح تصوّر له في جسم إنسان وقال له : أنك الداعية وأنك الحجّة وأنك الناقة وأنك الدابة وأنك روح القدس وأنك يحيى بن زكريا. ثم يوظف صلاة ويقرأ فيها شيئاً ليس من القرآن، ويذكر قبله غير قبله المسلمين، ويحكي أشياء عن لسان الإمام وينسب إلى الله أشياء ويحرّم النيذ، وألا غسل من جنابة، ولا صوم إلا يومين في السنة : [563] يوم النيروز ويوم المهرجان، وكلّ من حاربه وجب قتله.»^(١)

مركز تحقيق تكملة علوم راسدي

مناظرة بين قرمط وصاحب الزنج

وكان مصير قرمط إلى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج.

ويحكي عن قرمط أنّه قال : صرت إلى صاحب الزنج وقلت له :

- «إني على مذهب وورائي مائة ألف سيف، فناظرني فإن اتفقنا على

المذهب ملّت بمن معي كلّهم إليك، وإن تكن الأخرى انصرفت عنك.»
 وطلبتُ منه الأمان فأعطانيه. فناظرته إلى الظهر فتبيّن في آخر مناظرتي
 أنّه مخالف. فقام إلى الصلاة وانسللت وخرجت من عنده إلى سواد الكوفة.

ثمّ دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين

وفاة المعتمد

وفيها توفي المعتمد وكان شرب على الشطّ في الحسنّى شرباً كثيراً
 وتعشّى فأكثر، فاختنق ومات ليلاً. فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة.^(١)



مركز تحقيقات كاپتور علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة المعتضد

وبويع لأبي العباس المعتضد بالخلافة، فولّى غلامه بدرّاً الشرطة وعبيد الله بن سليمان الوزارة ومحمد بن الشاه بن ميكال الحرس وصالحاً الأمين حجة الخاصة والعامة فاستخلف صالح خفيفاً السمرقنديّ.

قدوم رسول عمرو بن الليث بهدايا

وفيهما قدّم على المعتضد رسول عمرو بن الليث الصفّار بهدايا وسأل ولاية [564] خراسان، فوصلوا إليه في شهر رمضان من هذه السنة فخلع عليه ونُصب اللواء في صحن داره ثلاثة أيّام. وورد الخبر بموت نصر بن أحمد وقام مكانه وبما كان إليه من العمل وراء نهر^(١) بلخ أخوه إسماعيل بن أحمد.

ورود رسول خُمارُويّه من مصر

في تزويج بنت خُمارُويّه من المعتضد

وفيهما ورد من مصر الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا

لخمارؤية بن أحمد بن طولون ومعه هدايا من العين عشرون حملاً على بغال في عشرة من الخدم، وصندوقان فيهما نمران،^(١) وعشرون غلاماً على عشرين نجيباً بسروج محلاة بحلية فضة كثيرة ومعهم حراب فضة وعليهم أقبية الديباج والمناطق المحلاة، وسبع عشر دابة بسروج ولجم منها خمسة بذهب والباقي بفضة، وسبع عشرة دابة بجلال مشهرة، وخمسة أبغل بسروج ولجم وزرّافة فوصل إلى المعتضد فخلع عليه وعلى سبعة نفر معه. وسفر ابن الجصاص في تزويج بنت خمارويه من عليّ بن المعتضد. قال المعتضد:

- «أتزوّجها».

فتزوّجها.

وفيهما كتب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بمحاربة رافع بالرى. فزحف إليه أحمد، فالتقوا فانهمز رافع وخرج عن الرى ودخلها أحمد بن عبد العزيز.

ودخلت سنة ثمانين ومائتين [565]

قبض المعتضد على عبيد الله بن المهديّ وشيئمة

وفيهما قبض المعتضد على عبيد الله بن المهديّ ومحمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيئمة، كما في تاريخ الطبري.

وكان شيئمة هذا من أصحاب صاحب الزنج وكان سبب قبضه عليهما أنّه سعى بهما ساع إلى المعتضد وقال: أنّه يدعو إلى رجل لم يوقف على اسمه وأنّه قد استفسد جماعة من الجند وغيرهم. وأخذ معه رجل صيدنانيّ، فقرّره المعتضد فلم يقرّ بشيءٍ وسأله عن الرجل الذي يدعو إليه فلم يظهره عليه

١. كذا في الأصل: نمران. في الطبري (٢١٣٣: ١٣): طراز.

وقال :

- «لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ولو جعلتني كزَدَنَّاك^(١) ما أخبرتك

به.»

فأمر بنار فأوقدت، ثم شُدَّ على خشبة من خشب الخيم وأدير على النار حتى تقطع جلده، ثم ضربت عنقه وصُلب عند الجسر. وحُبِس ابن المهدي إلى أن وقف على براءته فأطلق.

وقال لشيلمة :

- «بلغني أنك تدعو إلى ابن المهدي.»

قال : «المأثور عني غير هذا أنا أتولى آل أبي طالب.»

وكان قرّر ابن أخيه، فأقرّ فقال :

- «قد أقرّ ابن أخيك.»

فقال : «هذا غلام حدث، تكلم بهذا خوفاً من القتل، فلا تقبل قوله.»

فأطلقهما بعد مدة.

شخص المعتضد إلى بني شيبان

ثم شخص المعتضد من بغداد إلى بني شيبان وكانوا بناحية من الجزيرة اتخذوها معقلاً قليماً بلغه قصده إليهم ضَمُّوا إليهم أموالهم وعيالاتهم. [566] فأسرى إليهم المعتضد فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغرق منهم خلق كثير في الزابين. فأخذ النساء والذراريّ وغنم أهل العسكر من أموالهم ما أعجزهم حمله وأخذ من غنمهم وإبلهم حتى بيعت الشاة بدرهم والجمل بخمسة دراهم، وأمر بحفظ النساء والذراريّ.

١. كذا في الأصل والطبري (٢١٣٦:١٣) : كردناك. في مط وحواشي الطبري : كردباك.

ثمّ لقيه بنو شيبان وسألوه الصّح عنهم وبذلوا رهائنهم فأخذ منهم خمسمائة رجل.

ووافاه أحمد بن أبي الأصبغ بما فارق عليه أحمد بن عيسى بن شيخ من المال الذي أخذه من مال إسحاق بن كنداجيق وبهدايا وبغال ودواب.

وفيها ورد الخبر بأنّ محمد بن أبي الساج افتتح المراغة بعد حصار شديد وحرب عظيمة، وأنّه أخذ عبد الله بن الحسين بعد أن آمنه وأصحابه فقيده وحبسه وقرّره بجميع أمواله ثمّ قتله.

وفيها ورد الخبر بوفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، وتنازع الرئاسة عمر وبكر ابنا عبد العزيز، ثمّ قام بالأمر عمر. وفيها توفي جعفر بن المعتمد.

وفيها ورد الخبر بغزو إسماعيل بن أحمد بلاد الترك وافتتاحه مدينة ملكهم وأسره إياه وامرأته خاتون ونحواً من عشرة آلاف، وقتل خلقاً لا يحصى وغنم من الأموال والدواب ما لا يُوقف على عدده، وأصاب الفارس من المسلمين [567] من الغنيمة في المقسم ألف درهم.

ثمّ دخلت سنة احدى وثمانين ومائتين

شخص المعتضد إلى الجبل وخروجه الثاني إلى الموصل

وفيها شخص المعتضد إلى الجبل فعقد ناحية الدينور، وقلّد ابنه أبا محمد علىّ بن المعتضد الرىّ وقزوين وزنجان وأبهر وقم والدينور. وقلّد كتبه أحمد بن أبي الأصبغ ونفقات عسكره، وقلّد عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف إصبهان ونهاوند والكرج، وتعجّل الإنصراف من أجل غلاء السعر.

وفيها خرج المعتضد الخرجة الثانية إلى الموصل قاصداً حمدان بن حمدون. ذلك أنّه بلغه أنّه مائل إلى هارون الشارى داع له، فورد كتابه على

نجاح الحرمي يذكر الواقعة :

«بسم الله الرحمن الرحيم، كتابي هذا وقت العتمة ليلة الجمعة وقد نصر الله وله الحمد على الأعراب والأكراد وأظفرنا بعالم منهم وبيعالاتهم، ولقد رأيتنا نسوق البقر والغنم كما كنا نسوقها عام أول، ولم تزل السيوف والأسنة تأخذهم حتى حال بيننا وبينهم الليل، ومن غد يومنا يقع الاستقصاء وكان وقاعنا بهم وقتلنا لهم خمسين ميلاً. فلم يبق منهم مخبر [568] والحمد لله كثيراً وصلى الله على محمد وآله وسلم.»

وكانت الأعراب والأكراد لما بلغهم خروج المعتضد تحالفوا أنهم يقتلون على دم واحد، واجتمعوا وعبأوا عسكرهم ثلاثة كراديس فكان من أمرهم ما ذكرت.

قصد المعتضد قلعة ماردين ثم الحسينية

ثم قصد المعتضد قلعة ماردين وكانت في يد حمدان بن حمدون. فلما بلغه خروج المعتضد إليها هرب وخلف ابنه فيها، فنزل عسكر المعتضد على القلعة ذلك اليوم. فلما كان من الغد ركب المعتضد وصعد حتى وصل إلى باب القلعة ثم صاح :

«يا بن حمدان.»

فأجابه فقال :

«افتح الباب.»

ففتحه ولم يجز بينهما غير ذلك ففقد المعتضد في الباب ولم يدخل، وأمر من دخل فنقل ما في القلعة من المال والأثاث. ثم أمر بهدمها فهُدمت، ويشبه أن يكون راسله قبل ذلك.

ثم وجه خلف حمدان بن حمدون فطلب أشد الطلب وأخذت أمواله

وكانت مودعة ثم ظفر به بعد.

ثم قصد المعتضد مدينة يقال لها الحسنية وفيها رجل يقال له شداد في جيش عظيم يقال أنهم عشرة آلاف وكان له قلعة في المدينة فظفر به المعتضد فأخذه وهدم قلعته. [569]

ودخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين

المعتضد وتغيير موقع النيروز

وفيها أحدث المعتضد النيروز الذي يقع في اليوم الحادى عشر من حزيران وأنشأت الكتب إلى جميع العمال في النواحي والأمصار بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي كان للعجم.

وورد كتابه على يوسف بن يعقوب يعلمه أنه إنما أراد بذلك الترفيه على الناس والرفق بهم، وأمر أن يُقرأ كتابه على الناس ففعل.^(١)

وفيها كتب المعتضد من الموصل إلى إسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون في المصير إليه. فأما إسحاق بن أيوب سارع إلى ذلك وأما حمدان بن حمدون فتحصن في قلاعته وغيب أمواله وحرمه.

فوجه إليه المعتضد الجيوش، فصادفوا الحسن بن علي كوره^(٢) وأصحابه منيخين على قلعة لحمدان محاصرين لها وفيها الحسين بن حمدان.

فلما رأى الحسين أوائل العسكر مقبلين طلب الأمان، فأومن وسلم القلعة وصار إلى المعتضد فأمر بهدمها. وأعد الجيش في طلب حمدان وكان قد صار بباسورين من دجلة ونهر عظيم. فكان الماء زائداً فعبّر الجيش إليه، فهرب وقتل أكثر أصحابه وألقى حمدان نفسه في زورق في دجلة مع كاتبه

١. انظر الطبرى (٢١٤٣:١٣).

٢. كذا في الأصل والطبرى (٢١٤٤:١٣) : كوره. ولا توجد الكلمة في مط.

وحمل معه مالا [570] وعبر إلى الجانب الغربي من دجلة وقدر اللحاق بالأعراب لما حيل بينه وبين أكراده في الجانب الشرقي، وعبر في إثره نفر يسير من الجند فاقتصوا أثره حتى أشرفوا على دير كان نزله. فلما بصر بهم خرج هارباً ومعه كاتبه وألقيا أنفسهما في زورق وخلفا المال في الدير فحمل إلى المعتضد وانحدر أصحاب السلطان في طلبه على الظهر وفي الماء. فلحقوه فخرج من الزورق حاسراً^(١) إلى ضيعة له في شرقي دجلة فركب دابة لوكيله وسار ليله أجمع حتى وافى مضرب إسحاق بن أيوب في عسكر المعتضد مستجيراً به.

فأحضره إسحاق مضرب المعتضد فأمر بالإحتفاظ [به] وبث الخيل في طلب أصحابه وظفر بكاتبه وكثير من قراباته وغلمانه وتتابع رؤساء الأكراد وغيرهم في الدخول في الأمان.

نقل بنت خمارويه إلى المعتضد

وفيها نقلت بنت خمارويه بن أحمد إلى المعتضد ونودي في جانبي بغداد ألا يعبر أحد دجلة وغلقت الأبواب التي تلي الشط ومُدَّ على الشوارع النافذة إلى دجلة الشرائج ووكل بحافتي دجلة من يمنع الناس من أن يظهروا في دورهم على الشط.

فلما صليت العتمة وافت شذاة من دار المعتضد وفيها خدم معهم الشموع فوقفوا [571] بإزاء دار صاعد، وكانت أعدت أربع حرّاقات شُدَّت مع دار صاعد. فلما جاءت الشذاة حُدرت الحرّاقات وصارت الشذاة بين أيديهم. وأقامت الحرّة في يوم الإثنين في دار المعتضد وجُليت عليه^(٢) يوم الثلاثاء.

١. في الطبري (٢١٤٥:١٣): حاسراً.

٢. يقال: جُليت العروس عن زوجها، أي عُرضت عليه مجلّوة.

هروب يوسف بن أبي الساج إلى أخيه بالمراعة

وفيها هرب يوسف بن أبي الساج في من أطاعه إلى أخيه محمد بالمراعة
ولقى مالا للسلطان في طريقه فأخذه فقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
وكتب به إلى المعتضد :

إِمَامُ الْهُدَى أَنْصَارُكُمْ آلُ طَاهِرٍ بِلا سِبِّ يُجَفُّونَ وَالْدَهْرُ يَذْهَبُ
وَقَدْ خَلَطُوا صَبْرًا بِشُكْرِ وَرَابَطُوا وَغَيْرُهُمْ يُعْطَى وَيُخْبَى وَيَهْرَبُ

معاملة المعتضد، محمد بن زيد العلوي

وفيها وجه محمد بن زيد العلوي من طبرستان إلى محمد بن ورد العطار
بأثنين وثلاثين ألف دينار ليفرقها ببغداد والكوفة والمدينة على أهله. فسعى
به وأحضر دار بدر وسئل عن ذلك فاعترف به، وذكر أنه يوجه إليه في كل
سنة مثل هذا المال فيفرقه على من يأمره بالفرقة عليهم من أهله. فأعلم بدر
المعتضد صاحب المعتضد بذلك وأعلمه أن الرجل والمال في يده. فقال
المعتضد :

« يا بدر أما تذكر الرؤيا التي أخبرتك [572] بها ؟ »

فقال : « لا يا أمير المؤمنين. »

فقال : « ألا تذكر أن الناصر - يعني الموفق - دعاني وقال : إني أعلم أن
هذا الأمر سيصير إليك، فانظر كيف تكون مع آل أبي طالب. »

ثم قال : رأيت في النوم كأنني خارج من بغداد أريد ناحية النهروان في
جيش وقد تشوف الناس إليّ، إذ مررت على رجل واقف على تلّ يصلّي لا
يلتفت إليّ، فعجبت منه. فلما فرغ من صلاته قال لي :

- «أقبل.»

فأقبلت إليه، فقال :

- «أتعرفني ؟»

قلت : «لا.»

قال : «أنا عليّ بن أبي طالب، خذ هذه المسحاة فاضرب بها الأرض.»

لمسحاة^(١) بين يديه فأخذتها، فضربت بها ضربات. فقال :

- «إنّهُ سيلي من ولدك هذا الأمر قدر ما ضربت، فأوصهم بولدى خيراً.»

قال بدر : فقلت :

- «بلى يا أمير المؤمنين قد ذكرت.»

قال : فأطلق الرجل وأطلق المال، وتقدّم إليه أن يكتب إلى صاحبه

بطبرستان أن يوجّه ما يوجّه به إليه ظاهراً وأن يفرّق هذا الرجل ما يفرّقه

ظاهراً، وتقدّم بمعونته على ما يلتمسه.

ذبح خمارويه في مصر

وفيهما ورد الخبر على المعتضد من مصر في أحد عشر يوماً على طريق

البرّ أنّ خمارويه بن أحمد ذُبح على فراشه، ذبحه بعض خدمه الخاصّة،

وقُتل من خدمه الذين [573] اتهموا بقتله نيف وعشرون خادماً.

وكان المعتضد بعث ابن الجصاص إلى خمارويه بهدايا فلمّا بلغ سرّ من

رأى اتصل خبر مهلك خمارويه بالمعتضد فكتب إليه يأمره بالرجوع، فرجع.

ودخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين
وفيهما شخص المعتضد بسبب هارون الشاري
إلى ناحية الموصل فظفر به.
ذكر هذا الظفر

وجه الحسين بن حمدان بن حمدون في خيل من الفرسان والرجالة إليه.
فقال الحسين :
- «نعم يا أمير المؤمنين إن أنا جئت به فلي ثلاث حوائج يقضيها لي أمير المؤمنين.»

فقال : «اذكرها.»

قال : «أولها إطلاق أبي، وحاجتان أسألهما بعد مجيئي به^(١).»
فقال المعتضد :

- «لك ذلك، فامض.»

فقال الحسين :

- «أحتاج إلى ثلاثمائة فارس أنتخبهم أنا.»

فمكنه من ذلك وأنفذهم مع موشكير فقال :

- «أريد أن يأمره أمير المؤمنين ألا يخالفني فيما أمره به.»

فأمر المعتضد موشكير بذلك. فمضى الحسين حتى انتهى إلى مخاضة في
دجلة فقدم إلى وصيف ومن معه بالوقوف على المخاضة وقال :

- «ليس لهارون طريق إن هرب غير هذا فلا تبرحن [574] من هذا
الموضع حتى يمر بك هارون أو أجيئك أنا أو يبلغك أنني قد قتلت.»

١. وفي الطبري (٢١٤٩: ١٣) : مجيئي به إليه.

ومضى حسين في طلب هارون فلقبه وواقعه، فكانت بينهما قتلى وانهزم هارون وأقام وصيف على المخاضة ثلاثة أيام فقال له أصحابه :
 - «قد طال مقامنا بهذا القفر وأضر بنا ولسنا نأمن أن يأخذ الحسين الشاري فيكون الفتح له دوننا والصواب أن نمضى في آثارهم.»
 فأطاعهم ومضى وجاء هارون منهزماً إلى المخاضة فعبر وجاء حسين في أثره فلم ير وصيفاً ولا أحداً من أصحابه ولا عرف لهم خبراً ولا رأى لهم أثراً، وجعل يسأل عن خبر هارون حتى وقف على عبوره فعبر في أثره وجاء إلى حي من أحياء العرب فسألهم عنه، فكنتموا أمره فهم بالايقاع بهم ثم قال :

- «إن المعتضد في إثري.»

فأعلموه أنه اجتاز بهم فأخذ بعض دوابهم وترك دوابه عندهم وكانت قد كَلَّت وأُعيت واتبع أثره فلحقه بعد أيام والشاري في نحو من مائة. فناشده الشاري وتوَعَّده، فأبى إلا محاربته فحاربه ورمى حسين بن حمدان بنفسه عليه وابتدره أصحاب الحسين، فأخذوه وجاء به إلى المعتضد سليماً بغير عقد ولا عهد. فأمر المعتضد حين بلغه الخبر بحل قيود حمدان بن حمدون والتوسعة عليه [575] إلى أن يقدم ابنه فيطلقه ويخلع عليه.
 فلما وصل الشاري إلى المعتضد انصرف راجعاً إلى بغداد فنزل باب الشماسية، وعبأ الجيش هناك وخلع على الحسين بن حمدان وطوقه بطوق ذهب، وخلع على جماعة من أهله وزين الفيل وأدخل الشاري عليه مشهراً ببرئس حرير طويل.

غزو الصقالبة الروم

وفيهما ورد الخبر من طبرستان أن الصقالبة غزت الروم في خلق عظيم،

فقتلوا منهم وهزموا ملكهم حتى وصلوا إلى قسطنطينية وألجأوا الروم إليها، ثم وجه ملك الروم إلى ملك الصقالبة:

- «إن ديننا ودينك واحد فعلام نقتل الناس بيننا؟»
فأجابه ملك الصقالبة:

- «إن هذا ملك آبائي ولست منصرفاً عنك إلا بغلبة أحدنا الآخر.»

فلما لم يجد ملك الروم مخلصاً عنه جمع من عنده من المسلمين، وسألهم معونته على الصقالبة، فأجابوه إليه، فأعطاهم السلاح فهزموا الصقالبة. فلما رأى ملك الروم ذلك خافهم على نفسه. فبعث إليهم فردّهم وأخذ منهم السلاح وفرّقهم في البلدان فرّقاً من أن يجنوا عليه.

وثوب الجيش في مصر

وورد الخبر من مصر أنّ الجند وثبوا على جيش ابن خمارويه وقالوا:

- «لا نرضى بك أميراً علينا فتنحّ عنا حتى نولى عمك.»

فكلّمهم [576] كاتبه عليّ بن أحمد الماذرائي^(١) وسألهم أن ينصرفوا يومهم ذلك فانصرفوا، وعادوا من غدٍ، فعدا جيش عليّ عمّه الذي ذكروا أنّهم يؤمّرونه، فضرب عنقه وعنق عمّ له آخر ورمى برؤوسهما إليهم. فهجم الجند على جيش ابن خمارويه، فقتلوه وقتلوا أمّه وانتهبوا داره وانتهبوا مصر وأحرقوها، ثمّ أقعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه.

وفيها ورد كتاب بدر وعبيد الله بن سليمان وكانا بالجبل قرئ في مسجد الجامع ببغداد: «إنّ عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف صار إليهما في الأمان متقاداً لأمر المؤمنين بالطاعة، وإنّ عبيد الله بن سليمان تلقاه وخلع عليه

١. كذا في الأصل والطبري (١٣: ٢١٥٣).

وعلى رؤساء أهل بيته وأخذ عليهم البيعة.
 وكان بكر بن عبد العزيز قبل ذلك استأمن إليهما، فولّياه عمل أخيه عمر
 على أن يمضى فيحاربه. فلما دخل عمر في الأمان قالوا لبكر:
 - «إن أخاك قد دخل في طاعة السلطان وإنما وليناك عمله على أنه
 عاص والرأى لكما أن تمضيا إلى باب أمير المؤمنين ليرى رأيه في أمركما.»
 وولّى عيسى النوشري^(١) إصبهان على أنه من قبل عمر، فهرب بكر
 وكتب إلى المعتضد بخبره. فكتب إلى بدر يأمره بالمقام إلى أن يعرف خبر
 بكر.

وخرج الوزير عبيد الله بن سليمان إلى الرىّ وبها على بن [577] المعتضد
 ولحق بكر بالأهواز فوجّه المعتضد في طلبه وصيفاً موشكير فخرج إليه.
 فلما قرب منه رجع بكر ومضى إلى إصبهان ورجع وصيف إلى بغداد. فكتب
 المعتضد إلى بدر يأمره بطلب بكر وحرّبه فتقدّم بدر إلى عيسى النوشري
 بمحاربته فخرج إليه وحرّبه وقتل أصحاب بدر وهزم بكراً.

ودخل عمر بن عبد العزيز [بغداد]^(٢) قادماً من إصبهان فأمر المعتضد
 باستقباله فاستقبله القاسم بن عبيد الله والقوّاد وقعد له المعتضد فوصل إليه
 وخلع عليه وحمله على دابة بسرج ولجام محلى بالذهب وخلع على ابنين
 كانا له وعلى^(٣) أخيه أحمد بن عبد العزيز وعلى قوم من قوّاده وأنزل في
 دار كانت لعبيد الله بن عبد الله [عند] رأس الجسر وكانت فرشت له.

وفيها ورد كتاب من عمرو بن الليث بأنه واقع رافع بن هرثمة فهزّمه
 ووجّه في أثره بقوّاده وكان صار إلى طوس من نيسابور فانهزم ولحق

١. كذا في الأصل والطبري (٢١٥٥:١٣): النوشري.

٢. زيادة عن الطبري (٢١٥٩:١٣).

٣. في الطبري (٢١٥٩:١٣): وعلى ابن أخيه.

بخوارزم فقتل بخوارزم وإنه يحمل رأسه.



يتلوه في المجلدة الخامسة :

«ودخلت سنة أربع وثمانين ومائتين، وفيها قدم رسول عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة في المحرم»

والحمد لله وصلواته على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل، طه طسم.

فرغ من انتساخه محمد بن علي بن محمد...^(١) البلخي في السابع عشر من رجب سنة خمس وخمسمائة.

فرغ من انتساخه محمد بن حسن بن منصور في... والعشرين من رجب سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

نقله علي بن حنظلة.



مركز تحقيق وکتاب ویر علوم اسلامی

فهرس العناوین

٥	ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة
٩	ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة
	وفیها شخص هرثمة بن أعین إلى خراسان والياً علیها
١٤	ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة
١٥	ذكر رأى سدید رءاه ذو الرئاستین
١٥	ذكر منام عجیب رءاه الرشید
١٩	ذكر بعض سیرة الرشید ومستحسن أخباره
٢٥	خلافة الأمين
٢٦	بدء الخلاف بین الأمين والمأمون
٢٦	ذكر السبب الذی أوجب اختلافهما
٢٨	ذكر آراء أشیر بها علی المأمون فی تلك الحال
٣١	ودخلت سنة أربع وتسعين ومائة
٣١	سبب ظهور الفساد بین الأمين والمأمون
٣٤	ذكر آراء الناس فیما شاورهم فیہ المأمون
٣٧	ذكر آراء أشیر بها علی محمد الأمين

- ٤٠ ذكر الحزم والجدة الذي أخذ فيه المأمون
حتى بلغ به ما أراد
- ٤١ كتاب كتبه ذو الرياستين عن المأمون إلى الأمين
- ٤٢ جواب الأمين
- ٤٣ كتاب المأمون إلى أعيان العسكر ببغداد
- ٤٦ ودخلت سنة خمس وتسعين ومائة
مبادرات من الأمين والمأمون
- ٤٧ شخص علي بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون
- ٤٨ مقتل علي بن عيسى بيميني طاهر
- ٥٠ التسليم على المأمون بالخلافة
- ٥١ ذكر الحيلة التي احتال بها
ذو الرياستين حتى اختار محمد
لحربه علي بن عيسى دون غيره
- ٥٢ كتاب الأمين إلى المأمون
- ٥٣ كلام العباس عند المأمون
- ٥٤ كلام المأمون
- ٥٤ ذكر مشاورة المأمون أصحابه
وما أشار به الفضل بن سهل
- ٥٦ كتاب من المأمون إلى الأمين
- ٥٧ كلام زبيدة لعلي بن عيسى في المأمون
- ٦٠ استشارة طاهر
- ٦٣ توجيه عبد الرحمان إلى همدان لحرب طاهر
- ٦٥ ذكر السبب في مقتله

- ٦٦ ذكر غفلة من طاهر وإضاعة حزم
- ٦٧ ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة
- ٦٧ ذكر الخبر عن حبس أسد وسببه
- ٧٢ ذكر ما احتال به طاهر عليهما حتى اختلفا
- ٧٢ المأمون يتسنى أمير المؤمنين
- ٧٣ الأمين يولّى عبد الملك الشام
- ٧٣ والسبب فى ذلك
- ٧٣ ذكر الرأى الذى أشار به عبد الملك
- ٧٤ ذكر اتفاق سيء
- ٧٥ خلع الأمين ومبايعة المأمون ببغداد
- ٧٦ ذكر السبب فى ذلك
- ٧٧ إخراج محمد من قصر الخلد
وما جرى على أمّ جعفر
- ٧٨ الحرّبة يناهضون الحسين بن على
ويحرّرون محمداً من الأسر
- ٨٠ قتل محمد بن يزيد العهلبى
- ٨٠ وكان السبب فى ذلك
- ٨٣ خلع محمد فى مكّة والمدينة
- ٨٣ ذكر السبب فى ذلك
- ٨٦ استثمان جماعة من أصحاب طاهر إلى محمد
- ٨٧ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة
محاصرة طاهر وهرثمة وزهير
بن المسيّب محمداً ببغداد

- ٩١ الخبر عن هزيمة هرثمة
- ٩٣ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة
بين خزيمة وطاهر
- ٩٤ خزيمة ودعوته للمأمون
- ٩٥ ذكر اتفاقات عجيبة
- ٩٨ مقتل محمد بن هارون الأمين
ذكر ما أشير به على محمد فلم
يقبله وما تأدى إليه الأمر
- ١٠٨ وثوب الجند بطاهر بعد مقتل الأمين
- ١٠٨ ذكر الخبر عن ذلك وسببه وما
استعمله طاهر من الحزم قبله

خلافة المأمون

- ١١٣ ودخلت سنة تسع وتسعين ومائة
- ١١٣ خروج ابن طباطبا في الكوفة
دعوة إلى الرضا من آل محمد (ص)
والعمل بالكتاب والسنة
- ١١٤ ذكر السبب في خروجه
- ١١٧ ثم دخلت سنة مائتين
هروب أبي السرايا من الكوفة ومقتله
- ١١٨ خروج ابراهيم بن موسى بن جعفر (ع) باليمن
- ١١٨ ذكر السبب في خروجه
- ١١٩ جلوس الأفطس

- ١٢٠ اجتماع الحسين وأصحابه إلى محمد بن جعفر
لمبايعته بالخلافة
- ١٢٢ ذكر خروج هرثمة ومراغمته للحسن والفضل
وما آل إليه أمره
- ١٢٤ هياج الشعب ببغداد بين الحرية والحسن بن سهل
- ١٢٤ ذكر السبب في ذلك
- ١٢٥ ودخلت سنة إحدى ومائتين
مراودة أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة
- ١٢٥ ذكر السبب في ذلك
- ١٢٨ نكير المطوعة على الفساق ببغداد
- ١٢٨ ذكر السبب الذي فعلت المطوعة له ذلك
- ١٢٩ قيام سهل بن سلامة
- ١٣١ المأمون يجعل علي بن موسى (ع) ولي عهد المسلمين
- ١٣١ ذكر الخبر عن ذلك وسببه
وما آل إليه الأمر
- ١٣٢ أهل بغداد يبايعون إبراهيم بن المهدي بالخلافة
- ١٣٢ ذكر السبب في ذلك
- ١٣٣ تحرك يابك الخرمي في الجاويذانية
- ١٣٣ ودخلت سنة اثنتين ومائتين
- ١٣٤ إنفاذ العباس بن موسى بن جعفر إلى الكوفة
- ١٣٦ ظفر إبراهيم بسهل المطوعي
- ١٣٦ وكان السبب في ذلك
- ١٣٧ شخوص المأمون من مرو إلى العراق

- والسبب في ذلك ١٣٧
- قتل الفضل بن سهل في الحماة بضرب السيوف ١٣٩
- زواجات ثلاثة ١٤١
- ودخلت سنة ثلاث ومائتين ١٤١
- وفي هذه السنة مات علي بن موسى الرضا [عليه السلام]
وذلك بطوس
ذكر الخبر عن ذلك
- غلبة السوداء على الحسن بن سهل ١٤٢
- ضرب ابراهيم بن المهدي، عيسى بن محمد ١٤٢
- ذكر السبب في ذلك ١٤٢
- احتفال من عيسى ١٤٣
- ذكر الخبر عن هرب ابراهيم بن المهدي واستتاره ١٤٤
- ودخلت سنة أربع ومائتين ١٤٤
- قدوم المأمون العراق والرجوع إلى لبس السواد
ذكر الخبر عن ذلك ١٤٤
- ودخلت سنة خمس ومائتين ١٤٥
- ولاية طاهر بن الحسين ١٤٥
- ذكر السبب في ذلك ١٤٥
- ذكر نادرة لكاتب ١٤٩
- صارت سبباً لصلاح حاله وحال الكتاب ببغداد
ودخلت سنة ست ومائتين ١٥١
- وفيها ولّى المأمون عبد الله بن طاهر الجزيرة إلى مصر
ذكر السبب في ذلك

- ١٥٢ ودخلت سنة سبع ومائتين
وفاة ذى اليمينين
- ١٥٤ ودخلت سنة ثمان ومائتين
- ١٥٤ ودخلت سنة تسع ومائتين
- ١٥٦ ودخلت سنة عشرة ومائتين
- ١٥٧ بناء المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل
- ١٦٠ افتتاح مصر
- ١٦٠ ذكر الخبر عن ذلك
- ١٦١ خلع أهل قم السلطان وما كان من عاقبته
- ١٦١ ذكر سبب ذلك
- ١٦٢ ودخلت سنة إحدى عشرة ومائتين
المأمون يدس رجلاً إلى عبد الله بن طاهر
- ١٦٤ المأمون واظهار القول بخلق القرآن
وبفضل على بن أبى طالب (ع)
- ١٦٥ ودخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين
- ١٦٥ ودخلت سنة أربع عشرة ومائتين
- ١٦٥ ودخلت سنة خمس عشرة ومائتين
- ١٦٥ ودخلت سنة ست عشرة ومائتين
- ١٦٦ ودخلت سنة سبع عشرة ومائتين
- ١٦٦ المأمون يختبر الآراء فى التشبيه وخلق القرآن
- ١٦٨ كتاب المأمون إلى عماله فى البلدان
- ١٦٩ وفات المأمون
ذكر سبب وفاته

- ١٧١ [من سيرة المأمون]
- ١٧٥ [خلافة أبي إسحاق المعتصم]
- ١٧٦ توجيه المعتصم عساكر لقتال الخرمية
- ١٧٦ ودخلت سنة تسع عشرة ومائتين
- ظهور محمد بن القاسم بالطالقان من خراسان
- ١٧٧ توجيه عجيف لحرب الزط
- ١٧٨ ودخلت سنة عشرين ومائتين
- ١٧٨ عقد المعتصم للأفشين حرب بابك
- ١٨٠ بابك وأفشين وما كان من أمرهما بأرشق
- ١٨٠ ذكر السبب في ذلك
- ١٨٤ خروج المعتصم إلى القاطول
- وابتدأه ببناء سر من رأى
- ١٨٤ ذكر السبب في ذلك
- ١٨٥ ذكر الخبر عن غضبه عليه وحبسه له
- وسبب اتصاله به ونفاقه عليه
- ١٨٩ ودخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين
- وقعة كانت بين بغا وبابك
- ١٨٩ ذكر الخبر عن ذلك
- ١٩١ تبليت بابك الأفشين
- ١٩٤ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين
- ١٩٤ فتح اليد مدينة بابك واستباحتها
- ١٩٤ ذكر الخبر عن ذلك وسببه

- ١٩٦ ملاطفة بين بابك وأفشين في تلك الحال
- ٢٠١ أفشين والرؤيا التي رآها بعض المطوعة
- ٢٠٣ توجه أبي دلف نحو حائط البذ
- ٢٠٦ بابك يريد الأمان
- ٢٠٨ أمان مختوم بالذهب من المعتصم لبابك
- ٢١٠ فناء زاد بابك
- ٢١١ بابك والحراث وما فعل ابن سنباط
- ٢١٣ ابن سنباط يكتب الخبر إلى الأفشين
وما كان بعد ذلك
- ٢١٥ بابك يحمل إلى الأفشين
- ٢١٧ ودخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين
قدوم الأفشين ببابك على المعتصم
وما فعل المعتصم به
- ٢١٩ أخو بابك يحمل إلى بغداد
- ٢٢٠ تتويج المعتصم الأفشين بعد قتل بابك
- ٢٢٠ إيقاع ملك الروم بأهل زبطرة
- ٢٢١ ذكر السبب في ذلك
- ٢٢٢ شخوص المعتصم غازياً إلى بلاد الروم
- ٢٢٤ أشناس والشيخ
- ٢٢٦ لحوق أشناس، ثم المعتصم،
ثم الأفشين بأنقرة
- ٢٢٩ تدبير حربى فاشل
- ٢٣٠ ذكر اتفاق سىء من كلام سبق

- ٢٣٤ حبس العباس بن المأمون
- ٢٣٥ ذكر السبب في ذلك
- ٢٣٦ ذكر سوء تحفظ في القول عاد بهلكة
- ٢٤٣ ودخلت سنة أربع وعشرين ومائتين
- وفيها أظهر مازيار بن قارن الخلاف على المعتصم بطبرستان
- ذكر السبب في ذلك
- ٢٥٤ كتاب بتسليم مازيار وإخوته وأهل بيته
- إلى المعتصم
- ٢٥٥ قتل قوهيار
- ذكر ترك حزم بالدالة عاد بهلاك
- ٢٥٦ سبب فساد أمر مازيار
- ٢٥٨ نهاية الدرني
- ٢٥٩ خلاف منكجور الأشروشني بأذربيجان
- ٢٥٩ ذكر السبب في ذلك
- ٢٥٩ ودخلت سنة خمس وعشرين ومائتين
- ٢٦٠ حبس الأفشين
- ذكر السبب في ذلك
- ٢٦١ ذكر حيل هم بها الأفشين
- ٢٦٤ ذكر مناظرات وُبُخ بها الأفشين
- واحتجاجاته فيها
- ٢٦٤ بين محمد الزيات والأفشين
- ٢٦٥ بين الموبذ والأفشين
- ٢٦٦ بين المرزيان والأفشين

- ٢٦٧ بين مازيار وأفشين
- ٢٦٩ بين ابن أبى دؤاد والأفشين
- ٢٧٠ ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين
- ٢٧٠ ذكر الخبر عن موته
- ٢٧١ بين هارون الواثق والأفشين
- ٢٧٣ ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين
- خروج المبرقع اليماني بفلسطين
- ٢٧٣ ذكر السبب فى ذلك
- ٢٧٤ وفاة المعتصم
- ٢٧٧ خلافة هارون الواثق
- ٢٧٧ ودخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين
- ٢٧٧ ودخلت سنة تسع وعشرين ومائتين
- حبس الكتاب وإلزامهم أموالاً
- ٢٧٨ ذكر سبب ذلك
- ٢٧٨ ودخلت سنة ثلاثين ومائتين
- ٢٧٩ ودخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين
- تحرك قوم
- وأخذهم البيعة على أحمد بن نصر الخزاعي
- ٢٧٩ ذكر السبب فى ذلك
- ٢٨٣ الفداء بين المسلمين وصاحب الروم
- ٢٨٤ ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين
- وفىها كان مسير بغا الكبير إلى بنى نعيم

- ٢٨٤ ذكر السبب في ذلك
- ٢٨٥ ذكر اتفاق حسن
- ٢٨٦ موت الوراق ..

- ٢٨٧ خلافة جعفر المتوكل
- ٢٨٨ ودخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
- ٢٨٨ ذكر سوء نظر محمد بن عبد الملك في العاقبة
وتجهمه للمتوكل حتى أهلكه
- ٢٩١ ودخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين
هروب محمد بن البعيث
- ٢٩٤ ذكر سبب ذلك
- ٢٩٥ ودخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين
وفيهما كان مقتل إيتاخ
ذكر سبب مقتله
- ٢٩٧ ما عامل به المتوكلون أهل الذمة
في ملابسهم ومنازلهم
- ٢٩٨ عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة
- ٢٩٨ ودخلت سنة ست وثلاثين ومائتين
ومن حوادثها هدم قبر الحسين عليه السلام
- ٢٩٩ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين
وفيهما وثب أهل أرمينية بيوسف بن محمد بن يوسف فيها
ذكر السبب في ذلك
- ٣٠٠ غضب المتوكل على أبي دؤاد

- ٣٠٠ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين
- ٣٠١ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين
- ٣٠١ ودخلت سنة أربعين ومائتين
- ٣٠١ ودخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين
- إغارة البجة وحرب المتوكل إياهم
- ٣٠٢ ذكر ما آلت إليه أمورهم
- ٣٠٤ ودخلت سنة اثنتين وأربعين
- وثلاثة وأربعين [ومائتين]
- ٣٠٥ ودخلت سنة أربع وأربعين ومائتين
- ٣٠٥ ودخلت سنة خمس وأربعين ومائتين
- ٣٠٥ ذكر سبب هلاكه
- ٣٠٧ ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين
- ٣٠٨ ودخلت سنة سبع وأربعين ومائتين
- وفيهما كان مقتل المتوكل على الله
- ذكر السبب في قتله

- ٣١٣ خلافة محمد بن جعفر المنتصر
- ٣١٣ ودخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين
- وفيهما أغزى المنتصر وصيفاً التركي صائفة أرض الروم
- ذكر السبب في ذلك
- ٣١٤ خلع المعتز والمؤيد أنفسهما
- ٣١٥ ذكر سبب خلعهما
- ٣١٧ ذكر وفاة المنتصر وسرعة الإدالة منه

- ٣٢١ خلافة أبي العباس المستعين
- ٣٢١ ذكر السبب في بيعة المستعين
والعدول عن وَلَدِ المتوكل
- ٣٢٤ ودخلت سنة تسع وأربعين ومائتين
وفيها شغب الجند والساكرية
ذكر السبب في شغبهم
- ٣٢٥ وفي هذه السنة قتل أوتامش وكاتبه شجاع
ذكر السبب في قتلها
- ٣٢٦ ودخلت سنة خمسين ومائتين
ظهور يحيى بن عمر في الكوفة وقتله فيها
- ٣٢٦ ذكر السبب في خروجه
- ٣٣٠ خروج الحسن بن زيد
- ٣٣٠ ذكر السبب في خروجه
- ٣٣٤ ودخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين
وفيها قتل وصيف وبغا الصغير باغر التركي واضطرب الموالي
ذكر السبب في قتله
- ٣٣٨ ذكر الفتنة التي وقعت بين الأتراك
وأهل بغداد وما انتهى إليه
- ٣٤٢ خليفتان في زمن واحد
- ٣٤٦ ظفر سليمان بعسكر الحسن بن زيد
- ٣٤٧ قدوم أبي الساج
- ٣٥٠ ذكر رأى أشير به عليه صواب
- ٣٥٤ مقتل بالفردك

- ٣٥٤ ذكر السبب في ذلك
- ٣٥٥ انهزام الترك في وقعة بغداد
- ٣٥٦ للأتراك يقدمها علم أحمر
- ٣٥٦ ذكر السبب في ذلك
- ٣٦٤ إجابة المستعين إلى الخلع
- ٣٦٧ خلافة المعتز
- ٣٦٧ ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين
- ٣٧٠ خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد
- ٣٧٠ ذكر السبب في ذلك
- ٣٧١ ذكر سبب وفاة المؤيد
- ٣٧١ وفي سؤال منها قُتل المستعين
- ذكر السبب في قتله
- ٣٧٢ وفي هذه السنة كانت بين المغاربة والأتراك ملحمة
- ذكر السبب في ذلك
- ٣٧٣ ودخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين
- ٣٧٤ وفي هذه السنة قُتل وصيف التركي
- ذكر الخبر عن ذلك
- ٣٧٥ انهزام الكوكبي
- ٣٧٥ ذكر الخبر عن ذلك
- ٣٧٥ ودخلت سنة أربع وخمسين ومائتين
- ٣٧٦ ذكر مقتل بُغا الشرايبي
- ٣٧٨ ودخلت سنة خمس وخمسين ومائتين

- ٣٧٨ وقعة بين يعقوب بن الليث وطوق بن المغلس
- ٣٧٩ ذكر السبب في ذلك
- ٣٨١ دخول يعقوب بن الليث فارس
- ٣٨١ ذكر الخبر عن ذلك
- ٣٨٤ ذكر السبب في ذلك
- ٣٨٥ خلع المعتز وموته
- ٣٨٦ ذكر سبب خلعه

٣٨٩ [خلافة المهدي بالله ابن الواثق]

- ٣٩٠ ذكر سبب ظهور قبيحة
- ٣٩٢ ذكر السبب في قتلها
- ٣٩٣ انصراف مُفلح من طبرستان
- ٣٩٤ ذكر السبب في ذلك
- ٣٩٧ ذكر خبر العلوي صاحب الزنج
- ٣٩٧ ومبدأ أمره وسبب خروجه
- ٤٠٤ وقعته مع بعض الأتراك
- ٤٠٥ أشد يوم لقيه صاحب الزنج
- ٤٠٧ ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين
- موافاة موسى بن بغا سر من رأى
- ٤٠٨ ذكر السبب في ظهور صالح
- وقتل الموالى وموسى إياه
- ٤٠٩ كلام المهدي للمجمعين على خلعه
- ٤١٦ وفي رجب من هذه السنة خلع المهدي وقتل

٤١٦ ذكر سبب خلعه وقتاله الأتراك
وظفرهم به وقتلهم إياه

٤٢٣ خلافة المعتمد على الله

٤٢٣ موافاة جعلان البصرة لحرب صاحب الزنج

٤٢٤ ذكر دخول الزنج الأهواز

٤٢٥ ودخلت سنة سبع وخمسين ومائتين
وفيها صار يعقوب بن الليث إلى فارس

٤٢٧ ذكر الخبر عن دخول الزنج البصرة

٤٢٨ ادعاء له

٤٢٩ ادعاء آخر له

٤٣٠ ذكر مقتل مفلح

٤٣٢ أسر يحيى بن محمد وقتله

وادعاء صاحب الزنج في نبوته

٤٣٣ وفي هذه السنة انحاز أبو أحمد الموفق
من قرب الزنج إلى واسط

ذكر السبب في ذلك

٤٣٤ ودخلت سنة تسع وخمسين ومائتين

إنصراف أبي أحمد واستخلاف أحمد المولّد

لحرب صاحب الزنج

٤٣٦ ذكر دخول يعقوب نيسابور

٤٣٧ ودخلت سنة ستين ومائتين

٤٣٧ محاربة يعقوب بن الليث الحسن بن زيد بطبرستان

- ٤٣٧ ذكر السبب في ذلك
- ٤٣٩ ذكر السبب في مسيره
- ٤٣٩ ودخلت سنة إحدى وستين ومائتين
- ٤٣٩ ذكر السبب في ذلك
- ٤٤١ ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين
وفيها وافى يعقوب بن الليث رامهرمز
- ٤٤٣ وفيها وجّه صاحب الزنج جيوشه إلى البطيحة
ودست ميسان
- ذكر الخبر عن طمعه في ذلك
- ٤٤٦ وفيها كانت وقعة بين أحمد بن ليثوية
صاحب مسرور وبين عليّ بن أبان
- ٤٤٦ ودخلت سنة ثلاث وستين ومائتين
- ظفر يعقوب بن الليث بمحمد بن واصل
- ٤٤٧ ودخلت سنة أربع وستين ومائتين
- ٤٤٨ محاربة محمد المولّد وسليمان بن الجامع
- ٤٤٨ ذكر السبب في ذلك
- ٤٥٠ وفيها خرج سليمان بن وهب والحسن بن وهب
إلى سرّ من رأى
- ٤٥٠ ودخلت سنة خمس وستين ومائتين
- ٤٥٢ ودخلت سنة ست وستين ومائتين
- ٤٥٣ ذكر السبب في ذلك
- ٤٥٤ ذكر عجلة وحرص كانا سبب ترك الحزم
- ٤٥٥ ودخلت سنة سبع وستين ومائتين وفيها غلب أبو العباس

- ٤٥٥ ابن الموفق على عامة ما كان سليمان صاحب الزنج
غلب عليه من قرى دجلة
ذكر الخبر عن ذلك
- ٤٥٧ ذكر حيلة للجبائي ما تمت له
- ٤٥٩ خروج الموفق لحرب صاحب الزنج
- ٤٦١ دفن الجبائي وادعاء آخر لصاحب الزنج
- ٤٦٢ ذهاب الموفق إلى الأهواز للايقاع بالمهلبى
- ٤٦٤ كتاب أبى أحمد إلى صاحب الزنج
للأمان والتوبة مما ركب وادعى
- ٤٦٦ حصانة مواضع صاحب الزنج ومطاوله أبى أحمد
- ٤٦٧ ثم زحف الموفق بنفسه إلى المدينة المختارة
ذكر السبب فى خروجه
- ٤٦٨ ودخلت سنة ثمان وستين ومائتين
استثمان جعفر السجّان وهروب ريحان إلى أبى أحمد
- ٤٦٩ ذكر حيلته هذه
- ٤٧٠ ذكر طمعه هذا
- ٤٧٠ ودخلت سنة تسع وستين ومائتين
- ٤٧٢ ذكر الخبر عن ذلك وسببه
- ٤٧٣ تفاقم الجوع وأكل بعضهم بعضاً
- ٤٧٤ هزيمة الزنج وهروب صاحبهم
- ٤٧٦ المعتمد يريد اللحاق بمصر
- ٤٧٨ تسمية كنداجيق بذى السيفين
- ٤٧٨ ودخلت سنة سبعين ومائتين

- ٤٧٨ مقتل صاحب الزنج
 واسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني
- ٤٧٩ استثمان دَرْمُويَه
 ودخلت سنة إحدى وسبعين ومائتين
- ٤٨١ وقعة الطواحين
 ودخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين
- ٤٨٢ ودخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين
 قدوم لؤلؤ من مصر
- ٤٨٢ ودخلت سنة أربع وسبعين ومائتين
 ودخلت سنة خمس وسبعين ومائتين
- ٤٨٢ حبس الموفق ابنه
 ودخلت سنة ست وسبعين ومائتين
- ٤٨٣ شخوص أبي أحمد
 انفراج تل عن سبعة أقبير
- ٤٨٣ ودخلت سنة سبع وسبعين ومائتين
 ودخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين
- ٤٨٤ وفيها انحدر وصيف خادم ابن أبي الساج
 إلى واسط بأمر أبي الصقر
- ذكر السبب في ذلك
- ٤٨٤ انصراف أبي أحمد من الجبل إلى العراق
 وفاة أبي أحمد الموفق
- ٤٨٦ [ابتداء امر القرامطة]
- ٤٨٧ مذهبهم كما جاء في كتاب لهم
- ٤٩٠

- ٤٩٠ مناظرة بين قرمط وصاحب الزنج
- ٤٩١ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين
وفاة المعتضد
- ٤٩٣ خلافة المعتضد
- ٤٩٣ قدوم رسول عمرو بن الليث بهدايا
- ٤٩٣ ورود رسول خماروية من مصر
في تزويج بنت خماروية من المعتضد
- ٤٩٤ ودخلت سنة ثمانين ومائتين
قبض المعتضد على عبيد الله بن المهدي وشيئمة
- ٤٩٥ شغوص المعتضد إلى بني شيان
- ٤٩٦ ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائتين
شغوص المعتضد إلى الجبل وخروجه الثاني إلى الموصل
- ٤٩٧ قصد المعتضد قلعة ماردين ثم الحسينية
- ٤٩٨ ودخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين
المعتضد وتغيير موقع النيز
- ٤٩٩ نقل بنت خماروية إلى المعتضد
- ٥٠٠ هروب يوسف بن أبي الساج إلى أخيه بالمراغة
- ٥٠٠ معاملة المعتضد، محمد بن زيد العلوي
- ٥٠١ ذبح خمارويه في مصر
- ٥٠٢ ودخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين
وفيها شخص المعتضد بسبب هارون الشاري
إلى ناحية الموصل فظفر به.

- ۵۰۲ ذکر هذا الظفر
- ۵۰۳ غزو الصقالبة الروم
- ۵۰۴ وثوب الجیش فی مصر



مرکز تحقیقات کانیویر علوم اسلامی

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A. Emāmi, Ph.D.

vol.4

Soroush Press
Tehran 1997



شماره: ۱۶۰۰۰ ریال
کالینگور: ۱۹۵۰۰ ریال

شابک: ۷-۳۲۷-۴۳۵-۹۶۴
شابک: ۵-۳۳۱-۴۳۵-۹۶۴ (دوره ۷ جلدی)
ISBN: 964-435-327-7
ISBN: 964-435-331-5 (7 Vol. SET)

